AUC Library
BP 130.4 I23 1936 v.1-2
IBN JUZAYY/KITAAB AL-TAS-HIIL LI-'ULUUM
main
3 8534 00911385 7

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

OG - B5407 Put

+S.L. anther date - 1973
BP
130.4
I 23
1936
V.1-2

كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الأوّل

THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN CAIRO
LIBRARY

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدّة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

OCLC
28874591
B13202546
15043988

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، أبو عبدالله محمد المدعو بالقاسم ابن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، بحرمة النبي الأواه :

الحمد لله العزيز الوهاب ، مالك الملوك ورب الأرباب ، هو الذى أنزل على عبده الكتاب ، هدى وذكرى لأولى الألباب ، وأودعه من العلوم النافعة ، والبراهين القاطعة : غاية الحكمة وفصل الخطاب ؛ وخصصه من الخصائص العلية ، واللطائف الخفية ، والدلائل الجلية ، والأسرار الربانية ، العجب بكل عجب عجاب ؛ وجعله فى الطبقة العليا من البيان ، حتى أعجز الإنسان والجان ، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب ؛ ويسر حفظه فى الصدور ، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالى الأحقاب ؛ وجعله قولا فصلا ، وحكما عدلا ، وآية بادية ، ومعجزة باقية : يشاهدها من شهد الوحى ومن غاب ؛ وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب ، والحجة على الكافر المرتاب ؛ وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام ، وبين الحلال والحرام ، وعلم من شعائر الإسلام ، وصرف من النواهى والأوامر والمواعظ والزواجر ، والبشارة بالثواب ، والنذارة بالعقاب ، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته ، واصطفاهم من عباده ، وأورثهم الجنة وحسن المآب . فسبحان مولانا الكريم الذى خصنا بكتابه ، وشرفنا بخطابه ، فياله من نعمة سابغة ، وحجة بالغة ، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها ، وتوفية حقها ، ومعرفة قدرها ، وما توفيقى إلا بالله ، هو ربى لا إله إلا هو ، عليه توكلت وإليه متاب . وصلاة الله وسلامه ، وتحياته وبركاته وإكرامه ، على من دلنا على الله ، وبلغنا رسالة الله ، وجاءنا بالقرآن العظيم ، وبالآيات والذكر الحكيم ، وجاهد فى الله حق الجهاد ، وبذل جهده فى الحرص على نجاة العباد ، وعلم ونصح وبين وأوضح حتى قامت الحجة ، ولاحت المحجة ، وتبين الرشد من الغىّ ، وظهر طريق الحق والصواب ، وانقشعت ظلمات الشك والارتياب ، ذلك : سيدنا ومولانا محمد النبى الأمى ، القرشى الهاشمى ، المختار من لباب اللباب ، والمصطفى من أطهر الأنساب ، وأشرف الأحساب ، الذى أيده الله بالمعجزات الظاهرة ، والجنود القاهرة ، والسيوف الباترة الغضاب ، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة ، وجعله قائداً للغرّ المحجلين والوجوه الناضرة ، فهو أوّل من يشفع يوم الحساب ، وأوّل من يدخل الجنة ويقرع الباب ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الأكرمين ، خير أهل وأصحاب ، صلاة زاكية نامية ، لا يحصر مقدارها العدّ والحساب ، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكتاب .

أما بعد ؛ فإنّ علم القرآن العظيم : هو أرفع العلوم قدرا . وأجلها خطرا ، وأعظمها أجراً ، وأشرفها ذكرا وأن الله أنعم علىّ بأن شغلنى بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وشغفنى بتفهم معانيه وتحصيل علومه ، فاطلعت

على ما صنف العلماء رضى الله عنهم فى تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف ، المتباينة الأصناف ، فمنهم من آثر الاختصار ، ومنهم من طوّل حتى كثر الأسفار، ومنهم من تكلم فى بعض فنون العلم دون بعض ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس ، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق ، وكل أحد سلك طريقا نحاه ، وذهب مذهبا ارتضاه ، وكلا وعد الله الحسنى ، فرغبت فى سلوك طريقهم ، والانخراط فى مساق فريقهم ، وصنفت هذا الكتاب فى تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلق به من العلوم ، وسلكت مسلكا نافعا ، إذ جعلته وجيزا جامعا ، قصدت به أربع مقاصد : تتضمن أربع فوائد : (الفائدة الأولى) جمع كثير من العلم ، فى كتاب صغير الحجم ؛ تسهيلا على الطالبين ، وتقريبا على الراغبين ؛ فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ، وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها ؛ ولقد أودعته من كل فنّ من فنون علم القرآن : اللباب المرغوب فيه ، دون القشر المرغوب عنه ، من غير إفراط ولا تفريط . ثم إنى عزمت على إيجاز العبارة ، وإفراط الاختصار ، وترك التطويل والتكرار (الفائدة الثانية) ذكر نكت عجيبة ، وفوائد غريبة ، قلما توجد فى كتاب ؛ لأنها من نبات صدرى ، وينابيع ذكرى . ومما أخذته عن شيوخى رضى الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر ، الواقعة فى غرائب الدفاتر (الفائدة الثالثة) إيضاح المشكلات ، إما بحل العقد المقفلات ، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات ، وبيان المجملات (الفائدة الرابعة) تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح . وذلك أن أقوال الناس على مراتب : فمنها الصحيح الذى يعوّل عليه ، ومنها الباطل الذى لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا ، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا ، وإنى جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تعرف بها كل مرتبة وكل قول ؛ فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ، ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ثم ما أقدّم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدّم أو بالقول فيه : قيل كذا ، قصدا للخروج من عهدته ، وأما إذا صرحت باسم قائل القول ؛ فإنى أفعل ذلك لأحد أمرين : إما للخروج عن عهدته ، وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدى به ، على أنى لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا ، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم ، أو لاختلاف الناقلين فى نسبتها إليهم ، وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد ؛ فذلك إشارة إلى أنى أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسى ، أو مما أختاره من كلام غيرى ، وإذا كان القول فى غاية السقوط والبطلان ؛ لم أذكره تنزيها للكتاب ، وربما ذكرته تحذيرا منه ، وهذا الذى من الترجيح والتصحيح مبنىّ على القواعد العلمية ، أو ما تقتضيه اللغة العربية ، وسنذكر بعد هذا بابا فى موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله . وسميته ﴿ كتاب التسهيل : لعلوم التنزيل ﴾ وقدّمت فى أوّله مقدّمتين : إحداهما فى أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ؛ والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة . وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم : أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، ووسيلة توصلنى إلى جنات النعيم ، وتنقذنى من عذاب الجحيم ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم .

المقدمة الاولى : فيها إثنا عشر بابا

الباب الأوّل : فى نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوّل مابعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله ، فكانت مدّة نزوله عليه عشرون سنة ، وقيل كانت ثلاث وعشرين سنة على حسب الاختلاف فى سنه صلى الله عليه وسلم يوم توفى ، هل كان ابن ستين سنة ، أو ثلاث وستين سنة ؟ وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة ، وربما تنزل عليه آيات مفترقات ، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة ، وأوّل مانزل عليه من القرآن : صدر سورة العلق ، ثم المدّثر والمزمل ، وقيل أوّل مانزل المدّثر وقيل فاتحة الكتاب ، والأوّل هو الصحيح ؛ لما ورد فى الحديث الصحيح ، عن عائشة فى حديثها الطويل فى ابتداء الوحى قالت فيه : جاءه الملك وهو بغار حراء ، قال اقرأ ، قال ما أنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ماأنا بقارئ ، قال فأخذنى وغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، ثم قال . اقرأ بسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فقال زمّلونى زمّلونى ، فزمّلوه حتى ذهب عنه مايجد من الروع ، وفى رواية من طريق جابر ابن عبد الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زمّلونى فأنزل الله تعالى « يأيها المزمّل » وآخر مانزل « إذا جاء نصر الله والفتح » وقيل آية الزنى التى فى البقرة ، وقيل الآية قبلها . وكان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرق فى الصحف وفى صدور الرجال ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى بيته ، فجمعه على ترتيب نزوله ، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ، ولكنه لم يوجد . فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب ؛ أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بجمع القرآن : مخافة أن يذهب بموت القراء . فجمعه فى صحف غير مرتب السور وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر ، ثم عند عمر بعده ، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين ، وانتشرت فى خلال ذلك صحف كتبت فى الآفاق عن الصحابة ، وكان بينها اختلاف ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، فجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم ، فانتدب لذلك عثمان ، وأمر زيد بن ثابت فجمعه ، وجعل معه ثلاثة من قريش : عبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن العاصى بن أمية ، وقال لهم إذا اختلفتم فى شىء فاجعلوه بلغة قريش ، وجعلوا المصحف الذى كان عند حفصة إماما فى هذا الجمع الأخير ، وكان عثمان رضى الله عنه يتعهدهم ويشاركهم فى ذلك ، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضى الله عنه منه نسخا ووجهها إلي الأمصار وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق « يروى بالحاء والخاء المنقوطة » فترتيب السور على ماهو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف ، وقد قيل إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ضعيف تردّه الآثار الواردة فى ذلك ، وأما نقط القرآن وشكله فأوّل من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبدالملك بن مروان وزاد الحجاج تحزيبه وقيل أوّل من نقطه يحيى بن يعمر وقيل أبو الأسود الدؤلى ، وأما وضع الأعشار فيه فقيل إنّ الحجاج فعل ذلك وقيل بل أمره به المأمون العباسى ، وأما أسماؤه فهى

أربعة : القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والذكر . وسائر مايسمى صفات لا أسماء : كوصفه بالعظيم ، والكريم ، والمتين ، والعزيز ، والمجيد ، وغير ذلك . فأما القرآن : فأصله مصدر قرأ ، ثم أطلق على المقروء ، وأما الفرقان : فمصدر أيضا معناه التفرقة بين الحق والباطل ، وأما الكتاب : فمصدر ثم أطلق على المكتوب ، وأما الذكر : فسمى القرآن به لما فيه من ذكر الله أو من التذكير والمواعظ ، ويجوز فى السورة من القرآن الهمز ، وترك الهمز لغة قريش ، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن به لأنها علامة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم

الباب الثانى : فى السورة المكية والمدنية . اعلم أنّ السور المكية هى التى نزلت بمكة ويعد منها كل مانزل قبل الهجرة ، وإن نزل بغير مكة ، كما أنّ المدنية هى السورة التى نزلت بالمدينة ويعدّ منها كل مانزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة ، وتنقسم السور ثلاثة أقسام : قسم مدنية باتفاق ، وهى اثنان وعشرون سورة ، وهى : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والنور ، والأحزاب ، والقتال ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والتحريم ، وإذاجاء نصر الله . وقسم فيها خلاف ، هل هى مكية أو مدنية ؟ وهى ثلاثة عشر سورة : أم القرآن والرعد ، والنحل ، والحج ، والإنسان ، والمطففون ، والقدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وأرأيت ، والإخلاص والمعوذتين . وقسم مكية باتفاق ، وهى سائر السور ، وقد وقعت آيات مدنية فى سور مكية ، كما وقعت آيات مكية فى سور مدنية ، وذلك قليل ، مختلف فى أكثره

واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها فى إثبات العقائد والردّ على المشركين ، وفى قصص الأنبياء . وأنّ السور المدنية نزل أكثرها فى الأحكام الشرعية ، وفى الردّ على اليهود والنصارى ، وذكر المنافقين ، والفتوى فى مسائل ، وذكر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وحيث ماورد : يأيها الذين آمنوا ؛ فهو مدنى ، وأما : يأيها الناس ، فقد وقع فى المكىّ والمدنىّ

الباب الثالث : فى المعانى والعلوم التى تضمنها القرآن . ولنتكلم فى ذلك على الجملة والتفصيل . أما الجملة ، فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول فى دينه ، ثم إنّ هذا المقصد يقتضى أمرين ، لابد منهما ، وإليهما ترجع معانى القرآن كله : أحدهما بيان العبادة التى دعى الخلق إليها ، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها ، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين ، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال ، وأما البواعث عليها فأمرين ، وهما الترغيب والترهيب ، وأما على التفصيل فاعلم أنّ معانى القرآن سبعة : وهى علم الربوبية ، والنبوة ، والمعاد ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد والقصص . فأماعلم الربوبية : فمنه إثبات وجود البارى جل جلاله ، والاستدلال عليه بمخلوقاته ، فكل ماجاء فى القرآن من التنبيه على المخلوقات ، والاعتبار فى خلقة الأرض والسموات ، والحيوان والنبات . والريح والأمطار ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، وغير ذلك من الموجودات ، فهو دليل على خالقه ، ومنه إثبات الوحدانية ، والردّ على المشركين ، والتعريف بصفات الله : من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر ، وغير ذلك من أسمائه وصفاته ، والتنزيه عما لا يليق به . وأماالنبوّة : فإثبات نبوّة الأنبياء عليهم السلام على العموم ، ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص ، وإثبات الكتب التى أنزلها الله عليهم ، ووجود الملائكة الذين

كان منهم وسائط بين الله وبينهم ، والردّ على من كفر بشيء من ذلك ، وينخرط فى سلك هذا ما ورد فى القرآن من تأنيس النبى صلى الله عليه وسلم وكرامته والثناء عليه ، وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين . وأما المعاد فإثبات الحشر ، وإقامة البراهين ، والردّ على من خالف فيه ، وذكر ما فى الدار الآخرة من الجنة والنار ، والحساب والميزان ، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال ، ونحو ذلك . وأما الأحكام : فهى الأوامر والنواهى وتنقسم خمسة أنواع : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح . ومنها ما يتعلق بالأبدان : كالصلاة والصيام ، وما يتعلق بالأموال كالزكاة ، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك . وأما الوعد : فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك ، ومنه وعد بخير الآخرة وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها . وأما الوعيد : فمنه تخويف بالعقاب فى الدنيا ، ومنه تخويف بالعقاب فى الآخرة وهو الأكثر : كأوصاف جهنم وعذابها ، وأوصاف القيامة وأهوالها ، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد ، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ، ليجمع بين الترغيب والترهيب ، وليتبين أحدهما بالآخر ، كما قيل ۞ فبضدّها تتبين الأشياء ۞ وأما القصص : فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدّمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف ، وذى القرنين . فإن قيل : ما الحكمة فى تكرار قصص الأنبياء فى القرآن . فالجواب من ثلاثة أوجه الأول أنه ربما ذكر فى سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره فى سورة أخرى ، ففى كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى : الثانى أنه ذكرت أخبار الأنبياء فى مواضع على طريقة الإطناب ، وفى مواضع على طريقة الإيجاز ، لتظهر فصاحة القرآن فى الطريقتين . الثالث أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدّد ذكرها بتعدّد تلك المقاصد ، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء المتقدّمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات ، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك . ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ومنها إثبات الوحدانية . ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال (فما أغنت عنهم آلهتهم اللاتى يدعون من دون الله من شيء) ومنها الاعتبار فى قدرة الله وشدّة عقابه لمن كفر . ومنها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسى بمن تقدّم من الأنبياء : كقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك) ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله . ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم ، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء . وردّهم على الكفار وغير ذلك . فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة : ذكرت فى مواضع كثيرة . ولكل مقام مقال

الباب الرابع : فى فنون العلم التى تتعلق بالقرآن . اعلم أن الكلام على القرآن يستدعى الكلام فى اثنى عشر فناً من العلوم ، وهى : التفسير ، والقراءات ، والأحكام ، والنسخ ، والحديث ، والقصص ، والتصوّف ، وأصول الدين ، وأصول الفقه : واللغة ، والنحو ، والبيان . فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه ، ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه . واعلم أنّ التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه ، ثم إنّ المختلف فيه على ثلاثة أنواع : الأول : اختلاف فى العبارة ، مع اتفاق فى المعنى : فهذا عدّه كثير من المؤلفين خلافا ، وليس فى الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه ، وجعلناه نحن قولا واحدا ، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدّمين ، أو بما يقرب منها ،

أو بما يجمع معانيها . الثانى اختلاف فى التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ، وإنما المراد المعنى العام التى تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه فهذا عدّه أيضا كثير من المؤلفين خلافا ، وليس فى الحقيقة بخلاف ؛ لأنّ كل قول منها مثال ، وليس بكل المراد ، ولم نعدّه نحن خلافا : بل عبرنا عنه بعبارة عامّة تدخل تلك تحتها ، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود . الثالث : اختلاف المعنى ؛ فهذا هو الذى عددناه خلافا ، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه فى خطبة الكتاب ؛ فإن قيل : ما الفرق بين التفسير والتأويل ؛ فالجواب أن فى ذلك ثلاثة أقوال : الأول أنهما بمعنى واحد . الثانى : أن التفسير للفظ ، والتأويل للمعنى . الثالث وهو الصواب : أن التفسير : هو الشرح ، والتأويل : هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذى يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره وأما القراءات : فإنها بمنزلة الرواية فى الحديث ، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته ، ثم إن القراءات على قسمين : مشهورة . وشاذة . فالمشهورة : هى القراءات السبع وما جرى مجراها : كقراءة يعقوب . وابن محيصين . والشاذة ماسوى ذلك . وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين : أحدهما أنها القراءة المستعملة فى بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب . والأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة . وقال مالك بن أنس : قراءة نافع سنة . وذكرنا من سائر القراءة مافيها فائدة فى المعنى والإعراب وغير ذلك . دون مالا فائدة فيه زائدة . واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة فى الكتب المؤلفة فيها . وقد ألفنا فيها كتبا نفع الله بها . وأيضا فإنا لما عزمنا فى هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه مالا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا فى هذه المقدّمات بابا فى قواعد أصول القراءات . وأما أحكام القرآن فهى ماورد فيه من الأوامر والنواهى . والمسائل الفقهية . وقال بعض العلماء إن آيات الأحكام خمسمائة آية . وقد تنتهى إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها فى مواضعها . وقد صنف الناس فى أحكام القرآن تصانيف كثيرة . ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها : تأليف إسماعيل القاضى وابن الحسن كياه ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضى الإمام أبى بكر بن العربى والقاضى الحافظ بن محمد بن عبد المنعم ابن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس . وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بدّ من معرفة ماوقع فى القرآن من الناسخ والمنسوخ ، والمحكم وهو مالم ينسخ ، وقد صنف الناس فى ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضى أبى بكر بن العربى . وقد ذكرنا فى هذه المقدمات بابا فى قواعد النسخ ، وذكر ماتقرّر فى القرآن من المنسوخ ، وذكرنا سائره فى مواضعه ، وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين : الأول أنّ كثيرا من الآيات فى القرآن نزلت فى قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الغزوات والنوازل والسؤالات ، ولا بدّ من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت فإنّ الناسخ يبنى على معرفة تاريخ النزول لأنّ المتأخر ناسخ للمتقدم . الثانى أنه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأنّ قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس . وأما القصص فهى من جملة العلوم التى تضمنها القرآن فلا بد من تفسيره إلا أنّ الضرورى منه مايتوقف التفسير عليه . وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح . حتى أنهم ذكروا منه مالا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب

الأنبياء عليهم السلام أوحكاية مايجب تنزيههم عنه . وأما نحن فاقتصرنا فى هذا الكتاب من القصص على مايتوقف التفسير عليه وعلى ماورد منه فى الحديث الصحيح . وأما التصوّف فله تعلق بالقرآن . لما ورد فى القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس . وتنوير القلوب . وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة . واجتناب الأخلاق الذميمة . وقد تكلمت المتصوّفة فى تفسير القرآن . فمنهم من أحسن وأجاد . ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعانى . ووقف على حقيقة المراد . ومنهم من توغل فى الباطنية وحمل القرآن على مالا تقتضيه اللغة العربية . وقد جمع أبوعبدالرحمن السلمى كلامهم فى التفسير فى كتاب سماه « الحقائق » وقال بعض العلماء . بل هى البواطل . وإذا انتصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل . وقد ذكرنا هذا فى كتاب مايستحسن من الإشارات الصوفية . دون مايعترض أو يقدح فيه . وتكلمنا أيضا على اثنى عشر مقاما من مقام التصوف فى مواضعها من القرآن : فتكلمنا على الشكر فى أم القرآن . لما بين الحمد والشكر من الاشتراك فى المعنى . وتكلمنا على التقوى فى قوله تعالى فى البقرة « هدى للمتقين » وعلى الذكر فى قوله فيها « فاذكرونى أذكركم » وعلى الصبر فى قوله تعالى « وبشر الصابرين » وعلى التوحيد فى قوله فيها « وإلهكم إله واحد » وعلى محبة الله فى قوله فيها « والذين آمنوا أشدّ حبا لله » وعلى التوكل فى قوله فى آل عمران « فإذا عزمت فتوكل على الله » وعلى المراقبة فى قوله فى النساء « إنّ الله كان عليكم رقيبا » وعلى الخوف والرجاء فى قوله فى الأعراف « وادعوه خوفا وطمعا » وعلى التوبة فى قوله فى النور « وتوبوا إلى الله جميعا » وعلى الإخلاص فى قوله فى لم يكن «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين : أحدهما : ماورد فى القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها . والردّ على أصناف الكفار . والآخر : أنّ الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن وترد على من خالفها . وتزعم أنه خالف القرآن . ولاشك أنّ منهم المحق والمبطل . فمعرفة تفسير القرآن أن توصل فى ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأييد من الله والتوفيق . وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن . على أنّ كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها . وإنها لنعم العون على فهم المعانى وترجيح الأقوال . وما أحوج المفسر إلى معرفة النص . والظاهر . والمجمل . والمبين . والعام . والخاص . والمطلق . والمقيد . ومحوى الخطاب . ولحن الخطاب . ودليل الخطاب . وشروط النسخ . ووجوه التعارض . وأسباب الخلاف . وغير ذلك من علم الأصول . وأما اللغة فلابد للمفسر من حفظ ماورد فى القرآن منها . وهى غريب القرآن وهى من فنون التفسير . وقد صنف الناس فى غريب القرآن تصانيف كثيرة . وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة : مقدمة فى اللغات الكثيرة الدوران فى القرآن . لئلا نحتاج أن نذكرها حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها . وأما النحو فلابد للمفسر من معرفته . فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان . والنحو ينقسم إلى قسمين : أحدهما عوامل الإعراب . وهى أحكام الكلام المركب . والآخر التصريف وهى أحكام الكلمات من قبل تركيبها . وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من إعراب القرآن مايحتاج إليه من المشكل والمختلف . أومايفيد فهم المعنى . أو مايختلف المعنى باختلافه ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذى لايحتاج إليه إلا المبتدئ فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة . وأما علم البيان : فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن . وقد ذكرنا منه فى هذا الكتاب فوائد فائقة . ونكت مستحسنة رائقة . وجعلنا فى المقدمات بابا فى أدوات البيان

ليفهم به مايرد منها مفرّقا فى مواضعه من القرآن

الباب الخامس : فى أسباب الخلاف بين المفسرين . والوجوه التى يرجح بها بين أقوالهم . فأما أسباب الخلاف فهى اثنى عشر : الأول اختلاف القرآن . الثانى اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات . الثالث اختلاف اللغويين فى معنى الكلمة . الرابع اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر . الخامس احتمال العموم والخصوص . السادس احتمال الإطلاق أو التقييد . السابع احتمال الحقيقة أو المجاز . الثامن احتمال الإضمار أو الاستقلال . التاسع احتمال الكلمة زائدة . العاشر احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير . الحادى عشر احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما . الثانى عشر اختلاف الرواية فى التفسير عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف رضى الله عنهم . وأما وجوه الترجيح فهى اثنى عشر . الأول تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال . الثانى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شىء من القرآن عوّلنا عليه . لاسيما إن ورد فى الحديث الصحيح . الثالث أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين : فإن كثرة القائلين بالقول يقتضى ترجيحه . الرابع أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة . وعبد الله بن عباس . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» الخامس أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق . السادس أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده . السابع أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه الثامن تقديم الحقيقة على المجاز . فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين . وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة . وقد اختلف العلماء أيهما يقدم : فمذهب أبى حنيفة تقديم الحقيقة ؛ لأنها الأصل ومذهب أبى يوسف تقديم المجاز الراجح ؛ لرجحانه . وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح . التاسع تقديم العمومى على الخصوصى ؛ فإن العمومى أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص . العاشر تقديم الإطلاق على التقييد ، إلا أن يدل دليل على التقييد . الحادى عشر تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار . الثانى عشر حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير

الباب السادس : فى ذكر المفسرين . اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين : فمنهم من فسر القرآن وتكلم فى معانيه . وهم الأكثرون . ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد فى ذلك . فقد قالت عائشة رضى الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الآيات إلا بعد علمه إياهن من جبريل . وقال صلى الله عليه وسلم : من قال فى القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ . وتأول المفسرون حديث عائشة رضى الله عنها بأنه فى مغيبات القرآن التى لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى . وتأول الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم فى القرآن بغير علم ولا أدوات ؛ لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر فى أقوال العلماء المتقدّمين ؛ فإن هذا لم يقل فى القرآن برأيه . واعلم أن المفسرين على طبقات ؛ فالطبقة الأولى : الصحابة رضى الله عنهم . وأكثرهم كلاما فى التفسير ابن عباس . وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يثنى على تفسير ابن عباس . ويقول : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال ابن عباس

ماعندى من تفسير القرآن فهو عن علىّ بن أبى طالب . ويتلوهما عبد الله بن مسعود . وأبىّ بن كعب . وزيد ابن ثابت . وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن . والطبقة الثانية : التابعون . وأحسنهم كلاما فى التفسير الحسن بن الحسن البصرى . وسعيد بن جبير ومجاهد مولى ابن عباس . وعلقمة صاحب عبدالله بن مسعود . ويتلوهم : عكرمة . وقتادة . والسدّى . والضحاك ابن مزاحم . وأبو صالح . وأبو العالية . ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف ، وألف الناس فيه : كالمفضل . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد . والبخارى . وعلى بن أبى طلحة . وغيرهم . ثم إن محمد بن جرير الطبرى جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها . وممن صنف فى التفسير أشياء : أبو بكر النقاش . والثعلبى . والماوردى . إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح . وقد استدرك الناس على بعضهم . وصنف أبو محمد بن قتيبة فى غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه وصنف فى معانى القرآن جماعة من النحويين : كأبى إسحق الزجاج ، وأبى على الفارسى ، وأبى جعفر النحاس . وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضى منذر بن سعيد البلوطى كتابا فى غريب القرآن وتفسيره . ثم صنف المقرئ أبو محمد مكى بن أبى طالب كتاب الهداية فى تفسير القرآن . وكتابا فى غريب القرآن . وكتابا فى ناسخ القرآن ومنسوخه . وكتابا فى إعراب القرآن . إلى غير ذلك من تآليفه . فإنها نحو ثمانين تأليفا : أكثرها فى علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك . وأما أبو عمرو الدانى فتآليفه تنيف على مائة وعشرين . إلا أن أكثرها فى القرآن . ولم يؤلف فى التفسير إلا قليلا . وأما أبو العباس المهدى فمتقن التآليف . حسن الترتيب . جامع لفنون علوم القرآن : ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربى وأبو محمد عبد الحق بن عطية . فأبدع كل واحد وأجمل . واحتفل وأكمل . فأما ابن العربى فصنف كتاب «أنوار الفجر» فى غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن : فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه . وألف فى سائر علوم القرآن تآليفا مفيدة وأما ابن عطية فكتابه فى التفسير أحسن التآليف وأعدلها . فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها . وهو مع ذلك حسن العبارة . مسدّد النظر : محافظ على السنة . ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . فلقد قطع عمره فى خدمة القرآن وآتاه الله بسطة فى علمه . وقوّة فى فهمه . وله فيه تحقيق . ونظر دقيق . ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزمخشرى فمسدّد النظر بارع فى الإعراب متقن فى علم البيان . إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم . وحمل آيات القرآن على طريقتهم . فتكدر صفوه . وتمرّر حلوه . فخذ منه ماصفا ودع ما كدر . وأما القرنوى فكتابه مختصر . وفيه من التصوف نكت بديعة . وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه مافى كتاب الزمخشرى وزاد عليه إشباع فى قواعد علم الكلام . ونمقه بترتيب المسائل . وتدقيق النظر فى بعض المواضع . وهو على الجملة كتاب كبير الجرم . ربما يحتاج إلى تلخيص ، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه . ويجزيهم أفضل ثوابه

الباب السابع فى الناسخ والمنسوخ : النسخ فى اللغة : هو الإزالة والنقل . ومعناه فى الشريعة : رفع الحكم الشرعى بعد مانزل ، ووقع فى القرآن على ثلاثة أوجه : الأول نسخ اللفظ والمعنى كقوله (لاترغبوا عن آبائكم فإنه كفربكم) الثانى نسخ اللفظ دون المعنى كقوله (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) الثالث نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه فى القرآن على ماعدّ بعض العلماء

مائتا موضع وثنتا عشرة مواضع منسوخة ، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا ، والاستثناء نسخا ، وبين هذه الأشياء وبين النسخ : فروق معروفة ، وسنتكلم على ذلك فى مواضعه . ونقدّم هنا ماجاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم ، بالأمر بقتالهم ليغنى ذلك عن تكراره فى مواضعه ، فإنه وقع منه فى القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية ، ففى البقرة (وقولوا للناس حسنا) (ولنا أعمالنا) (ولا تعتدوا) أى لا تبدءوا بالقتال (ولا تقاتلوهم) (قل قتال) (لا إكراه) وفى آل عمران (فإنما عليك البلاغ) (منهم تقاة) وفى النساء (فأعرض عنهم) فى موضعين (فما أرسلناك عليهم حفيظا) (لا تكلف إلا نفسك) (إلا الذين يصلون) وفى المائدة (ولا آمن) (عليك البلاغ) (عليكم أنفسكم) وفى الأنعام (لست عليكم بوكيل) (ثم ذرهم) (عليكم بحفيظ) (وأعرض) (عليهم حفيظا) (ولا تسبوا) قدرهم فى موضعين (ياقوم اعملوا) (قل انظروا) (لست منهم فى شىء) وفى الأعراف (فأعرض) (وأملى لهم) وفى الأنفال (وإن استنصروكم) يعنى المجاهدين . وفى التوبة (فاستقيموا لهم) وفى يونس (فانتظروا) (فقل لي عملى) (وإما نرينك) (ولا يحزنك قولهم) لما يقتضى من الإمهال (أفأنت تكره) (فمن اهتدى) لأن معناه الإمهال (واصبر) وفى هود (إنما أنت نذير) أى تنذر ولا تجبر (اعملوا على مكانتكم) (انتظروا) وفى الرعد (عليك البلاغ) وفى النحل (إلا البلاغ) (عليك البلاغ) (وجادلهم) (واصبر) وفى الإسراء (ربكم أعلم بكم) وفى مريم (فأنذرهم) (فليمدد) (ولا تعجل) وفى طه (قل كل متربص) وفى الحج (وإن جادلوك) وفى المؤمنين (فذرهم) (ادفع) وفى النور (فإن تولوا) (وما على الرسول إلا البلاغ) وفى النمل (فمن اهتدى) وفى القصص (لنا أعمالنا) وفى العنكبوت (أنا نذير) لما يقتضى من عدم الإجبار ، وفى الروم (فاصبر) وفى لقمان (ومن كفر) وفى السجدة (فانظروا) وفى الأحزاب (ودع أذاهم) وفى سبأ (قل لا تسألون) وفى فاطر (إن أنت إلا نذير) وفى يس (فلا يحزنك) وفى الصافات (فقول) و(قول) ومايليهما ، وفى ص (اصبر) (أنا نذير) وفى الزمر (إنّ الله يحكم بينهم) لما فيه من الإمهال (فاعبدوا ماشئتم) (ياقوم اعملوا) (فمن اهتدى) (أنت تحكم) لأنّ فيه تفويضا ، وفى المؤمن (فاصبر) فى موضعين ، وفى السجدة (ادفع) وفى الشورى (وما أنت عليهم بوكيل) (لنا أعمالنا) (فإن أعرضوا) وفى الزخرف (فذرهم) (واصفح) وفى الدخان (فارتقب) وفى الجاثية (يغفروا) وفى الأحقاف (فاصبر) وفى القتال (فإمامنا) وفى ق (فاصبر) (وما أنت) وفى الذاريات (فقول) وفى الطور (قل تربصوا) (واصبر) (فذرهم) وفى النجم (فأعرض) وفى القمر (فقول) وفى ن (فاصبر) (سنستدرجهم) وفى المعارج (فاصبر) (فذرهم) وفى المزمّل (واهجرهم) (وذرنى) وفى المدّثر (ذرنى) وفى الإنسان (فاصبر) وفى الطارق (فمهل الكافرين) وفى الغاشية (لست عليهم بمصيطر) وفى الكافرين (لكم دينكم) نسخ ذلك كله : (اقتلوا المشركين) ، و(كتب عليكم القتال)

الباب الثامن فى جوامع القراءة ، وهو على نوعين : مشهورة ، وشاذة ، فالمشهورة القراءات السبع ، وهو حرف نافع المدنى ، وابن كثير المكى ، وأبوعمر بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وابن حمزة والكسائى الكوفيين . ويجرى مجراهم فى الصحة والشهرة : يعقوب الحضرى بن محيصن ، ويزيد بن القعقاع . والشاذة ماسوى ذلك ، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها فى النقل ، وقد تكون فصيحة اللفظ ، أو قوية المعنى . ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط : موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو فى بعض اللغات ، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا

واعلم أنّ اختلاف القرّاء على نوعين : أصول ، وفرش الحروف . فأما الفرش : فهو مالا يرجع إلى أصل مضطرد ، ولا قانون كلى ، وهو على وجهين : اختلاف فى القراءة باختلاف المعنى ، وباتفاق المعنى . وأما الأصول : فالاختلاف فيها لا يغير المعنى . وهى ترجع إلى ثمان قواعد : الأولى : الهمزة ، وهى فى حروف المدّ الثلاث ، ويزاد فيها على المدّ الطبيعى بسبب الهمزة والتقاء الساكنين . الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه : إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو ، وبين الهمزة والياء ، وبين الهمزة والألف ، وإسقاط . الثالثة : الإدغام ، والإظهار ، والأصل الإظهار ، ثم يحدث الإدغام فى المثلين ، أو المتقاربين وفى كلمة ، وفى كلمتين ، وهو نوعان : إدغام كبير انفرد به أبو عمرو : وهو إدغام المتحرّك . وإدغام صغير لجميع القرّاء : وهو إدغام الساكن . الرابعة : الإمالة ، وهى أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . وبالألف نحو الياء ، والأصل الفتح ، ويوجب الإمالة الكسرة والياء . الخامسة : الترقيق والتفخيم ، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم فى كل حال ، وهى حروف الاستعلاء السبعة ؛ ومفخم تارة ومرقق أخرى وهى الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء ، وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الإطباق ، وأما الألف فهى تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها ، والمرقق على كل حال سائر الحروف . السادسة : الوقف ، وهو على ثلاثة أنواع : سكون جائز فى الحركات الثلاثة ، وروم فى المضموم والمكسور ، وإشمام فى المضموم خاصة . السابعة : مراعاة الخط فى الوقف . الثامنة : إثبات الياءات وحذفها

الباب التاسع فى الوقف ، وهى أربعة أنواع : وقف تام ، وحسن ، وكاف ، وقبيح ، وذلك بالنظر إلى الإعراب ، والمعنى فإن كان الكلام مفتقراً إلى مابعده فى إعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقراً إليه كذلك : لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله ، وبين كل ذى خبر وخبره ، وبين كل ذى جواب وجوابه . وبين كل ذى موصول وصلته ، وإن كان الكلام الأوّل مستقلا يفهم دون الثانى ؛ إلا أن الثانى غير مستقل إلا بما قبله . فالوقف على الأوّل كاف ، وذلك فى التوابع والفضلات : كالحال ، والتمييز ، والاستثناء وشبه ذلك إلا أنّ وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة ، وإن كان الكلام مستقلا والثانى كذلك ، فإن كانا فى قصة واحدة فالوقف على الأوّل حسن ، وإن كانا فى قصتين مختلفتين فالوقف تامّ . وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى ، وكذلك اختلف الناس فى كثير من الوقف من أقوالهم فيها : راجح ، ومرجوح ، وباطل ، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام ﴿ تنبيه ﴾ هذا الذى ذكرنا من رعى الإعراب والمعنى فى المواقف : استقرّ عليه العمل ، وأخذ به شيوخ المقرئين ، وكان الأوائل يراعون رؤس الآيات فيقفون عندها لأنها فى القرآن كالفقر فى النثر والقوافى فى الشعر ، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذى عن أمّ سلمة رضى الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف ، الرحمن الرحيم ثم يقف

الباب العاشر : فى الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ، أما الفصاحة فلها خمسة شروط : الأوّل أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامّة ، الثانى أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستثقلة ، الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له ؛ لا قاصرة عنه ، الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد . الخامس : أن يكون الكلام سالما من الحشو الذى لا يحتاج إليه ، وأما البلاغة

فهى سياق الكلام على مايقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب ، ومن التهويل والتعظيم والتحقير ، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك ، بحيث يهز النفوس ويؤثر فى القلوب ، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد ، وأما أدوات البيان : فهى صناعة البديع ، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب ، وقد وجدنا فى القرآن منها اثنين وعشرين نوعا ، ونبهنا على كل نوع فى المواضع التى وقع فيها من القرآن وقد ذكرنا هنا أسماءها ونبين معناه ، الأول المجاز : وهو اللفظ المستعمل فى غير مواضع له لعلاقة بينهما ، وهو اثنا عشر نوعا : التشبيه والاستعارة ، والزيادة ، والنقصان ، وتشبيه المجاور باسم مجاوره ، والملابس باسم ملابسه ، والكل ، وإطلاق اسم الكل على البعض ، وعكسه ، والتسمية باعتبار مايستقبل ، والتسمية باعتبار مامضى ، وفى هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز ، واتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز فى القرآن لأنّ القرآن نزل بلسان العرب وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز ، ولا وجه لمن منعه ؛ لأنّ الواقع منه فى القرآن أكثر من أن يحصى . الثانى الكناية : وهى العبارة عن الشىء فيما يلازمه من غير تصريح . الثالث الالتفات : وهو على ستة أنواع : خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة ، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة ، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب . الرابع التمديد : وهو ذكر شىء بعد اندراجه فى لفظ عام متقدم ، والقصد بالتجديد تعظيم المجدد ذكره أو تحقيره ، أو رفع الاحتمال . الخامس الاعتراض : وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين : كالخبر والمخبر عنه ، والصفة والموصوف ، والمعطوف والمعطوف عليه ، وإدخاله فى أثناء كلام متصل . والقصد به تأكيد الكلام الذى أدرج فيه . السادس التجنيس : وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ، ثم الاتفاق قد يكون فى الحروف والصيغة ، أو فى الحروف خاصة ، أو فى أكثر الحروف لا فى جميعها ، أو فى الخط لا فى اللفظ ، وهو تجنيس التصحيف . السابع الطباق : وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض والحياة والموت ، والليل والنهار ، وشبه ذلك . الثامن المقابلة ، وهو أن يجمع بين شيئين فصاعدا ثم يقابلهما بأشياء أخر . التاسع المشاكلة : وهى أن تذكر الشىء بلفظ آخر لوقوعه فى صحبته . العاشر الترديد : وهو ردّ الكلام على آخره ويسمى فى الشعر ردّ العجز على الصدر . الحادى عشر لزوم مالا يلزم : وهو أن تلتزم قبل حروف الروىّ حرفا آخر ، وكذلك عند رؤوس الآيات . الثانى عشر القلب : وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره نحو دعد أو تعكس كلماته فتقدّم المؤخر منها وتؤخر المقدّم . الثالث عشر التقسيم : وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه . الرابع عشر التتميم : وهو أن تزيد فى الكلام مايوضحه ويؤكده وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة . الخامس عشر التكرار : وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر ، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل ، أو مدح المذكور أو ذمه أو للبيان . السادس عشر التهكم : وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب أو بالخبر ، كذلك البشارة فى موضع النذارة . السابع عشر اللف والنشر وهو أن تلف فى الذكر شيئين فأكثر ، ثم تذكر متعلقات بها ، وفيه طريقتان : أن تبدأ فى ذكر المتعلقات بالأول ، وأن تبدأ بالآخر . الثامن عشر الجمع : وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر فى خبر واحد ، وفى وصف واحد وشبه ذلك . التاسع عشر الترصيع : وهو أن تكون الألفاظ فى آخر الكلام مستوفية الوزن ، أو متقاربة مع الألفاظ التى فى أوله . العشرون التشجيع : وهو أن يكون كلمات الآى على روىّ واحد . الحادى والعشرون الاستطراد : وهو أن يتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل مابينهما ، ويكون الكلام الثانى

هو المقصود : كخروج الشاعر من السب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين ، مع أنه قصد المدح . الثانى والعشرون المبالغة : وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة فعال ومفعال وقد تكون بالمبالغة فى الإخبار أو الوصف ، فإن اشتدت المبالغة فهو غلو وإغراب ، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن

الباب الحادى عشر : فى إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عزوجل ، ويدل على ذاك عشرة أوجه : الأول فصاحته التى امتاز بها عن كلام المخلوقين . الثانى نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته . الثالث عجز المخلوقين فى زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله . الرابع ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك ولا قرأه فى كتاب . الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ماقال . السادس مافيه من التعريف بالبارى جل جلاله ، وذكر صفاته وأسمائه ، وما يجوز عليه . وما يستحيل عليه ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة ، والرد على أصناف الكفار ، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه ، بل بوحى من العليم الخبير ، ولا يشك عاقل فى صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم . السابع ماشرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام ، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة ، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم . الثامن كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان ، محروسا عن التغيير والتبديل على طول الزمان ، بخلاف سائر الكتب . التاسع تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة . العاشر كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد ، بخلاف سائر الكلام

الباب الثانى عشر : فى فضل القرآن . وإنما نذكر منه ماورد فى الحديث الصحيح ، فمن ذلك ماورد عن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه ويتتعتع به وهو عليه شاق فله أجران » وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة : لا ريح لها وطعمها طيب ، ومثل المنافق الذى الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة : ليس لها ريح وطعمها مر » وعن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها » وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، فإن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع آخرين » وعن ابن عباس قال : بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة » وعن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر

من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » وعن أبىّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم . قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى ، وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر » وعن النوّاس بن سمعان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران — وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مانسيتهما بعد — قال وإنهما غمامتان أوظلتان سوداوان بينهما شرف أوكأنهما فرقان من طير صواف تحافان عن صاحبهما » وعن أبى الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدجال » وعن أبى الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت علىّ لم ير مثلهنّ قط : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس

المقدمة الثانية : فى تفسير معانى اللغات

نذكر فى هذه المقدّمة الكلمات التى يكثر دورها فى القرآن ، أو تقع فى موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف ، وإنما جمعناها فى هذا الباب لثلاثة فوائد : أحدها تفسيرها للحفظ ؛ فإنها وقعت فى القرآن متفرّقة فجمعها أسهل لحفظها ، والثانية ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعانى التفسير ؛ لما أن تآليف القرآن جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور ، والثالثة : الاقتصار فنستغنى بذكرها هنا عن ذكرها فى مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها ، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك ، ورتبناها فى هذا الكتاب على حروف المعجم ، فمن لم يجد تفسير كلمة فى موضعها من القرآن : فلينظر فى هذا الباب ، واعتبرنا فى هذا الحروف : الحرف الذى يكون فاء الكلمة وهو الأصلى دون الحروف الزائدة فى أوّل الكلمات

﴿حرف الهمزة﴾ (آية) لها معنيان أحدهما علامة وبرهان والثانى آية من القرآن ، وهى كلام متصل إلى الفاصلة ، والفواصل هى رؤس الآيات (أتى) بقصر الهمزة معناه جاء ، ومضارعه يأتى ، ومصدره إتيان ، واسم الفاعل منه آت ، واسم المفعول منه مأتى ، ومنه قوله تعالى آتى بمدّ الهمزة معناه أعطى ، ومضارعه يؤتى ، واسم الفاعل مؤت ، ومنه والمؤتون الزكاة (أبى) يأبى أى امتنع (أثر) الشىء بقيته وأمارته ، وجمعه آثار والأثر أيضا الحديث ، وأثارة من علم بقية ، وأثاروا الأرض حرثوها وأثر الرجل الشىء يؤثره فضله (إثم) ذنب ، ومنه آثم وأثيم أى مذنب (أجر) ثواب وبمعنى الأجرة ، ومنه استأجره وعلى أن تأجرنى ، وأما استجارك فأجره ويجركم من عذاب أليم ، ومن يجيرنى من الله ، وهو يجير ولا يجار عليه : فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين (آمن) إيمانا أى صدق ، والإيمان فى اللغة التصديق مطلقا ، وفى الشرع التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والمؤمن فى الشرع المصدّق بهذه الأمور ، والمؤمن اسم الله تعالى : أى المصدّق لنفسه وقيل إنه من الأمن : أى يؤمن أولياءه من عذابه ، وأمن بقصر الهمزة وكسر الميم أمنا وأمانة : ضدّ الخوف وأمن من الأمانة ، وأمّن غيره من التأمين (أليم) مؤلم أى موجع ومنه تألمون (إمام) له أربعة معان : القدوة والكتاب ، والطريق ، وجمع أمّ أى تابع ، وهى للمتقين إماما (أمّة) لها أربعة معان : الجماعة من الناس ، والدين

والحين ، والإمام أى القدوة (أمىّ) لا يقرأ ولا يكتب ، ولذلك وصف العرب بالأميين (أم) لها معنيان الوالدة ، والأصل ، وأم القرى مكة (أخرى) مؤنثة آخر وآخر (آل) له معنيان الأهل ، ومنه آل لوط ، والأتباع والجنود ، ومنه آل فرعون (أمس) اليوم الذى قبل يومك والزمان الماضى (إناه) وقته وجمعه إنا ومنه آناء الليل (أمر) له معنيان : أحدهما طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة ، وقد تأتى صفة الأمر لغير الطلب ، والتهديد ، والتعجيز ، والتعجب ، والخبر ، والثانى بمعنى الشأن والصفة ، وقد يراد به العذاب ، ومنه جاء أمرنا (إسراءيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وهو والد الأسباط واليهود ذريتهم (إياب) رجوع ومنه مآب أى مرجع ، ورجل أواب كثير الرجوع إلى الله ، والتأويب التسبيح ، ياجبال أوبى (إفك) أشد الكذب ، والأفاك : الكذاب ، وأفك الرجل عن الشىء : أى صرف عنه ، ومنه تؤفكون (أوى) الرجل إلى الموضع بالقصر ، وآواه غيره بالمد ، ومنه المأوى (أف) كلمة شر (آلاء الله) نعمه ، ومنه آلاء ربكما (أسف) له معنيان : الحزن ، والغضب ، ومنه فلما آسفونا (أسوة) بكسر الهمزة وضمها قدوة (أسى) الرجل يأسى أسأ : أى حزن ، ومنه فلا تاس ، وكيف آسى (أذان) بالقصر إعلام بالشىء ومنه الأذان بالصلاة ، والآذان بالمد : جمع أذن (إذن الله) بمعنى العلم والإرادة والإباحة ، وأذنت بالشىء أعلمت به بكسر الذال ، وآذنت به غيرى بالمد (إصر) له معنيان ، الذنب ، والعهد (أيد) أى قوة ، ومنه أيدناه ، وبنيناها بأيد ، والأيدى جمع يد ، فهمزتها زائدة (أكل) بضم الهمزة اسم المأكول ، ويجوز فيه ضم الهمزة وإسكانها ، والأكل بضم الهمزة المصدر (أيلة) غيضة (أثاث) متاع البيت (أجاج) مرّ (أرائك) أسرّة واحدها أريكة (آنية) له معنيان أحدهما جمع إناء ، ومنه آنية من فضة ، وشديدة الحر ، ومنه عين آنية ، ووزن الأولى أفعلة ، والثانية فاعلة ومذكرها آن (أحد) له معنيان واحد ، ومنه (الله أحد) واسم جنس بمعنى إنسان (أيان) معناه متى (أنى) بمعنى كيف ومتى و (أين) للحصر (إن) المكسورة المخففة أربعة أنواع شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة (أن) المفتوحة المخففة أربعة أنواع مصدرية وزائدة ومخففة من الثقيلة وعبارة عن القول (إنما) نوعان ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط وقد تخلو عن الشرط ومجانبة (إذا) لها معنيان : ظرف زمان ماضى وسببية للتقليل (أو) العاطفة لها خمسة معان : الشك ، والإبهام ، والإباحة ، والتخيير ، والناصبة للفعل بمعنى إلى أو إلا (أم) استفهامية وقد يكون فيها معنى الإنكار والإضراب وتكون متصلة للمعادلة بين ماقبلها وما بعدها ومنفصلة مما قبلها (إما) المكسورة المشددة للتنويع ، والشك والتخيير ، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة (إلا) المفتوحة المشددة أداة استثناء وتكون للإيجاب بعد غير الواجب ، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية (أىّ) المشددة سبعة أنواع : شرطية ، واستفهامية وموصولة ، ومنادى ، وصفة ، وظرفية إذا أضيفت إلى ظرف ، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر (إى) المكسورة المخففة ومعناها التصديق (إلى) معناه انتهاء الغاية ، وقيل تكون بمعنى مع (الهمزة) للاستفهام ، والتقرير ، والتوبيخ ، والتسوية ، وللمتكلم وأملية ، وزائدة للبناء)

﴿حرف الباء﴾ : (بارى) خالق ، ومنه البرية أى الخلق (بعث) له معنيان بعث الرسل وبعث الموتى من القبور (بسط) الله الرزق وسسعه ومعنى قبض وقدر الرزق : أى ضيقه ، ومن أسماء الله تعالى : القابض والباسط ، وبسطة : زيادة (بشر) من البشارة وهى الإعلام بالخير قبل وروده ، وقد يكون للشر إذا ذكر

معها ، ويجوز فى الفعل التشديد والتخفيف ، ومنه المبشر والبشير ، واستبشر بالشىء فرح به (بعد)له معنيان : ضدّ القرب والفعل منه بعد بضم العين ، والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود (بلاء) له معنيان : العذاب ، والاختبار ومنه أيضا ونبلوكم (برّ)له معنيان : الكرامة ومنه برّ الوالدين و : أن تبروهم ، والتقرى ، والجمع لخصال الخير ومنه : البرّ من اتقى ، ورجل بارّ وبرّ والجمع أبرار والبرّ من أسماء الله تعالى (بات) معروف ومصدره بيات وبيت الأمر دبره بالليل (بغتة) فجأة (بروج) جمع برج وهو الحصن ، وبروج السماء منازل الشمس والقمر (بين) ظرف وبين يدى الشىء ماتقدّم قبله ، والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد (بينات) براهين من المعجزة وغيرها ومبينة من البيان (يبين) من البيان وله معنيان : بين غير متعد ، ومبين لغيره (بدا) يبدو بغير همز : ظهر ، وأبديته : أظهرته ، والبادى أيضا من البداية ، ومنه بادون فى الأعراب (بدأ) بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبداه ، وقد جاء القرآن بالوجهين (بغى) له معنيان : العدوان على الناس ، والحسد ، والبغا بكسر الباء : الزنا ، ومنه امرأة بغىّ أى زانية ، وابتغاء الشىء وبغاه : أى طلبه (بث) الحديث وغيره نشره ، والمبثوث : المنتشر ، ومبثوثة متفرقة ، والبث الحزن الشديد ، ومنه أشكو بثى (بوّأ) أنزل الرجل ومنه بوأكم فى الأرض ، ولنبوّأنهم ، ومبوأ (بوار) هلاك ، ومنه قوما بورا أى هلكى (باء) بالشىء رجع به ، وقد يقال بمعنى اعترف (بأساء) الفقر والبؤس والشدّة والمحنة ، والبائس : الفقير من البؤس ، والبأس : القتال والشجاعة ، والمكروه ، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذمّ (برزخ) شىء بين شيئين ، والبرزخ مابين الموت والقيامة (بديع) له معنيان جميل ، ومبدع أى خالق الشىء ابتداء (بسر) عبس ومنه : باسرة (بصير) من أبصر ، يقال : أبصرته وبصرته ، والبصائر البراهين جمع بصيرة (برز) ظهر ومنه : بارزة وبارزون (بطش) أخذ بشدّة (بخس) نقص (بعل) له معنيان زوج المرأة وجمعه بعولة ، والبعل أيضا الرب ، وقيل اسم صنم ، ومنه : أتدعون بعلا (بهجة) حسن ، وبهيج حسن (مبلسون) جمع مبلس وهو البائس ، وقيل الساكت الذى انقطعت حجته ، وقيل الحزين النادم منه يبلس ومنه اشتق إبليس (بهت) انقطعت حجته (تبارك) من البركة ، وهى الكثرة والنماء ، وقيل تقدّس (بلى) جواب يقتضى إثبات الشىء (بل) معناها الإضراب عما قبلها (الباء) للإلصاق ، ولنقل الفعل فى التعدّى ، وللقسم ، وللتعليل ، وللمصاحبة ، وللاستعانة ، وظرفية وزائدة

﴿ حرف التاء ﴾ : (تلا) يتلو : له معنيان : قرأ ، واتبع (تقوى) مصدر مشتق من الوقاية فالتاء بدل من الواو : معناه الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه ، فهو جامع لكل خير (تاب) يتوب رجع توبة وتوبا فهو فهو تائب ، وتوّاب : كثير التوبة ، وتوّاب : اسم الله تعالى : أى كثير التوبة على عباده ، وتاب الله على العبد : ألهمه التوبة وقبل توبته (تباب) خسران ، وتب : خسر (تبار) هلاك ، ومنه متبر (أترفوا) أنعموا ، والمترفون : المنعمون فى الدنيا

﴿ حرف الثاء ﴾ : (ثمود) قبيلة من العرب الأقدمين (ثوى) فى الموضع أقام فيه ومنه مثوى (ثبور) هلاك ، ومنه دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا هلاكا (ثمر) مايؤكل مما تنبت الأرض ويقال بالفتح والضم (ثقفوا) أخذوا وظفر بهم ، ومنه فإمّا تثقفنهم فى الحرب (ثاقب) مضىء (ثم) بالفتح ظرف ، وبالضم حرف عطف يقتضى الترتيب والمهلة ، وقد يرد لغير الترتيب ، كالتأكيد ، وترتيب الأخبار

﴿ حرف الجيم ﴾ : (جعل) له أربعة معان : صير ، وألقى ، وخلق ، وأنشأ يفعل كذا (جناح) الطائر : معروف وجناح

الإنسان إبطه ، ومنه : اضمم إليك جناحك ، ولاجناح : لاإثم فمعناه الإباحة ، وجنح للشيء مال إليه (لاجرم) لابد (اجتبى) اختار (جدال) مخالفة ومخاصمة واحتجاج (تجأرون) تصيحون بالدعاء (جوارى) جمع جارية وهى السفينة (أجرم) فهو مجرم ، له معنيان : الكفر ، والعصيان (جنة) الجنون ، وقدجاء بمعنى الملائكة (جانّ) له معنيان : الجن والحية الصغيرة (جنة) بالفتح البستان ، وبالكسر الجنون ، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به ، ومنه استعير : أيمانهم جنة (جاثية) أى على ركبهم لا يستطيعون مما هم فيه وقوله جثيا جمع جاث (الجرز) الأرض التى لانبات فيها (جاثمين) باركين على ركبهم (جبار) اسم الله تعالى له معنيان: قهار، ومتكبر . وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه ، والجبار أيضا الظالم (أجداث) قبور (جزى) له معنيان من الجزاء بالخير والشر وبمعنى أغنى ، ومنه : لاتجزى نفس . وأما أجزأ بالهمز فمعناه كفى (جرح) له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل ، ومنه جرحتم بالنهار . واجترحوا السيئات ، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح لأنها كواسب لأهلها (جنب) له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه : عن جنب

﴿حرف الحاء﴾ : (حمد) هو الثناء سواء كان جزاء على نعمه أوابتداء ، والشكر إنما يكون جزاء ، فالحمد من هذا الوجه أعم ، والشكر باللسان والقلب والجوارح ، ولا يكون الحمد إلا باللسان ، فالشكر من هذا الوجه أعم (حميد) اسم الله تعالى أى بمعنى محمود (حكمة) عقل أو علم وقيل فى الكتاب والحكمة هى السنة (حكيم) اسم الله من الحكمة ومن الحكم بين العباد ، أو من إحكام الأمور وإتقانها (حليم) الحلم العقل وقد يقال بمعنى العفو ، والأحلام العقول ، والحليم من أسماء الله تعالى ، قيل الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ، وقيل معناه العفو عن الذنوب ، والأحلام مايرى فى النوم (حبط) بطل وأحبطه الله أبطله (حنيف) مسلم وموحد الله ، وقيل حاج ، وقيل مختتن ، والجمع حنفاء (محصنين ومحصنات) الإحصان له أربع معان : الإسلام والحرّية ، والعفاف ، والتزوّج . وليحصنكم من بأسكم : بغيكم (حجة) بالضم : دليل وبرهان وحاجّ فلان فلانا : جادله ، وحجة عليه : بالحجة . والحج بالفتح والكسر: القصد ، ومنه أخذ حج البيت ، وحجة بالكسر سنة ، وجمعها حجج (حطة) أى حط عنا ذنوبنا وقيل كلمة بالعبرانية تفسيرها لا إله إلا الله (حضر) بالضاد من الحضور ، ومنه محضرون ، وشرب محتضر ، وبالظاء : من المنع ، ومنه : وما كان عطاء ربك محظورا ، وكهشيم المحتظر ، وبالذال من الحذر وهو الخوف ، ومنه : إنّ عذاب ربك كان محذورا (حفظ) العلم : وعيه وحفظ الشيء حراسته ، والحفيظ : اسم الله تعالى ، قيل معناه العليم ، وقيل حافظ الخلق كالئهم من المهالك (حاق) بهم أى حل بهم (حبل) من الله ومن الناس ، أى عهد ، وحبل الله القرآن وأصله بالحبل المعروف (حسب) بكسر السين ظن ، مضارعه بالفتح والكسر وحسب بالفتح من العدد ومضارعه بالضم ومنه الحساب والحسبان ، وحسبانا من السماء : أى مرام ، واحداها حسبانة (حساب) من الظن والعدد وبغير حساب يحتمل الوجهين وأن يكون من المحاسبة أن لايحاسب عليه ومن التقدير أى بغير تضييق ، وعطاء حسابا : أى كافيا (حسيب) اسم الله تعالى ، فيه أربعة أقوال : كافى ، وعالم ، وقادر ، ومحاسب (حسبك الله) أى كافيك (حزن) تأسف على ماض أوحال الخوف ترفع فى المستقبل ، ويقال حزن بكسر الزاى ، وحزنه غيره ، وأحزنه أيضا (حصير) مجلس من الحصر ، وأحصر عن الشيء : حبس عنه ، وحسير بالسين : كليل (حصيد) هو مايحصد من الزرع وغيره ، واستعير قائم وحصيد ، أى باق وزاهد (حميم) له معنيان الصديق ، والماء الحارّ (محيص)

مهرب (حجر) له أربعة معان : الحرام ، والعقل ، ومنازل ثمود ، وحجر الكعبة (حمل) بكسر الحاء : ماعلى ظهر الدابة وغيرها ، ويستعار للذنوب ، وبالفتح مافى بطن المرأة وجمعه أحمال (إحسان) له ثلاث معان : فعل الحسنات ، والإنعام على الناس ، ومراقبة الله تعالى المشار إليها فى قوله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبدالله كأنك تراه » (حق) له أربعة معان : الصدق ، والعدل فى الحكم ، والشيء الثابت ، والأمر الواجب والحق : اسم الله تعالى : أى الواجب الوجود (حاصب) أى ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى بالحصباء أى الحصا ، والحاصب أيضا : الحجارة (حلية) حلى (حرج) ضيق أو مشقة (حول) له معنيان : العام ، والحيلة ، وحولا بكسر الحاء : انتقالا (حرث) الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات (حس) بغير ألف قتل ومنه : إذ تحسونهم ، وأحس من الحس (حرم) بضمتين محرمون بالحج (حقب) بضمتين ، وأحقاب جمع حقب ، وهومدّة من الدهر يقال إنه ثمانون سنة (حف) الشيء بالشيء أطاف به من جوانبه ومنه حففناهما بنخل ، والملائكة حافين (حل) بالمكان يحل بالضم والكسر ، وحل من إحرامه يحل بالكسر لاغير (حطام) فتات ، والحطام ماتحطم من عيون الزرع اليابس

حرف الخاء : (خلق) له معنيان : من الخلقة ومنه الخالق اسم الله وكذا الخلاق . وخلق الرجل كذب ومنه تخلقون إفكا . واختلاق : أى كذب (خلاق) نصيب (خير) ضدّ الشر ، وله أربعة معان : العمل الصالح والمال ، والخيرة ، والتفضيل بين شيئين (خلا) له معنيان : من الخلوة ، وبمعنى ذهب ومنه : أمّة قد خلت (خطيئة) ذنب ، وجمعه خطايا وخطيات ، والفعل منه خطئ فهوخاطئ ، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه أخطأ (خاسئين) مطرودين من قولك خسئت الكلب ومنه : اخسؤا فيها (خلف) بفتح الخاء وإسكان اللام ، وله معنيان وراء ، ومن خلف خلفه : بشر ، فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام (خلاف) له معنيان من المخالفة ، وبمعنى بعد ، أودون ، ومنه : بمقعدهم خلاف رسول الله (خوّل) أعطى (خلة) بضم الخاء مودّة ومنه الخليل ، وجمعه أخلاء (خلال) له معنيان : وداد ، ومنه : لا بيع فيه ولا خلال ، وبمعنى بين ، ومنه خلال الديار ، وخلالكم (خرّ) يخرّ سقط على وجهه (خامدون) هالكون ، وأصله من خمود النار (خطب) الخطب سبب الأمر والخطب أيضا الأمر العظيم ، وخطبة النساء بالكسر ، وخطبة الخطيب بالضم (يخرصون) يكذبون ، ومنه : يخرصون والخرص أيضا التقدير ، وقيل : يخرصون منه : أى يقولون بالظن من غير تحقيق (خوّان) كثير الخيانة (مختال) من الخيلاء (مخمصة) من الخمص وهو الجوع (أخدان) جمع خدن وهو الخليل (خراج ، وخرج) أى أجرة وعطية

حرف الدال (دين) له خمسة معان : الملة ، والعادة ، والجزاء ، والحساب ، والقهر (دأب) له معنيان : عادة ، وجدّ ، وملازمة ، ومنه : سبع سنين دأبا : متتابعة للزراعة من قولك : دأبت على الشيء : دمت عليه (أدنى) له معنيان : أقرب من الدنو ، وأقل فهو من الدانى الحقير (دار السلام) الجنة (دوائر) صروف الدهر ، واحدها دائرة ، ومنه دائرة السوء (دعاء) له خمسة معان : الطلب من الله ، والعبادة ، ومنه : تدعون من دون الله ، والتمنى : ولهم فيها مايدّعون ، والنداء : ادعوا شهداءكم ، والدعوة إلى الشيء : ادع إلى سبيل ربك (دابة) كل مايدب فيجمع جميع الحيوان (دحور) إبعاد ، ومنه المدحور المطرود (دعّ) بتشديد العين ، يدع : أى دفع بعنف ، ومنه يدع اليتيم ، ويدعون إلى نار جهنم دعا (درأ) دفع ، ومنه يدرؤون (مدرارا) من درّ المطر إذا

صب (داخرين) صاغرين (دكت) الأرض : أى دقت حبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه : جعله دكا : أى مستويا مع الأرض

حرف الذال : (ذكر) له أربعة معان : ضد النسيان ، والذكر باللسان ، والقرآن ، ومنه : نزلنا الذكر ، والشرف ومذكر مفعل من الذكر (ذنوب) بضم الذال : جمع ذنب ، وبالفتح النصيب ، ومنه ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم : أى نصيبا من العذاب ، والذنوب أيضا : الدلو (ذبح) بكسر الذال : المذبوح ، وبالفتح المصدر (ذرأ) خلق ونشر (ذلول) مذللة للعمل من الفك ومنه : ذللناها لهم ، ورجل ذلول : من الذل بالضم ، وذللت قطوفها أدنيت (أذقان) جمع ذقن

حرف الراء : (رب) له أربعة معان : الإله ، والسيد ، والمالك الشيء ، والمصلح للأمر (ريب) شك ، ومنه : ارتابوا ، ومريب ، وريب المنون : حوادث الدهر (رجع) يستعمل متعديا بمعنى ردّ وغير متعد ، والمرجع اسم مصدر أو زمان أو مكان من الرجوع (رعى) له معنيان : من النظر ، ومن رعى الغنم (روح) له أربعة معان للنفس التى بها الحياة : يسئلونك عن الروح ، والوحى : ينزل الملائكة بالروح ، وجبريل : نزل به الروح الأمين ، وملك عظيم : تنزل الملائكة والروح ، وروح بفتح الراء رائحة طيبة ، والريحان : الرزق ، وقيل الشجر المعروف (ركام) بعضه فوق بعض ، ومنه مركوم ، ويركمه (رجا) طمع وقد يستعمل فى الخوف ، ومنه لا يرجون لقاءنا (رجال) جمع رجل ، وجمع راجل : أى غير راكب ، ومنه : يأتوك رجالا ، ومثله : بخيلك ورجلك (رفث) له معنيان : الجماع ، والكلام بهذا المعنى (رجز) عذاب . والرجز فاهجر : فهى الأوثان والرجس بالسين : النجس حقيقة ، أو مجازا ، وقد يستعمل بمعنى العذاب (رهب) خوف ، ومنه : يرهبون (رؤف) من الرأفة وهى الرحمة إلا أنّ الرأفة فى دفع المكروه ، والرحمة فى دفع المكروه وفعل الجميل ، فهى أعم من الرأفة (مرضاة) مفعلة من الرضا (راسيات) ثابتات ، ومنه : قيل للجبال : رواسى ، ومنه : مرساها (رغدا) أى كثيرا (ربوة) مكان مرتفع (ربا) هو فى اللغة الزيادة ، ومنه : ويربى الصدقات ، وربت الأرض : انفتحت (أرحام) جمع رحم ، وهو فرج المرأة ويستعمل أيضا فى القرابة (أرجئه) أخره ، ومنه : ترجى ويرجون ، ويجوز فيه الهمز وتركه (رأى) من رؤية العين يتعدّى إلى واحد ، ومن رؤية القلب بمعنى العلم : يتعدّى إلى مفعولين (تربص) انتظر (رفات) فتات (أرذل) العمر : الهرم ، والأرذلون : من الرذالة (رقى) من الرقية بفتح القاف ، ومنه : وقيل من راق ، ورقى فى السلم بالكسر فى الماضى والفتح فى المستقبل (أرداكم) أهلككم ، والردى الهلاك ، ومنه : تردين ، وتردى (رجفة) زلزلة وشدّة

حرف الزاى (زبر) بصمتين كتب ، والزبور كتاب داود عليه السلام (زخرف) زينة والزخرف أيضا : الذهب (زكاة) له فى اللغة معنيان : الزكاة ، والطهارة ، ثم استعمله الشرع فى إعطاء المال ، وهو من الزيادة ، لأنه يبارك له فيه فيزيد ، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب ، وزكيت الرجل : أثنيت عليه ، وزكا هو مخففة أى صار زكيا (زوج) له ثلاث معان : الرجل ، والمرأة ، وقد يقال زوجة ، والمعنى الصنف والنوع ، ومنه : أزواج من نبات ، ومن كل زوج كريم (زلّ) له معنيان : زلّ القدم عن الموضع ، وفعل الزلل (زاغ) عن الشيء زيغا مال عنه وأزاغه غيره : أماله (زلفى) قربى ، وأزلفت : قربت ، وزلفا من الليل : ساعات (زعم) أى ادّعى ، ولم يوافقه غيره ، قال ابن عباس : زعم كناية عن كذب (زعيم) ضامن (تزجى)

تسوق (زلزلة) الأرض : اهتزازها ، وتستعمل بمعنى الشدّة والخوف ، ومنه : زلزلوا (زجرة) واحدة : صيحة بمعنى نفخة الصور ، والزجرة : الصيحة بشدّة وانتهار ، وازدجر : من الزجر

حرف السين : (أسباط) جمع سبط وهم ذرية يعقوب عليه السلام كان له اثنى عشر ولداً ذكراً فأعقب كل واحد منهم عقبا ، والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب (سبيل) هو الطريق ، وجمعه سبل ، ثم استعمل فى طريق الخير والشر ، وسبيل الله : الجهاد وابن السبيل، الضيف وقيل القريب (سوّى) بالتشديد له معنيان : من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء ، وبمعنى أتقن وأحسن ، ومنه فسوّاك فعدلك (سواء) بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء ، وسواء الجحيم : وسطها ، وسواء الصراط : قصد الطريق (سوى) بالكسر والضم مع ترك الهمزة استثناء ، وقد يكون من التسوية (سفهاء) جمع سفيه وهو الناقص العقل ، وأصل السفه : الحمق ولذلك قيل لمبذر المال سفيه ، وللكفار والمنافقين : سفهاء (سلوى) طائر يشبه السمانى ، وكان ينزل على بنى إسرائيل مع المن (سأل) له معنيان طلب الشىء ، والاستفهام عنه ، وسال بغير همز من المعنيين المذكورين ، ومن السيل (سبحان) تنزيه ، وسبحان الله : أى نزهته عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفات الحدوث وجميع العيوب والنقائص (سار) يسير مشى ليلا أو نهارا (سرى) يسرى مشى ليلا ، ويقال أيضا : أسرى بألف (سخر) يسخر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع : أى استهزأ ، وسخر بالتشديد من التسخير (سخريا) بضم السين من السخرة وهى تكليف الأعمال ، وبالكسر من الاستهزاء (سلطان) له معنيان البرهان ، والقوّة ، ومنه لا ينفذون إلا بسلطان (سام) يسوم أى كلف الأمر وألزمه ، ومنه يسومونكم سوء العذاب ، وأصله من سوم السلعة فى البيع (سئم) يسأم : أى ملّ ، ومنه : وهم لا يسأمون (سنة) أى عادة (سلف) الأمر : أى تقدّم ، وأسلفه الرجل : أى قدّمه ، ومنه هنيئا بما أسلفتم (سراء) فعلاء من السرور (سارع) إلى الشىء : بادر إليه (سوءة) عورة ، والسوء مايسوء بالفتح والضم ، والسوآى فعلاء من السوء ، وسىء بهم : فعل بهم السوء (سنة) بفتح السين : عام ، ولامها محذوفة وجمعها سنون وقد تقال بمعنى الحفظ والجذب (سنة) بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها واو محذوفة لأنها من الوسن (سلك) يسلك له معنيان أدخل ومنه اسلك يدك وسلكه ينابيع ، ومنه سلوك الطريق (أسفار) جمع سفر بفتحتين ، وجمع سفر وهو الكتاب (ساح) يسيح أى سار ، ومنه فسيحوا فى الأرض . والسائحون الصائمون (سوّل) بتشديد الواو : زين ، ومنه : سولت لكم أنفسكم أمرا (سرابيل) جمع سربال وهو القميص (سبأ) قبيلة من العرب (سموم) شدّة الحر (سلام) له ثلاثة معان : التحية ، والسلامة ، والقول الحسن ، ومنه : إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سلام) اسم الله تعالى معناه السلامة من كل نقص ، فهو من أسماء التنزيه ، وقيل سلم العباد من المهالك ، وقيل ذو السلام على المؤمنين فى الجنة (سلم) بفتحتين : انقياد وإلقاء باليد ، وهو أيضا بيع (سلم) بفتح السين وإسكان اللام صلح ومهادنة (سلم) بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام ، وبضم السين وفتح اللام مشدّدة : هو الذى يصعد فيه (أسلم) يسلم له ثلاث معان : الدخول فى الإسلام ، والإخلاص لله ، والانقياد ، ومنه : فلما أسلما (سعى) يسعى ، له ثلاث معان : عمل عملا ، ومنه وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، ومشى ، ومنه : فاسعوا إلى ذكر الله ، وأسرع فى مشيه ، ومنه : رجل يسعى (سكن) يسكن له معنيان : من السكون ضد الحركة ، ومن السكنى فى الموضع (سكينة) وقار وطمأنينة (سائغ) سهل الشرب

لا يغص به من شربه (سابغات) دروع واسعات (أساطير) الأولين : ما كتبه المتقدّمون (مسيطر) أى مسلط ، وأم هم المسيطرون : الأرباب (سندس) وإستبرق : ثياب حرير ، قيل السندس : رقيق الديباج ، والإستبرق : صفيقه (سحقا) بعدا ، ومنه مكان سحيق : أى بعيد (سعير) جهنم ، وسعرت : أوقدت (سبب) وجمعه أسباب له خمسة معان : الحبل ، ومنه : فليمدد بسبب إلى السماء ، والاستعارة من الحبل فى المودّة والقرابة ، ومنه ، وتقطعت بهم الأسباب ، والطريق ومنه : فأتبع سببا ، والباب ومنه : أسباب السموات ، وسبب الأمر : موجبه

حرف الشين : (شعر) بالأمر يشعر : أى علمه ، والشعور : العلم من طريق الحس ، ومنه : لا يشعرون (شهد) يشهد له معنيان : من الشهادة على الشيء ، ومن الحضور ، ومن الشهادة فى سبيل الله (شكرا) قد تقدّم فى الحمد والشكر ، والشكور : اسم الله المجازى لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب ، وقيل المثنى على العباد (شرى) أى باع ، وقد يكون بمعنى اشترى (شقاق) عداوة ومعاندة ، ومنه : ومن يشاقق الله (شهاب) كوكب ، وقد يطلق على شعلة النار (شجر) هو كل ما ينبت فى الأرض ، وشجر بينهم : أى اختلفوا فيه (شنآن) عداوة وشر ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها (شرع) الله الأمر : أى أمر به ، والشريعة والشرعة : الملة وشرعة الماء : فى الدواب ، شعائر الله : معالم دينه ، واحدها شعيرة أو شعارة (شرك) له معنيان : من الإشراك ، وهو أيضا النصيب ، ومنه أم لهم شرك فى السموات (شركاء) جمع شريك (مشحون) أى مملوء

﴿ حرف الصاد ﴾ (صراط) هو فى اللغة الطريق ثم استعمل فى القرآن بمعنى الطريقة الدينية ، وأصله بالسين ثم قلبت صادا لحرف الإطباق بعدها ، وفيه ثلاث لغات : بالصاد ، وبالسين ، وبين الصاد والزاى (صلاة) إذا كانت من الله فمعناها رحمة ، وإذا كانت من المخلوق فلها معنيين : الدعاء ، والأفعال المعلومة (صوم) أصله فى اللغة الإمساك مطلقا ، ثم استعمل شرعا فى الإمساك عن الطعام والشراب ، وقد جاء بمعنى الصمت فى قوله : إنى نذرت للرحمن صوما ، لأنه إمساك عن الكلام (صدقة) يطلق على الزكاة الواجبة ، وعلى التطوّع ، ومنه إنّ المصدّقين والمصدّقات ، وأما « أنك لمن المصدّقين » بالتخفيف فهو من التصديق (صدقة) بضم الدال صداق المرأة ، ومنه : وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . والصدق فى القول : ضدّ الكذب ، والصدق فى الفعل صدق النية فيه ، والصدق فى القصد : العزم الصادق (صعد) يصعد : أى ارتفع ، وأصعد بالألف يصعد بالضم : أى أبعد فى الهروب ، ومنه إذ تصعدون ، صعيدا طيبا : أى ترابا ، والصعيد : وجه الأرض (صدّ) له معنيان فالمتعدّى بمعنى منع غيره من شيء ، ومصدره صدّ ، ومضارعه بالضم ، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود (صار) له معنيان : من الانتقال ومنه : تصير الأمور ، والمصير ، وبمعنى ضم ، ومضارعه يصور ومنه : فصرهن إليك (صاعقة) له ثلاثة معان : الموت ، وكل بلاء يصيب ، وقطعة نار تنزل من شدّة الرعد والمطر ، وجمعها صواعق (أصرّ) على الذنب يصر إصراراً : دام عليه ولم يتب منه (صواع) مكيال وهو السقاية والصاع ، وسواع بالسين اسم صنم (صابئين) قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله . وقيل إنهم يرون تأثير الكواكب . وفيه لغتان . الهمز وتركه . من صبأ إلى الشيء : إذا مال إليه (تصطلون) تفتعلون من صبأ بالنار إذا تسخن بها والطاء بدل من التاء (اصطفى) أى اختار . وأصله من الصفى . أى اتخذه صفيا (صغار) بفتح الصاد ذلة . ومنه صاغرون . والصغير ضدّ الكبير (صدف) عن الشيء يصدف . أعرض عنه (صريخ) مغيث ومنه : ما أنا بمصرخكم (صلصال) طين يابس . فإذا مسته النار فهو فخار (صرح) قصر وهو أيضا البناء العالي

حرف الضاد : (ضرب) له أربعة معان : من الضرب باليد وشبهه . ومن ضرب الأمثال . ومن السفر . ومنه ضربتم فى الأرض . ومن الالتزام . ومنه ضربت عليهم الذلة . أى ألزموها، وضربنا على آذانهم : أى ألقينا عليهم النوم . و «أفنضرب عنكم الذكر» أى نمسك عنكم التذكير (ضاعف) الشيء : كثره . ويجوز فيه التشديد وضعف الشيء بكسر الضاد . مثلاه ، وقيل مثله . والضعف أيضا العذاب . والضعف بالضم ويجوز فيه الفتح (ضرّ) بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد . وكذلك الضير بالياء . ومنه لا يضركم كيدهم . والضرّ ما يصيب من المرض وشبهه (ضحى) أول النهار . والفعل منه أضحى . وأما ضحى بكسر الحاء . يضحى فى المضارع . فمعناه برز للشمس وأصابه حرّها . ومنه لا تظمأ فيها ولا تضحى (ضيف) يقال للواحد والاثنين والجماعة (ضيق) بكسر الضاد مصدر . وبفتحها مع إسكان الياء : تخفيف من ضيق المشدد : كميت وميت

حرف الطاء : (طبع) ختم ، والخاتم الطابع (طول) بفتح الطاء : فضل أو غنى (طائر) له معنيان : من الطيران ومن الطيرة (طوى) قيل اسم الوادى وقيل معناه مرتين ، أى قدس الوادى مرتين (طهارة) له معنيان : الطهارة بالماء ، ومنه : جنبا فاطهروا ، والماء الطهور وهو المطهر ، والطهارة من القبائح والرذائل ، ومنه : أناس يتطهرون . (طيب) له معنيان : اللذيذ ، والحلال (طوفان) السيل العظيم (طاغوت) أصنام وشياطين ، ويكون مفردا أو جمعا ، والطاغوت أيضا : رؤوس النصارى على قول (طباق) بعضها على بعض ، وطبقا عن طبق : حالا بعد حال (طور) جبل وهو الطور (طفق) يفعل كذا : أى جعل يفعله (طائفين) من الطواف ، وطائف من الشيطان لمم وقرئ طيف

حرف الظاء : (ظهر) الأمر : بدا ، وأظهره غيره : أبداه ، وظهير : معين (ظاهر) الرجل من امرأته ، وتظاهر ، وتظهر : أى قال لها : أنت علىّ كظهر أمى ، وهو الظاهر (ظهر) البيت أعلاه وظهرته أى ارتفعت عليه ، ومنه : فما استطاعوا أن يظهروه (ظلم) وقع فى القرآن على ثلاثة معان : الكفر ، والمعاصى ، وظلم الناس : أى التعدى عليهم (ظنّ) له ثلاثة معان : التحقيق ، وغلبة أحد الاعتقادين ، والتهمة (ظمئ) عطش (ظلال) جمع ظل ، وظلل بالضم جمع ظلة وهى ما كان من فوقه وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل

حرف العين : (عاذ) بالله يعوذ أى استجار به ليدفع عنه ما يخاف ، ويقال أيضا استعاذ يستعيذ ، ومنه عذت بربى ، ومعاذ الله (العالمين) جمع عالم ، وهو عند المتكلمين : كل موجود سوى الله تعالى ، وقيل العالمين : الإنس والجن والملائكة ، فجمعه جمع العقلاء ، وقيل الإنس خاصة ، لقوله « أتأتون الذكران من العالمين » (يعمهون) يتحيرون فى ضلالهم ، والعمه : الحيرة (عدل) يعدل : ضدّ جار ، وعدل عن الحق ، عدولا ، وعدلت فلانا بفلان : سويت بينهما ، ومنه : أو عدل ذلك صياما (عزيز) اسم الله تعالى ، معناه : الغالب ، وعزّ : غلب ، ومنه : وعزنى فى الخطاب ، والغلبة ترجع إلى القوّة والقدرة ، ومنه : فعززنا بثالث . أى قوينا ، وقيل العزيز القديم المثل (عفا) له أربعة معان : عفا عن الذنب : أى صفح عنه ، وعفا : أسقط حقه ، ومنه إلا أن يعفون أو يعفو الذى ، وعفا القوم : كثروا ، ومنه : حتى عفوا ، وعفا المنزل : إذا درس (عفو) له ثلاث معان ، العفو عن الذنب ، والإسقاط ، والسهل من غير كلفة : ومنه : ماذا ينفقون قل العفو (عين) بكسر العين وإسكان الياء : وهو جمع عيناء (عنت) معناه الهلاك أو المشقة ، ومنه : ولو شاء الله لأعنتكم : أى أهلككم ، أو ضيق عليكم ، والعنت أيضا : الزنا ، ومنه : ذلك لمن خشى العنت منكم ، . وأما عنت الوجوه : فليس من

هذا ، لأنّ لامه واو فهو من عتا يعتو إذا خضع (عاقب) له معنيان : من العقوبة على الذنب ، ومن العقبى ، ومنه : وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم : أى أصبتم عقبا (أعجاز) نخل : أصولها ، أعجز الشيء : إذا فات ولم يقدر عليه ، ومنه : وماهم بمعجزين ، وما كان الله ليعجزه من شيء ، وأما معاجزين بالألف : فمعناه مسابقين (عال) يعيل عيلة : أى افتقر ومنه : ووجدك عائلا ، وعال يعول : عدل عن الحق ، وعال يعول أيضا : كثر عياله ، والأشهر أن يقال فى هذا المعنى أعال بالألف (عرج) يعرج بفتح الراء فى الماضى ، وضمها فى المضارع صعد وارتقى ومنه المعارج ، وعرج بالكسر فى الماضى والفتح فى المستقبل : صار أعرج (عتبى) معناه الرضى ، ومنه : فماهم من المعتبين ، ولاهم يستعتبون ، العتاب العدل (أعدّ) بالألف يسدّ الشيء : هيأه ، وعدّ بغير الألف من العدد (عرش) سرير الملك ، ومنه : ورفع أبويه على العرش ، وأهكذا عرشك ، وعرش الله فوق السماء ، وتعرشون تبنون ، وعلى عروشها سقوفها (عورة) أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه ، ولذلك قيل عورة الإنسان ، عورات : أى أوقات انكشاف ، وبيوتنا عورة : أى خالية معرّضة للسراق (عافر) له معنيان : المرأة العقيم ، واسم فاعل من عقر الحيوان (عبر) يعبر ، له معنيان من عبارة الرؤيا ومنه : إن كنتم للرؤيا تعبرون ، ومن الجواز على الموضع ، ومنه : عابر سبيل (عمون) جمع عم ، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى فى البصر أو فى البصيرة (علا) يعلو : تكبر ، ومنه قوما عالين ، وعلا فى الأرض ، والعلىّ اسم الله ، والمتعالى ، والأعلى : من العلوّ بمعنى الجلال والعظمة ، وقيل بمعنى التنزيه عن عمالا يليق به (عزب) الشيء : غاب ، ومنه : لايعزب عن ربك : أى لايخفى عنه (عصبة) جماعة من العشرة إلى الأربعين (علقة) واحدة العلق : وهو الدم (عاصف) ريح شديدة (عصف) ورق الزرع

حرف الغين : (غشاوة) غطاء إما حقيقة أو مجاز (غمام) هو السحاب (غلف) جمع أغلف ، وهو كل شيء جعلته فى غلاف : أى قلوبنا محجوبة (غرفة) بضم الغين لها معنيان : المسكن المرتفع ، والغرفة من الماء بالضم وبالفتح : المرة الواحدة (غادر) ترك ، ومنه لم نغادر (غل) يغل : من الغلول ، وهو الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق ، والغل الحقد (أغلال) جمع غل بالضم ، وهو مايجعل فى العنق ، ومنه مغلولة (غلا) يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط ، ومنه لاتغلوا فى دينكم أى لاتجاوزوا الحدّ (غائط) المكان المنخفض ، ثم استعمل فى حاجة الإنسان (غشى) الأمر يغشى بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع معناه غطى حسا ومعنى ، ومنه : والليل إذا يغشى ؛ لأنه يغطى بظلامه ، وينقل بالهمزة والتشديد ، فيقال غشى وأغشى ، ومن فوقهم غواش يعنى مايغشاهم من العذاب أو يصيبهم ، ومنه : غاشية من عذاب الله ، والغاشية أيضا : القيامة ؛ لأنها تغشى الخلق (غبر) له معنيان : ذهب وبقى ، ومنه عجوزا فى الغابرين : أى فى الهالكين أو فى الباقين فى العذاب (غرور) بضم الغين . وبفتحها : اسم فاعل مبالغة ، ويراد به إبليس (غاض) الشيء : نقص ، ومنه : وغيض الماء . وتغيض الأرحام . وغاظ بالظاء يغيظ من الغيظ (غور) غاير من غار الماء إذا أذهب (غرام) عذاب ومنه : إنا لمغرمون ، والمغرم : غرم المال ومنه : من مغرم مثقلون

حرف الفاء : (فرقان) مفرّق بين الحق والباطل . ومنه : يجعل لكم فرقانا : أى تفرقة . ولذلك سمى القرآن بالفرقان (فئة) جماعة من الناس (فصال) فطام من الرضاع (فضل) له معنيان : الإحسان . والربح فى التجارة وغيرها . ومنه : يبتغون من فضل الله (فسق) أصله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر . وتارة بمعنى العصيان

(فتنة) لها ثلاثة معان : الكفر . والاختبار . والتعذيب (فاء) يفىء أى رجع (فلك) بضم الفاء : سفينة . ويستوى فيه المفرد والجمع (فلك) بفتحتين القطب الذى تدور به الكواكب (فزع) له معنيان : الخوف والإسراع . ومنه : إذا فزعوا فلا فوت (فرح) له معنيان : السرور والبطر (فاحشة) وفحشاء : هى كل مايقبح ذكره من المعاصى (فرض) له معنيان : الوجوب . والتقدير (فتح) له معنيان فتح الأبواب . ومنه فتح البلاد وشبهها . والحكم ومنه : افتح بيننا وبين قومنا . ويقال للقاضى فاتح . واسم الله الفتاح : قيل الحاكم . وقيل خالق الفتح والنصر (انفضوا) تفرقوا (فطره) خلقه ابتداء . ومنه : فاطر السموات والأرض . وفطرة الله : التى خلق الخلق عليها . وأفطر بالألف من الطعام (فطور) شقوق . ومنه انفطرت أى انشقت . ويتفطرن (فج) طريق واسع وجمعه فجاج (فار التنور) يقال لكل شىء هاج وعلا حتى فاض . ومنه : وهى تفور . وقولهم فارت القدر (فوج) جماعة من الناس وجمعه أفواج (فاكهين) من التلذذ بالفاكهة أومن الفكهة وهى السرور واللهو (فؤاد) هو القلب ، وجمعه أفئدة (استفز) يستفز : أى استخف (فقه) فهم . ومنه : لايفقهون . وما نفقه كثيرا (فى) حرف جر بمعنى الظرفية . وقد تكون للتعليل . وقد تكون بمعنى مع . وقيل بمعنى على (الفاء) لها ثلاثة أنواع : عاطفة . ورابطة . وناصبة للفعل بإضمار أن . ومعناها الترتيب والتعقيب والسبب

حرف القاف : (قرآن) القرآن العزيز . ومصدره قرأ : أى تلا . ومنه إنّ علينا جمعه وقرآنه (قنوت) له خمسة معان : العبادة . والطاعة . والقيام فى الصلاة . والدعاء . والسكوت (قضاء) له سبعة معان : الحكم . والأمر . والقدر السابق . وفعل الشىء ، والفراغ منه ، والموت ، والإعلام بالشىء ، ومنه : قضينا إليه ذلك الأمر (قدر) له خمسة معان : من القدرة ، ومن التقدير ، ومن المقدار ، ومن القدر ، والقضاء ، وبمعنى التضييق نحو : فقدر عليه رزقه ، وقد يشدّ الفعل ويخفف . والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقدار وبالفتح لاغير من القضاء (قام) له معنيان : من القيام على الرجلين ، ومن القيام بالأمر بتقديره وإصلاحه ، ومنه : الرجال قوامون على النساء ، وقام الأمر : ظهر واستقام ، ومنه : الدين القيم دين القيامة (أقام) له ثلاثة معان : أقام الرجل غيره من القيام ، ومن التقويم ومنه : جدارا يريد أن ينقض فأقامه ، وأقام فى الموضع : سكن ، ومنه مقيم أى دائم (قيوم) اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور : معناه مدبر الخلائق فى الدنيا وفى الآخرة ومنه : قائم على كل نفس : له معنيان : مصدر قام على اختلاف معانيه ، وبمعنى قوام الأمر وملاكه ، وقيم بغير ألف : جمع قيمة (قرض) سلف والفعل منه أقرض يقرض (أقسط) بألف : قسطا : عدلا فى الحكم ، ومنه يحب المقسطين ، وقسط بغير ألف : جار ، ومنه : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (مقاليد) فيه قولان : خزائن ، ومفاتح (قدس) يقدس من التنزيه والطهارة ، وقيل من التعظيم ، والقدوس : اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به (قال) يقول من القول ، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول ، وقال يقيل : من القايلة ، ومنه : أوهم قائلون ، وأحسن مقيلا (قفى) اتبع ، وأصله من القفا ، يقال أقفوته : إذا حبيت فى أثره وقفيته بالتشديد : إذا سقت شيئا فى أثره ، ومنه : وقفينا من بعده بالرسل (قرن) جماعة من الناس ، وجمعه قرون (قواعد) البيت : أساسه ، واحدها قاعدة ، والقواعد من النساء : واحدة قاعد ، وهى العجوز (قربان) مايتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها ، وقربان أيضا من القرابة (قلى) يقلى : أبغض ، ومنه : وما قلى ، ولعملكم من القالين (اقترف) اكتسب حسنة أو سيئة (قصص) له معنيان : من الحديث ، ومن قص الأثر ، ومنه :

على آثارهما قصصا ، وقصيه (قررت) به عينا ، قرر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع (قطاس) ميزان (قتر) وقترة : غبار ، وعبارة عن تغير الوجه ، وقتور من التقتير (قارعة) داهية وأمر عظيم (قبس) شعلة نار (قنط) يئس من الخير (قرطاس) صحيفة وجمعه قراطيس

حرف الكاف : (كافر) له معنيان : من الكفر وهو الجحود ، وبمعنى الزرع ، ومنه : أعجب الكفار نباته أى الزراع ، وتكفير الذنوب غفرانها (كرة) رجعة (كبر) بكسر الباء من السن يكبر بالفتح فى المضارع ، وكبر الأمر بالضم فى المضارع والماضى ، وكبر بضم الكاف وفتح الباء : جمع كبرى ، وكبار بالضم والتشديد : كبير مبالغة ، والكبر : التكبر ، وكبر الشىء بكسر الكاف وضمها : معظمه ، والكبرياء : الملك والعظمة ، والمتكبر : اسم الله تعالى من الكبرياء ، وبمعنى العظمة (كفل) يكفل : أى ضم الصبى وحضنه ، وأكفلنيها اجعلنى كافلها (كفيل) نصيب (كلالة) هى أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد (كاد) قارب الأمر ولم يفعله فإذا نفى اقتضى الإثبات (كريم) من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل ، وكريم : اسم الله تعالى أى محسن (أكنه) أغطيه وأكنان جمع كن ، وهو ما وقى من الحر والبرد (كهل) هو الذى انتهى شبابه (أكمام) الثمار والنخيل جمع كم وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها (أكب) الرجل على وجهه فهو مكب ، وكبه غيره بغير ألف (كهف) غار (كيد) هو من المخلوق احتيال ، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر (كسفا) بفتح السين جمع كسفة ، وهى القطعة من الشىء وبالسكون كذلك أو مفرد (كبتوا) أى أهلكوا : أى يكبتهم ، ثم يهلكهم ، أو يخذلهم (أكمه) هو الذى ولد أعمى (كان) على نوعين : تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع ، وهى ترفع الفاعل . وناقصة : ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وتقتضى ثبوت الخبر للمخبر عنه فى زمانها ، وقد تأتى بمعنى الدوام فى مثل قوله : وكان الله غفورا رحيما ، وكان ربك قديرا ، وشبه ذلك ، وهو كثير فى القرآن ، ومعناه : لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف (كأنّ) معناها التشبيه (كى) معناها التعليل (كم) معناها التكثير ، وهى خبرية واستفهامية (كأين) بمعنى كم ، وهى عند سيبويه كاف التشبيه دخلت على أى (كلا) حرف ردع وزجر ، وقيل إنها تكون للنفى : أى ليس الأمر كما ظننت ، وقيل إنها استفتاح كلام بمعنى إلا (الكاف) بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل ، وقيل إنها تكون زائدة .

حرف اللام : (لبس) الأمر أى خلطه بفتح الباء فى الماضى وكسرها فى المستقبل (ألباب) عقول ، وهو جمع لب (لبث) فى المكان أقام فيه (لمز) يلمز : أى عاب الشىء (لؤلؤ) جوهر (لغو) الكلام : الباطل منه ، والفحش ، ولغو اليمين : مالا يلزم (لها) بفتح الهاء من اللهو ، ومضارعه يلهو ، ولهى عن الشىء بالكسر والياء يلهى بالفتح . إذا أعرض عنه وألهاه الشىء . إذا أشغله ، ومنه لا تلهكم أموالكم (لطيف) اسم الله تعالى ، قيل معناه رفيق ، وقيل خبير بخفيات الأمور (لدى ولدن) معناها عند (ليت) معناها التمنى (لعل) معناها الترجى فى المحبوبات ، والتوقع للمكروهات ، وأشكل ذلك فى حق الله تعالى ، فقيل جاءت فى القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب : أى ذلك مما يرتجى عندكم أى يتوقع ، وقد يكون معناها التعليل ، أو مقاربة الأمر فلا إشكال (لولا) لها معنيان . التمنى ، وامتناع شىء لامتناع غيره (لما) لها معنيان : النفى وهى الجازمة ووجود شىء لوجود غيره وأما « لما » بالتخفيف ، فهى لام التأكيد دخلت على ما ، وقال الكوفيون هى

بمعنى إلا الموجبة بعد النفى (لا) ثلاثة أنواع : نافية ، وناهية ، وزائدة (اللام) خمسة أنواع : لام الجر ، ولام كى ، ولام الأمر ، ولام التأكيد فى القسم وغيره وهى المفتوحة ، ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان . الملك ، والاستحقاق ، والتعليل . وقد تأتى للتعدى إذا ضعف العامل ، وقد تأتى بمعنى عند ، نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ، ولام كى معناها التشبيه والتعليل ، وقد تأتى بمعنى الصيرورة والعاقبة ، نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا . وقد تأتى بمعنى أن المصدرية ، ومنه : يريد الله ليبين لكم

حرف الميم : (مرض) الجسد معروف ، ومرض القلب : الشك فى الإيمان ، والبغض فى الدين (المن) شبه العسل ، والسلوى طائر ، والمن أيضا : الإنعام ، والمن أيضا : العطية ، والمن أيضا : القطع ، ومنه أجر غير ممنون (أمانى) جمع أمنية ولها ثلاثة معان : ما تتمناه النفس ، والتلاوة ، والكذب . وكذلك تمنى ، له هذه المعانى الثلاثة (ملأ) القوم : أشرفهم ، وذوو الرأى منهم (مثل) بفتح الميم والمثلثة ، لها أربعة معان : الشبيه والنظير ومن المثل المضروب ، وأصله من التشبيه ، ومثل الشىء حاله وصفته ، والمثل الكلام الذى يتمثل به ، ومثل الشىء بكسر الميم شبهه (مرية) شك ، ومنه : الممترين أى الشاكين ، لاتمار : من المراء وهو الجدال (أملى) لهم : أمهلهم وزادهم (مهاد) فراش (مد) يمد : أى أملى ، وقد تكون بمعنى زاد مثل أمد بألف من المداد (مضغة) قطعة لحم (إملاق) فقر (مرد) فهو مارد : من العتو والضلال (مكانة) بمعنى مكان أى من التمكين والعز ، ومنه مكين (مواخر) فواعل من المخر يقال مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء (مجيد) من المجد وهو الكرم والشرف (مقت) هو الذم أو البغض على ما فعل من القبيح (معين) ماء كثير جار وهو من قولك : معن الماء إذا كثر ، وقيل : هو مشتق من العين ، ووزنه مفعول ، فاليم زائدة (مارج) مختلط والمارج لهب النار ، من قولك مرج الشىء إذا اضطرب ، وقيل من الاختلاط أى خاط نوعين من النار (مرج) البحرين ، أى خلى بينهما ، وقيل خلطهما ، وقيل فاض أحدهما فى الآخر (مهل) فيه قولان : دردى الزيت ، وما أذيب من النحاس (منون) له معنيان : الموت ، والدهر (مس) له معنيان : اللمس باليد وغيره ، والجنون (من) لها أربعة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، ونكرة موصوفه (ما) إذا كانت اسما فلها ستة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، وموصوفة ، وصفة ، وتعجبية ، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع : نافية ومصدرية وزائدة وكافية ومبهمة (من) لها ستة أنواع : لابتداء الغاية ، ولجملة الغاية ، وللتبعيض ، ولبيان الجنس والتعليل ، وزائدة (مهما) اسم شرط

حرف النون : (نظر) له معنيان . من النظر ، ومن الانتظار ، فإذا كان من الانتظار تعدى بغير حرف ، ومن نظر العين يتعدى بإلى ، ومن نظر القلب يتعدى فى (أنظر) بالألف أخر ، ومنه أنظرنى ، ومن المنظرين ونظرة إلى ميسرة (نضرة) بالضاد من التنعم ، ومنه وجوه يومئذ ناضرة : أى ناعمة ، وأما إلى ربها ناظرة ، فمن النظر (نعمة) بفتح النون من النعيم وبكسرها من الإنعام (أنعام) هى : الإبل ، والبقر ، والغنم . دون سائر البهائم ويجوز تذكيرها وتأنيثها ، ويقال لها أيضا نعم ، ونعم كلمة مدح ، ويجوز فيها كسر النون وفتحها ، وإسكان العين وكسرها (نعم) بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها بالنفى أو الإثبات ، بخلاف بلى : فإنها للإثبات خاصة ، ويجوز فى نعم فتح العين وكسرها (ند) هو المضاهى والمماثل والمعانت ، وجمعه أنداد (أنذر) أعلم بالمكروه قبل وقوعه ، ومنه : نذير ، ومنذر ، والمنذرين ، وكيف كان نذير : أى إنذارى فهو مصدر ، ومنه عذابى ونذر ، والنذر بغير ألف ومنه نذر ، ثم من نذر : فليوفوا نذورهم (نكال) له معنيان :

العقوبة ، والعبرة (نجى) بتشديد الجيم له معنيان : من النجاة ومن النجوة : وهو الموضع المرتفع ومنه ننجيك ببدنك على قول (نجوى) معناه كلام خفى ، ومنه : ناجى ، وقرّبناه نجيا ، وقيل إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس فى قوله : وإذ هم نجوى ، وقد يجمع ذلك على حذف مضاف تقديره وإذ هم أصحاب نجوى (نسيان) له معنيان : الذهول ، ومنه إن نسينا أو أخطأنا ، والترك ومنه : نسوا الله فنسيهم (نسخ) له معنيان : الكتابة ، ومنه نستنسخ ما كنتم تعملون ، والإزالة ، ومنه : ماننسخ من آية أوننسها (نصر) بالصاد المهملة معروف ، وبالسين اسم صنم : ويعوق ونسرا ، أو اسم طائر أيضا (نشوز) بالزاى : له معنيان شرّ بين الرجل والمرأة ، وارتفاع ، ومنه انشزوا أى قوموا من المكان (نزل) بضمتين رزق ، وهو مايطعم الضيف (نأى) بعد ومنه ينأون عنه (نكص) رجع إلى وراء (نفر) نفورا عن الشيء ونفر ينفر بضم المضارع ، ومنه نفرت الدابة ، ونفر ينفر بكسر المضارع نفيرا : أتى ، أسرع ، وجد ، ومنه : انفروا فى سبيل الله (نبأ) خبر ، ومنه اشتق النبيء بالهمز ، وترك الهمز تخفيفا ، وقيل إنه عند من ترك مشتق من النبوة ، وهى الارتفاع (نطفة) أى نقطة من ماء ، ومنه خلقكم من نطفة يعنى من المنى (أناب) إلي الشيء : رجع ومال إليه ، ومنه : منيب (نفذ) ينفذ أى تم وانقطع (نهر) بفتح الهاء الوادى ، ويجوز الإسكان ، وأمّا السائل فلا تنهر : فهو من الانتهار ، وهو الزجر (منير) من النور ، وهو الضوء حسا أو معنى (نصب) بضمتين وبضم النون وإسكان الصاد ، وبفتح النون وإسكان الصاد بمعنى واحد ، وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب (نصب) بفتحتين تعب ، ومسنى الشيطان بنصب : أى بلاء وشر (نقم) الشيء ينقمه أى كرهه وعابه (نضيد) أى منصوب بعضه إلى بعض (نكير) إنكار ، ويقال نكر الشيء وأنكره (نسل) بمعنى أسرع ومنه : ينسلون ، من النسلان وهو الإسراع فى المشى مع قرب الخطا

حرف الهاء : (الهدى) له معنيان : الإرشاد والبيان ، ومن البيان : فاما ثمود فهديناهم ، والإرشاد قد يكون إلي الطريق ، وإلى الدين ، وبمعنى التوفيق والإلهام (هدى) بفتح الهاء وإسكان الدال مايهدى إلى الكعبة من البهائم (هاد) يهود : أى تاب ، ومنه هدنا إليك ، والذين هادوا : أى تهوّدوا أى صاروا يهودا ، وأصله من قولهم : هدنا إليك (هود) له معنيان : اسم نبى عاد عليه السلام وبمعنى اليهود ، ومنه كونوا هوداً (هوى) النفس : مقصور وهو ماتحبه وتميل إليه ، والفعل منه : بكسر الواو فى الماضى وفتحها فى المضارع (والهواء) بالمد والهمز : مابين السماء والأرض ، وأفئدتهم هواء : أى متحرّقة لاتعى شيئا (وهوى) يهوى بالفتح فى الماضى والكسر فى المضارع : وقع من علو ، ويقال أيضا بمعنى الميل ، ومنه : أفئدة من الناس تهوى إليهم (هاجر) خرج من بلاده ، ومنه سمى المهاجرون (هجر) من الهجران ، ومنه الهجر أيضا ، وهو فحش الكلام ، وقد يقال فى هذا الهجر بالألف (أهل) لغير الله به أى صيح ، والإهلال : الصياح ، وفى النية أى أريد به غير الله (مهيمن) عليه شاهد ، وقيل مؤتمن ، والمهيمن . اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم ، وقيل الشهيد ، وقيل الرقيب (هوان ، هون) أى ذل (مهين) بضم الميم أى مفعل مشتق من الهوان : أى مذل ، وأما مهين ، بفتح الميم فمعناه : ضعيف أو ذليل

حرف الواو : (وقود) النار بفتح الواو : ماتوقد به من الحطب وشبهه ، والوقود بالضم المصدر (وجه) له معنيان : الجارحة ، والجهة . وأما وجه الله : ففى قوله ابتغاء وجه الله أى طلب رضاه ، وفى قوله : كل شيء هالك إلا وجهه ، ويبقى وجه ربك : قيل الوجه الذات ، وقيل صفة كاليدين ، وهو من المتشابه (وعد) يعد

وعدا بالخير ، وقد يقال فى الشر وأوعد بالألف يوعد وعيدا بالشر لاغير (ودّ) يودّ له معنيان من المودة والمحبة ، وبمعنى تمنى : ودّوا لو تكفرون ، والودّ بالضم : المحبة ، وودّ : اسم صنم بضم الواو وفتحها (ودود) اسم الله تعالى أى محب لأوليائه وقيل محبوب (ويل) كلمة شر ، وقيل إن الويل وادفى جهنم (وجب) له معنيان من وجوب الحق بمعنى سقط كقولهم وجب الحائط إذا سقط ومنه وجبت جنوبها (وسط) وأوسط له معنيان من التوسط بين الشيئين ، وبمعنى الخيار والأحسن (وسع) يسع سعة : من الاتساع ضد الضيق ، والسعة الغنى ، والواسع اسم الله تعالى : أى واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة (واسع) جواد موسع غنىّ أى واسع الحال وهو ضدّ المقتر : وإنا لموسعون قيل أغنياء ، وقيل قادرون ، وإلاوسعها : طاقتها (ولى) له معنيان : أدبر ، وجعل واليا ، وتولى له ثلاث معان : أدبر ، وأعرض بالبدن أو بالقلب ، وصار واليا ، واتخذ وليا ، ومنه : ومن يتولى الله ورسوله (ولىّ) ناصر ، والولى اسم الله ، قيل ناصر ، وقيل متولى أمر الخلائق (مولى) له سبعة معان : السيد والأعظم ، والناصر ، والوالى أى القريب ، والمالك والمعتق ، وبمعنى أولى ، ومنه النار مولاكم (وجل) يلج أى دخل ، ومنه : مايلج فى الأرض ، وأولج : أدخل ، ومنه : يولج الليل فى النهار (وهن) يهن : ضعف ، ومنه : وهن العظم ، والوهن : الضعف (ورد) الماء يرده : إذا جاء إليه وأورده غيره ، وأرسلوا واردهم ، الذى يتقدمهم إلى الماء فيسقى لهم (أوزعنى) أى ألهمنى ووفقنى (يوزعون) يدفعون (وليد) صبى والجمع ولدان (وجل) يوجل وجلا : خاف . ومنه : لاتوجل (أوجس) وجد فى نفسه وأضمر (وارى) يوارى : أى يستر ومنه يوارى سوأة أخيه ، وماووري عنهما ، وتواروا أى استتروا واستخفوا (وطأ) يطأ . له ثلاث معان : جماع المرأة . ومن الوطئ بالأقدام . ومنه أرضا لم تطؤها . والإهلاك . ومنه : لم تعلموهم أن تطؤهم (وقر) بفتح الواو وهو الصمم والثقل فى الأذن . والوقر بكسر الواو : الحمل . ومنه : فالحاملات وقرا (ودق) هو المطر (واصب) أى دائم (وكيل) كفيل بالأمر . وقيل : كاف (وزر) بفتحتين أى ملجأ (وزير) أى معين . وأصله من الوزر بمعنى الثقل . لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله (وسوس) الشيطان إلى الإنسان : ألقى فى نفسه . والوسواس : الشيطان (أوحى) يوحى وحيا ، له ثلاث معان : كلام الملك من الله للأنبياء . ومنه قيل للقرآن وحى . وبمعنى الإلهام ، ومنه : أوحى ربك إلى النحل ، وبمعنى الإشارة . ومنه : فأوحى إليهم أن سبحوا : أى أشار (وعى) العلم يعى : حفظه . ومنه : أذن واعية ، وأوعى بالألف : يوعى جمع المال فى وعاء . ومنه : جمع فأوعى

حرف الياء : (يمين) له أربعة معان : اليد اليمين . وبمعنى القوة . وبمعنى الحلف . وأيمن أى إلى الجهة اليمين (يسير) له معنيان قليل ، ومنه : كيل يسير ، وهين ، ومنه : ذلك على الله يسير ، واليسر : ضد العسر (يئس) أى انقطع رجاؤه ، ومنه : لاتيئسوا من روح الله ، وإنه ليؤس وأما : أفلم ييئس الذين آمنوا : فمعناه ألم يعلم (يم) هو البحر (ميسر) هو القمار فى النرد والشطرنج وغير ذلك . وهو مأخوذ من يسر لى كذا إذا وجب . واليسر بفتح الياء والسين : الرجل الذى يشتغل بالميسر . وجمعه أيسار . وميسر العرب أنهم كانوا لهم عشرة قداح وهم الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها . وبعضها لانصيب له . ويجزؤنها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزلام فى خريطة ويضعونها على يد عدل . ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدحا . فمن خرج له قدح له نصيب : أخذ ذلك النصيب . ومن خرج له قدح لانصيب له : غرم ثمن الناقة كلها (ينبوع) أى عين من ماء . والجمع ينابيع

الكلام على الاستعاذة

فى عشرة فوائد : من فنون مختلفة : (الأولى) لفظ التعوّذ على خمسة أوجه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمختار عند القراء . وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بالله القوىّ من الشيطان الغوىّ . وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد . وهى محدثة : وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وهو مروىّ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم (الثانية) يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة . سواء ابتدأ أوّل سورة أوجزء سورة على الندب (الثالثة) يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار . وروى الإخفاء عن حمزة ونافع (الرابعة) لا يتعوّذ فى الصلاة عند مالك . ويتعوّذ فى أوّل ركعة عند الشافعى وأبى حنيفة . وفى كل ركعة عند قوم . فحجة مالك عمل أهل المدينة وحجة قول غيره : قول الله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وذلك يعم الصلاة وغيرها (الخامسة) إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضى ؛ لأنّ معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به فى قوله « فاستعذ » (السادسة) الشيطان : يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين ، أوالعهد فتكون الاستعاذة من إبليس . وهو من شطن إذا بعد ؛ فالنون أصلية والياء زائدة . وزنه فيعال . وقيل من شاط إذا هاج ؛ فالنون زائدة . والياء أصلية ووزنه فعلان . وإن سميت به لم ينصرف على الثانى لزيادة الألف والنون ، وانصرف على الأوّل (السابعة) الرجيم فعيل بمعنى مفعول ، ويحتمل معنيين : أن يكون بمعنى لعين وطريد . وهذا يناسب إبليس لقوله (وجعلناها رجوما للشياطين) والأوّل أظهر (الثامنة) من استعاذ بالله صادقا أعاذه ؛ فعليك بالصدق ؛ ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذرّيتها عصمها الله . ففى الحديث الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « مامن مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه (التاسعة) الشيطان عدوّ . وحذر الله منه إذ لا مطمع فى زوال علة عداوته . وهو يجرى من ابن آدم مجرى الدم . فيأمره أوّلا بالكفر ويشككه فى الإيمان ؛ فإن قدر عليه ؛ وإلا أمره بالمعاصى . فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة . فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب (العاشرة) القواطع عن الله أربعة : الشيطان ، والنفس ، والدنيا ، والخلق . فعلاج الشيطان : الاستعاذة والمخالفة له ، وعلاج النفس : بالقهر ، وعلاج الدنيا : بالزهد ، وعلاج الخلق : بالانقباض والعزلة

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد . (الأولى) ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها ، إلا فى النمل خاصة ، وهى عند الشافعى آية من الفاتحة ، وعند ابن عباس آية من أوّل كل سورة ، فحجة مالك ماورد فى الحديث الصحيح : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « أنزلت علىّ سورة ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الفرآن مثلها ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون البسملة ، وماورد فى الحديث الصحيح « إنّ الله يقول : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين : يقول العبد الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون البسملة : وحجة الشافعى ماورد فى الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين . وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة فى المصحف (الثانية) إذا ابتدأت أوّل سورة بسملت ؛ إلا براءة . وسنذكر علة سقوطها من براءة فى موضعه ، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبى عمرو الدانى ، وتترك البسملة عند غيره ، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى ، فاختلف القرّاء فى البسملة وتركها (الثالثة) لا يبسمل فى الصلاة عند مالك ، ويبسمل عند الشافعى جهرا فى الجهر ، وسرّا فى السرّ ، وعند أبى حنيفة سرّا فى الجهر والسرّ فحجة مالك من وجهين : أحدهما أنه ليست عنده آية فى الفاتحة حسبما ذكرنا « والآخر ماورد فى الحديث الصحيح عن أنس أنه قال «صليت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أوّل الفاتحة ولا فى آخرها » وحجة الشافعى من وجهين : أحدهما أنّ البسملة عنده آية من الفاتحة ، والأخرى ماورد فى الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا (الرابعة) كانوا يكتبون باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها فكتبوا بسم الله ، حتى نزلت أو ادعوا الرحمن فكتبوا بسم الله الرحمن ، حتى نزل إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبوها ، وحذفت الألف فى بسم الله لكثرة الاستعمال (الخامسة) الباء من بسم الله : متعلقة باسم محذوف عند البصريين والتقدير : ابتداء كائن بسم الله ؛ فموضعها رفع ، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره أبدأ أو أتلو فموضعها نصب وينبغى أن يقدّر متأخراً لوجهين : أحدهما : إفادة الحصر والاختصاص ، والأخرى : تقديم اسم الله اعتناء كما قدم فى بسم الله مجراها (السادسة) الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفه ، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهى العلامة ، ففاؤه محذوفة ، ودليل البصريين التصغير والتكبير ؛ لأنهما يردّان الكلمات إلى أصولها ، وقول الكوفيين أظهر فى المعنى ، لأنّ الاسم علامة على المسمى (السابعة) قولك الله اسم مرتجل جامد « والألف واللام فيه لازمة للتعريف ، وقيل إنه مشتق من التأله وهو التعبد ، وقيل من الولهان : وهى الحيرة لتحير العقول فى شأنه ، وقيل أصله إله من غير الف ولام ، ثم حذفت الهمزة من أوّله على غير قياس ، ثم أدخلت الألف واللام عليه ، وقيل أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه ، فاجتمع لامان ، فأدغمت إحداهما فى الأخرى ، وفخم للتعظيم ؛ إلا إذا كان قبله كسرة (الثامنة) الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهى صفة فعل وقيل إرادة الإحسان ، فهى صفة ذات (التاسعة) الرحمن الرحيم على ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الرحمن فى الدنيا والرحيم فى الآخرة ، وقيل الرحمن عام فى رحمة المؤمنين والكافرين لقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) فالرحمن أعم وأبلغ ، وقيل الرحمن . أبلغ لوقوعه بعده ، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى (العاشرة) إنما قدّم الرحمن لوجهين : اختصاصه بالله ، وجريانه مجرى الأسماء التى ليست بصفات . انتهى والله أعلم

قال الله تعالى : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة أمّ القرآن

وتسمى سورة الحمد لله ، وفاتحة الكتاب ، والواقية ، والشافية ، والسبع المثانى . وفيها عشرون فائدة ، سوى ماتقدّم فى اللغات من تفسير ألفاظها ، واختلف هل هى مكية أو مدنية ؟ ولا خلاف أنّ الفاتحة سبع آيات إلا أنّ الشافعى يعدّ البسملة آية منها ، والمالكى يسقطها ويعدّ أنعمت عليهم آية (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة فى الصلاة واجبة عند مالك والشافعى ، خلافا لأبى حنيفة وحجتهما قوله صلى الله عليه وآله وسلم للذى علمه الصلاة « اقرأ ماتيسر من القرآن » (الفائدة الثانية) اختلف هل أوّل الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد : أى قولوا الحمد لله ، أوهو ابتداء كلام الله ، ولا بدّ من إضمار القول فى «إياك نعبد» وما بعده (الفائدة الثالثة) الحمد أعم من الشكر ؛ لأنّ الشكر لايكون إلا جزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء كما أنّ الشكر قد يكون أعم من الحمد ، لأنّ الحمد باللسان ؛ والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أنّ قولك (الحمد لله) يقتضى الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والواحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معانى أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضى شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه فى الآخرة والأولى ، فيالها من كلمة جمعت ماتضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدّة عقول الخلائق ، ويكفيك أنّ الله جعلها أوّل كتابه وآخر دعوى أهل الجنة (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « التحدّث بالنعم شكر » والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من الله وحده ، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد ، واعلم أنّ النعم التى يجب الشكر عليها لاتحصى ، ولكنها تنحصر فى ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ونعم دينية : كالعلم ، والتقوى . ونعم أخروية : وهى جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل فى العمر القصير . والناس فى الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم ، والشكر على ثلاث درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم ، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم[1] : الفقراء إذا منعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا . ومن فضيلة

(١) كذا بالأصل ، ولعل هنا سقطا تقديره : « من أفضل الناس ؟ قال » فتدبر اه مصححه

الشكر أنه من صفات الحق ، ومن صفات الخلق فإنّ من أسماء الله : الشاكر ، والشكور ، وقد فسرتهما فى اللغة (الفائدة الخامسة) قولنا « الحمد لله رب العالمين » أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين : أحدهما ماخرّجه النسائى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة » والثانى : أنّ التوحيد الذى يقتضيه لا إله إلا الله حاصل فى قولك «رب العالمين» وزادت بقولك الحمد لله ، وفيه من المعانى ماقدمنا ، وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » فإنما ذلك للتوحيد الذى يقتضيه ، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين فى ذلك وزادت عليها ، وهذ المؤمن يقولها لطلب الثواب ، وأما لمن دخل فى الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله (الفائدة السادسة) الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم ، ومعانيه أربعة : الإله ، والسيد ، والمالك ، والمصلح . وكلها فى رب العالمين ، إلا أنّ الأرجح معنى الإله : لاختصاصه لله تعالى ، كما أنّ الأرجح فى العالمين ان يراد به كل موجود سوى الله تعالى ، فيعم جميع المخلوقات (الفائدة السابعة) ملك قراءة الجماعة بغير ألف من الملك ، وقرأ عاصم والكسائى بالألف والتقدير على هذا : مالك مجىء يوم الدين ، أو مالك الأمر يوم الدين ، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه . الأوّل : أنّ الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله ، وأما الملك فهو سيد الناس ، والثانى : قوله (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) والثالث : أنها لا تقتضى حذفا ، والأخرى تقتضيه ؛ لأنّ تقديرها مالك الأمر ، أو مالك مجىء يوم الدين ، والحذف على خلاف الأصل . وأمّا قراءة الجماعة فإضافه ملك إلى يوم الدين فهى على طريقة الاتساع ، وأجرى الظرف مجرى المفعول به ، والمعنى على الظرفية : أى الملك فى يوم الدين ، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين ، فيكون فيه حذف . وقد رويت القراءتان فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرئ ملك بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة (الفائدة الثامنة) الرحمن ، الرحيم ، مالك : صفات ، فإن قيل : كيف جرّ مالك ومالك صفة للمعرفة ، وإضافة اسم الفاعل غير محضة . فالجواب أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأما هذا فهو مستمر دائما فإضافته محضة (الفائدة التاسعة) هو يوم القيامة ويصلح هنا فى معانى الدين والحساب والجزاء والقهر ، ومنه إنا لمدينون (الفائدة العاشرة) إياك فى الموضعين مفعول بالفعل الذى بعده ، وإنما قدم ليفيد الحصر فإنّ تقديم المعمولات يقتضى الحصر ، فاقتضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لاشريك له ، واقتضى قوله « وإياك نستعين » اعترافا بالعجز والفقر وأنا لانستعين إلا بالله وحده (الفائدة الحادية عشرة) إياك نستعين : اى نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا ، وفى هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية ، وأنّ الحق بين ذلك (الفائدة الثانية عشرة) اهدنا : دعاء بالهدى . فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم ؟ فالجواب أنّ ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت ، أو الزيادة منه فإنّ الارتقاء فى المقامات لانهاية له (الفائدة الثالثة عشرة) قدم الحمد والثناء على الدعاء لأنّ تلك السنة فى الدعاء وشأن الطلب أن يأتى بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابة . وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأنّ رحمة الله سبقت غضبه ، وكذلك قدّم إياك نعبد على إياك نستعين لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى فى أوّل هذه السورة على طريق الغيبة ، ثم على الخطاب فى إياك نعبد وما بعده ، وذلك يسمى الالتفات ، وفيه إشارة إلى أنّ العبد إذا ذكر الله تقرّب منه

فصار من أهل الحضور فناداه (الفائدة الخامسة عشرة) الصراط فى اللغة الطريق المحسوس الذى يمشى ثم استعير للطريق الذى يكون الإنسان عليها من الخير والشر ، ومعنى المستقيم القويم الذى لا عوج فيه ، فالصراط المستقيم الإسلام ، وقيل القرآن ، والمعنيان متقاربان ، لأنّ القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاى ، وقد قيل إنه قرئ بزاى خالصة ، والأصل فيه السين ، وإنما أبدلوا منها صاداً لموافقة الطاء فى الاستعلاء والإطباق ، وأما الزاى فلموافقة الطاء فى الجهر (الفائدة السادسة عشرة) الذين أنعمت عليهم: قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون ، وقيل الصحابة ، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، والأوّل أرجح لعمومه ، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل ، ويبعد النعت لأنّ إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله ، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب : كقوله : وإذا مرضت فهو يشفين ، وعليهم أوّل فى موضع نصب ، والثانى فى موضع رفع (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود ، والضالين : النصارى ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذلك عام فى كل مغضوب عليه ، وكل ضال ، والأول أرجح لأربعة أوجه : روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وجلالة قائله ، وذكر ولا فى قوله ولا الضالين دليل على تغاير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود فى مواضع من القرآن : كقوله فباؤا بغضب ، والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة فى عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقول الله فيه «قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل» (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معانى القرآن العظيم كله فكأنها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدّمة الأولى تعلم ذلك فى الألوهية حاصلا فى قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة : فى قوله مالك يوم الدين ، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التى تقتضيها الأوامر والنواهى : فى قوله إياك نعبد ، والشريعة كلها فى قوله : الصراط المستقيم ، والأنبياء وغيرهم فى قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار فى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

﴿خاتمة﴾ أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذى فيها ، وقولك آمين اسم فعل معناه اللهم استجب ، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها أولا يجوز تشديد الميم ، وليؤمن فى الصلاة . المأموم والفذ والإمام إذا أسرّ ، واختلفوا إذا جهر

سـورة البقرة

مدنية إلا آية ٢٨١ فنزلت بمنى فى حجة الوداع

وآياتها مائتان وست وثمانون وهى أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ ٱللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

سـورة البقرة

(الٓمٓ) اختلف فيه وفى سائر حروف الهجاء فى أوائل حروف السور ، وهى : المصٓ ، والرٓ ، والمرٓ ، وكهيعص ، وطه ، وطسم ، وطس ، ويسٓ ، وصٓ ، وقٓ ، وحمٓ ، وحمٓ عسقٓ ، ون . فقال قوم لا تفسر لأنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله ، قال أبو بكر الصديق : لله فى كل كتاب سرّ ، وسرّه فى القرآن فواتح السور ، وقال قوم تفسر ، ثم اختلفوا فيها ، فقيل هى أسماء السور ، وقيل أسماء الله ، وقيل : أشياء أقسم الله بها ، وقيل هى حروف مقطعة من كلمات : فالألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك فى سائرها ، وورد فى الحديث أن بنى إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أبجد على السنين التى تبقى هذه الأمة ، وسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك فلم ينكره ، وقد جمع أبو القاسم السهيلى عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة ، وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف فى معناها فيتصور أن تكون فى موضع رفع أو نصب أو خفض . فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر ، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر ، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك : الله لأفعلن (ذلك الكتاب) هو هنا القرآن ، وقيل التوراة والإنجيل ، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذى يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» يعنى القرآن باتفاق ، وخبر ذلك : لاريب فيه ، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه (لاريب فيه) أى لاشك أنه من عند الله فى نفس الأمر فى اعتقاد أهل الحق ، ولم يعتبر أهل الباطل ، وخبر لاريب : فيه ، فيوقف عليه ، وقيل خبرها محذوف فيوقف على «لاريب» والأول أرجح لتعينه فى قوله «لاريب» فى مواضع أخر ، فإن قيل : فهلا قدم قوله فيه على الريب كقوله «لافيها غول» ؟ فالجواب : أنه إنما قصد نفى الريب عنه . ولو قدم فيه : لكان إشارة إلى أن ثمّ كتاب آخر فيه ريب ، كما أن «لافيها غول» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم الخبر (هدى) هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ، ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله «هدى للناس» وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه ، عند ما يقف على لاريب ، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة (للمتقين) مفتعلين من التقوى ، وقد تقدّم معناه فى الكتاب ، فنتكلم عن التقوى فى ثلاثة فصول

الأول : فى فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهى خمس عشرة : الهدى كقوله «هدى للمتقين» والنصرة ، لقوله «إنّ الله مع الذين اتقوا» والولاية لقوله «الله ولىّ المتقين» والمحبة لقوله «إنّ الله يحب المتقين» والمغفرة لقوله «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله «ومن يتق الله

وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

يجعل له مخرجا الآية » وتيسير الأمور لقوله « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » وتقبل الأعمال لقوله « إنما يتقبل الله من المتقين » والفلاح لقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » والبشرى لقوله « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ودخول الجنة لقوله « إنّ للمتقين عند ربهم جنات النعيم » والنجاة من النار لقوله « ثم ننجى الذين اتقوا »

الفصل الثانى : البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الأخروى ، وخوف الدنيوى ، ورجاء الثواب الدنيوى ، ورجاء الثواب الأخروى ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وتعظيم جلال الله ، وهو مقام الهيبة ، وصدق المحبة لقول القائل : —

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ولله درّ القائل : —

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظمإ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث : درجات التقوى خمس : أن يتقى العبد الكفر ، وذلك مقام الإسلام ، وأن يتقى المعاصى والحرمات وهو مقام التوبة ، وأن يتقى الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتقى المباحات وهو مقام الزهد ، وأن يتقى حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة (الذين يؤمنون بالغيب) فيه قولان يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل ، وإما تخفيفا فى فعيل : كميت ، والآخر يؤمنون فى حال غيبهم أى باطنا وظاهرا ، وبالغيب على القول الأوّل : يتعلق يؤمنون وعلى الثانى فى موضع الحال ، ويجوز فى الذين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أو رفعا على أنه خبر مبتدإ (ويقيمون الصلاة) إقامتها : علمها من قولك : قامت السوق ، وشبه ذلك والكمال المحافظة عليها فى أوقاتها بالإخلاص لله فى فعلها ، وتوفية شروطها ، وأركانها ، وفضائلها ، وسننها ، وحضور القلب الخشوع فيها ، وملازمة الجماعة فى الفرائض والإكثار من النوافل (ومما رزقناهم ينفقون) فيه ثلاثة أقوال : الزكاة لاقترانها مع الصلاة ، والثانى أنه التطوّع ، والثالث العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لا دليل على التخصيص ، (والذين يؤمنون) هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد (بما أنزل إليك) القرآن (وما أنزل من قبلك) التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل (إنّ الذين كفروا) فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبى جهل ، فإن كان الذين للجنس : فلفظها عام يراد به الخصوص ، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد اختلف فيهم ؛ فقيل المراد من قتل ببدر من كفار قريش ، وقيل المراد حيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۞

اليهوديان (سواء) خبر إن و(أنذرتهم) فاعل به لأنه فى تقدير المصدر ، وسواء مبتدأ ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن ، و(لا يؤمنون) على هذه الوجوه : استئنافا للبيان ، أو للتأكيد ، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضا ، ولا يؤمنون الخبر ، والهمزة فى ءأنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام (ختم) الآية تعليل لعدم إيمانهم ، وهو عبارة عن إضلالهم ، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه ، والأول أبرع ، و(على سمعهم) معطوف على قلوبهم ، فيوقف عليه ، وقيل الوقف على قلوبهم ، والسمع راجع إلى مابعده ، والأول أرجح لقوله «وختم على سمعه وقلبه» (غشاوة) مجاز باتفاق ، وفيه دليل على وقوع المجاز فى القرآن خلافا لمن منعه ، ووحد السمع لأنه مصدر فى الأصل ، والمصادر لاتجمع (ومن الناس) أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا (من يقول) إن كان اللام فى الناس للجنس فمن موصوفة وإن جعلتها للعهد فمن موصولة وأفرد الضمير فى يقول رعيا للفظ ومن (وما هم بمؤمنين) هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبدالله بن أبىّ ابن سلول يظهرون الاسلام ويسرون الكفر ، ويسمى الآن من كذلك : زنديقا ، وهم فى الآخرة مخلدون فى النار ، وأما فى الدنيا إن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين فى دمائهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان ، فمذهب مالك : القتل ، دون الاستتابة ، ومذهب الشافعى الاستتابة وترك القتل ، فإن قيل : كيف جاء قولهم «آمنا» جملة فعلية «وما هم بمؤمنين» جملة إسمية فهلا طابقتها ؟ فالجواب : أن قولهم «وما هم بمؤمنين» أبلغ وآكد فى نفى الإيمان عنهم من لو قال ما آمنوا ، فإن قيل : لم جاء قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين مطلقا ؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين : التقييد ؛ فتركه لدلالة الأول عليه ، والاطلاق ، وهو أعم فى سلبهم من الايمان (يخادعون) أى يفعلون فعل المخادع ، ويرومون الخدع بإظهار خلاف مايسرون ، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أظهر (ومايخادعون إلا أنفسهم) أى وبال فعلهم راجع عليهم ، وقرئ وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ فى المعنى ، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع ، وخدع إذا تم له (وما يشعرون) حذف معموله أى لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم (فى قلوبهم مرض) يحتمل أن يكون حقيقة ، وهو الألم الذى يجدونه من الخوف وغيره ، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد (فزادهم) يحتمل الدعاء والخبر (يكذبون) بالتشديد أى يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بالتخفيف أى يكذبون فى قولهم آمنا (لا تفسدوا) أى بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك (إنما نحن مصلحون) يحتمل أن يكون جحود الكفر لقولهم آمنا ، أو اعتقاد أمنهم على إصلاح

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۞ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۞ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ

(كما آمن الناس) أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل ومايحتمل أن تكون كافة كما هي وربما أن تكون مصدرية (أنؤمن) إنكار منهم وتقبيح (هم السفهاء) رد عليهم وإناطة السفه بهم ، وكذلك هم المفسدون ، وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم ، وأكده بإن وبألا التى تقتضى الاستئناف وتنبيه المخاطب (قالوا آمنا) كذبوا خوفا من المؤمنين (خلوا إلى شياطينهم) هم رؤساء الكفر ، وقيل شياطين الجن ، وهو بعيد وتعدى خلا بإلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا ، وقيل إلى بمعنى مع ، أو بمعنى الباء وجه قولهم (إنا معكم إنما نحن مستهزؤن) بجملة إسمية مبالغة وتأكيد بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم (الله يستهزئ بهم) فيه ثلاثة أقوال : تسمية للعقوبة باسم الذنب : كقوله «ومكروا ومكر الله» وقيل يملى لهم بدليل قوله «ويمدهم» وقيل يفعل بهم فى الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ بهم كما جاء فى سورة الحديد «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الآية» (ويمدهم) يزيدهم ، وقيل يملى لهم ، وقد ذكروا يعمهون (اشتروا الضلالة) عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم فى الضلالة فهو مجاز بديع (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز ، لما ذكر الشر ذكر مايتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر (وما كانوا مهتدين) فى هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشرى نفى الربح فى قوله : فما ربحت ، ونفى سلامة رأس المال فى قوله : وما كانوا مهتدين (مثلهم كمثل) إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة (استوقد) أى أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل فى استفعل (فلما أضاءت) إن تعدى فما حوله مفعول به ، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية (ذهب الله بنورهم) أى أذهبه ، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار وذهب الله بنورهم : جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين ، فعلى هذا يكون «الذى» على بابه من الإفراد ، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذى : واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة ، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة ، فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التى أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : أن منفعتهم فى الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور ، وعذابهم فى الآخرة شبيه بالظلمة بعده ، والثانى : أن استخفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا» فإن قيل : لم قال «ذهب الله بنورهم» ولم يقل : أذهب الله نورهم ، مشاكلة لقوله «فلما أضاءت» فالجواب : أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير (صم

وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ

بكم عمى) يحتمل أن يراد به المنافقون ، والمستوقد المشبه بهم ، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم ، وليس المراد فقد الحواس (فهم لا يرجعون) إن أريد به المنافقون : فمعناه لا يرجعون إلى الهدى ، وإن أريد به أصحاب النار : فمعناه أنهم متحيرون فى الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق (أو كصيب) عطف على الذى استوقد ، والتقدير : أو كصاحب صيب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين ، والصيب : المطر ، وأصله صيوب ، ووزنه فعيل ، وهو مشتق من قولك صاب يصوب ، وفى قوله (من السماء) إشارة إلى قوته وشدة انصبابه ، قال ابن مسعود : إن رجلين من المنافقين هرباً إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك ، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثلا للمنافقين ، وقيل المعنى تشبيه المنافقين فى حيرتهم فى الدين وفى خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق ، فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه ، وهذا التشبيه على الجملة ، وقيل : إن التشبيه على التفصيل ، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة ، فإن قيل : لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات ؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما لأنهما فى الأصل مصدران (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصواعق قال ابن مسعود : كانوا يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو على هذا حقيقة فى المنافقين ، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهى التى تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار والموت أيضاً حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم فى خوفهم بمن جعل أصابعه فى آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد ، فإن قيل : لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هى التى تجعل فى الآذان ؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذى يجعل فى الآذان السبابة خاصة (والله محيط بالكافرين) أى لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم (يخطف أبصارهم) إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين : فهو بين فى المعنى ، وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين : أحدهما : تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضىء البرق ، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم ، والآخر : يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم ، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان (وإذا أظلم عليهم قاموا) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان : ثبتوا على كفرهم ، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم فى الدنيا قالوا

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا

هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابتهم شدّة أومصيبة عابوا الدين وسخطوا : فهذا مثل الظلمة ، فان قيل : لم قال مع الإضاءة كلما ، ومع الظلام إذا ؟ فالجواب أنهم لما كانوا حراصاً على المشى ذكر معه كلما ، لأنها تقتضى التكرار والكثرة (ولو شاء الله) الآية : إن رجع إلى أصحاب المطر : فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعدية كما هى فى قوله تعالى : ذهب الله بنورهم » (يأيها الناس) الآية لما قدم اختلاف الناس فى الدين وذكر ثلاث طوائف : المؤمنين ، والكافرين والمنافقين : أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى جميع الناس (اعبدوا ربكم) يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته ، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا ، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا ، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا (لعلكم) يتعلق بخلقكم : أى خلقكم لتتقوه كقوله « وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون » أو بفعل مقدّر من معنى الكلام أى دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون ، وهذا أحسن . وقيل يتعلق بقوله « اعبدوا » وهذا ضعيف ، وإن كانت لعل للترجى فتأويله أنه فى حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب ، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال ، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى ، فإذا قالها الله : فمعناها أطباع العباد ، وهكذا القول فيها حيث ماوردت فى كلام الله تعالي (الأرض فراشا) تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز وكذلك السماء بناء (من الثمرات) من للتبعيض أولبيان الجنس ، لأنّ الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء فى به سببية ، أو كقولك كتبت بالقلم لأنّ الماء سبب فى خروج الثمرات بقدرة الله تعالى (فلا تجعلوا) لا ناهية أو نافية ، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء فى جواب اعبدوا ، والأول أظهر (أندادا) يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جلّ وعلا (وأنتم تعلمون) حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أى وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين ، وفى ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق ، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ، ويحتمل أن يتعلق بقوله « اعبدوا » والأول أظهر

(فوائد ثلاث) الأولى : هذه الآية ضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين « أحدهما » إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والسموات « والآخر » ملاطفة جميلة بذكر ماالله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أوّلا ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأنّ الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ماأنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ، لأنّ المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : جعل لكم . ورزقا لكم : يدلك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم فى ملاطفة وخطاب بديع .

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ماعبد من دونه لقوله فى آخرها : فلا تجعلوا لله أندادا ، وذلك هو الذى يترجم عنه بقولنا : لا إله إلا الله ، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دين الإسلام الذى قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله تكون فى القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار فى الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور : وهى : أنّ الله موجود ، لأنّ الصنعة دليل على الصانع لامحالة ، وأنه واحد لاشريك له ، لأنه لاخالق إلا هو «أفمن يخلق كمن لايخلق» وأنه حىّ قدير عالم مريد ، لأنّ هذه الصفات الأربع من شروط الصانع ، إذ لاتصدر صنعة عمن عدم صفة منها ، وأنه قديم لأنه صانع للمحدثات ، فيستحيل أن يكون مثلها فى الحدوث ، وأنه باق ، لأنّ ماثبت قدمه استحال عدمه ، وأنه حكيم ، لأنّ آثار حكمته ظاهرة فى إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت ، وأنه رحيم ، لأن فى كل ماخلق منافع لبنى آدم سخر لهم مافى السموات ومافى الأرض وأكثر مايأتى ذكر المخلوقات فى القرآن فى معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته ، فإن قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم ، مع أنه أمر الجميع بالتقوى ؟ فالجواب : أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ ، والمراد الجميع ، فإن قيل : هلا قال لعلكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا ؟ فالجواب أنّ التقوى غاية العبادة وكمالها فكان قوله لعلكم تتقون أبلغ وأوقع فى النفوس (وإن كنتم فى ريب) الآية إثبات لنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدليل على أنّ القرآن جاء به من عند الله فلما قدّم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوّة ، فإن قيل : كيف قال إن كنتم فى ريب ، ومعلوم أنهم كانوا فى ريب وفى تكذيب ؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أنّ الريب بعيد عند العقلاء فى مثل هذا الأمر الساطع البرهان ، فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال فى الأمر الواقع ليعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى « لاريب فيه » (على عبدنا) هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم . والعبودية على وجهين : عامة ، وهى التى بمعنى الملك ، وخاصة وهى التى يراد بها التشريف والتخصيص ، وهى من أوصاف أشراف العباد ولله در القائل : —

لاتدعنى إلا بياعبدها ۝ فإنه أشرف أسمائى

(فأتوا بسورة) أمر يراد به التعجيز (من مثله) الضمير عائد على ماأنزلنا وهو القرآن ، ومن لبيان الجنس ، وقيل يعود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن على هذا : لابتداء الغاية من بشر مثله ، والأول أرجح لتعيينه فى يونس وهود ، وبمعنى مثله فى فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة (شهداءكم) آلهتكم أوأعوانكم أومن يشهد لكم (من دون الله) أى غير الله ، وقيل هو من الدين الحقير فهو مقلوب اللفظ (ولن تفعلوا) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة ، وهو إخبار ظهير مصداقه فى الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن مع فصاحة العرب فى زمان نزوله وتصرفهم فى الكلام وحرصهم على التكذيب ، وفى الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف فى عجز الخلق عنه على قولين : أحدهما أنه ليس فى قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح ، والثانى أنه كان فى قدرتهم وصرفوا عنه ، والإعجاز حاصل على الوجهين

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۞ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا

وقد بينا سائر وجوه إعجازه فى المقدمة (فاتقوا النار) أى فآمنوا لتنجوا من النار ، وعبر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ فى التفخيم والتهويل والتخويف (وقودها) حطبها (الحجارة) قال ابن مسعود : هى حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها ، وقيل الحجارة المعبودة ، وقيل الحجارة على الإطلاق (أعدت) دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافا لمن قال إنها تخلق يوم القيامة ، وكذلك الجنة) (وبشر) يحتمل أن تكون خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشرى هذا لأنه أفخم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل ، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة (تجرى من تحتها الأنهار) أى تحت أشجارها وتحت مبانيها ، وهى أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع ، وروى أن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود (منها من ثمرة رزقا) من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس (من قبل) أى فى الدنيا بدليل قولهم «إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين» فى الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها فى المطعم والمنظر (وأتوا به متشابها) أى يشبه ثمر الدنيا فى جنسه ، وقيل يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى المطعم ، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذى يدل عليه المعنى (مطهرة) من الحيض وأقذار النساء وسائر الأقذار التى تختص بالنساء كالبول وغيره ، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق (لا يستحيى) تأول قوم : أن معناه لا يترك لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع فى أمر ، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب ، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله حيى كريم يستحى من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً » (أن يضرب) سبب الآية أنه لما ذكر فى القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك ، وقيل المثلين المتقدمين فى المنافقين تكلموا فى ذلك فنزلت الآية ردا عليهم (مثلا مابعوضة) إعراب بعوضة مفعول بيضرب ، ومثلا حال ، أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان ، أو هما مفعولان بيضرب لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين ، وما صفة للنكرة أو زائدة (فما فوقها) فى الكبر ، وقيل فى الصغر ، والأول أصح (فيعلمون أنه الحق) لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ماشاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة : وضرب أمثال ، وبيان للناس ، ولأن الصادق جاءبها من عندالله (ماذا أرادالله) لفظه الاستفهام ، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب ، وفى إعراب ماذا وجهان : أن تكون مامبتدأ وذا خبره وهى موصولة ، وأن تكون كلمة مركبة فى موضع نصب على المفعول بأراد ، ومثلا منصوب على الحال أو التمييز (يضل به) من كلام الله جوابا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا ، وهو أيضا تفسير لما أراد

يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

الله بضرب المثل من الهدى والضلال (عهد الله) مطلق فى العهود وكذلك مابعده من القطع والفساد ، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذى أخذ الله عليهم فى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشار بقطع ماأمر الله به أن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التى بينهم وبين المؤمنين ، ويشار بالفساد فى الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدّم فى وصفهم (ميثاقه) الضمير للعهد أولله تعالي (كيف تكفرون) موضعها الاستفهام ، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ (وكنتم أمواتا) أى معدومين أى فى أصلاب الآباء أو نطفا فى الأرحام (فأحياكم) أى أخرجكم إلى الدنيا (ثم يميتكم) الموت المعروف (ثم يحييكم) بالبعث (ثم إليه ترجعون) للجزاء ، وقيل الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد ، وقيل فى الحياة الثانية إنهافى القبور ، والراجح القول الأول لتعيينة فى قوله «وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم»

(فوائد ثلاثة) الأولى : هذه الآية فى معرض الردّ على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم ، فإن قيل إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به ، فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له ؟ فالجواب أنهم ألزموا من ثبوت ماا عترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث ، لأن القدرة صالحة لذلك كله . الثانية : قوله «وكنتم أمواتا فى موضع الحال ، فإن قيل : كيف جاز ترك قد وهى لازمة مع الفعل الماضى إذا كان فى موضع الحال فالجواب أنه قد جاء بعد الماضى مستقبل والمراد بمجموع الكلام كأنه يقول وحالهم هذه فلذلك لم تلزم قد . الثالثة : عطف فأحياكم بالفاء لأنّ الحياة أثر العدم ولا تراخى بينهما . وعطف ثم يميتكم وثم يحييكم بثم للتراخى الذى بينهما (خلق لكم مافى الأرض) دليل على إباحة الانتفاع بما فى الأرض (ثم استوى) أى قصد لها والسماء هنا جنس ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة (فسواهنّ) أى أتقن خلقهن : كقوله : فسوّاك فعدلك ، وقيل جعلهنّ سواء (فائدة) هذه الآية تقتضى أنه خلق السماء بعد الأرض ، وقوله : والأرض بعد ذلك دحاها » ظاهره خلاف ذلك ، والجواب من وجهين : أحدهما أنّ الأرض خلقت قبل السماء ، ودحيت بعد ذلك فلا تعارض ، والآخر تكرن ثم لترتيب الأخبار (الملائكة) جمع ملك واختلف فى وزنه فقيل فعل فالميم أصلية ، ووزن ملائكة على هذا مفاعلة وقيل هى من الألوكة وهى الرسالة فوزنه مفعل ووزنه مألك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ، ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعيد (خليفة) هو آدم عليه السلام ؛ لأنّ الله استخلفه فى الأرض ، وقيل ذريته لأنّ بعضهم يخلف بعضا ، والأول أرجح ، ولو أراد الثانى لقال خلفاء (أتجعل فيها) الآية : سؤال محض لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض ؛ لأنّ الملائكة منزهون عنه وإنما علموا أنّ بنى آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك ، وقيل

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ عَنْهَا

كان فى الأرض جنّ فأفسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم . فقاس الملائكة بنى آدم عليهم (ونحن نسبح) اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار (بحمدك) أى حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين بحمدك ، فهو فى موضع الحال (ونقدس لك) يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا ، وأن يكون المفعول محذوفا أى نقدسك على معنى ننزهك أو نعظمك ، وتكون اللام فى لك للتعليل أى لأجلك ، أو يكون التقدير نقدس أنفسنا أى نطهرها لك (مالا تعلمون) أى ما يكون فى بنى آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة (الأسماء كلها) أى أسماء بنى آدم وأسماء أجناس الأشياء لتشمية القمر والشجر وغير ذلك (ثم عرضهم) أى عرض المسميات ، وبين أشخاص بنى آدم وأجناس الأشياء (أنبئونى) أمر على وجه التعجيز (إن كنتم صادقين) أى فى قولكم إن الخليفة يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين فى جواب السؤال والمعرفة بالأسماء (لا علم لنا) اعتراف (أنبئهم بأسمائهم) أى أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء (اسجدوا لآدم) السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله ، وآدم كالقبلة (فسجدوا) روى أنّ من أوّل من سجد إسرافيل ، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ (إلا إبليس) استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا ، ومنقطع عند من قال كان من الجن (استكبر) لقوله أنا خير منه (وكان من الكافرين) قيل كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له فى أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية (وزوجك) هى حواء خلقها الله من ضلع آدم ، ويقال زوجة ، وزوج هنا أفصح (الجنة) هى جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة ، خلافا لمن قال هى غيرها (لا تقربا) النهى عن القرب يقتضى النهى عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سدّا للذريعة فهذا أصل فى سدّ الذرائع (الشجرة) قيل هى شجرة العنب ، وقيل شجرة التين ، وقيل الحنطة ، وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم (فتكونا) عطف على تقربا ، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى (فأزلهما) متعد من أزل القدم ، وأزالهما بالألف من الزوال (عنها) الضمير عائد على الجنة ، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا ﴿فائدة﴾ اختلفوا فى أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى «فنسى ولم نجد له عزما» وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها ، وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر وقيل أكل عمدا وهى معصية صغرى ، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر ، وقيل تأوّل آدم أن النهى

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞ فَتَلَقَّىٰ
آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن
تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ۞ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞

كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها ، وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظنّ أنه لا يحلف أحد كذبا (اهبطوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو (مستقر) موضع استقرار وهو فى مدة الحياة ، وقيل فى بطن الأرض بعد الموت (ومتاع) مايتمتع به (إلى حين) إلى الموت (فتلقى) أى أخذ وقيل على قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ، فتلقى على هذا من اللقاء (كلمات) هى قوله : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، بدليل ورودها فى الأعراف ، وقيل غير ذلك (اهبطوا) كرر ليناط به مابعده ، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء ، والآخر من الجنة ، وأن يكون هذا الثانى لذرية آدم لقوله (فإما يأتينكم) إن شرطية وما زائدة للتأكيد ، والهدى هنا : يراد به كتاب الله ورسالته (فمن تبع) شرط ، وهو جواب الشرط الأول ، وقيل فلا خوف جواب الشرطين (يا بنى إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم : دعا بنى إسرائيل خصوصا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء ، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم ، وتارة بالتخويف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التى عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهى : وإذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحر ، وبعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، وعفونا عنكم ، وتاب عليكم ، ويغفر لكم خطاياكم ، وآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ، وانفجرت منه اثنتى عشرة عيناً . وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم سمعنا وعصينا ، واتخذتم العجل ، وقالوا أرنا الله جهرة ، وبدل الذين ظلموا ولن نصبر على طعام واحد ، ويحرفونه ، وتوليتم من بعد ذلك ، وقست قلوبكم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق . وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، ويعطوا الجزية ، واقتلوا أنفسكم ، وكونوا قردة ، وأنزلنا عليهم رجزاً من السماء ، وأخذتكم الصاعقة ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر ، وهى : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به ، ويحرّفون الكلم ويقولون هذا من عند الله ، وتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم للسحر ، وقولهم نحن أبناء الله ، وقولهم يد الله مغلولة (نعمتى) اسم جنس فهى مفردة بمعنى الجمع ، ومعناه عام فى جميع النعم التى على بنى إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصهم به كالمن والسلوى ، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة ، واللفظ يعم النعم جميعاً (بعهدى) مطلق فى كل ما أخذ عليهم من العهود وقيل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوىّ لأنه مقصود الكلام (بعهدكم) دخول الجنة

وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞

(وإياى) مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير ، وليفيد الحصر يفسره فارهبون ، ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون ؛ لأنه قد أخذ معموله ، وكذلك إياى فاتقون (بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) أى مصدقا للتوراة ، وتصديق القرآن للتوراة وغيرها ، وتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان : أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم فى الإخبار به ، والآخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب ، فهو مصدق لهم أى شاهد بصدقهم ، والثالث أنه وافقهم فيما فى كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم فى الإيمان بذلك (ولا تكونوا أول كافر به) الضمير عائد على القرآن وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به ، ولا يقتضى إباحة الكفر فى ثانى حال ؛ لأن هذا مفهوم معطل ؛ بل يقتضى الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره ، ولما يعرفون من علامته ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا : الاشتراء هنا استعارة فى الاستبدال : كقوله : اشتروا الضلالة بالهدى ، والآيات هنا هى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والثمن القليل ما ينتفعون به فى الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك ، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن (الحق بالباطل) الحق هنا يراد به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والباطل الكفر به ، وقيل الحق التوراة ، والباطل مازادوا فيها (وتكتموا) معطوف على النهى ، أو منصوب بإضمار أن فى جواب النهى ، والواو بمعنى الجمع ، والأول أرجح ، لأن العطف يقتضى النهى عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ، فإنه إنما يقتضى النهى عن الجمع بين الشيئين لا النهى عن كل واحد على انفراده (وأنتم تعلمون) أى تعلمون أنه حق (الصلاة وآتوا الزكاة) يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضى الأمر بالدخول فى الإسلام (واركعوا) خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لأن صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التى فيها الركوع ، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد (مع الراكعين) مع المسلمين فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دينهم ، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة (أتأمرون) تقريع وتوبيخ لليهود (بالبر) عام فى أنواعه ؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له ، وقيل كان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتبعونه ، وقال ابن عباس : بل كانوا يأمرون باتباع التوراة ، ويخالفون فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (تنسون) أى تتركون ، وهذا تقريع (تتلون الكتاب) حجة عليهم (أفلا تعقلون) توبيخ (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۞ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۞ وَإِذۡ فَرَقۡنَا

ركعتين وقرأ الآية ، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة ، وقيل الصبر هنا الصوم ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (وإنها) الضمير عائد على العبادة التى تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة (لكبيرة) أى شاقة صعبة (يظنون) هنا يتيقنون (على العالمين) أى أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه مّا هو كثرة الأنبياء وغير ذلك (لاتجزى) لا تغنى وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف ، والجملة فى موضع الصفة ، وحذف الضمير أى فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ليس نفى الشفاعة مطلقا فإنّ مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالي « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » ولقوله «مامن شفيع إلا من بعد إذنه » ولقوله « ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له » وانظر ماورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن فى الشفاعة فيقال له : اشفع تشفع . فكل ماورد فى القرآن من نفى الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأنّ المطلق يحمل على المقيد ، فليس فى هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفى الشفاعة (عدل) هنا فدية (ولاهم ينصرون) جمع لأنّ النفس المذكورة يراد بها نفوس (وإذ نجيناكم) تقديره اذكروا إذ نجيناكم أى نجينا آباءكم ، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم لأنهم ذرّيتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم ، فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء ، ومن ذكر مساويهم لأنّ ذرّيتهم راضون بها (من آل فرعون) المراد من فرعون وآله ، وحذف لدلالة المعنى ، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصة ، ويقال إنّ اسمه الوليد بن مصعب ، وهو من ذرّية عمليق ، ويقال فرعون لكل من ولى مصر ، وأصل آل : أهل ، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف (فائدة) كل ماذكره فى هذه الصور من الأخبار معجزات للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم (يسومونكم سوء العذاب) أى يلزمونهم به ، وهو استعارة من السوم فى البيع وفسر سوء العذاب بقوله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولذلك لم يعطفه هنا ، وأما حيث عطفه فى سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك ، وعطف لاختلاف اللفظة ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل (١) وقيل إنّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل فى ذرّيته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك ، وروى أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهنّ ، وقيل بل وكل على ذلك القوابل ، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضدّ الموت (فرقنا بكم البحر) فصلناه وجعلناه فرقا اثنى عشر طريقا على عدد

---

(١) كذا بالأصل ولعل هنا سقطة وهى : « أنه رأى فى منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل » — كما فى تفسير الخطيب اه مصححه

بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ
مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ
فَاقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ
لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞
وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة ، والبحر المذكور هنا : هو بحر القلزم (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) هى شهر ذى القعدة وعشر ذى الحجة وإنما خص الليالى بالذكر لأنّ العام بها والأيام تابعة لها ، والمراد أربعين ليلة بأيامها (اتخذتم العجل) اتخذتموه إلهاً ، فحذف لدلالة المعنى (من بعده) أى بعد غيبته فى الطور (الكتاب) هنا التوراة (والفرقان) أى المفرق بين الحق والباطل ، وهو صفة للتوراة ، عطف عليها لاختلاف اللفظ ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر ، وقيل آتينا موسى التوراة وآتينا محمداً الفرقان ، وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه (فاقتلوا أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا كقوله « سلموا على أنفسكم » وروى أنّ من لم يعبد العجل قتل من عده وروى أنّ الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعون ألفا فعفى الله عنهم وإنما خص هنا اسم البلد لأنّ فيه توبيخا للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذى براكم ، ومعنى البارى : الخالق (فتاب عليكم) قبله محذوف لدلالة الكلام عليه ، وهو نحوى الخطاب أى ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم (لن نؤمن لك) تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد (جهرة) عيانا (الصاعقة) الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم ، وجراءتهم على الله ، (وظللنا) أى جعلنا الغمام فوقهم كالظله يقيهم حرّ الشمس ، وكان ذلك فى التيه ، وكذا أنزل عليه فيه المنّ والسلوى تقدّم فى اللغات (كلوا) معمول لقول محذوف (هذه القرية) بيت المقدس ، وقيل أريحاء ، وقيل قريب من بيت المقدس (فكلوا) جاء هنا بالفاء التى للترتيب ، لأن الأكل بعد الدخول ، وجاء فى الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا ، لأنّ الدخول لا يتأتى معه السجود ، وقيل متواضعين (حطة) تقدّم فى اللغات (وسنزيد) أى نزيدهم أجرا إلى المغفرة (فبدل) روى أنه قالوا : حنطة ، وروى : حبة فى شعرة (الذين ظلموا) يعنى المذكورين ، وضع الظاهر موضع

فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا
وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم
مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞

المضمر لقصد ذمهم بالظلم ، وكرره زيادة فى تقبيح أمرهم (رجزا) روى أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا (استسقى) طلب السقيا لما عطشوا فى التيه (الحجر) كان مربعا ذراعا فى ذراع : تفجر من كل جهة ثلاث عيون ، وروى أنّ آدم كان أهبطه من الجنة . وقيل هو جنس غير معين ، وذلك أبلغ فى الإعجاز (فانفجرت) قبله محذوف تقديره : فضربه فانفجرت (مشربهم) أى موضع شربهم وكانوا اثنى عشر سبطا لكل سبط عين (كلوا) أى من المنّ والسلوى ، واشربوا من الماء المذكور (فومها) هى الثوم ، وقيل الحنطة (أدنى) من الدنىء الحقير وقيل أصله أدون ، ثم قلب بتاخير عينه وتقديم لامه (مصر) قيل البلد المعروف وصرف لسكون وسطه ، وقيل هو غير معين فهو نكرة لما روى أنهم نزلوا بالشام . والأول أرجح لقوله تعالى «وأورثناها بنى إسرائيل» يعنى مصر (ضربت) أى قضى عليهم بها ، والزموها وجعله الزمخشرى استعارة من ضرب القبة لأنها تعلو الإنسان وتحيط به (المسكنة) الفاقة ، وقيل الجزية (ذلك بأنهم) الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب ، والباء للتعليل (بآيات الله) الآيات المتلوات أوالعلامات (بغير الحق) معلوم أنه لايقتل نبى إلا بغير حق ، وذلك أفصح (فائدة) قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد ، لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس ، وقال فى الموضع الآخر من آل عمران «بغير حق» بالتنكير لاستغراق النفى ، لأن تلك نزلت فى المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك بما عصوا) يحتمل أن يكون تأكيدا للأول ، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر ، والباء للتعليل . أى اجترؤا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا فى العصيان والعدوان (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية : قال ابن عباس نسختها «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره ، فيكون فى حق المؤمنين الثبات إلى الموت ، وفى حق غيرهم الدخول فى الإسلام ، فلانسخ ، وقيل إنها فيمن كان قبل بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلانسخ (من آمن) مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أومن آمن بدل ، (فلهم أجرهم) خبر إن (ورفعنا فوقكم الطور) لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوه فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم (بقوة) جد فى العلم بالتوراة أوالعمل بها (اعتدوا منكم فى السبت) اصطادوا

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا
مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ
فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۞ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ
ٱلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا
كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ

فيه الحوت وكان محرما عليهم (كونوا قردة) عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أو خبر ثان، ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب (فجعلناها) الضمير للفعلة وهى المسخ (نكالا) أى عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل عبرة لمن تقدم ومن تأخر (أن تذبحوا بقرة) قصتها أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا (أتتخذنا هزوا) جفاء وقلة أدب، وتكذيب (فارض) مسنة (بكر) صغيرة (عوان) متوسطة (بين ذلك) أى بين ماذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين (صفراء) من الصفرة المفروقة، وقيل سوداء وهو بعيد والظاهر صفراء كلها وقيل القرن والظلف فقط، وهو بعيد (فاقع) شديد الصفرة (تسر الناظرين) لحسن لونها، وقيل لسمنها ومنظرها كله (لاذلول) غير مذللة للعمل (تثير الأرض) أى تحرثها وهو داخل تحت النفى على الأصح (ولا تسقى الحرث) لا يسقى عليها (مسلمة) من العمل أو من العيوب (لاشية) لا لمعة غير الصفرة، وهو من وشى ففاؤه واو محذوفة كعدة (الآن جئت بالحق) العامل فى الضرب جئت بالحق، وقيل العامل فيه مضمر تقديره الآن تذبحوها، والأول أظهر فإن كان قولهم: أتتخذنا هزوا: هكذا؛ فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين (وما كادوا) لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبا أو لقلة وجود تلك الصفة، فقد روى أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم (وإذ قتلتم نفسا) هو أول قصة البقرة فمرتبته التقديم (إن الله يأمركم) قال الزمخشرى إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد (فادارأتم) أى اختلفتم وهو من المدارأة أى المدافعة (ما كنتم تكتمون) من أمر القتيل ومن قتلة (اضربوه) القتيل أو قريبه (ببعضها) مطلقا، وقيل الفخذ وقيل اللسان، وقيل الذنب (كذلك)

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ
ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۞ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ
الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا يَكْسِبُونَ ۞ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ

إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث ، وقبله محذوف لابد منه تقديره ففعلوا ذلك فقام القتيل ﴿فائدة﴾ استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلنى ، وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة ، وتصته معجزة للنبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره ، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك (قست قلوبكم) خطاباً لبنى إسرائيل (من بعد ذلك) أى بعد إحياء القتيل وما جرى فى القصة من العجائب ، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات (أو أشد) عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أى هى أشد ، وأوهنا إما للإبهام أو للتخيير : كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة ، أو بما هو أشد قسوة كالحديد ، أو التفضيل أى فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبنى منه أفعل الكون أشد أدل على فرط القسوة (وإن من الحجارة) الآية : تفضيل الحجارة على قلوبهم (يهبط) أى يتردى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها ، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله (أفتطمعون) خطاب للمؤمنين (أن يؤمنوا) يعنى اليهود وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد (فريق منهم) السبعون الذى يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه ، وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة (من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) بيان لقبح حالهم (قالوا آمنا) قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم (أتحدثونهم) توبيخ (بما فتح الله عليكم) فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما فى كتبهم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام ، وكل وجه حجة عليهم ، ولذلك قالوا (ليحاجوكم به عند ربكم) قيل فى الآخرة وقيل أى فى حكم ربكم وما أنزل فى كتابه ، فعنده بمعنى حكمه (أفلا تعقلون) من بقية كلامهم توبيخا لقولهم (ولا يعلمون) الآية من كلام الله ردا عليهم وفضيحة لهم (ومنهم أميون) أى الذين لا يقرؤن ولا يكتبون فهم (لا يعلمون الكتاب) والمراد قوم من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح ، لأن الكلام كله من اليهود (إلا أمانى) تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، وما تتمناه النفوس (بأيديهم) تحقيق لافترائهم (ثمنا قليلا) عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أو هى الذنوب (أياما

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ۞ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا

معدودة) أربعين يوما عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام (اتخذتم) الآية : تقرير يقتضى إبطال (بلى) تحقيق لطول مكثهم فى النار ولقولهم مالا يعلمون (من كسب سيئة) الآية : فى الكفار لأنها رد على اليهود ، ولقوله بعدها « والذين آمنوا » فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة فى النار (لا تعبدون إلا الله) جواب لقسم يدل عليه الميثاق ، وقيل خبر بمعنى النهى ، ويرجحه قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بان لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن (وبالوالدين) يتعلق بإحسان ، أو بمحذوف تقديره أحسنوا ، ووكد بإحسانا (وذى القربى) القرابة (اليتامى) جمع يتيم : وهو من فقد والده قبل البلوغ ، واليتيم من سائر الحيوان . من فقد أمه ، وجاء الترتيب فى هذه الآية بتقديم الأهم ، فقدم الوالدين لحقهما الأعظم ، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ، ثم اليتامى لقلة حيلتهم ، ثم المساكين (لا تسفكون دماءكم) لا يسفك بعضكم دم بعض ، وإعرابه مثل لا تعبدون (ولا تخرجون أنفسكم) لا يخرج بعضكم بعضا (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق عليكم (هؤلاء) منصوب على التخصيص بفعل مضمر ، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حالا لازمة تم بها المعنى (تقتلون أنفسكم) كانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير : حلفاء الخزرج ، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه ، ويتقيه من موضعه إذا ظفر به (تظاهرون) أى تتفاوتون (تفادوهم) قرئ بالألف وحذفها والمعنى واحد ، وكذلك أسارى بالألف وحذفها جمع أسير (وهو محرم) الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره محرم (وإخراجهم) بدل والضمير للأمر والشأن ، وإخراجهم : مبتدأ ، ومحرم خبره ، والجملة خبر الضمير (أفتؤمنون ببعض الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما فى كتبهم (وتكفرون ببعض) القتل والإخراج من الديار مخالفة لما فى كتبهم (خزى) الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم ، أو مطلق (وقفينا

لَاتَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ

من بعده بالرسل) أى جئنا من بعده بالرسل ، وهو مأخوذ من القفا أى جاء بالثانى فى قفا الأول (بالبينات) المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك (روح القدس) جبريل ، وقيل الإنجيل ، وقيل الاسم الذى كان يحيى به الموتى ، والأول أرجح لقوله (قل نزله روح القدس) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان : اللهم أيده بروح القدس (تقتلون) جاء مضارعا مبالغة لأنه أبد استحضاره فى النفوس أولأنهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لولا أنّ الله عصمه (غلف) جمع أغلف : أى عليها غلاف ، وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله) ردّا عليهم ، وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم (فقليلا) أى إيمانا قليلا (مايؤمنون) ما زائدة ، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم فى الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق) تقدم أن له ثلاثة معان (يستفتحون) أى ينتصرون على المشركين ، إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وقيل يستفتحون : أى يعرفون الناس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والسين على هذا للمبالغة كما فى استعجب واستسخر ، وعلى الأول للطلب (فلما جاءهم ما عرفوا) القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المبرد : كفروا جوابا لما الأولى والثانية ، وأعيدت الثانية لطول الكلام ، ولقصد التأكيد ، وقال الزجاج : كفروا جوابا لما الثانية ، وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه لذلك ، وقال الفراء جواب لما الأولى فلما ، وجواب الثانية كفر (على الكافرين) أى عليهم يعنى اليهود ، ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم ، واللام للعهد أوللجنس ، فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار (بئسما) فاعل ليس مضمر وما مفسرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفراء : بئسما مركب كحبك وقال الكاسى مامصدرية أى اشتراكهم فهى فاعله (اشتروا) هنا بمعنى باعوا (أن يكفروا) فى موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم فى بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير فى به (بما أنزل الله) القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن ينزل) فى موضع مفعول من أجله (من فضله) القرآن والرسالة (من يشاء) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما تفضل الله عليه بالرسالة (بغضب على غضب) لعبادتهم العجل ، أو لقولهم عزير ابن الله ، أولغير ذلك من قبائحهم (بما أنزل الله) القرآن (بما وراءه) أى بما بعده

بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَٰنُكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ۞ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا

وهو القرآن (فلم تقتلون) ردا عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة ، وتكذيب لهم ، وذكر الماضى بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضى هؤلاء به (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدح فى إيمانهم وجوابها يدل عليه ماقبل ، أو نافية فيوقف قبلها والأول أظهر (بالبينات) يعنى المعجزات : كالعصا ، وفلق البحر ، وغير ذلك (اتخذتم العجل) ذكر هنا على وجه ألزم لهم ، والإبطال بقولهم : نؤمن بما أنزل علينا ، وكذلك رفع الطور ، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله « ثم عفونا عنكم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته » وعطفه بثم فى الموضعين إشارة إلى قبح مافعلوه من ذلك (من بعده) الضمير لموسى عليه السلام : أى من بعد غيبته فى مناجاة الله على جبل الطور (سمعنا وعصينا) أى سمعنا قولك وعصينا أمرك ، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال ، أو بلسان الحال (وأشربوا) عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم ، فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ فى الصواب وفى الكلام محذوف أى أشربوا حب العجل وقيل إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته فى الماء فشربوه ، فالشرب على هذا حقيقة ويرد هذا قوله فى قلوبهم (بكفرهم) الباء سببية للتعليل ، أو بمعنى المصاحبة (يأمركم) إسناد الأمر إلى إيمانهم ، فهو مجاز على وجه التهكم ، فهو كقولك أصلاتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم (إن كنتم) شرط أو نفى (فتمنوا الموت) بالقلب أو اللسان أو باللسان خاصة ، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت ، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وروى أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، وقيل إن ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم دامت طول حياته (ولن يتمنوه) إن قيل : لم قال فى هذه السورة : ولن يتمنوه ، وفى سورة الجمعة : ولا يتمنونه فنفى هنا بلن ، وفى الجمعة بلا ، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، الجواب أنه لما كان الشرط فى المغفرة مستقبلا وهو قوله إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التى تخلص الفعل للاستقبال ، ولما كان الشرط فى الجمعة حالا ، وهو قوله إن زعمتم أنكم أولياء لله جاء جوابه بلا : التى تدخل على الحال ، أو تدخل على المستقبل (بما قدمت) أى لسبب ذنوبهم وكفرهم (عليم بالظالمين) تهديد لهم (ومن الذين أشركوا) فيه وجهان : أحدهما : أن يكون عطفا على ماقبله فيوصل به ، والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا ، فحمل على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم فى عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا ، والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ماقبله ، والمعنى : من الذين أشركوا قوم (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) فحذف الموصوف ، وقيل أراد به المجوس ، لأنهم يقولون لملوكهم عش

يَعْمَلُونَ ۞ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ۞ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۞ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ
اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ

ألف سنة ، والأول أظهر ؛ لأنّ الكلام إنما هو فى اليهود ، وعلى الثانى يخرج الكلام عنهم (وماهو بمزحزحه) الآية : فيها وجهان : أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم ، وأن يعمر فاعل لمزحزحه ، والآخر أن يكون هو للتعمير وأن يعمر بدل (من كان عدوّا لجبريل) الآية : سببها أنّ اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، جبريل عدو نا لأنه ملك الشدائد و العذاب . فلذلك لا نؤمن به ، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك ؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة (فإنه نزله) فيه وجهان : الأول فإنّ الله نزل جبريل ، والآخر فإنّ جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ، لأنّ قوله مصدّقا لما بين يديه : من أوصاف القرآن والمعنى الردّ على اليهود بأحد وجهين : أحدهما من كان عدوا لجبريل فلا ينبغى له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة ، ويؤكد هذا قوله وهدى وبشرى ، والثانى من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك ، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل (وجبريل ، وميكائيل) ذكرا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم (أوكلما) الواو للعطف ، قال الأخفش زائدة (نبذه فريق منهم) نزلت فى مالك بن الصيف اليهودى وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهد أن نؤمن بمحمد رسول يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (كتاب الله) يعنى القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو المتقدّمين (ماتتلو) هو من القراءة أو الاتباع (على ملك) أى فى ملك أو عهد ملك سليمان (وما كفر سليمان) تبرئة له مما نسبوه إليه ، وذلك أنّ سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود إنما كان سليمان ساحرا ، وقيل إنّ الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان ، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه ، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان (وما كفر سليمان) بتعليم السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام (وما أنزل) نفى أو عطف على السحر عليهما ، إلا أنّ ذلك يردّه آخر الآية ، وإن كانت معطوفة بمعنى الذى فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر ، وقرئ الملكين « بكسر اللام » وقال الحسن : هما علجان ، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية (ببابل) موضع معروف (هاروت وماروت) اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان (إنما نحن فتنة) أى محنة ، وذلك تحذير من السحر (فلا تكفر) أى بتعليم السحر ، ومن هنا أخذ مالك أنّ الساحر يقتل كفرا (يفرّقون) زوال العصمة

به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق
ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ۞ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون ۞ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ۞ مايود الذين
كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ۞ ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل
شىء قدير ۞ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ۞ أم
تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ۞
ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم

أو المنع من الوطء (يضرهم) أى فى الآخرة (علموا) أن اليهود والشياطين : أى اشتغلوا به ، وذكر الشرى ، لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه (شروا) هنا بمعنى باعوا (لمثوبة) من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة إسمية وعدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره وقيل الجواب محذوف أى لأثيبوا (لو كانوا يعلمون) فى الموضعين نفى لعلمهم (لا تقولوا راعنا) كان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله راعنا ، وذلك من المراعاة أى راقبنا وانظرنا ، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء ، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ماقصده المسلمون وقصده اليهود ، فالنهى سدا للذريعة ، وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم ، فهو من النظر والانتظار ، وقيل : إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير (واسمعوا) عطف على قولوا لا على معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد (مايود الذين كفروا) جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب ، ولذلك فسره بهما ، ومعنى الآية أنهم لايحبون أن ينزل الله خيراً على المسلمين (من خير) من للتبعيض ، وقيل زائدة لتقدم النفى فى قوله مايود (برحمته) قيل القرآن وقيل النبوة وللعموم أولى ، ومعنى الآية : الرد على من كره الخير للمسلمين (مانسخ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما ، وقرئ بضم النون : أى نأمر بنسخه (أو ننسها) من النسيان ، وهو ضد الذكر : أى ينساها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله كقوله « سنقرؤك فلا تنسى إلا ماشاء الله» أو بمعنى الترك : أى نتركها غير منزلة : أى غير منسوخة ، وقرئ بالهمز بمعنى التأخير : أى نؤخر إنزالها أو نسخها (بخير) فى خفة العمل ، أو فى الثواب (قدير) استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات ، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله ، وهو جائز عقلا ، وواقع شرعا فكما نسخت شريعتهم ماقبلها ، نسخها مابعدها (تسألوا رسولكم) أى تطلبوا الآيات ، ويحتمل السؤال عن العلم ، والأول أرجح لما بعده ، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى ، وهو قولهم له : أرنا الله جهرة (ود كثير من

الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ

أهل الكتاب) أى تمنوا ، ونزلت الآية فى حيّ بن أخطب وأمية بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين ، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام (حسدا) مفعول من أجله ، أو مصدر فى موضع الحال ، والعامل فيه ماقبله ، فيجب وصله معه ، وقيل هو مصدر ، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم حسدا ، فعلى هذا يوقف على ماقبله ، والأوّل أظهر وأرجح (من عند أنفسهم) يتعلق بحسداً وقيل بيودّ (فاعف) منسوخ بالسيف (بأمره) يعنى إباحة قتالهم أو وصول آجالهم (وقالوا لن يدخل الجنة) الآية : أى قالت اليهود لن يدخل الجنة : إلا من كان يهوديا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا (هودا) يعنى اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به وقال الفراء : حذفت منه ياهودا على غير قياس (أمانيهم) أكاذيبهم أو مايتمنونه (هاتوا) أمر على وجه التعجيز ، والردّ عليهم ، وهو من : هاتى ، يهاتى ، ولم ينطق به ، وقيل أصله : آتوا ، وأبدل من الهمزة هاء (بلى) إيجاب لما نفوا : أى يدخلها من ليس يهوديا ، ولا نصرانيا (من أسلم وجهه لله) أى دخل فى الإسلام وأخلص ، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان (وقالت اليهود) الآية : سببها : اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى (وهم يتلون) تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب (الذين لا يعلمون) المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم (منع مساجد الله) لفظه الاستفهام ومعناه : لا أحد أظلم منه حيث وقع : قريش منعت الكعبة ، أو النصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم (خائفين) فى حق قريش ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يحج بعد هذا العام مشرك ، وفى حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية (خزى) فى حق قريش غلبتهم وفتح مكة ، وفى حق النصارى : فتح بيت المقدس أو الجزية (فأينما تولوا) فى الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة فى سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت ، وقيل هى فى نفل المسافر حيث ماتوجهت به دابته ، وقيل هى راجعة إلى ماقبلها : أى إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم ، وقيل إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة ، فهى كقوله بعد هذا « قل لله المشرق والمغرب . الآية » والقول الأوّل هو الصحيح ، ويؤخذ منه أن من

مَافِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ

أخطأ القبلة ، فلاتجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك (وجه الله) المراد به هنارضاه كقوله « ابتغاء وجه الله» أى رضاه ، وقيل معناه الجهة التى وجهه إليها ، وأماقوله « كل شىء هالك إلاوجهه ، ويبقى وجه ربك» فهومن المتشابه الذى يجب التسليم له من غير تكييف ، ويردّ علمه إلى الله ، وقال الأصوليين : هو عبارة عن الذات أوعن الوجود ، وقال بعضهم : هو صفة ثابتة بالسمع (وقالوا اتخذ) قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت الصابئون وبعض العرب : الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لهم عن قولهم (بل له) الآية ردّ عليهم لأنّ الكل ملكه ، والعبودية تنافى النبوّة (قانتون) أى طائعون منقادون (بديع السموات) أى مخترعها وخالقها ابتداء (واذا قضى أمرا) أى قدّره وأمضاه ، قال ابن عطية يتحد فى الآية المعنيان ، فعلى مذهب أهل السنة قدر فى الأزل وأمضى فيه ، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد ، قلت : لايكون قضى هنا بمعنى قدّر ، لأن القدر قديم ، وإذا تقتضى الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم ، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أوفعل أووجد كقوله : فقضاهنّ سبع سموات ، وقد قيل إنه بمعنى ختم الأمر ، وبمعنى حكم ، والأمر هنا بمعنى الشىء ، وهوواحد الأمور ، وليس بمصدر أمر يأمر (فإنما يقول له كن فيكون) قال الأصوليون : هذا عبارة عن تعود قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقى لأنه إن كان قول كن خطابا للشىء فى حال عدمه لم يصح ، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابا فى حال وجوده لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة : أحدها : أن الشىء الذى يقول له كن فيكون هو موجود فى علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا ، والثانى : أن قوله كن لايتقدّم على وجود الشىء ولايتأخر عنه قاله الطبرى ، والثالث : أنّ ذلك خطابا لمن كان موجودا على حاله فيأمر بأن يكون على حالة أخرى : كاحياء الموتى ، ومسخ الكفار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص والرابع : أن معنى يقول له : يقول من أجله ، فلايلزم خطابه : والأوّل أحسن هذه الأجوبة ، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد فى هذه الآية : أن الله عز وجل لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها ، فكل مافى الآية مما يقتضى الاستقبال ، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجىء بعد أن لم تكن ، فيكون رفع على الاستئناء ، قال سيبويه : معناه فهو يكون ، قال غيره : يكون عطف على يقول ، واختاره الطبرى ، وقال ابن عطية : وهو فاسد من جهة المعنى ، ويقتضى أن القول مع التكوين والوجود ، وفى هذا نظر (وقال الذين لايعلمون) هم هنا وفى الموضع الأول كفار العرب على الأصح ، وقيل هم اليهود والنصارى (لولا يكلمنا الله) لولا هنا عرض ، والمعنى أنهم قالوا : لن نؤمن حتى يكلمنا الله (أوتأتينا آية) أى دلالة من المعجزات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ومابعده (كذلك قال الذين من قبلهم) يعنى اليهود والنصارى على القول بأن الذين لايعلمون كفار العرب ، وأماعلى القول بأن الذين لايعلمون اليهود والنصارى ، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين (تشابهت قلوبهم) الضمير للذين لايعلمون ، وللذين من قبلهم ، وتشابه قلوبهم فى الكفر أوفى طلب

الْجَحِيمِ ۞ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۞ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مالا يصح أن يطلب ، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله (قد بينا الآيات) أخبر تعالى أنه قد بين الآيات لعنادهم (إنا أرسلناك بالحق) خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق التوحيد ، وكل ماجاءت به الشريعة (بشيرا ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة ، وتنذر الكافرين بالنار ، وهذا معنى حديث وقع (ولا تسأل) بالجزم نهى ، وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن حال آبائه فى الآخرة فنزلت ، وقيل إن ذلك على معنى التهويل كقولك : لاتسأل عن فلان لشدة حاله ، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام : أى لاتسأل فى القيامة عن ذنوبهم (ملتهم) ذكرها مفردة وإن كانت ملتين ؛ لأنهما متفقتان فى الكفر ، فكأنهما ملة واحدة (قل إن الهدى هدى الله) لاما عليه اليهود والنصارى ، والمعنى : أن الذى أنت عليه يامحمد هو الهدى الحقيقى لأنه هدى من عندالله بخلاف مايدّعيه اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى ، ويعنى به ماهم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى ، والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ، فهو على معنى الفرض والتقدير ، ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى المسلمين ، والكتاب على هذا : القرآن ، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل ، والكتاب على هذا التوراة ، ويحتمل العموم ، ويكون الكتاب اسم جنس (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما يجب من التدبر له والعمل به ، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والأولى أظهر ، فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر فى معنى القراءة لاسيما إذا كانت تلاوة الكتاب ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ، ويكون الخبر أولئك يؤمنون ، وهذا أرجح ، لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن (يابنى إسرائيل) الآية : تقدّم الكلام على نظيرتها (وإذ ابتلى) أى اختبر ، فالعامل فى إذ فعل مضمر تقديره اذكر ، وقوله (بكلمات) قيل : مناسك الحج ، وقيل : خصال الفطرة العشرة ، وهى : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، وقص الأظافر ، ونتف الإبطين ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ، وقيل هى ثلاثون خصلة : عشرة ذكرت فى براءة من قوله : التائبون العابدون ، وعشرة فى الأحزاب من قوله : إن المسلمين والمسلمات ، وعشرة فى المعارج من قوله : إلا المصلين (فأتمهن) أى عمل بهن (ومن ذريتى)

مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ

استفهام أو رغبة (عهدى) الإمامة (البيت) الكعبة (مثابة) اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع، لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام (واتخذوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام، وبالكسر إخبار لهذه الأمة، وافق قول عمر رضى الله عنه: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته، وقيل لبنى إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله: اذكروا نعمتى، وهذا بعيد (من مقام إبراهيم) هو الحجر الذى صعد به حين بناء الكعبة، وقيل المسجد الحرام (وعهدنا) عبارة عن الأمر والوصية (طهرا بيتى) عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله: أسس على التقوى وقيل المعنى طهراه عن عبادة الأصنام (للطائفين) هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء القادمون على مكة والأول أظهر (والعاكفين) هم المعتكفون فى المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون من الغرباء، وقيل أهل مكة، والعكوف فى اللغة اللزوم (بلدا) يعنى مكة (آمنا) أى مما يصيب غيره من الخسف والعذاب، وقيل آمنا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة، وهذا أرجح لقوله: أولم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم، فإن قيل: لم قال فى البقرة «بلداً آمنا» فعرّف فى إبراهيم، ونكر فى البقرة؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، وهو أنه تقدّم فى البقرة ذكر البيت فى قوله: القواعد من البيت، وذكر البيت يقتضى بالملازمة ذكر البلد الذى هو فيه، فلم يحتج إلى تعريف، بخلاف آية إبراهيم، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضى ذكر البلد ولا المعرفة به، فذكره بلام التعريف «الجواب الثانى» قاله السهيلى وهو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التى للحضور: كقولك: هذا الرجل، وهو حاضر، بخلاف آية البقرة، فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور، وفى هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلد آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلداً آمنا وقال هذا البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضى أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين (من آمن) بدل بعض من كل (ومن كفر) أى قال الله وأرزق من كفر لأن الله يرزق فى الدنيا المؤمن والكافر (ربنا تقبل منا) على حذف القول أى يقولان ذلك (وأرنا مناسكنا) علمنا موضع الحج وقيل العبادات (فيهم) أى فى ذريتنا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنا دعوة أبى إبراهيم» والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا (آياتك)

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُولُوٓا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۞ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ۞ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ

هنا القرآن (والحكمة) هنا هى السنة (ويزكيهم) أى يطهرهم من الكفر والذنوب (سفه نفسه) منصوب على التشبيه بالمفعول به ، وقيل الأصل فى نفسه ثم حذف الجار فانتصب وقيل تمييز (ووصى بها) أى بالكلمة والملة (ويعقوب) بالرفع عطف على إبراهيم ، فهو موصى ، وقرئ بالنصب عطفا على نبيه فهو موصى (أم كنتم) أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار ، وإسماعيل كان عمه ، والعم يسمى أبا (وقالوا كونوا) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (بل ملة) منصوب بإضمار فعل (لا نفرق) أى لا نؤمن بالبعض دون البعض ، وهذا برهان ، لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبىّ ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض (فسيكفيكهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بنى قريظه وأجلى بنى النضير وغير ذلك (صبغة الله) أى دينه وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره ، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعانى المتقدمة أو بدل من ملة إبراهيم (كتم شهادة) من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية (من الله) يتعلق بكتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله (سيقول) ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه ، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد

إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ

قولهم (السفهاء) هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون (ماولاهم) أى ماولى المسلمين (عن قبلتهم) الأولى وهى بيت المقدس إلى الكعبة (لله المشرق والمغرب) الآية : ردّا عليهم لأنّ الله يحكم مايريد ، ويولى عباده حيث شاء ، لأنّ الجهات كلها له (وكذلك) بعد ماهدينا كم (جعلناكم أمّة وسطا) أى خيارا (شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عليكم شهيدا) أى بأعمالكم ، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخى عيسى : وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الآية ، فإن قيل : لم قدّم المجرور فى قوله عليكم شهيداً وأخره فى قوله : شهداء على الناس ؟ فالجواب : أنّ تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدّم المجرور فى قوله : عليكم شهيداً ؛ لاختصاص شهادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأمّته ولم يقدّمه فى قوله شهداء على الناس لأنه لم يقصد الحصر (القبلة التى كنت عليها) فيها قولان : أحدهما : أنها الكعبة ، وهو قول ابن عباس . والآخر : هو بيت المقدس ، وهو قول قتادة وعطاء والسدّى ، وهذا مع ظاهر قوله : كنت عليها ؛ لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى إلى بيت المقدس ، ثم انصرف عنه إلى الكعبة ، وأما قول ابن عباس : فتأويله بوجهين : الأوّل : أنّ كنت بمعنى أنت ، والثانى قيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس ، وإعراب التى كنت عليها مفعول بجعلنا ، أوصفة للقبلة ، ومعنى الآية على القولين : اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة ، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة ، أو فتنة لمن أنكر تحويلها ، وتقديره على هذا : ماجعلنا صرف القبلة ، أمّا على قول ابن عباس : فإنّ الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود ؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس ، وهم مع ذلك ينكرون النسخ ، فأنكروا صرف القبلة ، أوفتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لنعلم) أى العلم الذى تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر فى الوجود ما علمه الله (ينقلب على عقبيه) عبارة عن الارتداد عن الإسلام ، وهو تشبيه بمن رجع يمشى إلى وراء (وإن كانت) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهى التحوّل عن القبلة (إيمانكم) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إنّ الأعمال من الإيمان ، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة (تقلب وجهك) كان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة (شطر المسجد) جهة (وما أنت بتابع قبلتهم) خبر يتضمن النهى ووحدت قبلتهم ، وإن كانت جهتين لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأنّ

اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ ۞ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞
وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞
كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۞ فَاذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا

اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق (يعرفونه) أى يعرفون القرآن أو النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر القبلة (كما يعرفون أبناءهم) مبالغة فى وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام معرفتى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أشد من معرفتى بابنى لأنّ ابنى قد يمكن فيه الشك (ولكل) أى لكل أحد أو لكل طائفة (وجهة) أى جهة ، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان ، وقيل إنه مصدر ، وثبت فيه الواو على غير قياس (هو موليها) أى موليها وجهه ، وقرئ مولاها أى ولاه الله إليها ، والمعنى أن الله جعل لكل أمّة قبلة (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى الأعمال الصالحات (يأت بكم الله) أى يبعثكم من قبوركم (فول وجهك) الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به مابعده (لئلا يكون للناس) الآية : معناها أنّ الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس ، فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون فى كتبهم أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحوّل إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين ، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به (إلا الذين ظلموا) أى من يتكلم بغير حجة ويعترض التحوّل إلى الكعبة ، والاستثناء متصل ؛ لأنه استثناء من عموم الناس . ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممن له حجة ، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة (ولأتمّ) متعلق بمحذوف أى فعلت ذلك لأتمّ ، أو معطوف على لئلا يكون (كما أرسلنا) متعلق بقوله لأتمّ ، أو بقوله فاذكرونى ، والأوّل أظهر (فاذكرونى أذكركم) قال سعيد بن المسيب : معناه اذكرونى بالطاعة : أذكركم بالثواب ، وقيل اذكرونى بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك ، وقد أكثر المفسرون ، ولا سيما المتصوّفة فى تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانى مخصوصة ، ولا دليل على التخصيص ، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه : ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ : ذكرته فى ملأ خير منهم . والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وبهما معا ، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ،

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن

وإن ورد فى بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها ؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ذكر الله . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ذكر الله ، قيل الذكر أفضل أم الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب المجاهد بسيفه فى الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دماً : لكان الذاكر أفضل منه (الوجه الثانى) أنّ الله تعالى حيث ما أمر بالذكر ، أو أثنى على الذكر : اشترط فيه الكثرة ، فقال : اذكروا الله ذكرا كثيرا ، والذاكرين الله كثيرا ، ولم يشترط ذلك فى سائر الأعمال (الوجه الثالث) أنّ للذكر مزية هى له خاصة وليست لغيره : وهى الحضور فى الحضرة العلية ، والوصول إلى القرب بالذى عبر عنه ماورد فى الحديث من المجالسة والمعية ، فإن الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرنى ، ويقول : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى

وللناس فى المقصد بالذكر مقامان : فمقصد العامة اكتساب الأجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور ومابين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب .

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعنى التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذى الجلال ، وأما الحمد والأسماء التى معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهى الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لامحالة ، وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله : وأما الأسماء التى معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة

ثم إن ثمرة الذكر التى تجمع الأسماء والصفات مجموعة فى الذكر المفرد وهو قولنا : الله ، الله . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) أى بمعونته (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) قيل إنها نزلت فى الشهداء المقتولين فى غزوة بدر ، وكانوا أربعة عشر رجلا لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينه لمنزلة الشهداء عند الله وتسلية لأقاربهم ، ولا يخصها نزولها

لَا تَشْعُرُونَ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

فيهم بل حكمها على العموم فى الشهداء (ولنبلونكم) أى نختبركم ، وحيث ماجاء الاختبار فى حق الله فمعناه أن يظهر فى الوجود مافى علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ماكان ومايكون والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين ، وقيل لكفار قريش ، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين (بشىء من الخوف) من الأعداء (والجوع) بالجدب (ونقص من الأموال) بالخسارة (والأنفس والثمرات) بالجوائح ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد (إنا لله) اللام للملك والمالك يفعل فى ملكه مايشاء (راجعون) تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا ، وفى الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه . قالت أم سلمة فلما مات زوجى أبو سلمة قلت ذلك فأبدلنى الله به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن فى أكثر من سبعين موضعا ، وذلك لعظمة موقعه فى الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لايحصر أجره ، لقوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها المحبة ، قال « والله يحب الصابرين » والثانى : النصر قال « إن الله مع الصابرين » والثالث غرفات الجنة ، قال « يجزون الغرفة بما صبروا » والرابع الأجر الجزيل قال « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » والأربعة الأخرى المذكورة فى هذه الآية ، ففيها البشارة ، قال « وبشر الصابرين » والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع . وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر ، وعدم الطغيان ، وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصى بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا ، وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة ، وكل مايفعل المحبوب محبوب (إن الصفا والمروة) جبلان صغيران بمكة (من شعائر الله) أى معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة (فلا جناح عليه) إباحة للسعى بين الصفا والمروة والسعى بينهما واجب عند مالك والشافعى ، وإنما جاء بلفظ يقتضى الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعى بينهم ، لأنه كان فى الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فخافوا أن يكون السعى بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ماوقع فى نفوسهم من ذلك ، ثم إن السعى بينهما للسنة ، قالت عائشة رضى الله عنها « سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السعى بين

وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

الصفا والمروة ، وليس لأحد تركه ، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله «شعائر الله» وهذا ضعيف لأنّ شعائر الله : منها واجبة ، ومنها مندوبة ، وقد قيل إن السعى مندوب (يطوّف) أصله يتطوف ثم أدغمت التاء فى الطاء وهذا الطواف يراد به السعى سبعة أشواط (ومن تطوّع) عاما فى أفعال البر ، وخاصة فى الوجوب من السنة أو معنى التطوّع بحج بعد حج الفريضة (إن الذين يكتمون) أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فى الكتاب) التوراة هنا (اللاعنون) الملائكة وا ؤمنون ، وقيل المخلوقات إلا الثقلين ، وقيل البهائم لما يصيبهم من الجدب لذنوب الكاتمين للحق (وبينوا) أى شرط فى توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا (والناس أجمعين) هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأنّ المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين ، وقيل يلعنهم جميع الناس (خالدين فيها) أى فى اللعنة ، وقيل فى النار (ولاهم ينظرون) من أنظر إذا أخر ، أى لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله « لا ينظر إليهم » إلا أن يتعدى بإلى (وإلهكم إله واحد) الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة فى حق الله تعالى : أحدها : أنه لاثانى له فهو نفى للعدد ، والآخر أنه لاشريك له ، والثالث أنه لا يتبعض ولا ينقسم ، وقد فسر المراد به هنا فى قوله ؛ لاإله إلا هو ، واعلم أن توحيد الخالق لله تعالى على ثلاث درجات الأولي توحيد عامة المسلمين وهو الذى يعصم النفس من الهلك فى الدنيا ، وينجى من الخلود فى النار فى الآخرة وهو نفى الشركاء والأنداد ، والصاحبة والأولاد ، والأشباه والأضداد . الدرجة الثانية : توحيد الخاصة ، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن ، وإنما مقام الخاص فى التوحيد يغنى فى القلب بعلم ضرورى لا يحتاج إلى دليل ، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق ، فلا يرجو إلا الله ، ولا يخاف أحداً سواه إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق فى قبضة القهر ليس بيدهم شىء من الأمر ، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب ، والدرجة الثالثة ألا يرى فى الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات ، حتى كأنها عنده معدومة ، وهذا الذى تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه ، وعن توحيده : أى يغيب عن ذلك باستغراقه فى مشاهدة الله (إن فى خلق السموات والأرض) الآية ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبيها على مافيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها فى قوله : وإلهكم إله واحد (واختلاف الليل والنهار) أى اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر ، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر (بما ينفع الناس) من التجارة وغيرها (وتصريف الرياح) إرسالها من جهات

فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السمآء والأرض لآيات لقوم يعقلون * ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوآ أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموآ إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار * يآأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا

مختلفة ، وهى الجهات الأربع ، وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها ملقحة بالشجر ، وعقيم ، وصر ، وللنصر ، وللهلاك (والذين آمنوا أشد حبا لله) اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التى لا يخلو منها كل مؤمن ، وهى واجبة ، والأخرى المحبة الخاصة التى ينفرد بها العلماء الربانيون ، والأولياء والأصفياء ، وهى أعلى المقامات ، وغاية المطلوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير ذلك فهى مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجى إنما يرجو منفعة نفسه ؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة ، واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة إحدى أمرين ، وكلاهما إذا اجتمع فى شخص من خلق الله تعالى كان فى غاية الكمال . الموجب الأول الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن ، والإجمال مثل جمال الله فى حكمته البالغة وصنائعه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التى تروق العقول وتهيج القلوب ، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصى ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو فى الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده . واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجدّ فى طاعته والنشاط لخدمته ، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاش من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد فى الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه الله وإيثاره على كل من سواه ، قال الحارث المحاسبى : المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ثم موافقته سرا وجهراً ثم علمك بتقصيرك فى حبه (ولو ترى) من رؤية العين والذين ظلموا مفعول ، وجواب لو محذوف وهو العامل فى أن التقدير لو ترى الذين ظلموا لعلمت أنّ القوّة لله أو لعلموا أنّ القوّة لله ، والقوى بالياء ، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب ، والذين ظلموا فاعل ، وأن القوّة مفعول يرى ، وجواب لو محذوف والتقدير لو يرى الذين ظلموا أنّ القوّة لله لندموا ، ولاستعظموا ما حل بهم (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون ، أو استئناف والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر (الذين اتبعوا) هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى (الأسباب) هنا الوصلات من الأرحام والمودّات (أعمالهم حسرات) أى سيادتهم وقيل حسنتهم إذا لم تقبل

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ
عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

منهم أوماعملوا لآلهتهم (كلوا) أمر محمول على الإباحة (حلالا) حال مما فى الأرض أومفعول بكلوا أوصفة لمفعول محذوف أى سيئا حلالا (طيباً) يحتمل أن يريد الحلال (خطوات الشيطان) مايأمر به، وأصله من خطوت الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهى لغتان (بالسوء والفحشاء) المعاصى (وأن تقولوا) الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك (أولو كان آباؤهم) ردّا على قولهم: بل نتبع الآية فى كفار العرب وقيل فى اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا (لا يعقلون) فدخلت همزة الإنكار على واو الحال (ومثل الذين كفروا) الآية: فى معناها قولان: الأول تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم، ولابد فى هذا من محذوف، وفيه وجهان: أحدهما أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير مثل داعى الذين كفروا إلى الإيمان (كمثل الذى ينعق) أى يصيح (بما لا يسمع) وهى البهائم التى لاتسمع (إلا دعاء ونداء) ولا يعقل معنى، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعوّ الذى ينعق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولا يسمع والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيهم بالذى يزجرها وهو يصيح عليها، الثانى: تشبيه الذين كفروا فى دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لايسمع لأنّ الأصنام لاتسمع شيئا، ويكون دعاء ونداء على هذا منعطف: أى أن الداعى يتعب نفسه بالدعاء أوالنداء لمن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبه الكفار بالنعق (صم) وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدأ (واشكروا) الآية: دليل على وجوب الشكر لقوله «إن كنتم إياه تعبدون (الميتة) مامات حتف أنفه، وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافى من الحوت، ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك الجراد حتى تسيب فى بيوتها بقطع عضو منها أو وضعها فى الماء وغير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك (والدم) يريد المسفوح لتقييده بذلك فى سورة الأنعام، ولاخلاف فى إباحة ماخالط اللحم من الدم (ولحم الخنزير) هو حرام سواء ذكى أو لم يذك، وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر، لأنه الغالب فى الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك من حلف أن لا يأكل لحما فأكل شحما حنث بخلاف العكس (وما أهل به) أى صيح لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل فى النية فى الذبح (لغير الله) الأصنام وشبهها (اضطر) بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء (غير باغ ولا عاد) قيل باغ على المسلمين، وعاد عليهم، ولذلك لم يرخص مالك فى رواية عنه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا۟ فِى الْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

للعاصى بسفره أن يأكل لحم الميتة ، والمشهور عنه الترخيص له ، وقيل غير باغ باستعمالها من غير إضرار ، وقيل باغ أى متزايد على إمساك رمقه ولهذا لم يجز الشافعى للمضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود (فلا إثم عليه) رفع للحرج ، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدل الآية على الإباحة لا على الوجوب ، وقد اختلف هل يباح له ميتة بنى آدم أم لا ، فمنعه مالك وأجازه الشافعى لعموم الآية (إن الذين يكتمون) اليهود (ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) أى أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب ، وقيل يأكلون النار فى جهنم حقيقة (ولا يكلمهم الله) عبارة عن غضبه عليهم ، وقيل لا يكلمهم بما يحبون (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم (فما أصبرهم على النار) تعجب من جرأتهم على مايقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار فى الآخرة ، وقيل إنها استفهام ، وأصبرهم بمعنى صبرهم ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله لأنه استعظام لخفى سببه ، وذلك لا يلزم فإنه فى حق الله غير خفى السبب (ذلك) إشارة إلى العذاب ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر (بأن الله) الباء سببية (نزل الكتاب) القرآن هنا (بالحق) أى بالواجب ، أو بالإخبار الحق أى الصادق ، والباء فيه سببية أو للمصاحبة (الذين اختلفوا فى الكتاب) اليهود والنصارى ، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل ، وقيل الذين اختلفوا العرب ، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب فى الموضعين (فى شقاق بعيد) أى بعيد من الحق والاستقامة (ليس البر) الآية : خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قبلة اليهود ، والمشرق قبلة النصارى : أى إنما البر التوجه إلى الكعبة ، وقيل خطاب للمؤمنين أى ليس البر الصلاة خاصة ، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا (ولكن البر من آمن) لا يصح أن يكون خبراً عن البر فتأويله : لكن صاحب البر من آمن أو لكن البرّ برّ من آمن أو يكون البر مصدرا وصف به (وآت المال) صدقة التطوّع ، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك : وآتى الزكاة (على حبه) الضمير عائد على المال لقوله «ويؤثرون على أنفسهم الآية» وهو الراجح من طريق المعنى . وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان ، وقيل يعود على مصدر آتى ، وقيل على الله (ذوى القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم ، والأفضل لأنّ الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم . ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة ، وابن السبيل الغريب ، وقيل الضعيف ، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين ، وفى الرقاب عتقها (والموفون بعهدهم) أى العهد مع الله ومع الناس (والعابرين) نصب بإضمار فعل (فى البأساء)

إِذَا عَٰهَدُوا وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۞ فَمَن بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ

الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) القتال (صدقوا) فى القول والفعل والعزيمة (كتب عليكم القصاص) أى شرع لكم، وليس بمعنى فرض، لأنّ ولى المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل بمعنى فرض أى فرض على القاتل الانقياد على القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجهلة وعلى الحاكم التمكين من القصاص (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ظاهره اعتبار التساوى بين القاتل والمقتول فى الحرية والذكورية، ولا يقتل حر بعبد، ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياءها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتصر منه خلاف لمالك وللشافعى وأبو حنيفة، وأما قتل الحرّ بالعبد فهو مذهب أبى حنيفة خلافا لمالك والشافعى، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشىء من ظاهر الآية لافى الذكورية ولا فى الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها فى الحرية كما فى الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد عموم يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: الأنثى بالأنثى: تأكيداً للتجديد، لأنّ بعض العرب إذا قتل منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرّ بالعبد من السنة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقتل حرّ بعبد، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف، لأنه إخبار عن حكم بنى إسرائيل (فمن عفى له) الآية: فيها تأويلان: أحدهما أن المعنى من قتل منفى عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها على وفاء فعلى هذا من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليه، وعفى من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن، وإنما تعدّى هنا باللام لأنه كقولك تجارزت لفلان عن ذنبه، وعلى الثانى أن من أعطيته الدية فعليه اتباع المعروف، وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول، وأخوه هو القاتل أو عاقلته، وعفى بمعنى يسر: كقوله خذ العفو أى ماتيسر، ولا إشكال فى تعدى عفى باللام على هذا المعنى (ذلك تخفيف) إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بنى إسرائيل لم يكن عندهم دية، وإنما هو القصاص (فمن اعتدى) أى قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية (عذاب أليم) القصاص منه وقيل عذاب الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) بمعنى قولهم القتل أبقى للقتل أى أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل المعنى أن القصاص أقل قتلا، لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ماكان فى الجاهلية من اقتتال قبيلتى القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة (الوصية للوالدين والأقربين) كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم

إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞
أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ
فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ

« لاوصية لوارث » وبقيت الوصية مندوبة لمن لايرث من الأقربين ، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض ، فلا تعارض بينها وبين المواريث ، ولا نسخ ، والأوّل أشهر (كتب عليكم الصيام) أى فرض ، والقصد بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) وبقوله (أياما معدودات) تسهيل الصيام على المسلمين ، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة ، والذى كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا ، وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه (أياما) منصوب بالصيام أو بمحذوف ، ويبعد انتصابه بتتقون (فمن كان منكم مريضا) الآية : إباحة للفطر مع المرض والسفر ، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك ، وفى الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب ، والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدّة من أيام أخر ، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أنّ صيام المسافر والمريض لايصح ، وأوجبوا عليه عدّة من أيام أخر ، وإن صام فى رمضان ، وهذا منهم جهل بكلام العرب ، وليس فى الآية مايقتضى تحديد السفر ، وبذلك قال الظاهرية ، وحدّه فى مشهور مذهب مالك أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه فدية) قيل يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون . ثم نسخ جواز الإفطار بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ، فمن تطوّع أى صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة ، وذلك على القول بالنسخ ، وقيل تطوّع بالزيادة فى مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ (شهر رمضان) مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر أو بدل من الصيام (أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بطول عشرين سنة ، وقيل المعنى أنزل فى شأنه القرآن : كقولك أنزل القرآن فى فلان وقيل المعنى ابتدأ فيه إنزال القرآن (هدى للناس وبينات من الهدى) أى أن القرآن هدى للناس ، ثم هو مع ذلك من مبينات الهدى ، وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق وموصوف بالبينات ، فالهدى الأوّل هنا على الإطلاق ، وقوله من البينات والهدى : أى وهو من الهدى المبين ، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء (فمن شهد) أى كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية ، واليسر والعسر على الإطلاق ، وقيل اليسر : الفطر فى السفر ، والعسر الصوم فيه (ولتكملوا) متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر (العدّة) الأيام التى أفطر فيها (ولتكبروا) التكبير يوم العيد أو مطلقا (أجيب دعوة الداع) مقيد بمشيئة الله ،

مَاهَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۞ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ

وموافقة القدر ، وهذا جواب من قال كيف لا يستجاب الدعاء مع وعدالله بالاستجابة (فليستجيبوا لى) أى امتثال مادعوتهم إليه من الإيمان والطاعة (أحل لكم) الآية : كان الأكل والجماع محرّما بعد النوم فى ليل رمضان ، فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولصرمة بن مالك ، فأحلهما الله تخفيفا على عباده (الرفث) هنا الجماع ، وإنما تعدّى بإلى لأنه فى معنى الإفضاء (هنّ لباس لكم) تشبيه بالثياب ، لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة (تختانون أنفسكم) أى تأكلون وتجامعون بعدالنوم فى رمضان (فتاب عليكم وعفى عنكم) أى غفر ماوقعتم فيه من ذلك ، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم (باشروهنّ) إباحة (ما كتب الله لكم) قيل الولد يبتغى بالجماع ، وقيل الرخصة فى الأكل والجماع لمن نام فى ليل رمضان بعد منعه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض لا للأسود ؛ لأنّ الفجر ليس له سواد ، والخيط هنا استعارة : يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل ، وروى أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى ، لأنّ بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود تحت وسادته ، وأكل حتى تبين له ، فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو بياض النهار وسواد الليل (إلى الليل) أى إلى أوّل الليل ، وهو غروب الشمس فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة ومن شك هل غربت أم لا فأفطر ، فعليه القضاء والكفارة أيضا وقيل القضاء فقط ، وقالت عائشة رضى الله عنها « إلى الليل » يقتضى المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك فى الحديث (ولا تباشروهنّ) تحريم للمباشرة حين الاعتكاف ، قال الجمهور : المباشرة هنا الجماع فما دونه . وقيل الجماع فقط ، (فى المساجد) دليل على جواز الاعتكاف فى كل مسجد ؛ خلافا لمن قال لا اعتكاف إلا فى المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس : وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا فى المساجد لا فى غيرها خلافا لمن أجازه فى غيرها من مفهوم الآية (حدود الله) أحكامه التى أمر بالوقوف عندها (فلا تقربوها) أى لا تقربوا مخالفتها ، واستدل بعضهم به على سدّ الذرائع لأنّ المقصود النهى عن المخالفة للمحدود لقوله : تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدّا للذريعة (ولا تأكلوا أموالكم) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) كالقمار ، والغصب ، وجحد الحقوق وغير ذلك (وتدلوا) عطف على لا تأكلوا ، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها ، والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ، ليصل بها إلى أكل مال الناس ، وقيل نهى عن رشوة الحكام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَأَنفِقُوا فِي

الأول سببية ، وعلى الثانى للإلصاق (بالإثم) الباء سببية أو للمصاحبة ، والإثم على القول الأول فى تدلوا : إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وعلى القول الثانى الرشوة (يسألونك عن الأهلة) سببها أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس ، والهلال ليلتان من أول الشهر ، وقيل ثلاث ، ثم يقال له قمر (مواقيت) جمع ميقات لمحل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل فى المواقيت للناس (وليس البر) الآية : كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، وإنما يدخلون من ظهورها ، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شىء فنزلت الآية إعلاما بأن ذلك ليس من البر ، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج ، وقيل المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب ، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها استعارة : يراد بالبيوت المسائل ، وبظهورها السؤال عما لا يفيد ، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه (البر من اتقى) تأويله مثل البر من آمن (الذين يقاتلونكم) كان القتال غير مباح فى أول الإسلام ، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل ، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار فى قوله « قاتلوا المشركين كافة » (اقتلوهم حيث وجدتموهم) فهذه الآية منسوخة ، وقيل إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر (ولا تعتدوا) أى بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول ، وبقتال النساء والصبيان على القول الثانى (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة ، لأن قريشا أخرجوا منها المسلمين (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله ، وقيل كفر الكفار . أشد من قتل المؤمنين لهم فى الجهاد (عند المسجد الحرام) منسوخ بقوله حيث وجدتموهم ، وهذا يقوى نسخ الذين يقاتلونكم (فإن انتهوا) عن الكفر فاسلموا بدليل قوله (غفور رحيم) وإنما يغفر للكافر إذا أسلم (لا تكون فتنة) أى لا يبقى دين كفر (الشهر الحرام) الآية : نزلت لما صد الكفار النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية فى شهر ذى الحجة ، فدخلها فى العام الذى بعده فى شهر ذى القعدة أى الشهر الحرام الذى دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن دخولها (والحرمات قصاص) أى حرمة

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ
أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ
أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ

الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صددتم عنها (فاعتدوا عليه) تسمية للعقوبة باسم الذنب أى قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن دخول مكة (تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب الأنصارى: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل لا تتركوا النفقة فى الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك، والباء فى بأيديكم زائدة، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم (وأتموا الحج والعمرة لله) أى أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إتمامهما إكمال المناسك وقال على إتمامهما: أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء (فإن أحصرتم) المشهور فى اللغة أحصره المرض بالألف، وحصره العدو وقيل بالعكس، وقيل هما بمعنى واحد، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدى ولم يوجبه على من حصره العدو، وقال الشافعى وأشهب يجب الهدى على من حصره العدو، وعمل الآية على ذلك، واستدلا بنحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الهدى بالحديبية، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض (فما استيسر) أى فعليكم ما استيسر من الهدى وذلك شاة (ولا تحلقوا رؤسكم) خطاب للمحصر وغيره (فمن كان منكم مريضا) الآية: نزلت فى كعب بن عجرة حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يؤذيك هوام رأسك: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة، فمعنى الآية أن من كان فى الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر فى الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التى يمنع الحاج منها إلا الصيد، والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس، ولا بد فى الآية من مضمر لا ينتقل الكلام عنه، وهو المسمى فحوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية (فإذا أمنتم) أى من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان فى أشهر الحج، ثم يحج من عامه، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبدالله بن الزبير: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج فى وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) شاة (ثلاثة أيام فى الحج) وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق (إذا رجعتم) إلى بلادكم أو فى الطريق (تلك عشرة) فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لئلا يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل كاملة فى الثواب (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) يعنى غير أهل مكة

حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ۞ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا

وذى طوى بإجماع ، وقيل أهل الحرام كله ، وقيل من كان دون الميقات ، وقوله ذلك . إشارة إلى الهدى أوالصيام : أى إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة ، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع (الحج أشهر) التقدير أشهر الحج أشهر ، أو الحج فى أشهر وهى شوّال ، وذوالقعدة ، وذوالحجة ، وقيل العشر الأول منه ، وينبنى على ذلك أن من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة : فعليه دم على القول بالعشر الأول ، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر ، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر ، فأجازه مالك على كراهة ، ولم يجزه الشافعى وداود لتعيين هذا الاسم كذلك ؛ فكأنها كوقت الصلاة (فمن فرض فيهن الحج) أى ألزم بالحج نفسه (فلا رفث ولا فسوق) الرفث : الجماع ، وقيل الفحش من الكلام ، والفسوق : المعاصى ، والجدال : المراء مطلقا ، وقيل المجادلة فى مواقيت الحج ، وقيل النسىء الذى كانت العرب تفعله (وتزودوا) قيل احملوا زادا فى السفر ، وقيل تزودوا للآخرة بالتقوى ، وهو الأرجح لما بعده (فضلا من ربكم) التجارة فى أيام الحج أباحها الله تعالى ، وقرأ ابن عباس : فضلا من ربكم فى مواسم الحج (أفضتم) اندفعتم جملة واحدة (من عرفات) اسم علم للموقف والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر لا تنوين صرف ، فإن فيه التعريف والتأنيث (المشعر الحرام) المزدلفة والوقوف بها سنة (كما هداكم) الكاف للتعليل (وإن كنتم) إن مخففة من الثقيلة ، ولذلك جاء اللام فى خبرها (من قبله) أى من قبل الهدى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه قولان أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم ، ويقفون بعرفة مع سائر الناس ؛ لأنها حلّ ، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلا بالحرم ، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها ، وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له ، والقول الثانى أنها خطاب لجميع الناس ، ومعناها : أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا القول على بابها من الترتيب ، وأما على القول الأول فليست للترتيب ، بل للعطف خاصة ، قال الزمخشرى هى كقولك أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلى غير كريم ، فإن معناها التفاوت بين ماقبلها وما بعدها وأن ما بعدها أوكد (قضيتم مناسككم) فرغتم من أعمال الحج (كذكركم آباءكم) لأن الإنسان كثيرا مايذكر آباءه ، وقيل كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة ، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك (آتنا فى الدنيا) كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة ، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة (حسنة) قيل العمل

فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ

الصالح وقيل المرأة الصالحة (وفى الآخرة حسنة) الجنة (نصيب مما كسبوا) يحتمل أن تكون من سببية أى لهم نصيب من الحسنات التى اكتسبوها، والنصيب على هذا الثواب (سريع الحساب) فيه وجهان: أحدهما أن يراد به سرعة مجىء يوم القيامة، لأن الله لايحتاج إلى عدّة ولا فكرة، وقيل لعلىّ رضى الله عنه: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم (فى أيام معدودات) ثلاثة بعد يوم النحر، وهى أيام التشريق، والذكر فيها: التكبير فى أدبار الصلوات، وعند الجمار وغير ذلك (فمن تعجل فى يومين) أى انصرف فى اليوم الثانى من أيام التشريق (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجل فقيل يترك رمى جمار اليوم، وقيل يقدمها فى اليوم الثانى (فلا إثم عليه) فى الموضعين، قيل إنه إباحة للتعجل والتأخر، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج، سواء تعجل أو تأخر (لمن اتقى) أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه: الإباحة، فالمعنى أن الإباحة فى التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما، فقد أبيح له ذلك من غير إثم، وأمّا على القول بأن معنى فلا إثم عليه: إخبار بغفران الذنوب، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله فى حجه، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق: خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فاللام متعلقة إمّا بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية (من يعجبك) الآية: قيل نزلت فى الأخنس بن شريق، فإنه أظهر الإسلام، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعا، وقيل فى المنافقين، وقيل عامة فى كل من كان على هذه الصفة (فى الحياة) متعلق بقوله يعجبك: أى يعجبك ما يقول فى أمر الدنيا، ويحتمل أن يتعلق بيعجبك (ويشهد الله) أى يقول الله أعلم إنه لصادق (ألدّ الخصام) شديد الخصومة (تولى) أدبر بجسده أو أعرض بقلبه، وقيل صار واليا (ويهلك الحرث والنسل) على القول بأنها فى الأخنس، فإهلاك الحرث حرقه الزرع، وإهلاك النسل قتله الدواب، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته فى الفساد، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل، لأنهما قوام معيشة ابن آدم، فإنّ الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل (أخذته العزة بالإثم) المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبرا وطغيانا والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع، وقال الزمخشرى: هى كقولك: أخذ الأمير الناس بكذا: أى ألزمهم إياه، فالمعنى حملته العزة على الإثم (من يشرى نفسه) أى يبيعها، قيل نزلت فى صهيب وقيل على العموم وبيع النفس فى الهجرة أو الجهاد،

الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ

وقيل فى تغيير المنكر ، وأنّ الذى قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمرادبها هنا عقد الذمة بالجزية ، والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة ، وقيل هو الإسلام ، وكذلك هو بكسر السين ، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول فى الإسلام ، وقيل إنها نزلت فى قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا البيت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا فى الإسلام ، واتركوا سواه ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول فى جميع شرائعه من الأوامر والنواهى (كافة) عموم فى المخاطبين أو فى شرائع الإسلام (فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم) تهديد لمن زل بعد البيان (هل ينظرون) أى ينتظرون (يأتيهم الله) تأويله عند المتأولين : يأتيهم عذاب الله فى الآخرة ، أو أمره فى الدنيا ، وهى عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكييف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه ؛ لأنّ قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم : لولا يكلمنا الله (فى ظلل) جمع ظلة وهى ماعلاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه (الغمام) السحاب (وقضى الأمر) فرغ منه ، وذلك كناية عن وقوع العذاب (سل بنى إسرائيل) على وجه التوبيخ لهم ، وإقامة الحجة عليهم (من آية) معجزات موسى ، أو الدلالات على نبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يبدل) وعيد (ويسخرون) كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب (والذين اتقوا) هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم (فوقهم) أى أحسن حالا منهم ، ويحتمل فوقية المكان ، لأنّ الجنة فى السماء (يرزق من يشاء) إن أراد فى الآخرة ، فمن كناية عن المؤمنين ، والمعنى ردّ على الكفار أى إن رزق الله الكفار فى الدنيا ، فإن المؤمنين يرزقون فى الآخرة وإن أراد فى الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أى سيرزقهم ، ففيه وعد لهم ، وأن تكون كناية عن الكافرين أى أنّ رزقهم فى الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم (بغير حساب) إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فمن غير تضييق (أمة واحدة) أى متفقين فى الدين ، وقيل كفاراً فى زمن نوح عليه السلام ، وقيل مؤمنين مابين آدم ونوح ، أو من كان مع نوح فى السفينة وعلى ذلك يقدر : فاختلفوا بعد اتفاقهم ، ويدل عليه « أمة واحدة » فاختلفوا (الكتاب) هنا جنس أو فى كل نبىّ وكتابه (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) الضمير المجرور يعود على الكتاب ، أو على الضمير المجرور المتقدم ، وقال الزمخشرى : يعود على

فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۞ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

الحق ، وأما الضمير فى أوتوه ، فيعود على الكتاب ، والمعنى تقبيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات (بغيا) أى حسداً أو عدوانا ، وهو مفعول من أجله ، أومصدر فى موضع الحال (فهدى الله الذين آمنوا) يعنى أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه) أى للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذى وقبلها مضاف محذوف ، والضمير فى اختلفوا لجميع الناس ، يريد اختلافهم فى الأديان ، فهدى الله المؤمنين لدين الحق ، وتقدير الكلام : فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ، ومن فى قوله من الحق لبيان الجنس أى جنس ماوقع فيه الخلاف (بإذنه) قيل بعلمه ، وقيل بأمره (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم) أى لاتدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ماأصاب من كان قبلكم (مثل الذين) أى حالهم وعبرعنه بالمثل لأنه فى شدته يضرب به المثل (وزلزلوا) بالتخويف والشدائد (ألا إن نصر الله قريب) يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله ، وأن يكون إخبارا مستأنفا ، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله (فللوالدين والأقربين) إن أريد بالنفقه الزكاة ، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ ، وقدم فى الترتيب الأهم فالأهم ، وورد السؤال على المنفق ، والجواب عن مصرفه لأنه كان المقصود بالسؤال ، وقد حصل الجواب عن المنفق فى قوله من خير (كتب عليكم القتال) إن كان على الأعيان فنسخه وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فصار القتال فرض كفاية ، وإن كان على الكفاية فلا نسخ (كره) مصدر ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز (وعسى أن تكرهوا) حض على القتال (الشهر الحرام) جنس وهو أربعة أشهر : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم (قتال فيه) بدل من الشهر وهو مقصود السؤال (قل قتال فيه كبير) أى ممنوع ثم نسخه : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم : عموم فى الأمكنة لا فى الأزمنة ، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافة بعد ذكر الأشهر الحرم ، فكان التقدير : قاتلوا فيها ، ويدل عليه : فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال فى الشهر الحرام : أى إباحته حسبما استقر فى الشرع ، فلا تكون الآية منسوخة ، بل ناسخة لما كان فى أول الإسلام من تحريم القتال فى الأشهر الحرم (وصدّ عن سبيل الله) ابتداء ، وما بعده معطوف عليه ، وأكبر عند الله : خبر الجميع ، أى أن هذه الأفعال القبيحة التى فعلها الكفار : أعظم عند الله من القتال فى الشهر الحرام الذى عير به الكفار المسلمين سرية عبد الله بن جحش ، حين قاتل فى أول يوم

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ
فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ
وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞
وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

من رجب ، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى (والمسجد) عطف على سبيل الله (حتى يردّوكم) قال الزمخشرى حتى هنا للتعليل (فأولئك حبطت أعمالهم) ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد ، سواء رجع إلى الإسلام ، أو مات على الارتداد ، ومن ذلك انتقاض وضوئه ، وبطلان صومه ، وذهب الشافعى إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا ؛ لقوله : فيمت وهو كافر ، وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم جزاء على الردة ، وقوله : أصحاب النار هم فيها خالدون جزاء على الموت على الكفر ، وفى ذلك نظر (إن الذين آمنوا) الآية : نزلت فى عبد الله بن جحش وأصحابه (الخمر) كل مسكر من العنب وغيره (والميسر) القمار ، وكان ميسر العرب بالقداح فى لحم الجزور ، ثم يدخل فى ذلك النرد والشطرنج وغيرهما ، وروى أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه (إثم كبير) نص فى التحريم وأنهما من الكبائر ، لأن الإثم حرام لقوله : قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ، خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لا هذه الآية (ومنافع) فى الخمر التلذذ والطرب ، وفى القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة قال ابن عباس : المنافع قبل التحريم ، والإثم بعده (وإثمهما أكبر) تغليبا للإثم على المنفعة ، وذلك أيضا بيان للتحريم (قل العفو) أى السهل من غير مشقة ، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكلة للسؤال ، على أن يكون ما مبتدأ ، وذا خبره (تتفكرون فى الدنيا والآخرة) أى فى أمرهما (ويسألونك عن اليتامى) كانوا قد تجنبوا اليتامى تورّعا ، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم ، فإن قيل : لم جاء ويسألونك بالواو وثلاث مرات ، وبغير واو ثلاث مرات قبلها ؟ فالجواب أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع فى أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة (والله يعلم) تحذير من الفساد ، وهو أكل أموال اليتامى (لأعنتكم) لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى (ولا تنكحوا) أى لا تتزوجوا ، والنكاح مشترك بين الوطئ والعقد (المشركات) عباد الأوثان من العرب ، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن فى المائدة ، فلا تعارض بين الموضعين ، ولا نسخ ، خلافا

حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ
وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ
فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ۖ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

لمن قال آية المائدة نسخت هذه ، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتابيات ، ونزول الآية بسبب مرثد الغنوى أراد أن يتزوج امرأة مشركة (ولأمة مؤمنة) أى أمة لله حرّة كانت أومملوكة وقيل أمة مملوكة خيرمن حرّة مشركة (ولو أعجبتكم) فى الجمال والمال وغيرذلك (ولا تنكحوا المشركين) أى لاتزوجوهم نساءكم ، وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة ، سواء كان كتابيا أو غيره ، واستدل المالكية على وجوب الولاية فى النكاح بقوله « ولا تنكحوا المشركين» لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال (ولعبد) أى عبد لله ، وقيل مملوك (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) إلى الكفر الموجب إلى النار (بإذنه) أى بإرادته أوعلمه (ويسألونك) سأل عن ذلك عباد بن بشروأسيد بن حضيرقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نجامع النساء فى المحيض ، خلافا لليهود (هو أذى) مستقذر ، وهذا تعليل لتحريم الجماع فى المحيض (فاعتزلوا النساء) اجتنبوا جماعهن ، وقد فسر ذلك الحديث بقوله : لتشد عليها إزارها ، وشأنك بأعلاها (حتى يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم (فإذا تطهرن) أى اغتسلن بالماء ، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعى ، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبى حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل ، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد ، ومعنى هذه الآية بالماء ، فتكون الغايتان بمعنى واحد ، وذلك حجة لمالك (من حيث أمركم الله) قبل المرأة (التوابين) من الذنوب (المتطهرين) بالماء أو من الذنوب (حرث لكم) أى موضع حرث ، وذلك تشبيه للجماع فى إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث فى إلقاء البذر وانتظار الزرع (أنى شئتم) أى كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم ، لاأين شئتم لأنه يوهم الإتيان فى الدبر ، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث فى موضع الزرع (وقدّموا لأنفسكم) أى الأعمال الصالحة (عرضة لأيمانكم) أى لا تكثروا الحلف بالله فتبذلوا اسمه ، وأن تبروا على هذا علة للنهى ، فهو مفعول من أجله : أى نهيتم عن كثرة الحلف كى تبروا ، وقيل المعنى لاتحلفوا على أن تبروا وتتقوا ، وافعلوا البرّ والتقوى دون يمين ، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه ، والعرضة على هذين القولين لقولك : فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرّض له ، وقيل عرضة مامنع ، من قولك عرض له أمر حال بينه وبين كذا ، أى لاتمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى ، ومن ذلك يمين أبى بكر الصديق أن لاينفق على مسطح ، فأن تبروا على هذا : علة لامتناعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة ، لأنها بمعنى مانع (باللغو) الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله ، ولا والله ، الجارى على اللسان من غير قصد وفافا

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ

للشافعى ، وقيل أن يحلف على الشىء بظنه على ماحلف عليه ، ثم يظهر خلافه وفاقا لأبى حنيفة ، وقال ابن عباس : اللغو الحلف حين الغضب ، وقيل اللغو اليمين على المعصية ، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة (بما كسبت قلوبكم) أى قصدت فهو على خلاف اللغو ، وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا ، وهو حرام إجماعا ، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعى (يولون من نسائهم) يحلفون على ترك وطئهن وإنما تعدى بمن ، لأنه تضمن معنى البعد منهن ، ويدخل فى عموم قوله الذين : كل حالف حرا كان أو عبدا ، إلا أنّ مالك جعل مدّة إيلاء العبد شهرين ، خلافا للشافعى ، ويدخل فى إطلاق الإيلاء اليمين بكل مايلزم عنه حكم ، خلافا للشافعى فى قصر الإيلاء على الحلف بالله ، ووجهه أنها اليمين الشرعية ، ولا يكون موليا عند مالك والشافعى ، إلا إذا حلف على مدّة أكثر من أربعة أشهر ، وعند أبى حنيفة أربعة أشهر فصاعدا ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر : وقف المولى عند مالك والشافعى ، فإما فاء وإلا طلق ، فإن أبى الطلاق : طلق عليه الحاكم ، وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف ، ولفظ الآية يحتمل القولين (فإن فاؤا) رجعوا إلى الوطئ وكفروا عن اليمين (غفور رحيم) أى يغفر مافى الأيمان من إضرار المرأة (عزموا الطلاق) العزيمة على قول مالك التطليق أو الإباية فيطلق عليه الحاكم ، وعند أبى حنيفة ترك الفىء حتى تنقضى الأربعة الأشهر ، والطلاق فى الإيلاء رجعىّ عند مالك بائن عند الشافعى وأبى حنيفة (والمطلقات يتربصن) بيان للعدة ، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ . واليائسة والصغيرة بقوله : واللائى يئسن من المحيض الآية . والتى لم يدخل بها بقوله : فمالكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها ، فيبقى حكمها فى المدخول بها ، وهى سن من تحيض وقد خص مالك منها الأمة ، فجعل عدّتها قرءين ويتربصن خبر بمعنى الأمر (ثلاثة قروء) انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشرى ، وقروء جمع قرء وهو مشترك فى اللغة بين الطهر والحيض ، فحمله مالك والشافعى على الطهر لإثبات التاء فى ثلاثة ، فإنّ الطهر مذكر والحيض مؤنث ، ولقول عائشة: الأقراء هى الإطهار ، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم ، وذلك مقصود العدّة ، فعلى قول مالك تنقضى العدّة بالدخول فى الحيضة الثالثة إذا طلقها فى طهر لم يمسها فيه ، وعند أبى حنيفة بالطهر منها (ماخلق الله فى أرحامهنّ) يعنى الحمل والحيض ، وبعولتهن جمع بعل ، وهو هنا الزوج (فى ذلك) أى فى زمان العدّة (ولهنّ مثل الذى عليهنّ) من الاستمتاع وحسن المعاشرة (درجة) فى الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق

لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بيده (الطلاق مرتان) بيان لعدد الطلاق الذى يرتجع منه دون زوج آخر وقيل بيان لعدد الطلاق الذى يجوز إيقاعه ، وهو طلاق السنة (فإمساك) ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر (بمعروف) حسن المعاشرة وتوفية الحقوق (أو تسريح) هو تركها حتى تنقضى العدّة فتبين منه (بإحسان) المتعة ، وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين ، وروى فى ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لأنّ قوله تعالى بعد ذلك (فإن طلقها) هو الطلقة الثالثة ، وعلى ذلك يكون تكرارا ، والطلقة الرابعة لا معنى لها (ولا يحل لكم أن تأخذوا) الآية : نزلت بسبب ثابت بن قيس : اشتكت منه امرأته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أتردين عليه حديقته قالت نعم فدعاه فطلقها على ذلك وحكمها على العموم وهو خطاب للأزواج فى حكم الفدية ، وهى الخلع ، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان (ألا يقيما حدود الله) وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهما ، ثم إنّ المخالعة على أربعة أحوال : الأول : أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة : فأجازه مالك وغيره لقوله تعالى : فإن طبن لكم عن شىء الآية . ومنعها قوم لقوله تعالى : إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، والثانى أن يكون الضرر منهما جميعا ، فمنعه مالك فى المشهور لقوله تعالى : ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ ، وأجازه الشافعى لقوله تعالى «إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله» والثالث أن يكون الضرر من الزوجة خاصة ، فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية ، والرابع أن يكون الضرر من الزوج خاصة : فمنعه الجمهور لقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الآية ، وأجازه أبو حنيفة مطلقا ، وقوله فى ذلك مخالف للكتاب والسنة (فإن خفتم) خطاب للحكام والمتوسطين فى هذا الأمر (فإن طلقها) هذه هى الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين فى قوله الطلاق مرتان (حتى تنكح زوجا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطئ ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم للمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر : لا ، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك ؛ وروى عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطئ ، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث ، وخرقه للإجماع ، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه ، والوطء مباحا فى غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام ، خلافا لابن الماجشون فى الوطء غير المباح ، وأما نكاح المحلل فحرام ، ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك ، خلافا لأبى حنيفة والمعتبر فى ذلك نية المحلل لا نية المرأة ، ولا المحلل له ، وقال قوم من نوى التحليل منهم أفسد (فإن طلقها) يعنى هذا الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوجة والزوج الأول (أن يقيما حدود الله) أى أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة (وإذا طلقتم النساء) الآية : خطاب للأزواج ، وهى نهى عن أن يطول الرجل العدّة على المرأة مضارة منه لها بل يرتجع قرب انقضاء العدّة ، ثم يطلق بعد ذلك ، ومعنى بلغن أجلهنّ فى هذا الموضع : قاربن انقضاء العدّة ، وليس المراد انقضاؤها ، لأنه ليس

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوٓا
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ
إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ
وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ

بيده إمساك حينئذ ، ومعنى أمسكوهنّ : راجعوهنّ (بمعروف) هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة (وإذا طلقتم النساء) الآية : هذه الأخرى خطاب للأولياء ، وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدّة (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعوهن (أن ينكحن أزواجهن) أى يراجعن الأزواج الذين طلقوهن ، قال السهيلى نزلت فى معقل بن يسار كان له أخت فطلقها زوجها ثم أرادم راجعتها وأرادت هى مراجعته ، فمنعها أخوها ، وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله وذلك أنّ رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أرادم راجعتها فمنعها جابر ، وقال تركتها وأنت أملك بها لا زوجتكها أبدا ، فنزلت الآية ، والمعروف هنا : العدل ، وقيل الإشهاد ، وهذه الآية تقتضى ثبوت حق الولى فى نكاح وليته خلافا لأبى حنيفة (ذلك يوعظ به) خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكل واحد على حدته ، ولذلك وحد ضمير الخطاب (ذلكم أزكى لكم) خطابا للمؤمنين والإشارة إلى ترك الفصل ، ومعنى أزكى أطيب للنفس ، ومعنى أطهر : أى للدين والعرض (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الأمر وتقتضى الآية حكمين : الحكم الأول من يرضع الولد ، فمذهب مالك أنّ المرأة يجب عليها إرضاع ولدها مادامت فى عصمة والده ، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك ، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال : لزمها رضاعه فى المشهور ، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال ، وإن كانت مطلقة بائن : لم يلزمها رضاعه ، لقوله تعالى : فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . إلا أن تشاء هى فهى أحق به بأجرة المثل ، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه ، ومذهب الشافعى وأبى حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا ، والأمر فى هذه الآية عندهما على الندب ، وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب ، وأما مالك فحملها فى موضع على الوجوب ، وفى موضع على الندب ، وفى موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم فى المذهب الحكم الثانى مدة الرضاع ، وقد ذكرها فى قوله (حولين كاملين) وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال فى حول وبعض آخر : حولين ، فرفع ذلك الاحتمال ، وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى (لمن أراد أن يتم الرضاعة) واشترط أن يكون الفطام عن تراضى الأبوين بقوله : فإن أرادا فصالا الآية ، فإن لم يكن على الولد ضرر فى الفطام فلا جناح عليهما ، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له ، وأما بعد الحولين فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له ، وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث فى البطن ستة أشهر ، فمن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون ، لقوله تعالى : وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) فى هذه النفقة والكسوة : قولان : أحدهما : أنها

وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ
لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ
أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزمخشرى وابن العربى ، الثانى : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وقال منذر ابن سعيد البلوطى : هذه الآية نص فى وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس (بالمعروف) أى على قدر حال الزوج فى ماله ، والزوجة فى منصبها ، وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفسا إلا وسعها (لا تضارّ والدة بولدها) قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهى ، وبرفعهما على الخبر ، ومعناها النهى ، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل ، فيكون ماقبل الآخر مكسوراً قبل الإدغام ، أو يكون مسندا إلى المفعول ، فيكون مفتوحا ، والمعنى على الوجهين : النهى عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ، ويدخل فى عموم النهى : وجوه الضرر كلها والباء فى قوله بولدها وبولده : سببية ، والمراد بقوله ولامولودله : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأنّ الولد ينسب له لا للأم (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلف فى الوارث فقيل وارث المولود له ، وقيل وارث الصبى لو مات ، وقيل هو الصبى نفسه ، وقيل من بقى من أبويه ، واختلف فى المراد بقوله مثل ذلك ، فقال مالك وأصحابه . عدم المضارة ، وذلك يجرى مع كل قول فى الوارث ؛ لأنّ ترك الضرر واجب على كل أحد ، وقيل المراد أجرة الرضاع فى النفقة والكسوة ، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف فى الوارث ، فأما على القول بأنّ الوارث هو الصبى فلا إشكال : لأن أجرة رضاعه فى ماله ، وأما على سائر الأقوال ، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد ، وقيل إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبى لو مات ، أو على وارث الوالد ، وهو قول قتادة والحسن البصرى (وإن أردتم أن تسترضعوا) إباحة لاتخاذ الغير (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) أى دفعتم أجرة الرضاع (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشرا) الآية عموم فى كل متوفى عنها ، سواء توفى زوجها قبل الدخول أوبعده ، إلا الحامل فعدتها وضع حملها ، سواء وضعته قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعى وجمهور العلماء ، وقال علىّ بن أبى طالب : عدتها أبعد الأجلين ، وخص مالك من ذلك الأمة فعدّتها فى الوفاة شهران وخمس ليال ، ويتربص : معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد ، وإعراب الذين مبتدأ ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن ، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، وقال الكوفيون : الخبر عن الذين متروك ، والقصد الإخبار عن أزواجهم (فيما فعلن فى أنفسهنّ) من التزويج والزينة (بالمعروف) هنا إذا كان غير منكر وقيل معناه الإشهاد (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) الآية : إباحة

عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا
إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ
أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا
لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۞ وَإِن
طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ

التعريض بخطبة المرأة المعتدّة ، ويقتضى ذلك النهى عن التصريح ، ثم أباح ما يضمر فى النفس بقوله : أو أكننتم فى أنفسكم (علم الله أنكم ستذكرونهنّ) أى تذكروهنّ فى أنفسكم وبالسنتكم لم يخف عليكم وقيل أى ستخطبونهنّ إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهنّ سرا) أى لا تواعدوهنّ فى العدّة خفية بأن تتزوّجوهنّ بعد العدّة ، وقال مالك فيمن يخطب فى العدّة ثم يتزوّج بعدها : فراقها أحب إلىّ ، ثم يكون خاطبا من الخطاب ، وقال ابن القاسم : يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء منقطع ، والقول المعروف : هو ما أبيح من التعريض : كقوله إنكم لأكفاء كرام ، وقوله إنّ الله سيفعل معك خيرا ، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) الآية : نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدّة والكتاب هنا : القدر الذى شرع فيه من المدّة ومن تزوّج امرأة فى عدّتها يفرق بينهما اتفاقا ، فإن دخل بها حرمت عليه على التأبيد عند مالك خلافا للشافعى وأبى حنيفة واختلف عن مالك فى تابيد التحريم إذا لم يدخل بها ، وإذا دخل بها ولم يطأها (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهنّ) الآية : قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة ظنّ قوم أنّ من طلق قبل البناء وقع فى المنهى عنه ، فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك ، وقيل إنها فى بيان ما يلزم من الصداق والمتعة فى الطلاق قبل الدخول ، وذلك أنّ من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك فى نكاح التفويض : فلا شىء عليه من الصداق ؛ لقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء الآية ، والمعنى لا طلب عليكم بشىء من الصداق ، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى: ومتعوهنّ ، وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق لقوله تعالي : فنصف ما فرضتم ، ولا متعة عليه ، لأنّ المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله : أو تفرضوا ، أو فيه بمعنى الواو (ومتعوهنّ) أى أحسنوا إليهنّ ، وأعطوهنّ شيئا عند الطلاق ، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك ، وواجب عند الشافعى (على الموسع قدره) أى يمتع كل واحد على قدر ما يجد ، والموسع الغنى ، و(المقتر) الضيق الحال ، وقرئ بإسكان دال قدره وفتحها ، وهما بمعنى وبالمعروف هنا : أى لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين (حقا على المحسنين) تعلق الشافعى فى وجوب المتعة بقوله : حقا ، وتعلق مالك بالندب فى قوله على المحسنين، لأنّ الإحسان تطوّع بما لا يلزم (وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ) الآية : بيان أن المطلقة قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمى ، بخلاف نكاح التفويض (إلا أن يعفون) النون فيه نون جماعة النسوة : يريد المطلقات ، والعفو هنا بمعنى الإسقاط ، أى للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يسقطنه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها (أو يعفو الذى بيده عقدة

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ حَافِظُوا
عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ

النكاح) قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوالى الذى تكون المرأة فى حجره كالأب فى ابنته المحجورة، والسيد فى أمته ، فيجوزله أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول ، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء ، وقال على بن أبى طالب والشافعى: الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وعفوه أن يعطى النصف الذى سقط عنه من الصداق ، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته ، وحجة مالك أن قوله الذى بيده عقدة النكاح فى الحال ، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح ، وحجة الشافعى قوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى» فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذى لا يلزمه فذلك فضل وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير (ولا تنسوا الفضل بينكم) قيل إنه يعنى إسقاط المرأة نصف صداقها أو دفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعم من ذلك (والصلوة الوسطى) جدد ذكرها بعد دخولها فى الصلوة اعتناءً بها وهى الصبح عند مالك وأهل المدينة ، والعصر عند علىّ بن أبى طالب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقيل هى الظهر ، وقيل المغرب ، وقيل هى العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسميت وسطى لتوسطها فى عدد الركعات ، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع أو لتوسط وقتها ، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة ، لأنها فى وسط النهار ، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجرى اختلاف الأقوال فيها (وقوموا لله) معناه فى صلاتكم (قانتين) هنا ساكتين وكانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت ، قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، وقيل خاشعين ، وقيل طول القيام (فإن خفتم) أى من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس (فرجالا) جمع راجل أى على رجليه (أو ركبانا) جمع راكب : أى صلوا كيف ما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك فى صلاة المسايفة ، ولا تنقص منها عن ركعتين فى السفر ، وأربع فى الحضر عند مالك (فإذا أمنتم فاذكروا الله) الآية : قيل المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها وهى التامة ، وقيل إذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التى تجزئكم فى حال الخوف ، فالذكر على القول الأول فى حال الصلاة ، وعلى الثانى بمعنى الشكر (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم فى منزله سنة وينفق عليها من ماله ، وذلك صية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر ، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذى لها فى الميراث حسبما ذكر فى سورة النساء ، وإعراب وصية مبتدأ ، وأزواجهم خبر ، أو مضمر تقديره : فعليهم وصية ، وقرئت بالنصب على المصدر ، تقديره : ليوصوا وصية ، ومتاعا نصب على المصدر (غير إخراج) أى ليس لأولياء الميت إخراج المرأة (فإن خرجت) معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت فى نفسها من تزوج وزينه (وللمطلقات

مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۞ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا
مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِن
بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
أَلَّا تُقَٰتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالظَّٰلِمِينَ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا أَنَّىٰ
يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ

متاع) عام فى إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه واستثنى مالك المختلعة والملاعنة (حقا على المتقين) يدل على وجوب المتعة وهى الإحسان للمطلقات ، لأن التقوى واجبة ، ولذلك قال بعضهم : نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقا على المحسنين ، فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت حقا على المتقين (ألم تر) رؤية قلب (إلى الذين خرجوا من ديارهم) قوم من بنى إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليعرّفهم أنه لا ينجيهم من الموت شىء ، وقيل بل فرّوا من الطاعون (وهم ألوف) جمع ألف ، قيل ثمانون ألفا ، وقيل ثلاثون ألفا ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل هو من الألفة ، وهو ضعيف (فقال لهم الله موتوا) عبارة عن إماتتهم ، وقيل إن ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا (ثم أحياهم) ليستوفوا آجالهم (وقاتلوا) خطاب لهذه الأمة وقيل للذين أماتهم الله ثم أحياهم (من ذا الذى يقرض الله) استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف ردّ ما أسلف ، وروى أن الآية نزلت فى أبى الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره (قرضا حسنا) أى خالصا طيبا من حلال من غير منّ ولا أذى (فيضاعف) قرئ بالتشديد والتخفيف ، وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض ، وبالنصب فى جواب الاستفهام (أضعافا كثيرة) عشرة فما فوقها إلى سبعمائة (يقبض ويبسط) إخبار يراد به الترغيب فى الإنفاق (ألم تر إلى الملإ) رؤية قلب ، وكانوا قوما نالهم الذلة من أعدائهم ، فطلبوا الإذن فى القتال فلما أمروا به كرهوه (لنبى لهم) قيل اسمه شمويل ، وقيل شمعون (هل عسيتم) أى قاربتم ، وأراد النبى المذكور أن يتوثق منهم ، ويجوز فى السين من عسيتم الكسر والفتح ، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح (طالوت ملكا) قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملكهم ، وقال السدى أرسل الله إلى نبيهم عصا ، وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت (ونحن أحق بالملك منه) روى أنه كان

بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۞ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم

دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو فى قوله ونحن واو الحال والواو فى قوله ولم يؤت لعطف الجملة على الأخرى (بسطة فى العلم والجسم) كان عالما بالعلوم وقيل بالحروب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه (والله يؤتى ملكه من يشاء) رد عليهم فى اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال (أن يأتيكم التابوت) كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع فى البرية ، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته فى دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة (فيه سكينة) قيل ريح فيه رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة ، وقيل وقار (وبقية) قال ابن عباس: هى عصى موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة (آل موسى وآل هارون) يعنى أقاربهما ، قال الزمخشرى يعنى الأنبياء من بنى إسرائيل ، ويحتمل أن يريد موسى وهارون ، وأقحم الأهل (فصل طالوت) أى خرج من موضعه إلى الجهاد (بنهر) قيل هو نهر فلسطين (فمن شرب منه) الآية : اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد (إلا من اغترف غرفة) رخص لهم فى الغرفة باليد ، وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها هو الاسم (فشربوا منه إلا قليلا) قيل كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر ، فأما من شرب فاشتد عليه العطش ، وأما من لم يشرب فلم يعطش (جالوت وجنوده) كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العمالقة ، ويقال إن البربر من ذريته (يظنون) أى يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه (قتل داود جالوت) كان داود فى جند طالوت فقتل جالوت ، فأعطاه الله ملك بنى إسرائيل ، وفى ذلك قصص كثيرة غير صحيحة (والحكمة) هنا النبوة والزبور ، (وعلمه مما يشاء) صنعة الدروع ، ومنطق الطيور ، وغير ذلك (ولولا دفع الله) الآية : منة على العباد بدفع بعضهم ببعض ، وقرئ دفاع بالألف ، ودفع بغير ألف ، والمعنى متفق (تلك الرسل) الإشارة إلى جماعتهم (فضلنا) نص فى التفضيل فى الجملة من غير تعيين مفضول : كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تخيروا بين الأنبياء ، ولا تفضلونى

مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا

على يونس بن متى : فإنّ معناه النهى عن تعيين المفضول ، لأنه تنقيص له ، وذلك غيبة ممنوعة ، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بفضله على جميع الأنبياء بقوله « أنا سيد ولد آدم » لا بفضله على واحد بعينه ، فلا تعارض بين الحديثين (من كلم الله) موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة ، وقيل هو إدريس لقوله « ورفعناه مكانا عليا » فالرفعة على هذا فى المسافة وقيل هو مطلق فى كل من فضله الله منهم (من بعدهم) أى من بعد الأنبياء ، والمعنى بعد كل نبىّ لا بعد الجميع (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره تأكيدا وليبنى عليه مابعده (أنفقوا) يعم الزكاة والتطوّع (لا بيع فيه) أى لا يتصرف أحد فى ماله ، والمراد لا تقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الإنفاق فى الدنيا ويدخل فيه نفى الفدية لأنه بشراء الإنسان نفسه (ولا خلة) أى مودّة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه (ولا شفاعة) أى ليس فى يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله فهو فى الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله ، وعلى هذا يحمل ماورد من نفى الشفاعة فى القرآن أعنى أن لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها ، وحيث ما كان سياق الكلام فى أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق ومبالغة فى التهويل وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) قال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون (الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم) هذه آية الكرسى وهى أعظم آية فى القرآن حسبما ورد فى الحديث ، وجاء فيها فضل كبير فى الحديث الصحيح وفى غيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية ، والفرق بين السنة والنوم : أن السنة هى ابتداء النوم لا نفسه : كقول القائل * فى عينه سنة وليس بنائم * (من ذا الذى يشفع عنده) استفهام مراد به نفى الشفاعة إلا بإذن الله فهى فى الحقيقة راجعة إليه (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) الضمير عائد على من يعقل ممن تضمنه قوله «له مافى السموات ومافى الأرض» والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم ، وقال مجاهد مابين أيديهم الدنيا ؛ وماخلفهم الآخرة (من علمه) من معلوماته أى لا يعلم عباده من معلوماته إلا ماشاء هو أن يعلموه (وسع كرسيه) الكرسى مخلوق عظيم بين يدى العرش ، وهو أعظم من السموات والأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شىء ، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه (ولا يؤده) أى لا يشغله ولا يشق عليه (لا إكراه فى الدين) المعنى أن دين الإسلام فى غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۝ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ

بل يدخل فيه كل ذى عقل سليم من تلقاء نفسه ، دون إكراه ، ويدل على ذلك قوله (قد تبين الرشد من الغى) أى قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غى ، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه ، وقيل معناها الموادعة ، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول فى الإسلام ثم نسخت بالقتال ، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة (بالعروة الوثقى) العروة فى الأجرام هى موضع الإمساك وشد الأيدى ، وهى هنا تشبيه واستعارة فى الإيمان (لا انفصام لها) لا انكسار لها ولا انفصال (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (أولياؤهم الطاغوت) جمع الطاغوت هنا وأفرد فى غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله ، ولمن يضل الناس من الشياطين وبنى آدم (الذى حاج إبراهيم) هو نمروذ الملك وكان يدعى الربوبية فقال لإبراهيم : من ربك ؟ (قال ربى الذى يحيي ويميت) فقال نمروذ : (أنا أحيي وأميت) وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فقال قد أحييت هذا وأمت هذا ، فقال له إبراهيم : (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت) أى انقطع وقامت عليه الحجة ، فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثانى ، والانتقال علامة الانقطاع ؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة ، وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمروذ بالمجاز غلطا منه أو مغالطة ، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى لأنه لامجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو رأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه ؛ لأن كلتيهما كلمتا تعجب ، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول أرأيت كالذى حاج إبراهيم ، أو كالذى مر على قرية وهذا المار قيل إنه عزير ، وقيل الخضر ، فقوله (أنى يحيي هذه الله) ليس إنكارا للبعث ولا استبعاداً ولكنه استعظام لقدرة الذى يحيي الموتى ، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته ، لاشك فى وقوعه ، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة ، وقيل بل كان كافراً وقالها إنكاراً للبعث واستبعادا ، فأراه الله الحياة بعد الموت فى نفسه ، وذلك أعظم برهان (وهى خاوية على عروشها) أى خالية من الناس ، وقال السدى سقطت سقوفها وهى العروش ، ثم سقطت الحيطان على السقف (أنى يحيي هذه الله) ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذى يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته ، والقرية كانت بيت المقدس لما أخربها بختنصر وقيل قرية الذين خرجوا

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

من ديارهم وهم ألوف (كم لبثت) سؤال على وجه التقرير (قال لبثت يوما أو بعض يوم) استقل مدة موته، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظنّ أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب فى قوله يوما فقال أو بعض يوم (فانظر إلى طعامك وشرابك) قيل كان طعامه تينا وعنبا وأنّ شرابه كان عصيرا ولبنا (لم يتسنه) معناه لم يتغير بل بقى على حاله طول مائة عام، وذلك أعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة، لأنّ لامها هاء، فتكون الهاء فى يتسنه أصلية. أى لم يتغير السنون ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك تسنن الشيء إذا فسد، ومنه الحمأ المسنون، ثم قلبت النون حرف علة كقولهم قصيت أظفارى ثم حذف حرف العلة للجازم، والهاء على هذا هاء السكت (وانظر إلى حمارك) قيل بقى حماره حياً طول المائة عام، دون علف ولاماء، وقيل مات ثم أحياه الله، وهو ينظر إليه (ولنجعلك آية للناس) التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس، وروى أنه قام شابا على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا (وانظر إلى العظام) هى عظام نفسه، وقيل عظام الحمار على القول بأنه مات (ننشرها) بالراء نحييها، وقرئ بالزاى، ومعناه نرفعها للاحياء (قال أعلم) بهمزة قطع وضم الميم أى قال الرجل ذلك اعترافا، وقرئ بألف وصل، والجزم على الأمر أى قال له الملك ذلك (وإذ قال إبراهيم) الآية: قال الجمهور: لم يشك إبراهيم فى إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة، لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال، ويدل على ذلك قوله: كيف، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه (ولكن ليطمئن قلبى) أى بالمعاينة (أربعة من الطير) قيل هى الديك، والطاوس، والحمام، والغراب، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءاً على كل جبل، وأمسك رأسها بيدها، ثم قال: تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت، وبقيت بلا رؤس، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها فى رؤسها وطارت بإذن الله (فصرهن) أى ضمهن، وقيل قطعهن على كل جبل، قيل أربعة جبال، وقيل سبعة، وقيل الجبال التى وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد (فى سبيل الله) ظاهره الجهاد، وقد يحمل على جميع وجوه البر (كمثل حبة) كل مايزرع ويقتات وأشهره القمح، وفى الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر فى آخر الكلام كمثل صاحب حبة (أنبتت سبع سنابل) بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء فى الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَلِيمٌ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۞
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ
جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ
أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة (والله يضاعف لمن يشاء) أى يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة، والأول أرجح، لأنه ورد فى الحديث مايدل عليه (الذين ينفقون) الآية: قيل نزلت فى عثمان، وقيل فى علىّ وقيل فى عبدالرحمن بن عوف (منا ولا أذى) المن. ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، والأذى السب (قول معروف) هو ردّ السائل بجميل من القول: كالدعاء له والتأنيس (ومغفرة) عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء، وقيل مغفرة من الله لسبب الردّ الجميل، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة، على العطاء الذى يتبعه أذى (لا تبطلوا صدقاتكم) عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات فقالوا فى هذه الآية إن الصدقة التى يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذى لا تقبل منه، وقيل إن المن والأذى: دليل على أن نيته لم تكن خالصة، فلذلك بطلت صدقته (كالذى ينفق) تمثيل لمن يمن ويؤذى بالذى ينفق رياء وهو غير مؤمن (فمثله) أى مثل المرائى فى نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة، فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب، فيبقى الحجر لامنفعة فيه، فكذلك المرائى يظن أن له أجرا، فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته (صفوان) حجر كبير (وابل) مطر كثير (صلدا) أملس (لا يقدرون) أى لا يقدرون على الانتفاع بثواب شىء من إنفاقهم وهو كسبهم (وتثبيتا) أى تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان باحتمال المشقة فى بذل المال، وانتصاب ابتغاء على المصدر فى موضع الحال وعطف عليه وتثبيتا، ولا يصح فى تثبيتا أن يكون مفعولا من أجله، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك فى المعطوف عليه وهو ابتغاء (كمثل حبة) تقديره كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذى ينفقون (بربوة) لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها (فطل) الطل الرقيق الخفيف، فالمعنى يكفى هذه الجنة لكرم أرضها (أيود أحدكم) الآية: مثل ضرب للانسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائى المتقدم ذكره آنفا أو ذى المن والأذى، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله. فإذا كان وقت حاجة إليه لم يجد شيئا، فشبههم الله بمن كانت له جنة، ثم أصابتها الجائحة المهلكة، أحوج ما كان إليها لشيخوخته،

ذُرِّيَّةً ضُعَفَآءَ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ
وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۞ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنْ أَنصَارٍ ۞ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۞ لِلْفُقَرَآءِ

وضعف ذريته ، قالوا فى قوله : وأصابه الكبر للحال (إعصار) أى ريح فيها سموم محرقة (من طيبات مارزقناكم) والطيبات هنا عند الجمهور : الجيد غير الردىء ، فقيل إن ذلك فى الزكاة فيكون واجبا ؛ وقيل فى التطوع فيكون مندوبا لا واجبا ؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالردىء (ومما أخرجنا) من النبات والمعادن وغير ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أى لا تقصدوا الردىء (منه تنفقون) فى موضع الحال (ولستم بآخذيه) الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتسامحوا بأخذه وتعملوا من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه وإذا غض بصره (الشيطان يعدكم الفقر) الآية : دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، ففى ضمن ذلك حض على الإنفاق ، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ، وهى المعاصى ، وقيل الفحشاء البخل ، والفاحش عند العرب البخيل ، قال ابن عباس : فى الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله ، والفضل هو الرزق والتوسعة (يؤتى الحكمة) قيل هى المعرفة بالقرآن ، وقيل النبوة ، وقيل الإصابة فى القول والعمل (وما أنفقتم من نفقة) الآية . ذكر نوعين ، وهما مايفعله الإنسان تبرعا ، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر ، وفى قوله (فإن الله يعلمه) وعد بالثواب ، وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله (إن تبدوا الصدقات) هى التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات (فنعما هى) ثناء على الإظهار ، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نعما فى موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير فنعم شىء إبداؤها (ليس عليك هداهم) قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام ، وذلك فى التطوع ، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا ، فالضمير فى هداهم على هذا القول للكافر ، وقيل ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الانفاق ، وترك المن والأذى والرياء ، والانفاق من الخبيث ، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله ، فالضمير على هذا للمسلمين (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) أى إن منفعته لكم لقوله «من عمل صالحا فلنفسه» (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه والله) قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم

الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ

وشهادة بفضلهم ، وقيل ماتنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ، فني ذلك حض على الاخلاص (للفقراء) متعلق بمحذوف تقديره الانفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون (أحصروا) حبسوا بالعدو ، وبالمرض (فى سبيل الله) يحتمل الجهاد والدخول فى الاسلام (ضربا فى الأرض) هو التصرف فى التجارة وغيرها (يحسبهم الجاهل أغنياء) أى يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سببية ، وقال ابن عطية لبيان الجنس (تعرفهم بسيماهم) علامة وجوههم وهى ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود (لايسألون الناس إلحافا) الإلحاف هو الإلحاح فى السؤال ، والمعنى : أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون ، وقيل هو نفى السؤال والإلحاح معا وباقى الآية وعد (بالليل والنهار سرا وعلانية) تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته ، قال ابن عباس : نزلت فى علىّ فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سراً وبدرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت فى علف الخيل (الذين يأكلون الربا) أى ينتفعون به ، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه ، والربا فى اللغة الزيادة ، ثم استعمل فى الشريعة فى بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة ، فإن غالب الربا فى الجاهلية قولهم للغريم أتقضى أم تربى ، فكان الغريم يزيد فى عدد المال ، ويصبر الطالب عليه ، ثم إن الربا على نوعين : ربا النسيئة ، وربا التفاضل وكلاهما يكون فى الذهب والفضة ، وفى الطعام . فأما النسيئة فتحرم فى بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة وفى بيع الذهب بالفضة ، وهو الصرف ، وفى الطعام بالطعام مطلقا ، وأما التفاضل فإنما يحرم فى بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام ، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل فى المقتات المدخر من الطعام ، ومذهب الشافعى أنه يحرم فى كل طعام ، ومذهب أبى حنيفة أنه يحرم فى المكيل والموزون من الطعام وغيره (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم فى البعث إلا كالمجنون ، ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط ، والمس الجنون ، ومن تتعلق بيقوم (ذلك بأنهم) تعليل للعقاب الذى يصيبهم ، وإنما هذا للكفار ، لأن قولهم إنما البيع مثل الربا : رد على الشريعة وتكذيب للإثم وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد ، فإن قيل : هلا قيل إنما الربا مثل البيع ، لأنهم قاسوا الربا على البيع فى الجواز ، فالجواب : أن هذا مبالغة ، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع) عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا ، وقد عددناها فى الفقه ثمانين نوعا (وحرم الربا) رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا ، وفى ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۞ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب

الله وتحريمه (فله ماسلف) أى له ماأخذ من الربا، أى لايؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) الضمير عائد على صاحب الربا، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة، فلا تؤاخذوه فى الدنيا، وقيل الضمير عائد على الربا، والمعنى أن أمر الربا إلى الله فى تحريم أو غير ذلك (ومن عاد) الآية: يعنى من عاد إلى فعل الربا وإلى القول. إنما البيع مثل الربا، ولذلك حكم عليه بالخلود فى النار، لأن ذلك القول لايصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها فى الكفار (يمحق الله الربا) ينقصه ويذهبه (ويربى الصدقات) ينميها فى الدنيا بالبركة، وفى الآخرة بمضاعفة الثواب (كفار أثيم) أى من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا، وهذا يدل على أن الآية فى الكفار (وذروا مابقى من الربا) سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا فى الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال فى خطبته كل ربا كان فى الجاهلية موضوع ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذى كان لهم على قريش، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية (إن كنتم مؤمنين) شرط لمن خوطب به من قريش وغيرهم (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب) أى إن لم تنتهوا عن الرباحوربتم ومعنى فأذنوا: اعلموا، وقرئ بالمد أى أعلموا غيركم، ولما نزلت قالت ثقيف لاطاقة لنا بحرب الله ورسوله (لاتظلمون ولا تظلمون) أى لاتظلمون بأخذ زيادة على رءوس أموالكم، ولا تظلمون بالنقص منها (وإن كان ذوعسرة) كان تامة بمعنى حضر ووقع، وقرئ ذا عسرة، أى إن كان الغريم ذاعسرة (فنظرة إلى ميسرة) حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه، ونظرة مصدر، معناه التأخير، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ، وميسرة أيضا مصدر وقرئ بضم السين وفتحها (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره، وباقى الآية وعظ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا، وقيل بل قوله: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، الآية. وقيل آية الدين المذكورة بعد (إذا تداينتم بدين) أى إذا عامل بعضكم بعضا بدين، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا فى تداينتم ليعود عليه الضمير فى اكتبوه وليزول الاشتراك الذى فى تداينتم، إذ يقال لمعنى الجزاء (إلى أجل مسمى) دليل على أنه لايجوز إلى أجل مجهول، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد، لأنه معروف عند الناس، ومنعه الشافعى وأبو حنيفة، قال ابن عباس: نزلت الآية فى السلم خاصة يعنى أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعنى

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ

أنه يجوز التأخير فى السلم والسلف وغيرهما (فاكتبوه) ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية ، وقال قوم إنها منسوخة لقوله «فإن أمن بعضكم بعضا» وقال قوم إنها على الندب (وليكتب بينكم كاتب) قال قوم يجب على الكاتب أن يكتب ، وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وقال آخرون يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه ، وقال قوم إن الأمر بذلك على الندب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق (بالعدل) يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب ، وعند الزمخشرى بقوله كاتب فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل ، وإن كان الكاتب غير مرضىّ ، وعلى الثانى يجب أن يكون الكاتب مرضياً فى نفسه ، قال مالك : لا يكتب الوثائق إلا عارف بها ، عدل فى نفسه مأمون (ولا يأب كاتب أن يكتب) نهى عن الإباية ، وهو يقوى الوجوب (كما علمه الله) يتعلق بقوله أن يكتب ، والكاف للتشبيه أى يكتب مثل ما علمه الله أو للتعليل : أى ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها (فليكتب وليملل) يقال أملت الكتاب ، وأمليته ، فورد هنا على اللغة الواحدة ، وفى قوله تملى عليه على الأخرى (الذى عليه الحق) لأن الشهادة إنما هى باعترافه ، فإن كتب الوثيقة دون إملاله ، ثم أقر بها جاز (ولا يبخس) أمر الله بالتقوى فيما يملى ، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق (سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو) السفيه الذى لا يحسن النظر فى ماله ، والضعيف الصغير وشبهه ، والذى لا يستطيع أن يمل الأخرس وشبهه (وليه) أبوه ، أو وصيه ، والضمير عائد على الذى عليه الحق (واستشهدوا شهيدين) شهادة الرجلان جائزة فى كل شىء إلا فى الزنا فلا بد من أربعة (من رجالكم) نص فى رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء ، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم ، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم ، ومنعها مالك والشافعى لنقص الرق (فرجل وامرأتان) قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع الرجال ، وقال معنى الآية : إن لم يكونا أى إن لم يوجدا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان ، فرجل وامرأتان ، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين فى الأموال لا فى غيرها ، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل ، فيما لا يطلع عليه الرجال كالولادة والاستهلال ، وعيوب النساء ، وارتفع رجل بفعل مضمر تقديره : فليكن رجل ، فهو فاعل ، أو تقديره : فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله ، أو بالابتداء تقديره : فرجل وامرأتان يشهدون (ممن ترضون) صفة للرجل والمرأتين ، وهو مشترط أيضا فى الرجلين الشاهدين ، لأن الرضا مشترط فى الجميع وهو العدالة ، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر ، وتوقى الصغائر مع المحافظة على المروءة (أن تضل) مفعول من أجله ، والعامل فيه هو المقدر العامل فى رجل وامرأتان والضلال فى الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها ، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله ، وليس هو المراد ، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟

وهو المراد ، فاقيم السبب مقام المسبب ، وقرئ : إن تضل : بكسر الهمزة على الشرط ، وجوابه الفاء فى فتذكر ، ولذلك رفعه من كسر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف ، وقرئ تذكر بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد (ولا يأب الشهداء) أى لا يمتنعون (إذا مادعوا) إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعى إليها ، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها . وقيل إلى الأمرين (ولا تسأموا أن تكتبوه) أى لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت، سواء كان الحق صغيرا أو كبيرا ، ونصب صغيرا على الحال (ذلكم) إشارة إلى الكتابة (أقسط) من القسط وهو العدل (وأقوم) بمعنى أشد إقامة ، وينبنى أفعل فيهما من الرباعى وهو قليل (وأدنى أن لا ترتابوا) أى أقرب إلى عدم الشك فى الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أن فى موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن الكلام المتقدم فى الدين المؤجل ، والمعنى إباحة ترك الكتابة فى التجارة الحاضرة ، وهو ما يباع بالنقد وغيره ، (تديرونها بينكم) يقتضى القبض والبينونة (وأشهدوا إذا تبايعتم) ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا، وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : فإن أمن بعضكم بعضا ، وذهب قوم إلى أنه على الندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار، والمعنى على هذا نهى للكاتب والشاهد أن يضار صاحب الحق أو الذى عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه ، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة ، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوى ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «لا يضارر» بالتفكيك وفتح الراء ، والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب والشاهد بإذايتهما بالقول أو بالفعل (وإن تفعلوا) أى إن وقعتم فى الإضرار (فإنه فسوق) حال بكم (ويعلمكم الله) إخبار على وجه الامتنان ، وقيل معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية لا يعطيه ، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم فى جواب اتقوا (وإن كنتم على سفر) الآية : لما أمر الله تعالى بكتب الدين : جعل الرهن توثيقا للحق ، عوضا عن الكتابة ، حيث تتعذر الكتابة فى السفر ، وقال الظاهرية : لا يجوز الرهن إلا فى السفر لظاهر الآية . وأجازه مالك وغيره فى الحضر لأن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه بالمدينة (فرهان مقبوضة) يقتضى بينونة المرتهن بالرهن ، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل ، والقبض للرهن شرط فى الصحة عند الشافعى وغيره ، لقوله تعالى «مقبوضة» ، وهو عند مالك شرط كمال لا صحة (فإن أمن بعضكم بعضا) الآية : أى إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به ، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن ، فأمر أولا بالكتابة ، ثم بالرهن ثم بالائتمان ، فللدين ثلاثة أحوال ثم أمر المديان بأداء الأمانة ، ليكون عند ظن صاحبه به (ولا تكتموا الشهادة) محمول على الوجوب (فإنه

الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

آثم قلبه) معناه : قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية فى كتمان الشهادة ، وارتفع آثم بأنه خبر إن ، وقلبه فاعل به ، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ ، وآثم خبره، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هى الآثمة ، لأن الكتمان من فعل القلب ، إذ هو يضمرها ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية : مقتضاها المحاسبة على مافى نفوس العباد من الذنوب ، سواء أبدوه أم أخفوه ، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله ، وفى ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز لأمتى ماحدثت به أنفسها ، ففى الحديث الصحيح عن أبى هريرة : أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكنا إن حوسبنا على خواطر أنفسنا ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها ، فأنزل الله بعد ذلك : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فكشف الله عنهم الكربة ، ونسخ بذلك هذه الآية ، وقيل هى فى معنى كتم الشهادة وإبدائها ، وذلك محاسب به ، وقيل يحاسب الله خلقه على مافى نفوسهم ، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين ، والصحيح التأويل الأول لوروده فى الصحيح ، وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره ، فإن قيل : إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ، فالجواب : أن النسخ إنما وقع فى المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه ، فلفظ الآية خبر ، ومعناها حكم (فيغفر لمن يشاء ويعذب) قرئ بجزمهما عطفا على يحاسبكم وبرفعهما على تقدير فهو يغفر (آمن الرسول) الآية سببها ما تقدم فى حديث أبى هريرة : لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية ، وقدم ذلك قبل كشف ماشق عليهم (والمؤمنون) عطف على الرسول أو مبتدأ ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثانى يوقف على من ربه والأول أحسن (كل آمن بالله) إن كان المؤمنون معطوفا فكل عموم فى الرسول والمؤمنون ، وإن كان مبتدأ فكل عموم فى المؤمنين ووحد الضمير فى آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن (وكتبه) قرئ بالجمع أى كل كتاب أنزله الله ، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس (لا نفرق بين أحد من رسله) التقدير يقولون لا نفرق ، والمعنى لا نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره فى الإيمان بل نؤمن بجميعهم ، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (وقالوا سمعنا وأطعنا) حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم (غفرانك) مصدر ، والعامل فيه مضمر ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك ، وقيل على المفعولية تقديره : نطلب غفرانك (وإليك المصير) إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد ، وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) إخبار من الله تعالى برفع تكليف مالا يطاق ، وهو جائز عقلا عند الأشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة ، واتفقوا على أنه لم يقع فى الشريعة (لها ما كسبت) أى من الحسنات (وعليها ما اكتسبت) أى من السيئات ، وجاءت العبارة بلها

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الم ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

فى الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به ، وجاءت بعليها فى السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال فى الحسنات كسبت وفى الشر اكتسبت ، لأن فى الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أو لأن السيئات يجد فى فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان فى الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أى قولوا ذلك فى دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان » وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكاليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة. قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير (ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف مالا يطاق لأنه لا يدعى برفع مالا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن مالا يطاق. أربعة أنواع : الأول عقلى محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثانى عادى كالطيران فى الهواء . والثانى عقلى وعادى : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف فى جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف مايشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم ، ورفعه عن هذه الأمة (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والمغفرة تقتضى مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام (مولانا) ولينا وسيدنا

سـورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا فى الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزمخشرى هى حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط فى الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقا) قد تقدم فى مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۞ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۞ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۞

فلا يصح ماذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما (وأنزل الفرقان) يعنى القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولا على وجه الإثبات لإنزاله لقوله: مصدقا لما بين يديه، ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به، كما قال فى التوراة والانجيل هدى للناس، فكأنه قال وأنزل الفرقان هدى للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه، فلما اختلف قصد الكلام فى الموضعين لم يكن ذلك تكرارا، وقيل الفرقان هنا: كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، وقيل هو الزبور، وهذا بعيد (لا يخفى عليه شىء) خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفضيل، وهذه صفة لم تكن لعيسى، ولا لغيره، ففى ذلك رد على النصارى (هو الذى يصوركم) برهان على إثبات علم الله المذكور قبل: وفيه رد على النصارى، لأن عيسى لا يقدر على التصوير، بل كان مصورا كسائر بنى آدم (كيف يشاء) من طول، وقصر، وحسن، وقبح، ولون؛ وغير ذلك (منه آيات محكمات) المحكم من القرآن: هو البين المعنى، الثابت الحكم، والمتشابه هو الذى يحتاج إلى التأويل، أو يكون مستغلق المعنى: كحروف الهجاء، قال ابن عباس: المحكمات الناسخات والحلال والحرام، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر، وهو تمثيل لما قلنا (هن أم الكتاب) أى عمدة ما فيه ومعظمه (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) نزلت فى نصارى نجران فإنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: أليس فى كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم، قالوا فحسبنا إذا، فهذا من المتشابه الذى اتبعوه، وقيل نزلت فى أبى ياسر بن أخطب اليهودى وأخيه حكيم ثم يدخل فى ذلك كل كافر أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن (ابتغاء الفتنة) أى ليفتنوا به الناس (وابتغاء تأويله) أى يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضى مذاهبهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل اليه مخلوق (وما يعلم تأويله إلا الله) إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب علم ذلك من الناس (والراسخون فى العلم) مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وقيل إنه معطوف على ما قبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله، وكلا القولين مروى عن ابن عباس، والقول الأول قول أبى بكر الصديق وعائشة، وعروة بن الزبير، وهو أرجح، وقال ابن عطية المتشابه نوعان: نوع انفرد الله بعلمه، ونوع يمكن وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفا بالنظر إلى الثانى (كل من عند ربنا) أى المحكم والمتشابه من عند الله (ربنا لا تزغ قلوبنا) حكاية عن الراسخين، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۞ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۞ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله وما يذكر إلا أولو الألباب؛ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين إن الله لا يخلف الميعاد) استدلال على البعث ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطعاً فهو من كلام الله (كدأب) فى موضع رفع أى دأب هؤلاء كدأب (آل فرعون) وفى ذلك تهديد (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون، ويعنى بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون (بآياتنا) البراهين أو الكتاب (ستغلبون وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل لكفار قريش، وقرئ بالياء إخباراً عن يهود المدينة، وقيل عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففى بدر وغيرها والأشهر أنها فى بنى قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال - فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية. ثم أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة (قد كان لكم آية) قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود، وقيل لقريش؛ والأول أرجح أنه لبنى قينقاع الذين قيل لهم ستغلبون. ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم (فى فئتين التقتا فئة) المسلمون والمشركون يوم بدر (يرونهم مثليهم) قرئ ترونهم بالتاء خطابا لمن خوطب بقوله قد كان لكم آية. والمعنى ترون الكفار مثلى المؤمنين. ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قدر عددهم، وقرىء بالياء. والفاعل فى يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون. والضمير فى مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم. فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من المسلمين؛ فالجواب من وجهين أحدهما أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفار كانوا قريبا من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار فى أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله «إن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا، والآخر أنه رجع قوم من الكفار حتى بقى منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل فى يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير فى مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين والمفعول للمشركين. والمعنى على هذا أن الله كثر عدد المسلمين فى أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلى الكافرين أو مثلى المؤمنين. وهم أقل من ذلك وإنما كثرهم الله فى أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى، ويقللكم فى أعينهم (رأى العين) نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لاشك فيها (والله يؤيد

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۞ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بنصره من يشاء) أى أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانوا أكثر منهم (زين للناس) قيل المزين هو الله وقيل الشيطان . ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا . وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة (والقناطير) جمع قنطار ، وهو ألف ومائتا أوقية ، وقيل ألف ومائتا مثقال ، وكلاهما مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (المقنطرة) مبنية من لفظ القناطير وللتأكيد كقولهم ألوف مؤلفة ، وقيل المضروبة دنانير أو دراهم (المسومة) الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال فى المسارح ، وقيل المعلمة فى وجوهها شيئان فهى من السمات بمعنى العلامات ، قيل المعدة للجهاد (ذلك متاع الحياة الدنيا) تحقير لها ليزهد فيها الناس (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) تفضيل للآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتمام الكلام فى قوله من ذلكم ثم ابتدأ قوله (للذين اتقوا) تفسيراً لذلك فجنات على هذا مبتدأ وخبره للذين اتقوا ، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتمام الكلام فى قوله عند ربهم ، فجنات على هذا خبر مبتدأ مضمر (ورضوان من الله) زيادة إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد فى الحديث (الذين يقولون) نعت للذين اتقوا ، ورفع بالابتداء ، أو نصب بإضمار فعل (الصادقين) فى الأقوال والأفعال (والقانتين) العابدين والمطيعين (والمستغفرين) الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نستغفر ، فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (بالأسحار) جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثلث الأخير ، وهو الذى ورد أن الله يقول حينئذ : من يستغفرنى فأغفر له » (شهد الله) الآية : شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلامه لعباده بذلك (والملائكة وأولوا العلم) عطف على اسم الله أى هم شهداء بالوحدانية ، ويعنى بأولى العلم : العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته (قائما) منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) إنما كرر التهليل لوجهين : أحدهما : أنه ذكر أولا الشهادة بالوحدانية ، ثم ذكرها ثانيا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة ، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها (إن الدين) بكسر الهمزة ابتداء ، وبفتحها بدل من أنه ، وهو بدل شىء من شىء ، لأن التوحيد هو الإسلام (وما اختلف الذين) الآية : إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغى ، وهو الحسد ، والآية

اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ قُلِ اللَّهُمَّ مَٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ

فى اليهود ، وقيل فى النصارى ، وقيل فيهما (سريع الحساب) قد تقدم معناه فى البقرة وهو هنا تهديد ، ولذلك وقع فى جواب من يكفر (فإن حاجوك) أى جادلوك فى الدين ، والضمير لليهود ونصارى نجران (أسلمت وجهى) أى أخلصت نفسى وجملتى (لله) وعبر بالوجه على الجملة ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك ، فسقطت حجة من خالفه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت ويجوز أن يكون مفعولا معه (أأسلمتم) تقرير بعد إقامة الحجة عليهم أى قد جاءكم من البراهين مايقتضى أن تسلموا (فإنما عليك البلاغ) أى إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فإذا أبلغتها فقد فعلت ماعليك ، وقيل إن فيها موادعة نسختها آية السيف (إن الذين يكفرون) الآية : نزلت فى اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على قبيح أفعالهم ، وأفعال أسلافهم (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود ، والكتاب هنا التوراة ، أوجنس (يدعون إلى كتاب الله) قال ابن عباس : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد ، فقالوا له على أى دين أنت - فقال لهم على دين إبراهيم ، فقالوا إن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهلموا إلي التوراة فهى بيننا وبينكم ، فأبوا عليه فنزلت الآية ، فكتاب الله على هذا التوراة ، وقيل هو القرآن : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم اليه فيعرضون عنه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية : والمعنى أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم ، والأيام المعدودات قد ذكرت فى البقرة (فكيف إذا جمعناهم) أى كيف يكون حالهم يوم القيامة ، والمعنى تهويل واستعظام لما أعد لهم (اللهم) منادى ، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين ، ولذلك لايجتمعان ، وقال الكوفيون أصله ياالله أمنا بخير فالميم عندهم من أمنا (مالك الملك) منادى عند سيبويه ، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله ؛ وقيل إن الآية نزلت ردا على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله ، لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى ، وقيل لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته يفتحون ملك كسرى وقيصر : استبعد ذلك المنافقون ، فنزلت الآية (بيدك الخير) قيل المراد بيدك الخير

وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَٰفِرِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۝

والشر ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقيل إنما خص الخير بالذكر ، لأن الآيه فى معنى دعاء ورغبة فكأنه يقول : بيدك الخير فأجزل حظى منه (تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ) قال عبد الله بن مسعود : هى النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حى ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة ، وقال عكرمة : هى إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ، فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفى ذكر الحى من الميت المطابقة ، وهى من أدوات البيان ، وفيه أيضا القلب لأنه قدم الحىّ على الميت ، ثم عكس (بغير حساب) بغير تضييق وقيل بغير محاسبة (لا يتخذ المؤمنون) الآية. عامة فى جميع الأعصار ، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود ، وقيل كتاب حاطب إلى مشركى قريش (فليس من الله فى شىء) تبرؤ ممن فعل ذلك ووعيد على موالاة الكفار ، وفى الكلام حذف تقديره : ليس من التقرب إلى الله فى شىء ، وموضع فى شىء نصب على الحال من الضمير فى ليس من الله ، قاله ابن عطية (إلا أن تتقوا منهم) إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم والمراد موالاة فى الظاهر مع البغضاء فى الباطن (تقاة) وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين . وفاؤه واو ، وأبدل منها تاء ، ولامه ياء أبدل منها ألف ، وهو منصوب على المصدرية ، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير فى تتقوا (ويحذركم الله نفسه) تخويف (يوم تجد) منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكروا أو خافوا وقيل العامل فيه قدير ، وقيل المصير ، وقيل يحذركم (وما عملت من سوء) مبتدأ خبره تود ، أو معطوف (أمدا) أى مسافة (والله رؤوف) ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف أو لأن التحذير والتنبيه رأفة (فاتبعونى) جعل اتباع النبى صلى الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط فى محبة الله للعبد ومغفرته له ، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران ومعناها على العموم فى جميع الناس (إن الله اصطفى) الآية : لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذ يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلا للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام ، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، والأظهر أن المراد هنا والد مريم ، لذكر قصتها بعد ذلك (آل إبراهيم وآل عمران) يحتمل أن يريد بآل القرابة ، أو الأتباع ، وعلى الوجهين

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ

يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى آل إبراهيم (ذرية) بدل مما تقدم أوحال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغير أوله فى النسب ، وقيل أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء ، فصار ذروية ، ثم أدغمت الواو فى الياء وكسرت الراء ، فصارت ذرية (إذ قالت) العامل فيه محذوف تقديره اذكروا ، وقيل عليم ، وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفاء (امرأة عمران) اسمها حنة بالنون ، وهى أم مريم ، وعمران هذا هو والد مريم (نذرت) أى جعلت نذرا علىّ أن يكون هذا الولد فى بطنى حبسا على خدمة بيتك ، وهو بيت المقدس (محررا) أى عتيقا من كل شغل إلا خدمة المسجد (فلما وضعتها) الآية . كانوا لا يحررون الإناث بخدمة المساجد ، فقالت (إنى وضعتها أنثى) تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذى نذرت (والله أعلم بما وضعت) قرئ وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها وقرئ بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها (وليس الذكر كالأنثى) يحتمل أن يكون من كلام الله ، فالمعنى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لك ، وأن يكون من كلامها فالمعنى ليس الذكر كالأنثى فى خدمة المساجد ، لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث (سميتها مريم) إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث ، وفيه أيضا العجمة (وإنى أعيذها بك) ورد فى الحديث ما من مولود إلا نخسه الشيطان يوم ولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ، لقوله : وإنى أعيذها بك : الآية (فتقبلها ربها) أى رضيها للمسجد مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا على غير المصدر ، والآخر أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به (وأنبتها نباتا حسنا) عبارة عن حسن النشأة (وكفلها زكريا) أى ضمها إلى إنفاقه وحضانته ، والكافل هو الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئ كفلها بتشديد الفاء ، ونصب زكريا : أى جعله الله كافلها (المحراب) فى اللغة أشرف المجالس ، وبذلك سمى موضع الإمام ، ويقال إن زكريا بنى لها غرفة فى المسجد ، وهى المحراب هنا ، وقيل المحراب موضع العبادة (وجد عندها رزقا) كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويقال إنها لم ترضع ثديا قط ، وكان الله يرزقها (أنى لك هذا) إشارة إلى مكان أى كيف ومن أين (إن الله يرزق) يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى (هنالك) إشارة إلى مكان ، وقد يستعمل فى الزمان ، وهو الأظهر هنا أى لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم : سأل من الله الولد (فنادته

هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ۞ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۞ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ ۞ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى

الملائكة) أنث رعاية للجماعة ، وقرئ بالألف على التذكير وقيل الذى ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أى جنس الخيل وإن كان فرسا واحدا (يحيى) اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد ، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء فى العربية ، وهو لا ينصرف ، فإن كان فى الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة ، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) أى مصدقا بعيسى عليه السلام مؤمنا به ، وسمى عيسى كلمة الله ، لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بنى آدم (وسيدا) السيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف والفضل (وحصورا) أى لا يأتى النساء فقيل خلقه الله كذلك ، وقيل كان يمسك نفسه ، وقيل الحصور الذى لا يأتى الذنوب (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته ، وعقم امرأته ، ويقال كان له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك فى العادة ، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك ، فسأله مع علمه بقدرة الله ، واستبعده لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو شاب ، وأجيب وهو شيخ ، ولذلك استبعده (كذلك الله يفعل ما يشاء) أى مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكريا ، واسم الله مرفوع بالابتداء ، أو كذلك خبره فيجب وصله معه ، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين : أحدهما أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدإ محذوف تقديره الأمر كذلك ، أو أنتما كذلك ، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام ، وارتباط قوله يفعل ما يشاء مع ما قبله ولأن له نظائر كثيرة فى القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك (اجعل لى آية) أى علامة على حمل المرأة (آيتك ألا تكلم الناس) أى علامتك أن لا تقدر على كلام الناس (ثلاثة أيام) بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر (إلا رمزا) إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما ، فهو استثناء منقطع (بالعشى) من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى (وإذ قالت الملائكة) اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل فى إذ مضمر (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك (وطهرك) من كل عيب فى خلق وخلق ودين (واصطفاك على نساء العالمين) يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب ، فيكون على نساء العالمين عاما ، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ، أو يكون المعنى على نساء

مَعَ الرَّاكِعِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۞ قَالَتْ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ۞ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۞ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

زمانها ؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق ، وقيل إنها كانت نبية لتكليم الملائكة لها (اقنتى) القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة ، وقيل طول القيام فى الصلاة وهو قول الأكثرين (واسجدى واركعى) أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها ، ثم قيل لها اركعى مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين ، أو فى الجماعة فلا يقتضى الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع ، لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين فى ركعة واحدة ، وقيل أراد ذلك ، وقدم السجود لأن الواو لاترتب ، ويحتمل أن تكون الصلاة فى ملتهم بتقديم السجود على الركوع (ذلك) إشارة إلى ماتقدم من القصص وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ما كنت لديهم) احتجاجا على نبوته صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم (يلقون أقلامهم) أى أزلامهم ، وهى قداحهم ، وقيل الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم ، حرصا عليها وتنافسا فى كفالتها ، وتدل الآية على جواز القرعة ، وقد ثبتت أيضا من السنة (أيهم يكفل مريم) مبتدأ وخبر فى موضع نصب بفعل تقديره ينظرون أيهم (يختصمون) يختلفون فيمن يكفلها منهم (إذ قالت الملائكة) إذ بدل من إذ قالت ، أو من إذ يختصمون ، والعامل فيه مضمر (اسمه) أعاد الضمير المذكر على الكلمة ، لأن المسمى بها ذكر (المسيح) قيل هو مشتق من ساح فى الأرض ، فوزنه مفعل ، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها ، إعلاما بأنه يولد من غير والد (وجيها) نصب على الحال ، ووجاهته فى الدنيا النبوة والتقديم على الناس ، وفى الآخرة الشفاعة وعلوّ الدرجة فى الجنة (فى المهد) فى موضع الحال ، (وكهلا) عطف عليه ، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود ، وتدل على نبوته ، ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة ، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون (ويعلمه) عطف على يبشرك أو ويكلم (الكتاب) هنا جنس ، وقيل الخط باليد ، والحكمة هنا العلوم الدينية ، أو الإصابة فى القول والفعل (ورسولا) حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمر له فعل تقديره أرسل رسولا أو جاء رسولا (إلى بنى إسرائيل) أى أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة (أنى) تقديره بأنى (أخلق) بفتح الهمزة بدل من أنى الأولى ، أو من آية وبكسرها ابتداء كلام (فأنفخ فيه) ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطين ، أو على الكاف من كهيئة ، وأنث فى

وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ
قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا
أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ
يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المائدة لأنه يعود على الهيئة (فيكون طيرا) قيل إنه لم يخلق غير الخفاش، وقرئ طيرا بياء ساكنة على الجمع، وبالألف وهمزة على الإفراد، ذكر بإذن الله: رفعا لوهم من توهم فى عيسى الربوبية (وأبرئ) روى أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤن (وأحيي الموتى) روى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه، وروى أنه أحيى سام بن نوح (وأنبئكم) كان يقول يافلان أكلت كذا وادخرت فى بيتك كذا (ومصدقا) عطف على رسولا أو على موضع بآية من ربكم، لأنه فى موضع الحال، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى فالتقدير: جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم) عطف على بآية من ربكم، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطير فأحل لهم عيسى بعض ذلك (إن الله ربى وربكم) رد على من نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله (صراط مستقيم) وابتداؤه من قوله أنى قد جئتكم، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله ورسولا، على تقدير جاء عيسى رسولا: بأنى قد جئتكم بآية من ربكم، ثم استمر كلامه إلى آخره (فلما أحس عيسى) أى علم علما ظاهرا كعلم مايدرك بالحواس (من أنصارى) طلب للنصرة، والأنصار جمع ناصر (إلى الله) تقديره من يضيف أنفسهم فى نصرتى إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا أو ملتجئا إلى الله (الحواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى وإن حوارى الزبير، وقيل إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب، أى يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين (بما أنزلت) يريدون الإنجيل، والرسول هنا عيسى عليه السلام (مع الشاهدين) أى مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس (ومكروا) الضمير لكفار بنى إسرائيل ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة (ومكر الله) أى رفع عيسى إلى السماء، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكله لقوله مكروا (والله خير الماكرين) أى أقواهم وهو فاعل ذلك بحق، والماكر من البشر فاعل بالباطل (إذ قال الله) العامل فيه فعل مضمر، أو يمكر (إنى متوفيك) قيل وفاة موت، ثم أحياه الله فى السماء، وقيل رفع حيا، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال، وقيل يعنى وفاة نوم؛ وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء

إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّـٰلِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَـٰتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ
ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ
مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَـٰذِبِينَ * إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا
اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَىٰةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

(ورافعك إلىّ) أى إلى السماء (ومطهرك) أى من سوء جوارهم (الذين اتبعوك) هم المسلمون، وعلوهم على الكفرة بالحجة وبالسيف فى غالب الأمر وقيل الذين اتبعوك النصارى، والذين كفروا اليهود، فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلا لهم لهم (ذلك نتلوه) إشارة إلى ماتقدم من الأخبار (من الآيات) المتلوات أو المعجزات (الذكر) القرآن (الحكيم) الناطق بالحكمة (إن مثل عيسى) الآية حجة على النصارى فى قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذى خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم (خلقه من تراب) تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب، ثم قال له كن فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضى ليصور فى نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم (الحق) خبر مبتدأ مضمر (فمن حاجك فيه) أى فى عيسى، وكان الذى حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب (نبتهل) نلتعن والبهلة اللعنة أى نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهال؛ ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى على وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية (قل يا أهل الكتاب) خطاب لنصارى نجران، وقيل اليهود (سواء) أى عدل ونصف (أن لا نعبد) بدل من كلمة أو رفع على تقدير هى، ودعاهم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى توحيد الله وترك ماعبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان (لم تحاجون فى إبراهيم) قالت اليهود كان إبراهيم يهوديا «وقالت النصارى: كان نصرانيا، فنزلت الآية ردا عليهم لأن ملة اليهود والنصارى

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ

إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة (ها أنتم) ها تنبيه ، وقيل بدل من همزة الاستفهام ، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم استئناف ؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر (فيما لكم به علم) فيما نطقت به التوراة والإنجيل (فيما ليس لكم به علم) ماتقدم على ذلك من حال إبراهيم (ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) ردّ على اليهود والنصارى (وماكان من المشركين) نفى للاشتراك الذى هو عبادة الأوثان ، ودخل فى ذلك الإشراك الذى يتضمن دين اليهود والنصارى (وهذا النبى) عطف على الذين اتبعوه : أى محمد صلى الله عليه وسلم (أولى الناس بإبراهيم) لأنه على دينه (والذين آمنوا) أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ودت طائفة) هم اليهود ، دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (ومايضلون إلا أنفسهم) أى لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم (وأنتم تشهدون) أى تعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى (لم تلبسون الحق) أى تخلطون والحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والباطل الكفر به (آمنوا بالذى أنزل) كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ، ثم كفروا آخره ليخدعوا المسلمين ، فيقولوا مارجع هؤلاء إلا عن علم ، وقال السهيلى : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف (أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم) يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله متصلا بقوله : إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ويكون إن الهدى اعتراضا بين الكلامين ، فعلى الأول يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم وقلتم ماقلتم ، ودبرتم مادبرتم من الخداع ، فموضع أن يؤتى مفعول من أجله ، أومنصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة ، وعلى الثانى فيكون المعنى . لا تؤمنوا أى لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (إلا لمن تبع دينكم) واكتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، فموضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن معنى تقروا ، ويمكن أن يكون فى موضع المفعول من أجله : أى لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم (أويحاجوكم) عطف على أن يؤتى ، وضمير الفاعل للمسلمين ، وضمير المفعول لليهود (إن الفضل بيد الله) ردّ على اليهود فى قولهم : لم يؤت أحداً مثل ماأوتى بنو إسرائيل من النبوة والشرف (ومن

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ النَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

أهل الكتاب) الآية : إخبار أن أهل الكتاب على قسمين : أمين ، وخائن . وذكر القنطار مثالا للكثير فمن أداه : أدى مادونه ، وذكر الدنيا مثالا للقليل ، فمن منعه منع مافوقه بطريق الأولى (قائما) يحتمل أن يكون من القيام الحقيقى بالجسد ، أو من القيام بالأمر ، وهو العزيمة عليه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى خيانتهم والباء للتعليل (ليس علينا) زعموا بأن أموال الأمميين ، وهم العرب : حلال لهم (الكذب) هنا قولهم ، إن الله أحلها عليهم فى التوراة أو كذبهم على الإطلاق (بلى) عليهم سبيل وتباعة فى أموال الأمميين (بعهده) الضمير يعود على من أو على الله (إن الذين يشترون) الآية : قيل نزلت فى اليهود لأنهم تركوا عهد الله فى التوراة لأجل الدنيا ، وقيل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر ، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا (وإن منهم) الضمير عائد على أهل الكتاب (يلوون ألسنتهم) أى يحرفون اللفظ أو المعنى (لتحسبوه) الضمير يعود على مادل عليه قوله يلوون ألسنتهم ، وهو الكلام المحرف (ما كان لبشر) الآية : هذا النفى متسلط على (ثم يقول للناس) والمعنى لايدعى الربوبية من آتاه الله النبوة ، والإشارة إلى عيسى عليه السلام رد على النصارى الذين قالوا إنه الله ، وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود قالوا له يامحمد : تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فقال معاذالله مابذلك أمرت ولا اليه دعوت (ربانيين) جمع ربانى ، وهو العالم ، وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره (بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية (تعلمون) بالتخفيف تعرفون . وقرئ بالتشديد من التعليم (ولا يأمركم) بالرفع استئناف ، والفاعل الله أو البشر المذكور ، وقرئ بالنصب عطف على أن يؤتيه أو على ثم يقول ، والفاعل على هذا البشر (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء ، واللام فى قوله (لما آتيتكم) لام التوطئة ، لأن أخذ الميثاق فى معنى الاستخلاف ، واللام فى لتؤمنن

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا
أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ
يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا
وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَٰسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

جواب القسم ، وما يحتمل أن تكون شرطية ، ولتؤمنن سد مسد جواب القسم والشرط . وأن تكون موصولة بمعنى الذى آتيناكموه (لتؤمنن به) والضمير فى به ولتنصرنه عائد على الرسول (ءأقررتم) أى اعترفتم (إصرى) عهدى (فاشهدوا) أى على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد (وأنا معكم) تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جلّ جلاله (بعد ذلك) أى من تولى عن الإيمان بهذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا الميثاق فهو فاسق مرتد متمرد فى كفره (أفغير) الهمزة للإنكار ، والفاء عطفت جملة على جملة ، وغير مفعول قدّم للاهتمام به أو للحصر (وله أسلم) أى انقادوا استسلم (طوعا وكرها) مصدر صدر فى موضع الحال ، والطوع للمؤمنين والكره للكافر إذا عاين الموت ، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدم ، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها (قل آمنا) أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان (وما أنزل علينا) تعدى هنا بعلى مناسبة لقوله قل ، وفى البقرة بإلى لقوله قولوا . لأنّ على حرف استعلاء يقتضى النزول من علو . ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم . وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة (ومن يبتغ) الآية : إبطال لجميع الأديان غير الإسلام ، وقيل نسخت : إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية (كيف) سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى (قوما كفروا) نزلت فى الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : إلا الذين تابوا ، فرجعوا إلى الإسلام ؛ وقيل نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به ثم كفروا به لما بعث ، وشهدوا عطف على إيمانهم ، لأنّ معناه بعد أن آمنوا ، وقيل الواو للحال ، وقال ابن عطية . عطف على كفروا والواو لا ترتب (والناس أجمعين) عموم بمعنى الخصوص فى المؤمنين أو على عمومه وتكون اللعنة فى الآخرة (خالدين فيها) الضمير عائد على اللعنة ، وقيل على النار وإن لم تكن ذكرت ؛ لأنّ المعنى

وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

يقتضيها (ثم ازدادوا كفرا) قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بعداوتهم له وطعنهم عليه؛ وقيل هم الذين ارتدوا (لن تقبل توبتهم) قيل ذلك عبارة عن موتهم على الكفر: أى ليس لهم توبة فتقبل، وذلك فى قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر، فذلك عام (فلن يقبل من أحدهم ملء) جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر. والواو فى قوله: ولو افتدى به، قيل زائدة وقيل للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به (ولو افتدى به) وقيل نفى أولا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفى كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلىّ (لن تنالوا البرّ) أى لن تكونوا من الأبرار ولن تنالوا البر الكامل (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم ولما نزلت قال أبو طلحة إنّ أحب أموالى إلىّ بيرحاء، وإنها صدقة، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول إنى لأحبه (كل الطعام) الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبنى إسرائيل (إلا ما حرم إسرائيل) أبوهم (على نفسه) وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم فى قولهم إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التى هى محرمة كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها، خلافا لليهود فى قولهم إن النسخ محال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم (فأتوا بالتوراة) تعجيزا لليهود، وإقامة حجة عليهم، وروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة (فمن افترى) أى من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بنى إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل (صدق الله) أى الأمر كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة إبراهيم) إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت أن ملة الإسلام هى ملة إبراهيم التى لم يحرم فيها شىء مما هو محرم عليهم (إن أول بيت) أى أول مسجد بنى فى الأرض، وقد سأل أبو ذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أى مسجد بنى أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: المعنى أنه أول بيت وضع مباركا وهدى وقد كانت قبله بيوتا (ببكة) قيل هى مكة والباء بدل من الميم، وقيل مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله (مباركا)

لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
كَٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ

نصب على الحال والعامل فيه على قول على وضع (مباركا) على أنه حال من الضمير الذى فيه وعلى القول الأول هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار (فيه آيات بينات) آيات البيت كثيرة ، منها الحجر الذى هو مقام إبراهيم وهو الذى قام عليه حين رفع القواعد من البيت ، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر فى الهواء حتى أكمل البناء ، وغرقت قدم إبراهيم فى الحجر كأنها فى طين ، وذلك الأثر باق إلى اليوم ، ومنها أن الطيور لا تعلوه ، ومنها إهلاك أصحاب الفيل ، ورد الجبابرة عنه و نبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك (مقام إبراهيم) قيل إنه بدل من الآيات أو عطف بيان ، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوى على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك ، وقيل الآيات : مقام إبراهيم ، وأمن من دخله ، فعلى هذا يكون قوله ومن دخله عطفا ، وعلى الأول استئنافا ، وقيل التقدير منهن مقام إبراهيم ، فهو على هذا مبتدأ ، والمقام هو الحجر المذكور ، وقيل البيت كله ، وقيل مكة كلها (كان آمنا) أى آمنا من العذاب ، فإنه كان فى الجاهلية إذا فعل أحد جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب ، ولا يعاقب ، فأما فى الإسلام فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص ، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باق فى الإسلام إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنا من النار (حج البيت) بيان لوجوب الحج واختلف هل هو على الفور أو على التراخى ، وفى الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذى بناه إبراهيم ودعا الناس إليه (من استطاع) بدل من الناس ، وقيل فاعل بالمصدر ، وهو حج ؛ وقيل شرط مبتدأ : أى من استطاع فعليه الحج ؛ والاستطاعة عند مالك هى القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن إما راجلا وإما راكبا مع الزاد المبلغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة ، وهو مذهب الشافعى وعبد الملك بن حبيب وروى فى ذلك حديث ضعيف (ومن كفر) قيل المعنى من لم يحج ، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون ، وقيل من زعم أن الحج ليس بواجب (لم تكفرون) توبيخ لليهود (لم تصدون) توبيخ أيضا ، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم (سبيل الله) هنا الإسلام (تبغونها عوجا) الضمير يعود على السبيل أى تطلبون لها الاعوجاج (وأنتم تشهدون) أى تشهدون أن الإسلام حق (إن تطيعوا فريقا) الآية : لفظها عام والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم (وكيف

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ
ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ
إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُن
مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا۟
كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ
وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ *
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ * تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ
يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم

تكفرون) إنكار واستبعاد (حق تقاته) قيل نسخها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وقيل لانسخ إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه وشبهه (واعتصموا بحبل الله) أى تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذى تشد عليه اليد ، والمراد به هنا القرآن ، وقيل الجماعة (ولا تفرقوا) نهى عن التدابر والتقاطع ، إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم ، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق فى أصول الدين ولا يدخل فى النهى الاختلاف فى الفروع (إذ كنتم أعداء) كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام (شفا حفرة) أى حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التى تقودهم إلى النار (ولتكن منكم أمة) الآية : دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وقوله منكم : دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض ، وقيل إنها لبيان الجنس ، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب ، على حسب الأحوال (كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وورد فى الحديث أنه عليه السلام قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قيل ومن تلك الواحدة ؟ قال : من كان على ما أنا وأصحابى عليه (يوم تبيض وجوه) العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم (أكفرتم بعد إيمانكم) أى يقال لهم أكفرتم والخطاب لمن ارتد عن الإسلام وقيل للخوارج ، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فى التوراة ثم كفروا به لما بعث (كنتم خير أمة) كان هنا هى التى تقتضى الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما ، وقيل كنتم فى علم الله ، وقيل كنتم فيما وصفتم به فى الكتب المتقدمة ، وقيل كنتم بمعنى

مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ *
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا
يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ *
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ
مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

أنتم ، والخطاب لجميع المؤمنين ، وقيل للصحابة خاصة (لن يضروكم إلا أذى) أى بالكلام خاصة وهو أهون المضرة (يولوكم الأدبار) إخبار بغيب ظهر فى الوجود صدقه (ثم لا ينصرون) إخبار مستأنف غير معطوف على يولوكم ، وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق ، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء ، وثم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبار حين القتال (إلا بحبل من الله) الحبل هنا العهد والذمة (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب مستويين فى دينهم (أمة قائمة) أى قائمة بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود : كعبدالله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد وأخيه أسد وغيرهم (وهم يسجدون) يدل أن تلاوتهم للكتاب فى الصلاة (فلن تكفروه) أى لن تحرموا ثوابه (مثل ما ينفقون) الآية : تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون وفى الكلام حذف تقديره : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح وإنما احتيج لهذا لأن ما ينفقون ليس تشبيها بالريح إنما هو تشبيه بالزرع الذى أهلكته الريح (صرّ) أى برد (حرث قوم ظلموا أنفسهم) أى عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم (وما ظلمهم الله) الضمير للكفار ، أو المنافقين ، أولأصحاب الحرث ، والأول أرجح ، لأن قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدل على أنه للحاضرين (بطانة من دونكم) أى أولياء من غيركم فالمعنى نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضى الله عنه إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن خطا منه ، أفلا يكتب عنك : قال إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين (لا يألونكم خبالا) أى لا يقصرون فى إفسادكم ، والخبال الفساد (ودوا ما عنتم) أى تمنوا مضرتكم ، وما مصدرية وهذه

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟
لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ
ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ
ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ

الجملة والتى قبلها صفة للبطانة أو استئناف (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، والأنامل جمع أنملة بضم الميم وفتحها (موتوا بغيظكم) تقريع وإغاظة، وقيل دعاء (إن تمسسكم حسنة) الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة ضدها (لا يضركم) من الضير بمعنى الضر (وإذ غدوت من أهلك) نزلت فى غزوة أحد، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صبيحة يوم السبت وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على المجاز، وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة (مقاعد) مواضع وهو جمع مقعد (طائفتان منكم) هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المؤمنين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن تفشلا) الفشل فى البدن هو الإعياء، والفشل فى الرأى هو العجز والحيرة وفساد العزم (والله وليهما) أى مثبتهما، وقال جابر بن عبدالله ما وددنا أنها لم تنزل لقوله والله وليهما (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم (وأنتم أذلة) الذلة هى قلة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن لهم إلا فرس واحد وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس فقتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون وانهزم سائرهم (لعلكم تشكرون) متعلق بنصركم أو باتقوا؛ والأول أظهر (إذ تقول للمؤمنين) كان هذا القول يوم بدر، وقيل يوم أحد، فالعامل فى إذ على الأول محذوف، وعلى الثانى بدل من إذ غدوت (ألن يكفيكم) تقرير جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل «من رب السموات والأرض قل الله» (ويأتوكم من فورهم) الضمير للمشركين، والفور السرعة: أى من ساعتهم وقيل المعنى من سفرهم (بخمسة آلاف) بأكثر من العدد الذى يكفيكم ليزيد ذلك فى قوتكم فإن كان هذا يوم

اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ۞ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ
شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞
وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّآءِ
وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞
أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ ۞ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ

بدر ، فقد قاتلت فيه الملائكة وإن كان يوم أحد فقد شرط فى قوله : إن تصبروا وتتقوا ، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة (مسومين) بفتح الواو وكسرها أى معلمين ، أو معلمين أنفسهم أو خيلهم ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء ، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء ، وقيل كانت عمائمهم صفر ، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب وقيل كانوا على خيل بلق (وما جعله) الضمير عائد على الإنزال ، أو الإمداد (ولتطمئن) معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتاويل المصدر ، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله (ليقطع) يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر (ليس لك من الأمر شىء) جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم (أو يتوب عليهم) معناه يسلمون (أضعافا مضاعفة) كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام (سارعوا) بغير واو استئناف ، وبالواو عطف على ما تقدم (إلى مغفرة) أى إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة (عرضها) قال ابن عباس : تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ، ولا يعلم طولها إلا الله : وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض (فى السراء والضراء) فى العسر واليسر (وهم يعلمون) حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا (قد خلت من قبلكم سنن) خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم (فانظروا) من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفكر (ولا تهنوا) تقوية لقلوب المؤمنين (وأنتم الأعلون) إخبار بعلو كلمة الإسلام (إن يمسسكم قرح) الآية معناها إن مسكم قتل أو جراح فى أحد فقد مس الكفار مثله فى بدر ، وقيل قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه فإنهم

مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّٰكِرِينَ * وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّٰبِرِينَ * وَمَا

نالوا منكم ونلتم منهم وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسى (نداولها) تسلية أيضا عما جرى يوم أحد (وليعلم) متعلق بمحذوف تقديره أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة (شهداء) من قتل من المسلمين يوم أحد (وليمحص الله) أى يظهر، وقيل يميز، وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هى لتمحيص المؤمنين وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين أى يهلكهم (أم حسبتم) أم هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه، وهذه الآية ومابعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد (تمنون الموت) خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليستدركوا مافاتهم من الجهاد فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل إنما تمنوا الشهادة فى سبيل الله (ومامحمد إلا رسول) المعنى أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول كسائر الرسل قد بلغ الرسالة كما بلغوا فيجب عليكم التمسك بدينه فى حياته وبعد موته وسببها أنه صرخ صارخ يوم أحد. إن محمدا قد مات، فتزلزل بعض الناس (أفإن مات) دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء لتربط الجملة الشرطية بالجملة التى قبلها والمعنى أن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو قتله لا يقتضى انقلاب أصحابه على أعقابهم، لأن شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات صلى الله عليه وسلم، أو قتل وقد علم أنه لا يقتل ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع فى نفوسهم (الشاكرين) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: الثابتون على دينهم (كتابا مؤجلا) نصب على المصدر لأن المعنى كتب الموت كتابا، وقال ابن عطية نصب على التمييز (نؤته منها) فى ثواب الدنيا، مقيد بالمشيئة بدليل قوله عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد (وكأين من نبى قتل) الفعل مسند إلى ضمير النبى ومعه ربيون على هذا فى موضع الحال، وقيل إنه مسند إلى الربيين، فيكون ربيون على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله فعلى الأول يوقف على قوله قتل، ويترجح الأول: بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمداً قد مات، فضرب لهم المثل بنبى قتل، ويترجح الثانى بأنه لم يقتل قط نبى فى محاربة (ربيون) علماء مثل ربانيين، وقيل جموع كثيرة (فما

كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ * فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنْ تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ * بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ * سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ

وهنوا) الضمير لربيون على إسناد القتل للنبى ، وهو لم يق منهم على إسناد القتل إليهم (وما استكانوا) أى لم يذلوا للكفار قال بعض النحاة : الاستكان مشتق من السكون ، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدث عن مطلها ألف وذلك كالإشباع ، وقيل إنه من كان يكون ، فوزنه استفعلوا ، وقوله تعالى فما وهنوا وما بعده : تعريض لما صدر من بعض الناس يوم أحد (وثبت أقدامنا) أى فى الحرب (ثواب الدنيا) النصر (ثواب الآخرة) الجنة (إن تطيعوا الذين كفروا) هم المنافقون الذين قالوا فى قضية أحد ما قالوا ، وقيل مشركو قريش وقيل اليهود (الرعب) قيل ألقى الله الرعب فى قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب ، وقيل لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فأمسكوا ، والآية تتناول جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نصرت بالرعب (ولقد صدقكم الله وعده) كان رسول الله صلى عليه وآله وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولا ، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أمر الرماة أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا فى الغنيمة واتبعوهم وخالفوا ما أمروا به من الثبوت فى مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين (إذ تحسونهم) أى تقتلونهم قتلا ذريعا يعنى فى أول الأمر (وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم (وعصيتم) أى خالفتم ما أمرتم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا الجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظا للجميع ، وسترا على من فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره: لانهزمتم (منكم من يريد الدنيا) الذين حرصوا على الغنيمة معه (ليبتليكم) معناه لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص (ولقد عفا عنكم) إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم ، فمعناه لقد أبقى عليكم ، وقيل هو عفو عن الذنب (إذ تصعدون) العامل فى إذ عفا ، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمر (ولا تلوون) مبالغة فى صفة الانهزام (والرسول يدعوكم) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إلىّ عباد الله وهم يفرون (فى أخراكم) فى سقايتكم وفيه مدح للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأخرى هى

فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ
بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ
يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ
لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ
ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا
عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ

موقف الأبطال (فأثابكم) أى جازاكم (غما بغم) قيل أثابكم غما بسبب الغم الذى أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، إذ عصيتم وتنازعتم، قيل أثابكم غما متصلا بغم، أحد الغمين: ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما فاتكم) من النصر والغنيمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراح والانهزام (أمنة نعاسا) قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنعاس فى الحرب أمان من الله (يغشى طائفة منكم) هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينا لهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون (غير الحق) معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية (هل لنا من الأمر من شىء) قالها عبد الله بن أبى ابن سلول، والمعنى ليس لنا رأى، ولا يسمع قولنا أو لسنا على شىء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك) يحتمل أن يريد الأقوال التى قالوها أو الكفر (لو كان لنا من الأمر شىء) قاله معتب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبى (قل لو كنتم فى بيوتكم) الآية: رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله، ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شىء (وليبتلى) يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلى (إن الذين تولوا) الآية: نزلت فيمن فر يوم أحد (استزلهم) أى طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أى أوقعهم فى الزلل (ببعض ما كسبوا) أى كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكن الشيطان من استزلالهم (عفى الله عنهم) أى غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار (لا تكونوا كالذين كفروا) أى المنافقين (لإخوانهم) هى أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة (إذا ضربوا فى الأرض) أى سافروا وإنما قال إذا التى للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزا) جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين (لو كانوا عندنا) اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا

فى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة فى القول بالأجلين (ليجعل) متعلق بقالوا . أى قالوا ذلك فكان حسرة فى قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة (ذلك) إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذى أوجب لهم الحسرة ، لأن الذى يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة (والله يحيي ويميت) رد على قولهم واعتقادهم (ولئن قتلتم) الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا فى سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا (ولئن متم أو قتلتم) الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله (فبما رحمة) ما زائدة للتأكيد لانفضوا أى تفرقوا (فاعف عنهم) فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله (وشاورهم) المشاورة مأمور بها شرعا ، وإنما يشاور النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الناس فى الرأى فى الحروب وغيرها لا فى الأحكام الشرعية ، وقال ابن عباس وشاورهم فى بعض الأمر (فإذا عزمت فتوكل على الله) التوكل هو الاعتماد على الله فى تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها ، وفى دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات ، لوجهين : أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين ، والآخر الضمان الذى فى قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد يكون واجبا لقوله تعالى : وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فجعله شرطا فى الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فان الأمر محمول على الوجوب

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاثة مراتب : الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذى لا يشك فى نصيحته له ، وقيامه بمصالحه ، والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها ، والثالثة أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدى الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية ، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى تكلمنا عليه فى قوله : وإلهكم إله واحد ، فهى تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، فإن قيل : هل يشترط فى التوكل ترك الأسباب أم لا ؟ فالجواب : أن الأسباب على ثلاثة أقسام : أحدهما : سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى : فهذا لا يجوز تركه ؛ كالأكل لدفع الجوع ، واللباس لدفع البرد . والثانى سبب مظنون : كالتجارة وطلب المعاش ، وشبه ذلك ، فهذا لا يقدم فعله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب ، لا من أعمال البدن ، ويجوز تركه لمن قوى عليه ، والثالث : سبب موهوم بعيد ، فهذا يقدم فعله فى التوكل ، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فان المتوكل له مراد واختيار ، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه ، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار ، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى ، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى (وما

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

كان لنبي أن يغلّ) هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها ، وقرئ بفتح الياء وضم الغين ، ومعناه تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وسببها أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها ، وقرئ بضم الياء وفتح الغين ، أى ليس لأحد أن يغل نبيا : أى يخونه فى المغانم ، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا من الأمر لشنعة الحال مع النبي لأن المعاصى تعظم بحضرته ، وقيل معنى هذه القراءة : أن يوجد غالا كما تقول أحمدت الرجل ، إذا أصبته محمودا ، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة ، إلى معنى فتح الياء (ومن يغلل يأت بما غل) وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذى غل ، وقد جاء ذلك مفسراً فى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير لا ألفين أحدكم على رقبته فرس لا ألفين أحدكم على رقبته رقاع لا ألفين أحدكم على رقبته صامت لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان ، فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك (أفمن اتبع) الآية : فقيل إن الذى اتبع رضوان الله ، من لم يغلل ، والذى باء بالسخط من غل ، وقيل الذى اتبع الرضوان : من استشهد بأحد ، والذى باء بالسخط : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو (وهم درجات) ذووا درجات ، والمعنى تفاوت بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فان بعضهم فوق بعض ، فكذلك درجات أهل السخط (لقد من الله) الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من أنفسهم) معناه فى الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن ألفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويكون ، هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية . عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف ، والجملة معطوفة على ماتقدم من قصة أحد أو على محذوف (قد أصبتم مثليها) قتل يوم أحد من المسلمين سبعون ، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون ، وأسر سبعون (قل هو من عند أنفسكم) قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين فأبوا إلا الخروج ، وقيل بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم (يوم التقى الجمعان) أى جمع المسلمين والمشركين يوم أحد (وقيل لهم تعالوا) الآية : كان رأى

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

عبدالله بن أبى ابن سلول أن لايخرج المسلمون إلى المشركين ، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: غضب عبدالله ، وقال أطاعهم وعصانا ، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل ، خمسين فمشى فى أثرهم عبدالله بن عمر بن حزام الأنصارى ، وقال لهم ارجعوا قاتلوا فى سبيل الله ، أو ادفعوا ، فقال له عبد الله بن أبىّ ماأرى أن يكون قتال ، لو علمنا أنه يكون قتال لكنا معكم (أو ادفعوا) أى كثروا السواد ، وإن لم تقاتلوا (الذين قالوا) بدل من الذين نافقوا ، أولإخوانهم فى النسب ، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج (قل فادرءوا) أى ادفعوا المعنى ردّ عليهم (بل أحياء) إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لايتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا فى الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل مانالوا من الشهادة (ألا خوف) فى موضع المفعول أو بدل من الذين (يستبشرون) كرر ليذكر ماتعلق به من النعمة والفضل (للذين استجابوا) صفة للمؤمنين أومبتدأ وخبره للذين أحسنوا الآية ، ونزلت فى الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اتباع المشركين بعد غزوة أحد ، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد ، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك (الذين قال لهم الناس) الآية : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد بعد أحد : بلغ ذلك أبا سفيان فمر عليه ركب من عبدالقيس يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوفوهم بهم ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا ، فالناس الأول ركب عبدالقيس ، والناس الثانى مشركو قريش وقيل نادى أبوسفيان يوم أحد : موعدنا ببدر فى القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله فلما كان العام القابل : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر للميعاد ، فأرسل أبوسفيان نعيم بن مسعود الأشجعى ليثبط المسلمين ، فعلى هذا الناس الأول نعيم ، وإنما قيل له الناس وهو واحد : لأنه من جنس الناس : كقولك ركبت الخيل إذا ركبت فرسا (فزادهم) الفاعل ضمير المفعول ، وهو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فمعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله (حسبنا

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
الشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ
بِالْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا
نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ
هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَقَدْ

الله ونعم الوكيل) كلمة يدفع بها مايخاف ويكره وهى التى قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، ومعنى حسبنا الله : كافينا وحده فلا نخاف غيره ، ومعنى ونعم الوكيل : ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه (فانقلبوا) أى رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر (واتبعوا رضوان الله بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذلكم الشيطان) المراد به هنا أبو سفيان ، أونعيم الذى أرسله أبو سفيان أوإبليس ، وذلكم مبتدأ ، والشيطان خبره ومابعده مستأنف ، أوالشيطان نعت ومابعده خبر (يخوف أولياءه) أى يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه وهم الكفار ، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله : فلاتخافوهم ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أولياءه ، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفار قريش ، فالمفعول الثانى على هذا محذوف (ولايحزنك) تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعا من حزن الثانى ، وهو أشهر فى اللغة من أحزن (الذين يسارعون فى الكفر) أى يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار (إن الذين اشتروا) الآية هم المذكورون قبل أوعلى العموم فى جميع الكفار (أنما نملى لهم خير) أى نمهلهم أن مفعول يحسبن ، وما اسم أن فحقها أن تكتب منفصلة وخير خبر : إنما نملى لهم ماهنا كافة والمعنى ردّ عليهم أى أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم (ماكان الله ليذر المؤمنين) الآية : خطاب للمؤمنين ، والمعنى ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر فى غزوة أحد من الأقوال والأفعال التى تدل على الإيمان أوعلى النفاق (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) أى ما كان الله ليطلعكم على مافى القلوب من الإيمان والنفاق أوما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أوتغلبون (ولكن الله يجتبى) أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ماشاء من غيبه (الذين يبخلون) يمنعون الزكاة وغيرها (هو خيرا) هو فضل وخيرا مفعول ثان ، والأول محذوف تقديره لايحسبن البخل خيرا لهم (سيطوقون) أى يلزمون إثم مابخلوا به ، وقيل يجعل مابخلوا به حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة (لقد سمع الله) الآية : لما نزلت : من ذا الذى يقرض الله : قال بعض اليهود وهو

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۞ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فنحاص ، أوحي بن أخطب أوغيرهما إنما يستقرض الفقير من الغنى ، فالله فقير ونحن أغنياء ، فنزلت هذه الآية ، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم ، أوتحريفهم للمعانى ، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر ، وإن قالوه بغير اعتقاد : فهو استخفاف ، وعناد (سنكتب ماقالوا) أى تكتبه الملائكة فى الصحف (وقتلهم الأنبياء) أى قتل آبائهم للأنبياء ، وأسند إليهم لأنهم راضون به ، ومتبعون لمن فعله من آبائهم (الذين قالوا) صفة للذين ، وليس صفة للعبيد (حتى يأتينا بقربان) كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أوغيرها جعلوه فى مكان ، فتنزل نار من السماء فتحرقه ، وإن لم تنزل فليس بمقبول ، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل (قل قدجاءكم رسل) الآية : ردعليهم بأن الرسل قدجاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم ، وجاؤهم أيضا بالقربان الذى تأكله النار ، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم ، فذلك يدل على أن كفرهم عناد ، فإنهم كذبوا فى قولهم إن الله عهد إلينا (فإن كذبوك فقد كذب) الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى بغيره (فمن زحزح) أى نحى وأبعد (لتبلون) الآية : خطاب للمسلمين ، والبلاء فى الأنفس بالموت والأمراض ، وفى الأموال بالمصائب والإنفاق (ولتسمعن) الآية : سببها قول اليهود إن الله فقير ، وسببهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين (لتبيننه للناس ولاتكتمونه) قال ابن عباس هى لليهود : أخذ عليهم العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه ، وهى عامة فى كل من علمه الله علما (الذين يفرحون بما أتوا) الآية : قال ابن عباس نزلت فى أهل الكتاب سألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن شىء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ماسألهم عنه ، وقال أبو سعيد الخدرى : نزلت فى المنافقين : كانوا إذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذاقدم النبى صلى الله عليه وسلم اعتذروا

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا
مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي
وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ
عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۞ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞
لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِّلْأَبْرَارِ ۞ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فلا تحسبنهم) بالتاء وفتح الباء : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالياء وضم الباء : أسند الفعل للذين يفرحون : أى لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب ، ومن قرأ تحسبن بالتاء : فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين يفرحون : مفعول به ، وبمفازة المفعول الثانى ، وكرر فلا تحسبنهم : للتأكيد ، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل ، فإنه حذف المفعولين ، لدلالة مفعولى لا تحسبنهم عليهما (واختلاف الليل والنهار) ذكر فى البقرة (قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أى يذكرون الله على كل حال فكأن هذه الهيآت حصر لحال بنى آدم ، وقيل إن ذلك فى الصلاة : يصلون قياما ، فان لم يستطيعوا صلوا قعودا ، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم (ربنا) أى يقولون . ربنا ما خلقت هذا الغير فائدة بل خلقته وخلقت البشر ، لينظروا فيه فيعرفونك (سمعنا مناديا) هو النبى صلى الله عليه وسلم (ما وعدتنا على رسلك) أى على ألسنة رسلك (من ذكر وأنثى) من لبيان الجنس ، وقيل زائدة لتقدم النفى (بعضكم من بعض) النساء والرجال سواء فى الأجور والخيرات (وأخرجوا من ديارهم) هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها (ثوابا) منصوبا على المصدرية (لا يغرنك) الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى لا تظنوا أن حال الكفار فى الدنيا دائمة فتهتموا لذلك ، وأنزل لا يغرنك منزلة لا يحزنك (متاع قليل) أى تقلبهم فى الدنيا قليل بالنظر إلى مافاتهم فى الآخرة (نزلا) منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية (للأبرار) جمع بار وبر ، ومعناه العاملون بالبر ، وهى غاية التقوى والعمل الصالح ، قال بعضهم الأبرار : هم الذين لا يؤذون أحداً (وإن من أهل الكتاب) الآية : قيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، فإنه كان نصرانيا فأسلم ، وقيل فى عبد الله بن سلام

بِئَايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞

سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۞

وغيره ممن أسلم من اليهود (لايشترون) مدح لهم ، وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا (وصابروا) أى صابروا عدوكم فى القتال (ورابطوا) أقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد ، وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أى معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر ، قال صلى الله عليه وآله وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله فى انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط فى سبيل الله لعظم أجره ، والمرابط عند الفقهاء هو الذى يسكن الثغور فيرابط فيها وهى غير موطنه ، فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين ، ولكنهم حماة ، حكاه ابن عطية .

سورة النساء

(ياأيها الناس اتقوا ربكم) خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (زوجها) هى حوّاء خلقت من ضلع آدم (وبث) نشر (تساءلون به) أى يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا (والأرحام) بالنصب عطفا على اسم الله أى اتقوا الأرحام فلا تقطعوها ، أو على موضع الجار والمجرور ، وهو به ، لأنّ موضعه نصب وقرئ بالخفض عطف على الضمير فى به ، وهو ضعيف عند البصريين ، لأنّ الضمير المخفوض لايعطف عليه إلا بإعادة الخافض (إنّ الله كان عليكم رقيبا) إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة ، وهو مقام شريف أصله علم وحال ، ثم يثمر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد ؛ لأنّ الله مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل مايخطر على باله ، وأما الحال فهى ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ، ولا يغفل عنه ، ولا يكفى العلم دون هذه الحال ، فإذا حصل العلم والحال : كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين : الحياء من الله ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى والجد فى الطاعات ، وكانت ثمرتها عند المقربين : الشهادة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه : إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم : كمن يشاهد ملكا عظيما ، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك : إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التى هى مقام المقربين ، فاعلم أنه يراك فكن من أهل الحياء الذى هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان

وَءَاتُوا الْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ

أول مرة بالمقام الأعلى : رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه ، فنزل عنه إلى المقام الآخر ، واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة ، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة ، فأما المشارطة : فهى اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصى ، وأما المرابطة . فهى معاهدة العبد لربه على ذلك ، ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره ، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله : حمد الله ، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ، ونقص عهد المرابطة . عاقب النفس عقابا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك ، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم) خطاب للأوصياء وقيل للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم ، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء ، فالمراد أن يأتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون فى حال صغرهم ، فيكون اليتيم على هذا حقيقة ، وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز لأن اليتيم قد كبر (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله ، والدرهم الطيب بالزائف ، فنهوا عن ذلك ، وقيل المعنى : لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث ، وتدعوا مالكم وهو الطيب (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم ، وقيل نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى ، ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم ، وإنما تعدى الفعل بإلى ؛ لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل بمعنى مع (حوبا) أى ذنبا (فإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا) الآية ، قالت عائشة . نزلت فى أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن فى الصداق مكان ولاتهم عليهم ، فقيل لهم أقسطوا فى مهورهن ، فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج بما طاب له من الأجنبيات اللاتى يوفهن حقوقهن ، وقال ابن عباس : إن العرب كانت تتحرج فى أموال اليتامى ولا تتحرج فى العدل بين النساء ، فنزلت الآية فى ذلك : أى كما تخافون أن لا تقسطوا فى اليتامى : كذلك خافوا النساء ، وقيل إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر ، فاذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم ، فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فاقتصروا فى النساء على ما طاب : أى ما حل ، وإنما قال ما ، ولم يقل من : لأنه أراد الجنس ، وقال الزمخشرى لأن الإناث من العقلاء يجرى مجرى غير العقلاء ، ومنه قوله وما ملكت أيمانكم (مثنى وثلاث ورباع) لا ينصرف للعدل والوصف ، وهى حال من ما طاب ، وقال ابن عطية بدل ، وهى عدل له عن أعداد مكررة ، ومعنى التكرار فيها أن الخطاب لجماعة ، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد ، فتكررت الأعداد بتكرار الناس ، والمعنى أنكحوا اثنتين أو ثلاث أو أربعا وفى ذلك منع لما كان فى الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع ، وقال قوم لا يعبأ بقولهم : إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع : يجمع فيه تسعة ، وهذا خطأ ، لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع ، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانا ، وأيضا قد انعقد الإجماع

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا * وَءَاتُوا النِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا * وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَٱبْتَلُوا الْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا * لِّلرِّجَالِ

على تحريم مازاد على الرابعة (فواحدة) أى إن خفتم أن لاتعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع : فاقتصروا على واحدة ، أو على ماملكت أيمانكم من قليل أو كثير . رغبة فى العدول وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره فانكحوا واحدة (ذلك أدنى ألاتعولوا) الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة ، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لاتعولوا ومعنى تعولوا : تميلوا ، وقيل يكثر عيالكم (وآتوا النساء صدقاتهن) خطاب للأزواج ، وقيل للأولياء ، لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته ، وقيل نهى عن الشغار (نحلة) أى عطية منكم لهن ، أو عطية من الله ، وقيل معنى نحلة أى شرعة وديانة ، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن أو على الحال من ضمير المخاطبين (فإن طبن لكم) الآية : إباحة للأزواج والأولياء على ماتقدم من الخلاف أن يأخذوا مادفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن والضمير فى منه يعود على الصداق أو على الإيتاء (هنيئا مريئا) عبارة عن التحليل ، ومبالغة فى الإباحة وهما صفتان من قولك هنؤ الطعام ومرؤ: إذا كان سائغا لاتنغيص فيه ، وهما وصف للمصدر : أى أكلا هنيئا أو حال من ضمير الفاعل ، وقيل يوقف على فكلوه ويبدأ هنيا مريئا على الدعاء (ولا تؤتوا السفهاء) قيل هم أولاد الرجل وامرأته : أى لاتؤتوهم أموالكم للتبذير ، وقيل السفهاء المحجورون ، وأموالكم . أموال المحجورين ، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وتحت أيديهم (قياما) جمع قيمة ، وقيل بمعنى قياما بألف . أى تقوم بها معايشكم (وارزقوهم فيها واكسوهم) قيل إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده ، وقيل فى المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم (وقولوا لهم قولا معروفا) أى ادعوالهم بخير ، أو عدوهم وعدا جميلا : أى إن شئتم دفعنا لكم أموالكم (وابتلوا اليتامى) أى اختبروا رشدهم (بلغوا النكاح) بلغوا مبلغ الرجال (فإن آنستم منهم رشدا) الرشد هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله ، وإن لم يكن من أهل الدين ، واشترط قوم الدين ، واعتبر مالك البلوغ والرشد ، وحينئذ يدفع المال واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده مالم يظهر سفه ، وقوله مخالف للقرآن (وبدارا أن يكبروا) ومعناه مبادرة لكبرهم أى أن الوصى يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية بيدارا أوعلى المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا (فليستعفف) أمر الوصى الغنى أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئا (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قال عمر بن الخطاب المعنى أن يستسلف الوصى الفقير من مال اليتيم ، فإذا أيسر رده ، وقيل المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته ، ومعنى بالمعروف من غير إسراف ، وقيل نسختها : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما (فأشهدوا عليهم) أمر بالتحرز والحرز فهو

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا * وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا * يُوصِيكُمُ
اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً

ندب، وقيل فرض (للرجال نصيب) الآية: سببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث الرجال النساء (نصيبا مفروضا) منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله: فريضة من الله، وقال الزمخشرى منصوب على التخصيص، أعنى بمعنى نصيبا (وإذا حضر القسمة) الآية: خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل إن ذلك على الوجوب، وقيل على الندب وهو الصحيح، وقيل نسخ بآية المواريث (وليخش الذين) الآية: معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم فى نظير أموالهم، فيخافوا الله، على أيتامهم. كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، ويقدروا ذلك فى أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول وليخش، وخافوا جواب لو (قولا سديداً) على القول الأول ملاطفة الوصى لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثانى أن يقول للموروث لا تسرف فى وصيتك وارفق بورثتك (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما قيل نزلت فى الذين لا يورثون الإناث، وقيل فى الأوصياء، ولفظها عام فى كل من أكل مال اليتيم بغير حق (إنما يأكلون فى بطونهم نارا) أى أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل يأكلون النار فى جهنم (يوصيكم الله فى أولادكم) هذه الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع، وقيل بسبب جابر بن عبدالله، إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ورفعت ما كان فى الجاهلية من توريث النساء والأطفال، وقيل نسخت الوصية للوالدين والأقربين وإنما قال يوصيكم بلفظ الفعل الدائم ولم يقل أوصاكم تنبيها على مامضى، والشروع فى حكم آخر وإنما قال يوصيكم الله بالاسم الظاهر، ولم يقل يوصيكم لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذى هو أعظم الأسماء وإنما قال فى أولادكم ولم يقل فى أبنائكم، لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة، وعلى ابن البنت، وعلى ابن المتبنى وليسوا من الورثة (للذكر مثل حظ الأنثيين) هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا قال للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر، لكان فيه تفضيل للإناث (فإن كن نساء) إنما أنث ضمير الجماعة فى كن، لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد، لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل يعود على المتروكات، وأجاز الزمخشرى أن تكون كان تامة والضمير مبهم ونساء تفسير (فوق اثنتين) ظاهره أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثان، وأما البنتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس لهما النصف كالبنت

فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن

الواحدة وقال الجمهور الثلثان، وتأولوا فوق اثنتين أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم إن فوق زائدة كقوله فاضربوا فوق الأعناق وهذا ضعيف وقال قوم إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن وقيل بالقياس على الأختين (وإن كانت واحدة) بالرفع فاعل، وكان تامة، وبالنصب خبر كان، وقوله تعالى فلهما النصف نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد لأن للذكر مثل حظ الأنثيين (إن كان له ولد) الولد يقع على الذكر والأنثى والواحد والاثنين والجماعة سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس (وورثه أبواه فلأمه الثلث) لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين «أحدهما» عدم الولد، والآخر إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه، لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان ولا وارث إلا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا فى الإثنين فذهب الجمهور أنهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس أنهما لا يردانها إليه، بل هما كالأخ الواحد وحجته أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين لأنه جمع لا تثنية وأقل الجمع ثلاثة وقال غيره إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين. كقوله وكنا لحكمهم شاهدين، وتسوروا المحراب، وأطراف النهار، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: الاثنان فما فوقهما جماعة، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعدا، ومذهبه أن أقل الجمع اثنان، فعلى هذا يحجب الأبوان من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكر أو أنثى، فإن كان معهما أب: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شىء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون، وقال قوم يأخذون السدس الذى حجبوه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا (من بعد وصية يوصى بها أو دين) قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمر فى قوله: فلهن ثلثا ما ترك: أى استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصى الميت، وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها فى الشريعة: اهتماما بها، وتأكيدا للأمر بها، ولئلا يتهاون بها وأخر الدين: لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد فى الأمر بإخراجه وتخرج الوصية من الثلث، والدين من رأس المال بعد الكفن؛ وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين: ليدل على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على وجوب الوصية (أقرب لكم نفعا) قيل بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل بالشفاعة فى الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعا بالميراث من ماله، وهو ألبق بسياق الكلام (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) الآية خطاب للرجال وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهن إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام، إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافا لابن عباس،

لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ
إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ *
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ
ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ

فإنه لايقول بالعول فإن قيل : لم كرر قوله : من بعد وصية ، مع ميراث الزوج وميراث الزوجة ، ولم يذكره قبل ذلك إلامرة واحدة فى ميراث الأولاد والأبوين ، فالجواب أن الموروث فى ميراث الزوج هو الزوجة ، والموروث فى ميراث الزوجة هو الزوج ، وكل واحدة قضية على انفرادها ، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة بخلاف الأولى ، فإن الموروث فيها واحد ، ذكر حكم مايرث منه أولاده وأبواه ، وهى قضية واحدة ، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة (وإن كان رجل يورث كلالة) الكلالة هى انقطاع عمود النسب وهو خلو الميت عن ولد ووالد ، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث ، أو على الورثة ، أو على القرابة ، أو على المال : بأن كانت على الميت ، فإعرابها خبر كان ، ويورث فى موضع الصفة أو يورث خبر كان ، وكلالة : حال من الضمير فى يورث ، أو تكون كان تامة ، ويورث فى موضع الصفة ، وكلالة حال من الضمير ، وإن كانت الورثة فهى مصدر فى موضع الحال وإن كانت للقرابة فهى مفعول من أجله ، وإن كانت للمال فهى مفعول ليورث ، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة ، ويورث فى موضع الصفة ، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها (وله أخ أو أخت) المراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع وقرأ سعد بن أبى وقاص : وله أخ أو أخت لأمه ، وذلك تفسير للمعنى (فكل واحد منهما السدس) إذا كان الأخ للأم واحد فله السدس ، وكذلك إذا كانت الأخت للأم واحدة (فهم شركاء فى الثلث) إذا كان الإخوة للأم اثنين فصاعدا : فلهما الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى ، لأن قوله شركاء . يقتضى التسوية بينهم ، ولاخلاف فى ذلك (غير مضار) منصوب على الحال والعامل فيه يوصى ومضار اسم فاعل ، قال ابن عباس الضرار فى الوصية من الكبائر ، ووجوه المضار كثيرة : منها الوصية لوارث ، والوصية بأكثر من الثلث أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج ، فان علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد مازاد على الثلث اتفاقا ، واختلف هل يرد الثلث على قولين فى المذهب ، والمشهور أنه ينفذ (وصية من الله) مصدر مؤكد لقوله يوصيكم الله ويجوز أن ينتصب بغير مصدر (تلك حدود الله) إشارة إلى ماتقدم من المواريث وغيرها (ومن يعص الله ورسوله) الآية : تعلق بها المعتزلة فى قولهم إن العصاة من المؤمنين يخلدون فى النار ، وتأولها الأشعرية على أنها فى الكفار (يأتين الفاحشة) هى هنا الزنا (من نسائكم) أو من المسلمات ؛ لأن المسلمة تحد حد الزنا ،

الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

وأما الكافر أو الكافرة فاختلف هل يحدّ أو يعاقب (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) قيل إنما جعل شهداء الزنا أربعة تغليظا على المدعى وستراً على العباد، وقيل ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين (فأمسكوهن فى البيوت) كانت عقوبة الزنا الإمساك فى البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا، وهو السب والتوبيخ، وقيل الإمساك للنساء والأذى للرجال فلا نسخ بينهما ورجحه ابن عطية بقوله فى الإمساك من نسائكم، وفى الأذى منكم، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك، وأما الجلد فمذكور فى سورة النور، وأما الرجم فقد كان فى القرآن ثم نسخ لفظه وبقى حكمه، وقد رجم صلى الله عليه وسلم ماعز الأسلمى وغيره (فأعرضوا عنهما) لما أمر بالأذى للزانى أمر بالإعراض عنه إذا تاب، وهو ترك الأذى (إنما التوبة على الله) أى إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء، وقال أبو المعالى يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به (يعملون السوء بجهالة) أى بسفاهة وقلة تحصيل أداة إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن ذلك الفعل يكون معصية، قال أبو العالية. أجمع الصحابة على أن كل معصية فهى بجهالة، سواء كانت عمداً أو جهلا (ثم يتوبون من قريب) قيل قبل المرض والموت. وقيل قبل السياق، ومعاينة الملائكة، وفى هذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر (وليست التوبة) الآية: فى الذين يصرون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة، وهو معاينة الموت فان كانوا كفارا فهم مخلدون فى النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم فى مشيئة الله إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. فقوله أعتدنا لهم عذابا أليما: ثابت فى حق الكفار ومنسوخ فى حق العصاة من المسلمين، بقوله: إنّ الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء. فعذابهم مقيد بالمشيئة (لا يحل لكم أن ترثوا النساء) قال ابن عباس: كانوا فى الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤا تزوجها أحدهم، وإن شاؤا زوجوها من غيرهم، وإن شاؤا منعوها التزوج، فنزلت الآية فى ذلك، فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال، كما يورث المال، وقيل الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة فى العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج (ولا تعضلوهن) معطوف على أن ترثوا، أو نهى والعضل المنع، قال ابن عباس: هى أيضا فى أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته، إلا أنّ قوله ما آتيتموهن على هذا معناه

مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ النِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

ما آتاها الرجل الذى مات ، وقال ابن عباس : هى فى الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عشرتها حتى تفتدى بصداقها ، وهو ظاهر اللفظ فى قوله ما آتيتموهن ، ويقويه قوله : وعاشروهن بالمعروف ، فإن الأظهر فيه أن يكون فى الأزواج ، وقد يكون فى غيرهم ، وقيل هى للأولياء (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل الفاحشة هنا الزنا ، وقيل نشوز المرأة وبغضها فى زوجها ، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق أو غير ذلك من مالها وهذا جائز على مذهب مالك فى الخلع ، إذا كان الضرر من المرأة ، والزنا أصعب على الزوج من النشوز ، فيجوز له أخذ الفدية (فإن كرهتموهن) الآية : معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه ، فعسى أن يجعل الله الخير فى وجه آخر ، وقيل الخير الكثير الولد ، والأحسن العموم ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يترك مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلقا رضى آخر (وإن أردتم استبدال زوج) الآية : معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدلها بأخرى وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره فى المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج ، فقال قوم إن هذه الآية منسوخة بقوله فى البقرة فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، وقال قوم هى ناسخة ، والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة ، فإن جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه ، فلا تعارض ولا نسخ (قنطارا) مثال على جهة المبالغة فى الكثرة ، وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة فى المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ، ورجل أخطأ ، كل الناس أفقه منك يا عمر (أفضى بعضكم إلى بعض) كناية عن الجماع (ميثاقا غليظا) قيل عقدة النكاح ، وقيل قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وقيل الأمر بحسن العشرة (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده فنزلت الآية تحريما لذلك ، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ماسفلوا ، سواء دخل بها أو لم يدخل ، فالنكاح فى الآية بمعنى العقد ، وما نكح : يعنى النساء ، وإنما أطلق عليهن ما ، وإن كن ممن يعقل ؛ لأن المراد الجنس فإذا زنى رجل بامرأة فاختلف هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا : فحرمه أبو حنيفة ، وأجازه الشافعى ، وفى المذهب قولان : واحتج من حرمه بهذه الآية وحمل النكاح فيها على الوطء وقال من أجازه إن الآية لا تتناوله إذ النكاح فيها بمعنى العقد (إلا ما قد سلف) أى إلا ما فعلتم فى الجاهلية من ذلك ، وانقطع بالإسلام فقد عفى عنه فلا تؤاخذون به ، ويدل على هذا قوله : إن الله كان غفورا رحيما بعد قوله إلا ما قد سلف فى المرأة الأخرى فى الجمع بين الأختين قال ابن عباس كانت العرب تحرم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين ، وقيل المعنى : إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم ، وذلك غير ممكن ؛ فالمعنى المبالغة فى التحريم (إنه كان فاحشة ومقتا) كان فى هذه الآية تقتضى الدوام كقوله : إن الله كان غفورا رحيما ، وشبه ذلك وقال

أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ

المبرد هى زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا ، وزاد هـذا المقت على ماوصف من الزنا فى قوله تعالى إنه كا فاحشـة ومقتا وساء سبيلا : دلالة على أن هـذا أقبح من الزنا (حرمت عليكم) الآية . معناها تحريم ماذكر من النساء ، والنساء المحرمات على التأبيـد ثلاثة أصـناف ؛ بالنسب ، وبالرضاع ، وبالمصاهرة . فأما النسب فيحرم به سبعة أصناف ، وهى المـذكورة فى هذه الآية ، وضابطها أنه يحرم على الرجل فصوله ماسفلت ، وأصوله ماعلت ، وفصول أبويه ماسفلت وأول فصل من كل أصل متقـدم على أبويه (أمهاتكم) يدخل فيه الوالدة والجدة من قبل الأم والأب ماعلون (وبناتكم) يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ماسفلن (وأخواتكم) يدخل فيه الأخت الشـقيقة ؛ أو لأب أو لأم (وعمـاتكم) يدخل فيـه أخت الوالد ، وأخت الجد ماعلا ، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم (وخالاتكم) يدخل فيه أخت الأم وأخت الجدماعلت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم (وبنات الأخ) يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو لأب أو لأم (وبنات الأخت) يدخل فيه كل ماتناسل من الأخت الشقيقة أو لأب أو لأم (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهم الأم والأخت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحرم من الرضاع مايحرم من النسب ، فاقتضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التى تحرم من النسب وهى الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت وتفصيل ذلك يطول ، وفى الرضاع مسائل لم نذكرها لأنهـا ليس لهاتعلق بألفاظ الآية (وأمهات نسائكم) المحرمات بالمصاهرة أربع : وهن زوجة الأب ، وزجة الابن ، وأم الزوجة ، وبنت الزوجة ، فأما الثلاث الأول فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها ، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمها ، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع ، وإن تلذذ بها بمـادون الوطء فحرمها مالك والجمهور وإن عقد عليها ولم يدخل بها : لم تحرم بنتها إجماعا ، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم) الربيبة هى بنت امرأة الرجل من غيره : سميت بذلك لأنه يربيها فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة ، وقوله اللاتى فى حجوركم على غالب الأمر إذ الأكثر أن تكون الربيبة فى حجر زوج أمها ، وهى محرمة سواء كانت فى حجره أم لا ، هذاعند الجمهور من العلماء ، إلا ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن فى حجره (اللاتى دخلتم بهن) اشترط الدخول فى تحريم بنت الزوجة ، ولم يشترط فى غيرها ، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ماروى عن على بن أبى طالب أنه اشترط الدخول فى تحريم الجميع ، وقد انعقد الإجماع بعد ذلك (وحلائل أبنائكم) الحلائل جمع حليلة وهى الزوجة (الذين من أصلابكم) تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن يتبناه الرجل ، وهو أجنبى عنه كتزويج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبى الذى كان يقال له زيد ابن محمد صلى الله تعالى عليه آله وسلم (وأن تجمعوا بين الأختين) يقتضى تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم وذلك

إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّاوَرَاءَ ذَالِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن لَّمْ
يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّامَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ

فى الزوجتين ، وأما الجمع بين الأختين المملوكين فى الوطء فمنعه مالك والشافعى وأبو حنيفة وغيرهم ، ورأوا أنه داخل فى عموم لفظ الأختين ، وأجازه الظاهرية لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح ، وأما الجمع بين الأختين فى الملك دون وطء فجائز باتفاق (إلا ماقد سلف) المعنى إلا مافعلتم من ذلك فى الجاهلية وانقطع بالاسلام فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به ، وهذا أرجح الأقوال حسبما تقدم فى الموضع الأول (والمحصنات من النساء) المراد هنا ذوات الأزواج وهو معطوف على المحرمات المذكورة قبله ، والمعنى أنه لايحل نكاح المرأة إذا كانت فى عصمة الرجل (إلا ماملكت أيمانكم) يريد السبايا فى أشهر الأقوال ، والاستثناء متصل ، والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ، ثم سبيت : جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من المشركين فتأثم المسلمون من غشيانهن ، فنزلت الآية مبيحة لذلك ، ومذهب مالك أن السبى يهدم النكاح سواء سبى الزوجان الكافران معا أو سبى أحدهما قبل الآخر ، وقال ابن المواز : لايهدم السبى النكاح (كتاب الله عليكم) منصوب على المصدرية : أى كتب الله عليكم كتابا وهو تحريم ماحرم ؛ وهو عند الكوفيين منصوب على الاغراء (وأحل لكم ماوراء ذلكم) معناه أحل لكم تزويج من سوى ماحرم من النساء ، وعطف أحل على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله ، والفاعل هو الله أى كتب الله عليكم تحريم من ذكر ، وأحل لكم ماوراء ذلكم (أن تبتغوا) مفعول من أجله ، أو بدل مما وراء ذلكم ، وحذف مفعوله وهو النساء (محصنين) هنا العفة ، ونصبه على الحال من الفاعل فى تبتغوا (غير مسافحين) أى غير زناة ، والسفاح هو الزنا (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) قال ابن عباس وغيره . معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر وهو الصداق كاملا وقيل إنها فى نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث ، وكان جائزا فى أول الإسلام فنزلت هذه الآية فى وجوب الصداق فيه ، ثم حرم عند جمهور العلماء ، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت فى تحريم نكاح المتعة ، وقيل نسختها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه ، وقيل نسختها «والذين هم لفروجهم حافظون» وروى عن ابن عباس جواز نكاح المتعة ، وروى أنه رجع عنه (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به) من قال إن الآية المتقدمة فى مهور النساء فمعنى هذه جواز مايتراضون به من حط النساء من الصداق أو تأخيره بعد استقرار الفريضة ومن قال إن الآية فى نكاح المتعة . فمعنى هذا جواز مايتراضون به من زيادة فى مدة المتعة وزيادة فى الأجر (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) معناها إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولا للمحصنات ، والطول هنا هو السعة فى المال والمحصنات هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لايجوز

أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ
مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

للحر نكاح أمة إلا بشرطين : أحدهما عدم الطول ؛ وهو ألا يجد ما يتزوج به حرة ، والآخر خوف العنت وهو الزنا لقوله بعد هذا : ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر ، واتفقوا على اشتراط الإسلام فى الأمة التى تتزوج لقوله تعالى « من فتياتكم المؤمنات» إلا أهل العراق فلم يشترطوه ، وإعراب طولا: مفعولا بالاستطاعة وأن ينكح بدل منه وهو فى موضع نصب بتقدير لأن ينكح ؛ ويحتمل أن يكون طولا منصوبا على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب ، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر (والله أعلم بإيمانكم) معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها ، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان ، فنكاحها صحيح ، وعلم باطنها إلى الله (بعضكم من بعض) أى إماؤكم منكم ، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ، لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك (فانكحوهن بإذن أهلهن) أى بإذن ساداتهن المالكين لهن (وآتوهن أجورهن) أى صدقاتهن ، وهذا يقتضى أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن ، وهو مذهب مالك (بالمعروف) أى بالشرع على ما تقتضيه السنة (محصنات غير مسافحات) أى عفيفات غير زانيات ، وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهن (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الخليل ، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدنا تزنى معه خاصة ، ومنهن من كانت لا ترد يد لامس (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة ، فإن الحرة تجلد فى الزنا مائة جلدة ، والأمة تجلد خمسين ، فإذا أحصن يريد به هنا تزوجن ، والفاحشة هنا الزنا ، والمحصنات هنا الحرائر ، والعذاب هنا الحد فاقتضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة وهو مثل حد المتزوجة وهذا على قراءة أحصن بضم الهمزة وكسر الصاد ، وقرئ بفتحهما ، ومعناه أسلمن ، وقيل تزوجن (ذلك لمن خشى العنت منكم) الإشارة إلى تزوج الأمة أى إنما يجوز لمن خشى على نفسه الزنا ، لا لمن يملك نفسه (وأن تصبروا خير لكم) المراد الصبر عن نكاح الإماء ، وهذا يندب إلى تركه ، وعلته ما يؤدى إليه من استرقاق الولد (يريد الله ليبين لكم) قال الزمخشرى أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد إضافة الأب ، وقال الكوفيون اللام مصدرية مثل أن (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أى يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم (والله يريد أن يتوب عليكم) كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات ، وهم هنا الزناة عند مجاهد ، وقيل المجوس لنكاحهم ذات المحارم ، وقيل عام فى كل

لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا * إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا * وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ

متبع شهوة وهو أرجح (يريد الله أن يخفف عنكم) يقتضى سياق الكلام التخفيف الذى وقع فى إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عام فى كل ماخفف الله عن عباده ، وجعل دينه يسرا (وخلق الإنسان ضعيفا) قيل معناه لايصبر على النساء ، وذلك مقتضى سياق الكلام ، واللفظ أعم من ذلك (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك (إلا أن تكون تجارة) استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها ، وفى إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشترى بدرهم سلعة تساوى مائة ، والمشهور إمضاء البيع ، وحكى عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث وموضع أن نصب ، وتجارة بالرفع فاعل تكون وهى تامة ، وقرئ بالنصب خبر تكون وهى ناقصة (عن تراض منكم) أى اتفاق وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق وقال الشافعى : إنما يتم بالتفرق بالأبدان ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا (ولا تقتلوا أنفسكم) قال ابن عطية ، أجمع المفسرون أن المعنى : لا يقتل بعضكم بعضا ، قلت ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه ، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك ، ولم ينكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ سمعه (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى القتل ، لأنه أقرب مذكور ، وقيل إليه وإلى أكل المال بالباطل ، وقيل إلى كل ماتقدم من المنهيات من أول السورة (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) اختلف الناس فى الكبائر ماهى ، فقال ابن عباس : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب ، وقال ابن مسعود الكبائر هى الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أول هذه الآية ، وقال بعض العلماء : كل ماعصى الله به ، فهو كبيرة ، وعدها بعضهم سبعة عشر ، وفى البخارى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اتقوا السبع الموبقات : الإشراك بالله والسحر ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها فى الحديث ، وزاد بعضهم عليها أشياء ، وورد فى الأحاديث النص على أنها كبائر ، وورد فى القرآن أو فى الحديث وعيد عليها ، فمنها عقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والنهبة ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن مكر الله ، ومنع ابن السبيل الماء والإلحاد فى البيت الحرام ، والنميمة ، وترك التحرز من البول والغلول واستطالة المرء فى عرض أخيه ، والجور فى الحكم (نكفر عنكم سيئاتكم) وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (مدخلا كريما) اسم مكان وهو هنا الجنة (ولا تتمنوا) الآية : سببها أن النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال فى الميراث وشاركناهم فى الغزو ، فنزلت نهيا عن ذلك لأن فى تمنيهم رد على حكم الشريعة ، فيدخل فى النهى تمنى مخالفة الأحكام الشرعية كلها (للرجال نصيب مما اكتسبوا) الآية : أى من الأجر والحسنات ، وقيل من الميراث ،

اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ
فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا *
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ

ويرده لفظ الاكتساب (ولكل جعلنا موالى) الآية: فى معناه وجهان: أحدهما لكل شىء من الأموال جعلنا موالى يرثونه، فما ترك على هذا بيان لكل، والآخر لكل أحد جعلنا موالى يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، فما ترك على هذا: يتعلق بفعل مضمر، والموالى هنا الورثة والعصبة (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) اختلف هل هى منسوخة أو محكمة فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذى كان فى الجاهلية، وقيل بالمؤاخاة التى آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أصحابه، ثم نسخها. وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض، فصار الميراث للأقارب والذين قالوا إنها محكمة: اختلفوا، فقال ابن عباس هى فى المؤازرة والنصرة بالحلف لا فى الميراث به، وقال أبو حنيفة: هى فى الميراث، وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر، على أن يتوارثا صح ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة (الرجال قوامون على النساء) قوام بناء مبالغة من القيام على الشىء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس: الرجال أمراء على النساء (بما فضل الله) الباء للتعليل، وما مصدرية، والتفضيل بالإمامة والجهاد، وملك الطلاق وكمال العقل وغير ذلك (وبما أنفقوا) هو الصداق والنفقة المستمرة (فالصالحات قانتات) أى النساء الصالحات فى دينهن مطيعات لأزواجهن أو مطيعة لله فى حق أزواجهن (حافظات للغيب) أى تحفظ كلما غاب عن علم زوجها فيدخل فى ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله وبيته وحفظ أسراره (بما حفظ الله) أى بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، فما مصدرية أو بمعنى الذى (واللاتى تخافون نشوزهن) قيل الخوف هنا اليقين (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهى على مراتب: بالوعظ فى النشوز الخفيف والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب: لم يتعد إلى ما بعده والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل ترك الجماع إذا ضاجعها، والضرب غير مبرح (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب (وإن خفتم شقاق بينهما) الشقاق الشر والعداوة وكان الأصل إن خفتم شقاق بينهما، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع لقوله تعالى «بل مكر الليل والنهار» وأصله مكر بالليل والنهار (فابعثوا حكما) الآية. ذكر تعالى الحكم فى نشوز المرأة، والحكم فى طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى، وهى ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم من الظالم منهما، فيبعث حكمان مسلمان لينظر فى أمرهما، وينفذ ما ظهر لهما من تطليق وخلع

كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن
يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ
وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا *
فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا

من غير إذن الزوج ، وقال أبو حنيفة ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما ، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذى يبعث الحكمين ، وقيل يبعثهما الزوجان ، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة أمينة ، ولا يبعثوا حكمين ، قال بعض العلماء هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية (من أهله وحكما من أهلها) يجوز فى المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين ، والأكمل أن يكونا من أهلهما كما ذكر الله (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير فى يريدا للحكمين ، وفى بينهما للزوجين على الأظهر ، وقيل الضميران للزوجين ، وقيل للحكمين (والجار ذى القربى والجار الجنب) قال ابن عباس الجار ذى القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الأجنبى ، وقيل ذى القربى القريب المسكن منك ، والجنب البعيد المسكن عنك ، وحد الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية (الصاحب بالجنب) قال ابن عباس الرفيق فى السعى ، وقال علىّ بن أبى طالب الزوجة (مختالا) اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه (فخورا) شديد الفخر (الذين يبخلون) بدل من قوله مختالا أو نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره يعذبون ، والآية فى اليهود : نزلت فى قوم منهم كحيّ بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم فى الجهاد والصدقات وهى مع ذلك عامة من فعل هذه الأفعال من المسلمين (والذين ينفقون) عطف على الذين يبخلون ، وقيل على الكافرين ، والآية فى المنافقين الذين كانوا ينفقون فى الزكاة والجهاد رياء ومصانعة ، وقيل فى اليهود ، وقيل فى مشركى مكة الذين أنفقوا أموالهم فى حرب المسلمين (قرينا) أى ملازما له يغويه (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية : استدعاء لهم كملاطفة أو توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق ، كأنه يقول أى مضرة عليهم فى ذلك (مثقال ذرة) أى وزنها ، وهى النملة الصغيرة ، وذلك تمثيل بالقليل تنبيها على الكثير (وإن تك حسنة) بالرفع فاعل وتك تامة ، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمر فيها (يضاعفها) أى يكثرها واحد البرّ بعشر إلى سبعمائة أو أكثر (ويؤت من لدنه) أى من عنده تفضلا وزيادة على ثواب العمل (فكيف إذا جئنا) تقديره كيف يكون الحال إذا جئنا (بشهيد) هو نبيهم يشهد عليهم بأعمالهم (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أى تشهد على قومك ، ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله

الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

صلى الله عليه وآله وسلم ذرفت عيناه (لو تسوى بهم الأرض) أى يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى وقيل يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله «ويقول الكافر يالیتنى كنت ترابا» وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة (ولا يكتمون الله حديثا) استئناف إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئا فإن قيل كيف هذا مع قولهم «والله ربنا ما كنا مشركين؟» فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا انطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا، والآخر أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة، وقيل إن قوله: ولا يكتمون عطف على تسوى أى يتمنون أن لا يكتموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة وأمهم أحدهم فخلط فى القراءة فمعناها النهى عن الصلاة فى حال السكر قال بعض الناس: هى منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم لأنها ليس فيها ما يقتضى إباحة الخمر وإنما هى نهى عن الصلاة فى حال السكر وذلك الحكم الثابت فى حين إباحة الخمر وفى حين تحريمها، وقال بعضهم معناها: لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضى النهى عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ (حتى تعلموا ما تقولون) حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤن ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره (ولا جنبا إلا عابرى سبيل) عطف ولا جنبا على موضع وأنتم سكارى إذ هو فى موضع الحال والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج وهو واقع على جماعة بدليل استثناء الجمع منه واختلف فى عابرى سبيل فقيل إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا فى السفر فيصلى بالتيمم دون اغتسال، فمقتضى الآية. إباحة التيمم للجنب فى السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب فى الحضر من الحديث، وقيل عابر السبيل المار فى المسجد، والصلاة هنا يراد بها المسجد، لأنه موضع الصلاة فمعنى الآية على هذا النهى أن يقرب المسجد الجنب إلا خاطرا عليه وعلى هذا أخذ الشافعى بأنه يجوز للجنب أن يمر فى المسجد، ولا يجوز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الآية سببها عدم الصحابة الماء فى غزوة المريسيع فأبيح لهم التيمم لعدم الماء ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها عدمه فى السفر، والثانى عدمه فى المرض، فيجوز التيمم فى هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص فى المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله: وإن كنتم مرضى أو على سفر، ثم قال فلم تجدوا ماء. الوجه الثالث: عدم الماء فى الحضر دون مرض، فاختلف الفقهاء فيه، فمذهب أبو حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم، لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر، ومذهب مالك والشافعى أنه يجوز فيه التيمم فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر فى أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله: فلم تجدوا ماء فيرجع قوله فلم تجدوا ماء إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث فى غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء فى غير مرض ولا سفر، فيكون فى الآية حجة لمالك والشافعى، ويجوز التيمم أيضا فى مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فان قلنا إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن السنة تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها

أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَـٰلَةَ

على أن يتناول قوله إن كنتم مرضى أن معناه مرضى لاتقدرون على مس الماء، وحدّ المرض الذى يجوز فيه التيمم عند مالك، هو أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وعند الشافعى خوف الموت لاغير، وحدّ السفر الغيبة عن الحضر كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا (أوجاء أحد منكم) فى أوهنا تأويلان: أحدهما أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها، والآخر أنها بمعنى الواو، فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو مسافرين، أم حسبما ذكرنا قبل هذا، فيقتضى ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعى، فيكون فى الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله «فلم تجدوا ماء» راجعا إلى المريض والمسافر، فيقتضى ذلك أنه لايجوز التيمم إلافى المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لايجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين؛ أحدهما أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف، والآخر إن كانت على بابها: كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ماظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لوجعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، وهذا لايلزم، لأن العطف بأوهنا للتنويع والتفصيل ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أوعلى سفر وأحدثتم فى غير مرض ولاسفر (الغائط) أصله المكان المنخفض، وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العذرة، والريح، والبول، لأن من ذهب إلى الغائط يكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل إنما هو كناية عن العذرة وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة، وكذلك الودى والمذى (أولامستم النساء) اختلف فى المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الجماع ومادونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذى هو دون الجماع على تفصيل فى المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم، والقول الثانى أنها مادون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولايجوز التيمم للجنب وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ويؤخذ جوازه من الحديث والثالث أنها الجماع فعلى هذا يجوز التيمم للجنب ولايكون مادون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبى حنيفة (فلم تجدوا ماء) هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافا لأبى حنيفة فإن وجده بثمن فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا وإن وهب له فاختلف هل يلزم قبوله أم لا (فتيمموا) التيمم فى اللغة القصد وفى الفقه الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوى (صعيدا طيبا) الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة فأجاز التيمم بذلك كله وهو عند الشافعى التراب لاغير والطيب هنا الطاهر واختلف فى التيمم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب المنقول كالمجعول فى طبق، وبالآجر، وبالجص المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذى على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف فى معنى الصعيد (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) لايكون التيمم إلافى هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر

وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ

الآية ، وذلك على الندب عند مالك ، ويستوعب الوجه بالمسح ، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين ، ولفظ الآية محتمل ، لأنه لم يحد ، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق ، فيحمل على المقيد ، وهو تحديدها فى الوضوء بالمرفقين (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود هنا وفى الموضع الثانى قال السهيلى : فالموضع الأول نزل فى رفاعة بن زيد بن التابوت ، وفى الثانى نزل فى كعب بن الأشرف (يشترون الضلالة) عبارة عن إيثارهم الكفر على الإيمان فالشراء مجاز كقوله «اشتروا الضلالة بالهدى» وفى تكرار قوله كفى بالله مبالغة (من الذين هادوا) من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا ، أو إلى أعدائكم ، فهى بيان ، وقال الفارسى : هى ابتداء كلام تقديره . من الذين هادوا قوم وقيل هى متعلقة بنصيرا على قول الفارسى (يحرفون الكلم) يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى ، وقيل الكلم هنا التوارة ، وقيل كلام النبى صلى الله عليه وسلم (غير مسمع) معناه لاسمعت (راعنا) ذكر فى البقرة (سمعنا وأطعنا) عوض من قولهم سمعنا وعصينا ، واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع ، وانظرنا عوض من قولهم راعنا ، وهو النظر أو الانتظار ، فهذه الأشياء الثلاثة فى مقابلة الأشياء الثلاثة التى ذمهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك : لكان خيرا لهم ، فإن هذه ليس فيها سوء أدب (مصدقا) ذكر فى البقرة (أن نطمس وجوها) قال ابن عباس طمسها : أن تزال العيون منها ، وترد فى القفا ، فيكون ذلك ردا على الدبر ، وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار فى خلوها عن الحواس (أو نلعنهم) أى نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت ، وقد ذكر فى البقرة ، أو يكون من اللعن المعروف ، والضمير يعود على الوجوه ، والمراد أصحابها ، أو على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) هذه الآية هى الحاكمة فى مسئلة الوعيد وهى المبينة لما تعارض فيها من الآيات ، وهى الحجة لأهل السنة ، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين فى مشيئة الله ، إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، وحجتهم هذه الآية ، فإنها نص فى هذا المعنى ، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولابد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد ، ويرد على الطائفتين قوله «ويغفر مادون ذلك» ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ، ويرد عليهم قوله : لمن يشاء ، فإنه

أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ

تخصيص لبعض العصاة ، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء ، وهو التائب لاخلاف أنه لا يعذب ، وهذا التأويل بعيد ، لأن قوله « إن الله لا يغفر أن يشرك به » فى غير التائب من الشرك وكذلك قوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فى غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد ، وتأولتها المرجئة على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء : معناه لمن يشاء أن يؤمن ، وهذا أيضا بعيد ، لا يقتضيه اللفظ وقد ورد فى القرآن آيات كثيرة فى الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفار ، وحملها أهل السنة على الكفار ، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة ، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين ، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين ، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد ، بل يجمع بين معانيها ، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض ، وتخليص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره : غفر له بإجماع ، وإن مات على كفره : لم يغفر له ، وخلد فى النار بإجماع ، وأن العاصى من المؤمنين إن تاب غفر له ، وإن مات دون توبة فهو الذى اختلف الناس فيه (الذين يزكون أنفسهم) هم اليهود لعنهم الله ، وتزكيتهم قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقيل مدحهم لأنفسهم (فتيلا) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، وقيل ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما ، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى (يفترون) دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل (يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال ابن عباس : الجبت هو حيي بن أخطب ، والطاغوت كعب بن الأشرف ، وقال عمر بن الخطاب : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وقيل الجبت الكاهن ، والطاغوت الساحر ، وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله (ويقولون للذين كفروا) الآية : سببها أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود ، قالوا لكفار قريش أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه (أم لهم نصيب من الملك) الهمزة للاستفهام مع الإنكار (نقيرا) النقير هى النقرة فى ظهر النواة وهو تمثيل ، وعبارة عن أقل الأشياء ، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك ، وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذى هو أقل الأشياء ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى (أم يحسدون الناس) وصفهم بالحسد مع البخل ، والناس هنا يراد بهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، والفضل النبوة ، وقيل النصر والعزة ، وقيل الناس العرب والفضل كون النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) المراد بآل إبرهيم ذريته من بنى إسرائيل وغيرهم ممن آتاه الله الكتب التى أنزلها والحكمة

وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن
يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ

التى علمها ، والمقصود بالآية الرد على اليهود فى حسدهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعناها إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلأى شىء تخصون محمداً صلى الله عليه وسلم بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم (ملكا عظيما) الملك فى آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان (فمنهم من آمن به) الآية : قيل المراد من اليهود من آمن بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو بالقرآن المذكور فى قوله تعالى : مصدقا لما معكم ، أو بما ذكر من حديث إبراهيم ، فهذه ثلاثة أوجه فى ضمير به ، وقيل منهم أى من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ، ومنهم من كفر : كقوله تعالى : فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (كلما نضجت جلودهم) الآية قيل تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هى المعذبة وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار ، وقيل الجلود السرابيل وهو بعيد (أزواج مطهرة) ذكر فى البقرة (ظلا ظليلا) صفة من لفظ الظل للتأكيد : أى دائما لا تنسخه الشمس وقيل نفى الحر والبرد (إن الله يأمركم) الآية : قيل هى خطاب للولاة وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ولفظها عام ، وكذلك حكمها (وأولوا الأمر) هم الولاة ، وقيل العلماء نزلت فى عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سرية (فردوه إلى الله والرسول) الرد إلى الله هو النظر فى كتابه ، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو سؤاله فى حياته والنظر فى سنته بعد وفاته (إن كنتم) يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعا إلى قوله فردوه أو إلى قوله أطيعوا ، والأول أظهر لأنه أقرب إليه (وأحسن تأويلا) أى مآلا وعاقبة وقيل أحسن نظرا منكم (الذين يزعمون) الآية : نزلت فى المنافقين ، وقيل فى منافق ويهودى كان بينهما خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودى وقيل إلى كاهن (رأيت المنافقين) وضع الظاهر موضع المضمر ليذمهم بالنفاق ، ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت فى المنافقين (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) الآية : أى كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم (ثم جاؤك

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا * أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل
لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا * وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ
فَٱسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا
أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ
تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا *
ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا *

يحلفون بالله) يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ماقبله أو يكون معطوفا على قوله يصدون ، ويكون قوله فكيف إذا أصابتهم اعتراضا (فأعرض عنهم) أى عن معاقبتهم ، وليس المراد بالإعراض القطيعة لقوله وعظهم (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية : وعد بالمغفرة لمن استغفر ، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة ومعنى جاؤك أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله (فلا وربك) لاهنا مؤكدة للنفى الذى بعدها (شجر بينهم) أى اختاطوا واختلفوا فيه ، ومعنى الآية أنهم لايؤمنون حتى يرضوا بحكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزلت بسبب المنافقين الذين تخاصموا ، وقيل بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار فى الماء وحكمها عام (ولو أنا كتبنا عليهم) الآية : معناها لو فرض عليهم مافرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها لقلة انقيادهم إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا ، وقدروى أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس (إلا قليل) بالرفع بدل من المضمر وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا (مايوعظون به) من اتباع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته والانقياد له (وأشد تثبيتا) أى تخفيفا لإيمانهم (وإذا لآتيناهم) جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) ثواب على الطاعة أى هم معهم فى الجنة ، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى «صراط الذين أنعمت عليهم» والصديق فعيل من الصدق ، ومن التصديق ، والمراد به المبالغة ، والصديقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء ، والشهداء المقتولون فى سبيل الله ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء كالغريق وصاحب الهدم حسبما ورد فى الحديث أنهم سبعة (وحسن أولئك رفيقا) الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط ، وهو مفرد بين به الجنس ، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التى ينال بها مرافقة هؤلاء (ذلك الفضل) الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر فى الجنة ، والفضل صفة أو خبر (خذوا حذركم) أى تحرزوا من عدوكم واستعدوا له (فانفروا ثبات) أى اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ
فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا * فَلْيُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا *
الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا
الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا *
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن

وذلك كناية عن السرايا ، وقيل إنّ الثبة ما فوق العشرة ، ووزنها فعلة بفتح العين ولامها محذوفة (أو انفروا جميعا) أى مجتمعين فى الجيش الكثيف فخيرهم فى الخروج إلى الغزو فى قلة أو كثرة (وإن منكم لمن ليبطئن) الخطاب للمؤمنين ، والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ، ويقولون آمنا ، واللام فى لمن للتأكيد ، وفى ليبطئن جواب قسم محذوف ، ومعناه يبطئ غيره يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو ، وقيل يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل (فإن أصابتكم مصيبة) أى قتل وهزيمة والمعنى أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا وشهيدا معناه حاضرا معهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أى نصر وغنيمة ، والمعنى أنّ المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) جملة اعتراض بين العامل ومعموله فلا يجوز الوقف عليها وهذه المودة فى ظاهر المنافق لا فى اعتقاده (الذين يشرون) أى يبيعون (فيقتل أو يغلب) ذكر الحالتين للمقاتل ووعد بالأجر على كل واحدة منهما (وما لكم لا تقاتلون) تحريض على القتال ، وما مبتدأ والجار والمجرور خبر ولا تقاتلون فى موضع الحال ، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام ، وهو عطف على اسم الله أو مفعول معه (القرية الظالم أهلها) هى مكة حين كانت للمشركين (يقاتلون فى سبيل الله) وما بعده تحصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال (الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية : قيل م من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد ، فتمنوا أن يؤمروا روا به كرهوه ، لا شكا فى دينهم ، ولكن خوفا من الموت ، وقيل هى فى المنافقين وهو أليق فى (متاع الدنيا قليل) وما بعده تحقير للدنيا فتضمن الرد عليهم فى كراهتهم للموت (فى بروج مشيدة)

تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا * مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا * وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ

أى فى حصون منيعة ، وقيل المشيدة المطولة وقيل المبنية بالشيد وهو الجص (إن تصبهم حسنة) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات ، والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك ، والضمير فى تصبهم وفى يقول للذين قيل لهم كفوا أيديكم ، وهذا يدل على أنها فى المنافقين ، لأن المؤمنين لا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم إن السيئات من عنده (قل كلّ من عند الله) رد على من نسب السيئة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإعلام أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله أى بقضائه وقدره (فما لهؤلاء القوم) توبيخ لهم على قلة فهمهم (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس ، وفيه تأويلان : أحدهما نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدباً مع الله فى الكلام ، وإن كان كل شىء منه فى الحقيقة ، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام ، والخير كله بيديك والشر ليس إليك وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه ، لقوله : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، فهى من العبد بتسببه فيها ، ومن الله بالخلقة والاختراع ، والثانى : أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل ، والتقدير يقولون كذا ، فمعناها كمعنى التى قبلها (من يطع الرسول فقد أطاع الله) هذه الآية من فضائل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه يأمر وينهى عن الله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى من أعرض عن طاعتك ، فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله ، بل حسابه وجزاؤه على الله ، وفى هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال (ويقولون طاعة) أى أمرنا وشأننا طاعة لك ، وهى فى المنافقين بإجماع (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) بيت أى تدبر الأمر بالليل ، والضمير فى تقول للمخاطب ، وهو النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو للطائفة (فأعرض عنهم) أى لا تعاقبهم (أفلا يتدبرون القرآن) حض على التفكر فى معانيه لتظهر أدلته وبراهينه (اختلافا كثيرا) أى تناقضا كما فى كلام البشر أو تفاوتا فى الفصاحة لكن القرآن منزه عن ذلك ، فدل على أنه كلام الله ، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا فى شىء من القرآن ، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع تآليفهم ، حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) قيل هم المنافقون وقيل قوم من ضعفاء المسلمين كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به أى تكلموا به

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا * مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا * وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وشهروه قبل أن يعلموا صحته ، وكان فى إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع مافى ذلك من العجلة وقلة التثبت ، فأنكر الله ذلك عليهم (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذى بلغهم وردوه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وإلى أولى الأمر ، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم ، لعلمه القوم الذين يستنبطونه أى يستخرجونه من الرسول وأولى الأمر فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأولى الأمر وحرف الجر فى قوله يستنبطونه منهم لابتداء الغاية وهو يتعلق بالفعل والضمير المجرور يعود على الرسول وأولى الأمر ، وقيل الذين يستنبطونه هم أولوا الأمر ، كما جاء فى الحديث عن عمر رضى الله عنه أنه سمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ، فدخل عليه ، فقال : أطلقت نساءك ؟ فقال لا ، فقام على باب المسجد ، فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلق نساءه ، فأنزل الله هذه القصة ، قال وأنا الذى استنبطته ، فعلى هذا يستنبطونه هم أولو الأمر ، والضمير المجرور يعود عليهم ، ومنهم لبيان الجنس ، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالنظر والبحث ، واستنباطه على التأويل الأول وهو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولى الأمر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى هداه وتوفيقه ، أو بعثه للرسل ، وإنزاله للكتب ، والخطاب فى هذه الآية للمؤمنين (إلا قليلا) أى إلا اتباعا قليلا فالاستثناء من المصدر ، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا فى أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها ، وقيل إنه استثناء من الفاعل فى اتبعتم أى إلا قليلا منكم وهو الذى يقتضيه اللفظ وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل ، والفضل والرحمة على بعث الرسول وإنزال الكتاب ، وقيل إن الاستثناء من قوله أذاعوا به (لاتكلف إلا نفسك) لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبى صلى الله عليه وسلم أى إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك (وحرض المؤمنين) أى ليس عليك فى شأن المؤمنين إلا التحريض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) قيل عسى من الله واجبة ، والذين كفروا هنا قريش وقد كفهم الله بهزيمتهم فى بدر وغيرها وبفتح مكة (وأشد تنكيلا) أى عقابا وعذابا (شفاعة حسنة) هى الشفاعة فى مسلم لتفرج عنه كربة ، أو تدفع مظلمة أو يجلب إليه خيرا والشفاعة السيئة بخلاف ذلك وقيل الشفاعة الحسنة هى الطاعة والشفاعة السيئة هى المعصية ، والأول أظهر ، والكفل هو النصيب (مقيتا) قيل قديرا ، وقيل حفيظا ، وقيل الذى يقيت الحيوان أى يرزقهم القوت (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) معنى ذلك الأمر برد السلام والتخيير بين أن يرد بمثل ماسلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل مثل أن يقال له

لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ
أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً
فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا * سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا

سلام عليك فيرد السلام ويزيد الرحمة والبركة ، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعى ، وقال بعض الناس هو فرض عين ، واختلف فى الرد على الكفار ، فقيل يرد عليهم لعموم الآية ، وقيل لا يرد عليهم ، وقيل يقال لهم عليكم ، حسبما جاء فى الحديث ، وهو مذهب مالك ولا يبتدؤن بالسلام (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف ، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بإلى (ومن أصدق) لفظه استفهام ، ومعناه لا أحد أصدق من الله (فما لكم فى المنافقين فئتين) ما استفهامية بمعنى التوبيخ ، والخطاب للمسلمين ، ومعنى فئتين : أى طائفتين مختلفين ، وهو منصوب على الحال ، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس أنها نزلت فى قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات ، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا ؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنين وقال زيد بن ثابت نزلت فى المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد فاختلف الصحابة فى أمرهم ، ويرد هذا قوله : حتى يهاجروا (أركسهم) أى أضلهم ، وأهلكهم (ودوا لو تكفرون) الضمير للمنافقين أى تمنوا أن تكفروا (فخذوهم) يريد به الأسر (إلا الذين يصلون) الآية : استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعناها أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة فحكمه كحكمهم فى المسالمة وترك قتاله وكان ذلك فى أول الإسلام ثم نسخ بالقتال فى أول سورة براءة ، قال السهيلى وغيره : الذين يصلون هم بنو مدلج بن كنانة إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق بنو خزاعة فدخل بنو مدلج فى صلح خزاعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعنى يصلون إلى قوم : ينتهون إليهم ، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة وقيل معنى يصلون أى ينتسبون وهذا ضعيف جدا بدليل قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين أو جاؤكم حصرت صدورهم عطف على يصلون أو على صفة قوم وهى : بينكم وبينهم ميثاق ، والمعنى يختلف باختلاف ذلك ، والأول أظهر ، وحصرت صدورهم : فى موضع الحال بدليل قراءة يعقوب حصرت ، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته ، ونزلت الآية فى قوم جاؤا إلى المسلمين ، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين وكرهوا أيضا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار فأمر الله بالكف عنهم ثم نسخ أيضا ذلك بالقتال (فإن اعتزلوكم) أى إن سالموكم فلا تقاتلوهم ، والسلم هنا الانقياد (ستجدون آخرين)

قَوْمِهِمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۞ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ

الآية : نزلت فى قوم مخادعين وهم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم والفتنة هنا الكفر على الأظهر ، وقيل الاختبار (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد وكان الحارث يعذبه على الإسلام ، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله ، وقيل إن الاستثناء هنا منقطع ، والمعنى لايحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه ، لكن الخطأ قد يقع ، والصحيح أنه متصل والمعنى لاينبغى لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعد إذ هو مغلوب فيه ، وانتصاب خطأ على أنه مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية) هذا بيان مايجب على القاتل خطأ فأوجب الله عليه التحرير والدية ، فأما التحرير ففى مال القاتل . وأما الدية ففى عاقلته ، وجاء ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وبيان للآية إذ لفظها يحتمل ذلك أو غيره ، وأجمع الفقهاء عليه ، واشترط مالك فى الرقبة التى تعتق أن تكون مؤمنة ليس فيها عقد من عقود الحرية ، سالمة من العيوب أما إيمانها فنص هنا ، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا ، واختلفوا فى كفارة الظهار وكفارة اليمين ، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى فتحرير رقبة ، لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها وأما سلامتها من العيب ، فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه وفى ذلك نظر ولم يبين فى الآية مقدار الدية وهى عند مالك مائة من الإبل على أهل الإبل ، وألف دينار شرعية على أهل الذهب واثناعشر ألف درهم شرعية على أهل الورق ، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب (مسلمة إلي أهله) أى مدفوعة إليهم ، والأهل هنا الورثة ، واختلف فى مدة تسليمها ، فقيل هى حالة عليهم ، وقيل يؤدونها فى ثلاث سنين ، وقيل فى أربع ، ولفظ التسليم مطلق وهو أظهر فى الحلول لولا ماجاء من السنة فى ذلك (إلا أن يصدقوا) الضمير يعود على أولياء المقتول أى إذا أسقطوا الدية سقطت ، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور ، خلافا لأهل الظاهر ، وحجتهم عود الضمير على الأولياء ، وقال الجمهور إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) معنى الآية : أن المقتول خطأ إن كان مؤمنا وقومه كفارا أعداء وهم المحاربون فانما فى قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع لهم لئلا يتقووا بها على المسلمين ، ورأى ابن عباس أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقى فى دار الحرب لم يهاجر وخالفه غيره ورأى مالك أن الدية فى هذا البيت المال فالآية عنده منسوخة ، (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية : معناها أن المقتول خطأ إن كان قومه كفارا معاهدين ففى مثله تحرير رقبة والدية إلى أهله لأجل معاهدتهم ، والمقتول على هذا مؤمن ، ولذلك قال مالك لا كفارة فى قتل الذمى ، وقيل إن المقتول فى هذه الآية كافر، فعلى هذا تجب

أَهْله وَتَحْرِيرُ رَقَبَة مُؤْمنَة فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ۞ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ السَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

الكفارة فى قتل الذمّى ، وقيل هى عامة فى المؤمن والكافر ، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله وهو مؤمن فى الآية التى قبلها وقرأ الحسن هنا وهو مؤمن (فمن لم يجد فصيام شهرين) أى من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه (توبة من الله) منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفا (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها) الآية : نزلت بسبب مقيس بن صبابة كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ ، ثم قتل رجلا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله ، والمتعمد عند الجمهور هو الذى يقصد القتل بحديدة أو حجر أو عصا أو غير ذلك ، وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين فى النار واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة فى النار لقوله خالدا فيها وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها أن قالوا إنها فى الكافر إذا قتل مؤمنا ، والثانى قالوا معنى المتعمد هنا المستحل للقتل ، وذلك يؤول إلى الكفر ، والثالث قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدى ، وإنما هو عبارة عن طول المدة ، والرابع أنها منسوخة بقوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها ، ورأوا أنها ناسخة لقوله : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت نزلت الشديدة بعد الهينة وبقول ابن عباس ، الشرك والقتل من مات عليهما خلد ، وبقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل المؤمن متعمدا ، وتقتضى الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصى ، واختلف الناس فى القاتل عمدا إذا تاب ، هل تقبل توبته أم لا ؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف فى القاتل إذا اقتص منه هل يسقط عنه العقاب فى الآخرة أم لا ؟ والصحيح أنه يسقط عنه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصاب ذنبا فعوقب به فى الدنيا فهو له كفارة ، وبذلك قال جمهور العلماء (ضربتم فى سبيل الله) أى سافرتم فى الجهاد (فتبينوا) من البيان وقرئ بالثاء المثلثة من الثبات والتفعل فيها بمعنى الاستفعال ، أى اطلبوا بيان الأمر وثبوته (ألقى اليكم السلم) بغير ألف أى انقاد وألقى بيده ، وقرئ السلام بمعنى التحية ، ونزلت فى سرية لقيت رجلا فسلم عليهم ، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فحمل عليه أحدهم فقتله ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان القاتل علم بن جثامة والمقتول عامر بن الأغبط ، وقيل القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك (تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعنى الغنيمة ، وكان للرجل المقتول غنم (فعند الله مغانم كثيرة) وعد وتزهيد فى غنيمة من أظهر الإسلام (كذلك كنتم من قبل) قيل معناه كنتم كفاراً فهداكم الله للاسلام ، وقيل كنتم تخفون إيمانكم من قومكم (فمن الله عليكم) بالعزة والنصر حتى أظهرتموه (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) الآية :

خبيرًا ۞ لَّا يَسْتَوِى الْقَٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى
الْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا
فِيهَا فَأُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * وَمَن يُهَاجِرْ فِى
سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنَّ الْكَٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا * وَإِذَا كُنتَ

معناها تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد وهم القاعدون (غير أولى الضرر) لما نزلت الآية : قام ابن أم مكتوم الأعمى ، فقال يارسول الله هل من رخصة فإنى ضرير البصر ، فنزل غير أولى الضرر وقرئ غير بالحركات الثلاث ، بالرفع صفة للقاعدين ، وبالنصب على الاستثناء أو الحال ، وبالخفض صفة للمؤمنين (درجة) قيل هى تفضيل على القاعدين من أهل العذر والدرجات على القاعدين بغير عذر ، وقيل إن الدرجات مبالغة وتأكيد الدرجة (الحسنى) الجنة (أجرا) منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل ، وانتصب درجات على البدل من الأجر أو بفعل مضمر ، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلها : أى غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (إن الذين توفاهم الملائكة) الآية نزلت فى قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا ، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ويحتمل أن يكون توفاهم ماضيا أو مضارعا ، وانتصب ظالمى على الحال (قالوا فيم كنتم) أى فى أى شىء كنتم فى أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الأرض) اعتذار عن التوبيخ الذى وبخهم به الملائكة : أى لم تقدروا على الهجرة وكان اعتذارا بالباطل (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) رد عليهم ؛ وتكذيب لهم فى اعتذارهم (إلا المستضعفين) الذين كان استضعافهم حقا ، قال ابن عباس : كنت أنا وأبى وأمى ممن عنى الله بهذه الآية (مراغما) أى متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه (وسعة) أى اتساع فى الأرض وقيل فى الرزق (فقد وقع أجره على الله) أى ثبت وصح (ومن يخرج من بيته) الآية حكمها على العموم ونزلت فى ضمرة بن القيس وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضا فلما سمع ما أنزل الله فى الهجرة قال أخرجونى فهيىء له فراش فوضع عليه وخرج فمات فى الطريق ، وقيل نزلت فى خالد بن حزام ، فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حية فى الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) اختلف العلماء فى تأويلها على خمسة أقوال : أولها أنها فى قصر الصلاة الرباعية

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ

إلى ركعتين فى السفر ، ولذلك لايجوز إلا فى حال الخوف على ظاهر الآية ، وهو قول عائشة وعثمان رضى الله عنهما ، الثانى أن الآية تقتضى ذلك ولكن يؤخذ القصر فى السفر دون الخوف من السنة ، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول إن خفتم وقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قصر فى السفر وهو آمن ، الثالث أن قوله إن خفتم راجع إلى قوله : وإذا كنت فيهم الآية التى بعد ذلك والواو زائدة وهذا بعيد ، الرابع أنها فى صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلى كل طائفة ركعة خاصة ، قال ابن عباس فرضت الصلاة فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة الخامس أنها فى صلاة المسايفة ، فالقصر على هذا هو من هيأة الصلاة كقوله : فإن خفتم فرجالا أو ركبانا وإذا قلنا إنها فى القصر فى السفر ، فظاهرها أن القصر رخصة ، والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعى ، وقال مالك القصر أفضل ، وقيل إنهما سواء ، وأوجب أبو حنيفة القصر ، وليس فى لفظ الآية مايدل على مقدار المسافة التى تقصر فيها الصلاة ؛ لأن قوله إذا ضربتم فى الأرض معناه السفر مطلقا ، ولذلك أجاز الظاهرية القصر فى كل سفر طويل أو قصير ، ومذهب مالك والشافعى أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا ؛ واحتجوا بآثار عن عمر وابن عباس ، وكذلك ليس فى الآية مايدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية فإن لفظها مطلق فى السفر ، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر فى سفر القربة وفى المباح وفى المعصية ، ومنعه مالك فى سفر المعصية ، ومنعه ابن حنبل فى المعصية ، وفى المباح . وللقصر أحكام لاتتعلق بالآية فاضربنا عن ذكرها ، والمراد بالفتنة فى هذه الآية القتال أو التعرض بما يكره (وإذا كنت فيهم) الآية فى صلاة الخوف ، وظاهرها يقتضى أنها لا تصلى بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه شرط كونه فيهم ، وبذلك قال أبو يوسف ، وأجازها الجمهور بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته ، وقد فعلها الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، واختلف الناس فى صلاة الخوف على عشرة أقوال ، لاختلاف الأحاديث فيها ، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك ، وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع (فلتقم طائفة منهم معك) يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلى بالأولى نصف الصلاة ، وتقف الأخرى تحرس ثم يصلى بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس ، واختلف هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور ، أم لا ؟ وعلى القول بالإتمام : اختلف هل يتمونها فى أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا فى المأمور بأخذ الأسلحة ، فقيل الطائفة المصلية وقيل الحارسة والأول أرجح ، لأنه قد قال بعد ذلك فى الطائفة الأخرى : وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم فى الصلاة : جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم ، وإلا لم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) الضمير فى قوله فإذا سجدوا للمصلين ، والمعنى إذا سجدوا معك فى الركعة الأولى ، وقيل إذا سجدوا فى ركعة القضاء ، والضمير فى قوله فليكونوا من ورائكم : يحتمل

وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ
عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ
مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
كِتَابًا مَوْقُوتًا * وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ
اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ
اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ

أن يكون للذين سجدوا : أى إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم ، وعلى هذا إن كان السجود فى الركعة الأولى فيقتضى ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى ، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أولا يقضونها ، وإن كان السجود فى ركعة القضاء ، فيقتضى ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء ، وهو مذهب مالك والشافعى ، ويحتمل أن يكون الضمير فى قوله : فليكونوا للطائفة الأخرى أن يقفوا وراء المصلين يحرسونهم (ولتأت طائفة أخرى) يعنى الطائفة الحارسة (ودّ الذين كفروا) الآية : إخبار عما جرى فى غزوة ذات الرقاع ، من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بذلك ، وشرعت صلاة الخوف حذرا من الكفار ، وفى قوله : ميلة واحدة : مبالغة أى مفاضلة لا يحتاج منها إلى ثانية (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر) الآية : نزلت بسبب عبد الرحمن ابن عوف ، كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس ، فرخص الله فى وضع السلاح فى حال المرض والمطر ، ويقاس عليهما كل عذر يحدث فى ذلك الوقت (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) إن قيل : كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين ؟ فالجواب أن الأمر بالحذر من العدو : يقتضى توهم قوتهم وعزتهم ، ففى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين ، قال ذلك الزمخشرى ، إنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين فى الدنيا ، والأظهر أنه فى الآخرة (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله) الآية : أى إذا فرغتم من الصلاة ، فاذكروا الله بألسنتكم ، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان ، وقيل المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما فإن لم تقدروا فقعودا ، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) أى إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة (كتابا موقوتا) أى محدودا بالأوقات وقال ابن عباس : فرضا مفروضا (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) أى لا تضعفوا فى طلب الكفار (إن تكونوا تألمون) الآية : معناها . إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله ، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم : النصر فى الدنيا ، والأجر فى الآخرة ؛ وذلك تشجيع للمسلمين (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يحتمل أن يريد بالوحى أو بالاجتهاد ، أو بهما ، وإذا تضمنت الاجتهاد ، ففيها دليل على إثبات النظر والقياس

أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا * لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ

خلافا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم (ولا تكن للخائنين خصيما) نزلت هذه الآية ومابعدها فى قصة طعمة ابن الأبيرق إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار ، وجاء قومه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إنه برىء ونسبوا السرقة إلى غيره ، وظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم صادقون ، فجادل عنهم ليدفع مانسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا ، فالخائنون فى الآية : هم السراق بنو الأبيرق ، وقال السهيلى هم بشر وبشير ومبشر وأسيد ، ومعناها لاتكن لأجل الخائنين مخاصما لغيرهم (واستغفر الله) أى من خصامك عن الخائنين ، على أنه صلى الله عليه وسلم إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم (إذ يبيتون) أى يدبرون ليلا وإنما سمى التدبير قولا ، لأنه كلام النفس ، وربما كان معه كلام باللسان (ومن يكسب خطيئة أو إثما) قيل إن الخطيئة تكون عن عمد ، وعن غير عمد ، والإثم لا يكون إلا عن عمد ، وقيل هما بمعنى ، وكرر لاختلاف اللفظ (ثم يرم به بريئا) كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) هم الذين جاؤا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأبرؤا ابن الأبيرق من السرقة وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة ، فهى أيضا تتضمن أحكام غيرها ، وبقية الآية تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم ، وتقدير لنعم الله عليه (لاخير فى كثير من نجواهم) إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى ، فالاستثناء الذى بعدها منقطع ، وقد يكون متصلا على حذف مضاف تقديره إلا نجوى من أمر ، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل (ومن يشاقق الرسول) أى يعاديه ، والشقاق هو العداوة ، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق ، لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات على الكفر ، وهى عامة فيه وفى غيره (ويتبع غير سبيل المؤمنين) استدل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين وأنه لايجوز مخالفته ، لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين ، وفى ذلك نظر (نوله ماتولى) أى نتركه مع

جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ۞ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا * لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ
لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۞ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا
يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۞ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۞ لَّيْسَ
بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۞ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۞ وَلِلَّهِ مَا فِى

اختياره الفاسد (إن الله لا يغفر أن يشرك به) قد تقدّم الكلام على نظيرتها (إن يدعون من دونه إلا إناثا) الضمير فى يدعون للكفار ، ومعنى يدعون يعبدون ، واختلف فى الإناث هنا ، فقيل هى الأصنام، لأن العرب كانت تسمى الأصنام بأسماء مؤنثة : كاللات والعزى ، وقيل المراد الملائكة لقول الكفار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد ، وقيل المراد الأصنام ، لأنها لا تفعل فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث (إلا شيطانا مريدا) يعنى إبليس ، وإنما قال إنهم يعبدونه ، لأنهم يطيعونه فى الكفر والضلال ، والمريد هو الشديد العتو والإضلال (لعنه الله) صفة للشيطان (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) الضمير للشيطان : أى فرضته لنفسى من قولك فرض للجند وغيرهم ، والمراد بهم أهل الضلال (ولأضلنهم) أى أعدهم الأمانى الكاذبة (فليبتكن آذان الأنعام) أى يقطعونها ، والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها (فليغيرن خلق الله) التغيير هو الخصاء وشبهه وقد رخص جماعة من العلماء فى خصاء البهائم ، إذا كان فيه منفعة ، ومنعه بعضهم لظاهر الآية ، وقيل التغيير هو الوشم وشبهه ، ويدل على هذا الحديث الذى لعن فيه الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، والمغيرات خلق الله (محيصا) أى معدلا ومهربا (وعد الله حقا) مصدران : الأول مؤكد للوعد الذى يقتضيه قوله سندخلهم جنات ، والثانى مؤكد لوعد الله (ليس بأمانيكم) الآية : اسم ليس مضمر تقديره الأمر وشبهه ، والخطاب للمسلمين ، وقيل للمشركين أى لا يكون ما تتمنون ، ولا ما يتمنى أهل الكتاب ، بل يحكم الله بين عباده ، ويجازيهم بأعمالهم (من يعمل سوءا يجز به) وعيد حتم فى الكفار ، ومقيد بمشيئة الله فى المسلمين (ومن يعمل من الصالحات) دخلت من للتبعيض رفقا بالعباد ، لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر (وهو مؤمن) تقييد باشتراط الإيمان ، فإنه لا يقبل عمل إلا به (نقيرا) هو النقرة التى فى ظهر نواة التمرة ، والمعنى تمثيل بأقل الأشياء (واتبع ملة إبراهيم) أى دين

السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا * وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَآءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتٰبِ فِى يَتٰمَى النِّسَآءِ الَّتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتٰمَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا * وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا

الإسلام (حنيفا) حال من المتبع أو من إبراهيم (واتخذ الله إبراهيم خليلا) أى صفيا، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة، وفى ذلك تشريف لإبراهيم، وترغيب فى اتباعه (ويستفتونك فى النساء) أى يسئلونك عما يجب عليهم فى أمر النساء (وما يتلى عليكم) عطف على اسم الله أى يفتيكم الله، والمتلوّ عليكم فى الكتاب يعنى القرآن (فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق، فقوله ما كتب لهن يعنى ما تستحقه المرأة من الصداق، وقوله وترغبون أن تنكحوهن: يعنى لجمالهن ومالهن من غير توفية حقوقهن، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك أول السورة فى قوله: وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى الآية، وهذه الآية هى التى تليت عليهم فى يتامى النساء، والمستضعفين من الولدان: عطف على يتامى النساء، والذى يتلى فى المستضعفين من الولدان وهو قوله: يوصيكم الله فى أولادكم، لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين أى والذى يتلى عليكم فى أن تقوموا لليتامى بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبا بتقديره: ويأمركم أن تقوموا، أو الخطاب فى ذلك للأولياء، والأوصياء، أو للقضاة وشبههم، والذى تلى عليهم فى ذلك هو قوله: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية، وقوله: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلى غير ذلك (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) معنى الآية إباحة الصلح بين الزوجين، إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض وقد تقدم معنى النشوز، وأما الإعراض فهو أخف، ووجوه الصلح كثيرة منها أن يعطيها الزوج شيئا أو تعطيه هى أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك، وسبب الآية أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له أمسكنى فى نسائك ولا تقسم لى وقد وهبت يومى لعائشة (والصلح خير) لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل معناه صلح الزوجين خير من فراقهما فخير على هذا للتفضيل، واللام فى الصلح للعهد (وأحضرت الأنفس الشح) معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها لأنها جبلت عليه والشح هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشىء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج هو منع الصداق والتضييق فى النفقة وزهده فى المرأة لكبر سنها أو قبح صورتها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) معناه العدل التام الكامل فى الأقوال

رَّحِيماً * وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا * مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ

والأفعال والمحبة وغير ذلك فرفع الله ذلك عن عباده ، فإنهم لا يستطيعون ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى بما لا أملك يعنى ميله بقلبه وقيل إن الآية نزلت فى ميله صلى الله عليه وسلم بقلبه إلى عائشة ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده (فتذروها كالمعلقة) أى لا ذات زوج ولا مطلقة (وإن يتفرقا) الآية : معناها إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه ، وهذا وعد بخير وتأنيس (ولقد وصينا) الآية : إخبار أن الله وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه (ويأت بآخرين) أى بقوم غيركم ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسى ، وقال : هم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) الآية : تقتضى الترغيب فى طلب ثواب الآخرة ، لأنه خير من ثواب الدنيا ، وتقتضى أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده ، فإن ذلك بيده لا بيد غيره ، وعلى أحد هذين الوجهين ، يرتبط الشرط بجوابه ، فالتقدير على الأول ، من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة ، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وعلى الثانى من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (كونوا قوامين بالقسط) أى مجتهدين فى إقامة العدل (شهداء لله) معناه لوجه الله ولمرضاته (ولو على أنفسكم) يتعلق بشهد وشهادة الإنسان على نفسه هى إقراره بالحق ، ثم ذكر الوالدين والأقربين ، إذ هم مظنة للتعصب والميل : فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى (إن يكن غنيا أو فقيرا) جواب إن محذوف على الأظهر أى إن يكن المشهود عليه غنيا ، فلا تمتنع من الشهادة تعظيما له ، وإن كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه اتفاقا فإن الله أولى بالغنى والفقير ، أى بالنظر إليهما (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أن مفعول من أجله ، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل ، فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس ، أو من العدل ، فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلووا أو تعرضوا) قيل : إن الخطاب للحكام ، وقيل للشهود ، واللفظ عام فى الوجهين ، واللىّ هو تحريف الكلام أى تلووا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق أو تعرضوا عن صاحب الحق ، أو عن المشهود له بالحق ، فإن الله يجازيكم فإنه خبير بما تعملون ، وقرئ إن تلوا بضم اللام من الولاية : أى إن وليتم إقامة الشهادة ، أو أعرضتم عنها (آمنوا بالله) الآية خطاب للمسلمين :

الَّذى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِه وَالْكِتَٰبِ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشِّرِ الْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوٓا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا * إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ

معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ماذكر ، أو يكون أمراً بالدوام على الإيمان ، وقيل خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين : معناه الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل خطاب للمنافقين معناه الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم (إن الذين آمنوا ثم كفروا) الآية ، قيل هى فى المنافقين لتردهم بين الإيمان والكفر ، وقيل فى اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أرجح ؛ لأن الكلام من هنا فيهم ، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإيمان ، ثم ارتد وازداد كفرا (لم يكن الله ليغفر لهم) ذلك فيمن علم الله أن يموت على كفره ، وقد يكون إضلالهم عقابا لهم بسوء أفعالهم (وقد نزل عليكم فى الكتاب الآية : إشارة إلى قوله : وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم وغيرها ، وفى الآية دليل على وجوب تجنب أهل المعاصى ، والضمير فى قوله معهم يعود على مايدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين (الذين يتربصون بكم) صفة للمنافقين : أى ينتظرون بكم دوائر الزمان (ألم نستحوذ عليكم) أى نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قال على بن أبى طالب وغيره : ذلك فى الآخرة ، وقيل السبيل هنا الحجة البالغة (يخادعون الله) ذكر فى البقرة (وهو خادعهم) تسمية للعقوبة باسم الذنب ، لأن وبال خداعهم راجع عليهم (مذبذبين) أى مضطربين مترددين ، لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار (سلطانا مبينا) أى حجة ظاهرة (إن المنافقين فى الدرك الأسفل) أى فى الطبقة السفلى من

مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ
الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ
شَاكِرًا عَلِيمًا * لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِن تُبْدُوا خَيْرًا
أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا
بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ
السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۞ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ
بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقْضِهِم

جهنم ، وهى سبع طبقات وفى ذلك دليل على أنهم شرّ من الكفار (إلا الذين تابوا) استثناء من المنافقين ، والتوبة هنا الإيمان الصادق فى الظاهر والباطن (مايفعل الله بعذابكم) المعنى أى حاجة ومنفعة لله بعذابكم وهو الغنىّ عنكم ، وقدم الشكر على الإيمان ، لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم فكان الشكر سبباً للإيمان : متقدم عليه ، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان ، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به ، والشاكر اسم الله ذكر فى اللغات (إلا من ظلم) أى إلا جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه ، وقيل أن يذكر مافعل به من الظلم ، وقيل أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه (إن تبدوا خيرا أو تخفوه) الآية : ترغيب فى فعل الخير سراوعلانية ، وفى العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار ، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة (إن الذين يكفرون) الآية : فى اليهود والنصارى، لأنهم آمنوا بأنبيائهم ، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، ومعنى التفريق بين الله ورسله الإيمان به والكفر برسله ، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم ، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقى الكامل (والذين آمنوا) الآية : فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله (يسألك أهل الكتاب) الآية ، روى أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل كتاب إلى فلان ، وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله ، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت ، فذكر الله سؤالهم من موسى ، وسوء أدبهم معه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بالتأسى بغيره ، ثم ذكر أفعالهم القبيحة ليبين أنّ كفرهم إنما هو عناد ، وقد تقدم فى البقرة ذكر طلبهم الرؤيا ، واتخاذهم العجل ، ورفع الطور فوقهم ، واعتدائهم فى السبت وغير

مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ

ذلك بما أشير إليه هنا (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله حرمنا عليهم، ويكون فبظلم على هذا بدلا من قوله فبما نقضهم (بهتانا عظيما) هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية فى كلام عيسى فى المهد (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم) عد الله فى جملة قبائحهم قولهم إنا قتلنا المسيح لأنهم قالوها افتخارا وجرأة مع أنهم كذبوا فى ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذى ألقى عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروى أن عيسى قال للحواريين أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل ويكون رفيقى فى الجنة، فقال أحدهم أنا فألقى عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى، وقيل بل دلّ على عيسى يهودىّ، فألقى الله شبه عيسى على اليهودى فقتل اليهودى ورفع عيسى إلى السماء حيا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال (رسول الله) إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله، وهم يكفرون به ويسبونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء، والثانى أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم، والثالث أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدة تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم إنا قتلناه (وما قتلوه وما صلبوه) رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا فى قولهم إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك والعجب كل العجب من تناقضهم فى قوله إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب (ولكن شبه لهم) فيه تأويلان: أحدهما ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحوارى أو على اليهودى، والآخر أن معناه شبه لهم الأمر أى خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه، حتى تغير بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب (وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه) روى أنه لما رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه، قالوا إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، فاختلفوا، فقال بعضهم هو هو، وقال بعضهم ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتل، واختلفوا من كان (إلا اتباع الظن) استثناء منقطع لأن العلم تحقيق والظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب أنهم كانوا على الشك، ثم لاحت لهم أمارات فظنوا، قاله الزمخشرى، وقد يقال الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذى هو أضعف من الشك (وما قتلوه يقينا) أى ما قتلوه قتلا يقينا فإعراب يقينا على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل هى مصدر فى موضع الحال: أى ما قتلوه متيقنين، وقيل هو تأكيد للنفى الذى فى قوله ما قتلوه أى يتيقن نفى قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية (بل رفعه الله إليه) أى إلى سمائه وقد ورد فى حديث الإسراء أنه فى السماء الثانية (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) فيها تأويلان:

أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا * إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

أحدهما أنّ الضمير فى موته لعيسى ، والمعنى أنه كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا ، وهو دين الإسلام ، والثانى أنّ الضمير فى موته للكتاب الذى تضمنه قوله وإن من أهل الكتاب التقدير : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى ، ويعلم أنه نبى قبل أن يموت هذا الإنسان ، وذلك حين معاينة الموت ، وهو إيمان لاينفعه ، وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وغيره ، وفى مصحف أبىّ بن كعب قبل موتهم ، وفى هذه القراءة تقوية للقول الثانى ، والضمير فى به لعيسى على الوجهين ، وقيل هو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ويصدهم) يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون كثيرا صفة لمصدر محذوف تقديره صدا كثيرا ، أو بمعنى صدهم لغيرهم ، فيكون كثيرا مفعولا بالصد ، أى صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله (لكن الراسخون فى العلم منهم) هو عبد الله ابن سلام ، ومخيرق ، ومن جرى مجراهم (والمقيمين) منصوب على المدح بإضمار فعل ، وهو جائز كثيرا فى الكلام ، وقالت عائشة هو من لحن كتاب المصحف ، وفى مصحف ابن مسعود : والمقيمون ، على الأصل (إنا أوحينا إليك) الآية : ردّ على اليهود الذين سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، واحتجاج عليهم بأن الذى أتى به وحى : كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحى من غير إنزال الكتاب من السماء ، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة (ورسلا قد قصصناهم) منصوب بفعل مضمر أى أرسلنا رسلا (وكلم الله موسى تكليما) تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر ، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة إنّ الشجرة هى التى كلمت موسى (رسلا مبشرين) منصوب بفعل مضمر أو على البدل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أى بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلىّ رسولا لآمنت (لكن الله يشهد) الآية : معناها أنّ الله يشهد بأن القرآن من عنده ، وكذلك تشهد الملائكة بذلك ، وسبب الآية : إنكار اليهود للوحى ، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك ، فقيل لكن الله يشهد بذلك ، وفى الآية من أدوات البيان الترديد ، وهو ذكر الشهادة أولا ، ثم ذكرها فى آخر الآية (أنزله

ضَلٰلًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا
خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ
لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ
إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ
أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ
عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا الَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا وَٱسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ
إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا * يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَٰلَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

بعلمه) فى هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله ، خلافا للمعتزلة فى قولهم إنه عالم بلا علم ، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد (ياأيها الناس) خطاب عام ، لأن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بعث إلى جميع الناس (فآمنوا خيرا لكم) انتصب خبرا هنا ، وفى قوله انتهوا خيراً لكم بفعل مضمر لا يظهر تقديره إيتوا خيرا لكم هذا مذهب سيبويه ، وقال الخليل: انتصب بقوله آمنوا وانتهوا على المعنى ، وقال الفراء فآمنوا إيمانا خيرا لكم فنصبه على النعت لمصدر محذوف ، وقال الكوفيون هو خبر كان المحذوفة تقديره يكن الإيمان خيراً لكم (وإن تكفروا فإن لله مافى السموات والأرض) أى هو غنى عنكم لا يضره كفركم (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا فى عيسى حتى كفروا ، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص فى النصارى ، بدليل مابعد ذلك والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد (وكلمته) أى مكون عن كلمته التى هى كن من غير واسطة أب ولا نطفة (وروح منه) أى ذو روح من الله ، فمن هنا لابتداء الغاية ، والمعنى من عند الله ، وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم (ولا تقولوا ثلاثة) نهى عن التثليث ، وهو مذهب النصارى وإعراب ثلاثة خبر مبتدإ مضمر (له مافى السموات ومافى الأرض) برهان على تنزيهه تعالى عن الولد ، لأنه مالك كل شىء (لن يستنكف) لن يأنف كذلك ، ومعناه حيث وقع (ولا الملائكة) فيه دليل لمن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومن فوقه (قد جاءكم برهان) هو القرآن ، وهو أيضا النور المبين ، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج ، وبالنور

مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

سورة المائدة

مدنية إلا آية ٣ فنزلت بعرفات فى حجة الوداع : وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْىَ وَلَا الْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ

النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه سماه سراجا (يستفتونك) أى يطلبون منك الفتيا ، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طلبا للكلالة ، ويفتيكم أيضا طلب لها ، فيكون من باب الإعمال وإعمال العامل الثانى على اختيار البصريين أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه ، والأول أظهر ، وقد تقدم معنى الكلالة فى أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا : الشقائق ، والذين للأب إذا عدم الشقائق ، وقد تقدم حكم الإخوة للأم فى قوله وإن كان رجلا يورث كلالة الآية (إن امرؤ هلك) ارتفع بفعل مضمر عند البصريين ، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث (أن تضلوا) مفعول من أجله تقديره كراهية أن تضلوا : —

سورة المائدة

(أوفوا بالعقود) قيل إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك ، وقيل ما عقده مع ربه من الطاعات : كالحج والصيام وشبه ذلك ، وقيل ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم فى دينه ذكر مجملا ثم فصل بعد ذلك فى قوله : أحلت لكم ومابعده (بهيمة الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم ، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشىء إلى ماهو أخص منه ؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها ، قال الزمخشرى : هى الإضافة التى بمعنى من كخاتم من حديد أى البهيمة من الأنعام ، وقيل هى الوحش : كالظباء ، وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لاتقع إلا على الإبل والبقر والغنم ، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ماعدا الإنسان (إلا مايتلى عليكم) يريد الميتة وأخواتها (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد ، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج ، فالاستثناء بإلا من البهائم المحللة ، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين (لاتحلوا شعائر الله) قيل هى مناسك الحج ، كان المشركون يحجون ويعتمرون ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم ، فقيل لهم : لاتحلوا شعائر الله : أى لاتغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل هى الحرم ، وإحلاله الصيد فيه ، وقيل هى مايحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك ، وإحلاله فعله (ولا الشهر الحرام) قيل هو جنس الأشهر الحرام الأربعة ، وهى رجب وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقيل أشهر الحج ، وهى : شوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها (ولا الهدى) هو مايهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه

فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا

أو يصد عن البيت (ولا القلائد) قيل هى التى تعلق فى أعناق الهدى ، فنهى عن التعرض لها ، وقيل أراد ذوات القلائد من الهدى وهى البدن وجددها بالذكر بعد دخولها فى الهدى اهتماما بها وتأكيداً لأمرها (ولا آمين البيت الحرام) أى قاصدين إلى البيت لحج أو عمرة ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدهم عن البيت ونزلت الآية على ما قال السهيلى بسبب الحكم البكرى واسمه شريح بن ضبيعة أخذته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر ، وهذا النهى عن إحلال هذه الأشياء : عام فى المسلمين والمشركين ؛ ثم نسخ النهى عن قتال المشركين بقوله : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام ، وبقوله : ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) الفضل : الربح فى التجارة ، والرضوان : الرحمة فى الدنيا والآخرة (وإذا حللتم فاصطادوا) أى إذا حللتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم ، فالأمر هنا إباحة بإجماع (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) معنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم ، يقال جرم فلان فلانا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه ، والشنآن : هو البغض والحقد ، ويقال بفتح النون وإسكانها ، وأن صدوكم : مفعول من أجله ، وأن تعتدوا : مفعول ثان ليجرمنكم ، ومعنى الآية : لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام ، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، فنهاهم الله عن قتلهم ، لأن الله علم أنهم يؤمنون (وتعاونوا على البر والتقوى) وصية عامة ، والفرق بين البر والتقوى أن البر عام فى فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات ، وفى كل ما يقرب إلى الله . والتقوى فى الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات فالبر أعم من التقوى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس ، والعدوان على الناس (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) تقدم الكلام عليها فى البقرة (والمنخنقة) هى التى تخنق بحبل وشبهه (والموقوذة) هى المضروبة بعصا أو حجر وشبهه ، والمتردية هى التى تسقط من جبل أو شبه ذلك ، والنطيحة هى التى نطحتها بهيمة أخرى (وما أكل السبع) أى أكل بعضه ، والسبع كل حيوان مفترس : كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر (إلا ما ذكيتم) قيل إنه استثناء منقطع ، وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها : ما مات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع والمعنى حرمت عليكم هذه الأشياء ، لكن ما ذكيتم من غيرها ، فهو حلال ، وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب ، فهى ميتة فقد دخلت فى عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها ، وقيل إنه استثناء متصل ، وذلك إن أريد بالمنخقنة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته ، والمعنى على هذا : إلى ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال ، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا ، وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب ، فذكاتها جائزة باتفاق (وما ذبح على النصب) عطف على المحرمات المذكورة ، والنصب

ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصوّرة والنصب غير مصوّرة وهى الأنصاب ، والمفرد نصاب ، وقد قيل إن النصب بضمتين مفرد، وجمعه أنصاب (وأن تستقسموا بالأزلام) عطف على المحرمات أيضا ، والاستقسام . هو طلب ماقسم له، والأزلام هى السهام . واحدها زلم بضم الزاى وفتحها ، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها افعل ، وعلى الآخر لاتفعل ، والثالث مهمل ، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها فى خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ، فإن خرج له الذى فيه افعل : فعل ماأراد ، وإن خرج له الذى فيه لاتفعل تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب (ذلكم فسق) الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها، أو إلى الاستقسام بالأزلام ، وإنما حرمه الله وجعله فسقا : لأنه دخول فى علم الغيب الذى انفرد الله به فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم أى يئسوا أن يغلبوه ويطلبوه ، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة فى حجة الوداع ، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين ، ويحتمل أن يكون الزمان الحاضر لا اليوم بعينه (اليوم أكملت لكم دينكم) هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام (فمن اضطر) راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا ، أباحها الله عند الاضطرار (فى مخمصة) فى مجاعة (غير متجانف لإثم) هذا بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم فى البقرة (فإن الله غفور رحيم) قام مقام فلا جناح عليه ، وتضمن زيادة الوعد (يسئلونك ماذا أحل لهم) سببها أن المسلمين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم من المأكل وقيل لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، سألوه ماذا يحل لنا من الكلاب فنزلت مبينة للصيد بالكلاب (قل أحل لكم الطيبات) هى عند مالك الحلال ، وذلك مما لم يرد تحريمه فى كتاب ولا سنة وعند الشافعى الحلال المستلذ ، فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث (وماعلمتم من الجوارح) عطف على الطيبات على حذف مضاف تقديره وصيد ماعلمتم ، أو مبتدأ وخبره فكلوا مما أمسكن عليكم وهذا أحسن ، لأنه لاخلاف فيه ، والجوارح هى الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب لأهلها ، فهو من الجرح بمعنى الكسب ولاخلاف فى جواز الصيد بالكلاب ، واختلف فيمن سواها ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة فى البازات وغيرها ، ومنع بعض ذلك لقوله مكلبين ، فإنه مشتق من الكلب الكلب ونزلت الآية بسبب عدىّ بن حاتم ، كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الصيد (مكلبين) أى معلمين للكلاب الاصطياد ، وقيل معناه أصحاب كلاب وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل فى علمتم ويقتضى قوله علمتم ومكلبين أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلم ، لقوله وماعلمتم وقوله مكلبين على القول الأول لتأكيده ذلك بقوله : تعلمونهن ، وحد التعليم

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ

عند ابن القاسم أن يعلم الجارح الإشلاء والزجر ، وقيل الإشلاء خاصة ، وقيل الزجر خاصة ، وقيل أن يجيب إذا دعى (تعلمونهن مما علمكم الله) أى تعلمونهن من الحيلة فى الاصطياد وتأتى تحصيل الصيد ، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان ، فمن للتبعيض ، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية والجملة فى موضع الحال أو استئناف (فكلوا مما أمسكن عليكم) الأمر هنا للإباحة ويحتمل أن يريد مما أمسكن ، سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك ، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل منه ، وبذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : فإن أكل منه فلا تأكل ؛ فإنه إنما أمسك على نفسه ، وقد أخذ بهذا بعض العلماء ، وقد ورد فى حديث آخر إذا أكل فكل ، وهو حجة لمالك (واذكروا اسم الله عليه) هذا أمر بالتسمية على الصيد ، ويجرى الذبح مجراه ، وقد اختلف الناس فى حكم التسمية ، فقال الظاهرية إنها واجبة حملا للأمر على الوجوب ، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، لم تؤكل عندهم وقال الشافعى أنها مستحبة ، حملا للأمر على الندب وتؤكل عنده ، سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، وجعل بعضهم الضمير فى عليه عائداً على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل ، وإن تركت نسيانا أكلت فهى عنده واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) معنى حل: حلال ، والذين أتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ، واختلف فى نصارى بنى تغلب من العرب ، وفيمن كان مسلما ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية ، هل يحل لنا طعامهم أم لا ، ولفظ الآية يقتضى الجواز لأنهم من أهل الكتاب ، واختلف فى المجوس والصابئين ، هل هم أهل كتاب أم لا ؟ وأما الطعام ، فهو على ثلاثة أقسام أحدها الذبائح وقد اتفق العلماء على أنها مرادة فى الآية ، فأجازوا كل ذبائح اليهود والنصارى ، واختلفوا فيما هو محرم عليهم فى دينهم ، هل يحل لنا أم لا على ثلاثة أقوال : الجواز ، والمنع ، والكراهة ، وهذا الاختلاف مبنى على هل هو من طعامهم أم لا فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز ، وإن أريد به ما يحل لهم منع ، والكراهة توسط بين القولين القسم الثانى ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق ، والثالث ما فيه محاولة : كالخبز ، وتعصير الزيت ، وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه ، فمنعه ابن عباس لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة ، ولأنه يمكن أن يكون نجسا ، وأجازه الجمهور ، لأنه رأوه داخلا فى طعامهم ، هذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا ، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة ، فلا يجوز أصلا وقد صنف الطرطوشى فى تحريم جبن النصارى ، وقال إنه ينجس البائع والمشترى والآلة ، لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة ، ويجرى مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه فى ظروف الميتة (وطعامكم حل لهم) هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم (والمحصنات) عطف على الطعام المحلل ، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان : الإسلام ، والتزوج والعفة ، والحرية . فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله من الذين أوتوا الكتاب ، وأما التزوج فلا يصح أيضا لأن ذات الزوج لا تحل لغيره ، ويحتمل هنا العفة والحرية ، فمن حمله

فى الآخرة من الخاسرين ۞ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق
وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر

على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة ، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة ، وهو مذهب مالك ، ولا تعارض بين هذه الآية . وبين قوله «ولا تنكحوا المشركات» لأن هذه فى الكتابيات ، والأخرى فى المشركات ، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك ، وقيل بالعكس ، وقد تقدم معنى «فآتوهن أجورهن» ومعنى الأخدان (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية : نزلت فى غزوة المريسيع ، حين انقطع عقد عائشة رضى الله عنها ، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فنزلت الرخصة فى التيمم ، فقال أسيد بن حضير ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبى بكر ، ولذلك سميت الآية آية التيمم ، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ، ثابتا بالسنة ، وقوله إذا قمتم إلى الصلاة معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤا ويقتضى ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة ، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور أنه لا يجب ، واختلفوا فى تأويل الآية على أربعة أقوال : الأول أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد ، والثانى أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب ، والثالث أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث ، والرابع أن تقديرها إذا قمتم من النوم (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) ذكر فى هذه الآية . أربعة أعضاء اثنين محدودين ، وهما اليدان والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والرأس أما المحدودان فتغسل اليدان إلى المرفقين ، والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع ، فإن ذلك هو الحد الذى جعل الله لهما ، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين ، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا ، وذلك مبنى على معنى إلى ، فمن جعل إلى بمعنى مع فى قوله إلى المرافق وإلى الكعبين أوجب غسلهما ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما ؛ واختلف فى الكعبين ، هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظمان الناتئان فى طرف الساق ، وهو أظهر لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق ، لأنه على ذلك فى كل رجل كعب واحد وأما غير المحدودين ، فاتفق على وجوب إيعاب الوجه . وحده طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية ، وحده عرضا من الأذن إلى الأذن وقيل من العذار إلى العذار ، وأما الرأس ، فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه ، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه ، لما ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح على ناصيته ، ولكنهم اختلفوا فى القدر الذى يجزئ على أقوال كثيرة (وامسحوا برؤسكم) اختلف فى هذه الباء فقال قوم إنها للتبعيض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس ، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية وقال القرافى إنها باء الاستعانة التى تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤسكم ، وهذا ضعيف لأن الرأس على هذا مامسح لا ممسوح ، وذلك خلاف المقصود ، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف ، لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندى أنها باء الإلصاق التى توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدى بنفسه ، وتارة بحرف الجر : كقوله : فامسحوا بوجوهكم ، وكقوله «فطفق مسحا بالسوق والأعناق» (وأرجلكم إلى الكعبين) قرئ وأرجلكم بالنصب عطفا على الوجوه والأيدى فيقتضى ذلك وجوب غسل الرجلين ، وقرئ بالخفض

أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ
قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ *
يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ
نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا

فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤسكم ، فأجاز مسح الرجلين ، روى ذلك عن ابن عباس ، وقال الجمهور لايجوز مسحهما بل يجب غسلهما وتأولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات أحدها أنه خفض على الجوار لا على العطف والآخر أنه يراد به المسح على الخفين ، والثالث أن ذلك منسوخ بالسنة . والفرق بين الغسل والمسح أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذى يبقى من الماء ، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء ، وعند الشافعى إمرار الماء ، وإن لم يدلك باليد (وإن كنتم مرضى أو على سفر) تقدم الكلام على نظيرتها فى النساء (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين الله يسر ، وباقى الآية تفضل من الله على عباده ورحمة وفى ضمن ذلك ترغيب فى الطهارة وتنشيط عليها (وميثاقه الذى واثقكم به) هو ماوقع فى بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا (كونوا قوامين) تقدم الكلام على نظيرتها فى النساء (ولا يجرمنكم) أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) فى سببها أربعة أقوال : الأول أن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بنى النضير من اليهود ، فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها ، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوى هذا القول ماورد فى الآيات بعد هذا فى غدر اليهود ، والثانى أنها نزلت فى شأن الأعرابى الذى سل السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجده فى سفر وهو وحده وقال له من يمنعك منى قال الله فأغمد السيف وجلس واسمه غورث بن الحارث الغطفانى ، والثالث أنها فيما هم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف ، والرابع أنها على الإطلاق فى دفع الله الكفار عن المسلمين (اثنى عشر نقيبا) النقيب هو كبير القوم القائم بأمورهم (إنى معكم)

حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ
يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ
اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ السَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ *
لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ
خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ *
يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ
فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * يَٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

أى بنصرى ، والخطاب لبنى إسرائيل ، وقيل للنقباء (يحرفون الكلم) اختلف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعانى (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أى على خيانة فهو مصدر كالعاقبة ، وقيل على طائفة خائنة ، وهو إخبار بأمر مستقبل (فاعف عنهم) منسوخ بالسيف والجزية (ومن الذين قالوا إنا نصارى) أى ادعوا أنهم أنصار الله ، وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به ، وتتعلق من الذين بأخذنا ميثاقهم والضمير عائد على النصارى (فأغرينا) أى أثبتنا وألصقنا ، وهو مأخوذ من الإغراء (ياأهل الكتاب) فى الموضعين يعم اليهود والنصارى وقيل إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فإنهم كانوا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفى الآية دلالة على صحة نبوته لأنه بين لهم ما أخفوه مما فى كتبهم ، وهى أحكم لم يقرأ كتبهم (ويعفو عن كثير) أى يتركه ولا يفضحكم (فيه نور وكتاب مبين) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل فمن يملك من الله شيئا) الآية: رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى ، وهم فرقة من النصارى (يخلق ما يشاء) إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد (وقالت اليهود والنصارى) أى قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة ، وقال الزمخشرى المعنى : نحن أشياع أبناء الله عندهم ، وهما المسيح وعزير كما يقول حشم الملوك نحن الملوك (فلم يعذبكم) رد عليهم ، لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات ، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب

الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

حبيبه ، فى ذلك بشارة لمن أحبه الله (وجعلكم ملوكا) قيل جعل منكم ملوكا أى أمراء ، وقيل الملك من له مسكن وامرأة وخادم (مالم يؤت أحداً من العالمين) قيل يعنى المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات ، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم ، لأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم ، وقيل المراد كثرة الأنبياء ، فعلى هذا يكون عاما ، لأن الأنبياء فى بنى إسرائيل أكثر منهم فى سائر الأمم (الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس ، وقيل الطور ، وقيل دمشق (التى كتب الله لكم) أى قضى أن تكون لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذى جاءوا منه فإنه روى أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر (قوما جبارين) هم العمالقة (قال رجلان) هما يوشع وكالب (يخافون) أى يخافون الله ، وقيل يخافون الجبارين ، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما (ادخلوا عليهم الباب) أى باب المدينة (فاذهب أنت وربك) إفراط فى العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضى الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون (لا أملك إلا نفسى وأخى) قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بنى إسرائيل ويبذل جهده فى طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخى عطف على نفسى لأن أخاه هارون كان يطيعه ، وقيل عطف على الضمير فى لا أملك : أى لا أملك أنا إلا نفسى ولا يملك أخى إلا نفسه ، وقيل مبتدأ ، وخبره محذوف أى أخى لا يملك إلا نفسه (فافرق بيننا) أى فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة ، وقيل افصل بيننا وبينهم بحكم (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) الضمير فى قال لله تعالى ، وحرم الله على جميع بنى إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم فى هذه المدة يتيهون فى الأرض أى فى أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال . إنا لن ندخلها . ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب ومات هرون فى التيه ومات موسى بعده فى التيه أيضا . وقيل إن موسى وهارون لم يكونا فى التيه ، لقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، وخرج يوشع ببنى إسرائيل بعد الأربعين سنة ، وقاتل الجبارين ، وفتح المدينة ، والعامل فى أربعين : محرمة على الأصح ، فيجب وصله معه وقيل العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله محرمة عليهم ، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى لأنه بيان لمدة التحريم والتيه (يتيهون) أى يتحيرون ، وروى

فى الأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّٰدِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ

أنهم كانوا يسيرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم فى الموضع الذى كانوا فيه (فلا تأس) أى لا تحزن والخطاب لموسى، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراد بالفاسقين من كان فى عصره من اليهود (نبأ ابنى آدم) هما قابيل وهابيل (إذ قربا قربانا) روى أن قابيل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه ، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده ، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلى ، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول ، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع قابيل فحسده قابيل فقتله (إنما يتقبل الله من المتقين) استدل بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصى لا يتقبل عمله، وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك (لئن بسطت إلى يدك) الآية ، قيل معناها لئن بدأتنى بالقتال لم أبدأك به ، وقيل إن بدأتنى بالقتال لم أدافعك ، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا وفضيلة ؟ وهو الأظهر والأشهر ، وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد ، وأما فى شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة ، وإنما هو تخيير فى أهون الشرين كأنه قال إن قتلتنى ، فذلك أحب إلى من أن أقتلك كما ورد فى الأثر كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما قوله بإثمى وإثمك فمعناه بإثم قتلى لك لو قتلتك ، وبإثم قتلك لى ، وإنما يحمل القاتل الإثمين ، لأنه ظالم، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المتسابان ما قالا فهو على البادئ ، وقيل بإثمى : أى تحمل عنى سائر ذنوبى ، لأن الظالم تجعل عليه فى القيامة ذنوب المظلوم، وبإثمك أى فى قتلك لى ، وفى غير ذلك من ذنوبك (وذلك جزاء الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام هابيل ، أو استئنافا من كلام الله تعالى (فبعث الله غرابا) الآية : روى أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر ، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويوارى الميت ، وقيل بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقى التراب على هابيل (سوءة أخيه) أى عورته وخصت بالذكر ، لأنها أحق بالستر من سائر الجسد والضمير فى أخيه عائد على ابن آدم ، ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بنى آدم (قال ياويلتا) أصله ياويلتى ، ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء وكذلك ياأسفى . وياحسرتى (فأصبح من النادمين) على ما وقع فيه من قتل أخيه ، واختلف فى قابيل هل كان كافرا أو عاصيا ، والصحيح أنه لم يكن فى تلك المدة كافرا لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان ، وأصبح

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

هنا وفى الموضع عبارة عن جميع الأوقات لامختصة بالصباح (من أجل ذلك) يتعلق بكتبنا ، وقيل بالنادمين ، وهو ضعيف (كتبنا على بنى إسرائيل) أى فرضنا عليهم أو كتبناه فى كتبهم (بغير نفس) معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه القصاص (أو فساد فى الأرض) يعنى الفساد الذى يجب به القتل كالحرابة (فكأنما قتل الناس جميعا) تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات إحداها القصاص ، فإن القصاص فى قاتل الواحد والجميع سواء . الثانية انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان ، والثالثة الإثم والعذاب الأخروى قال مجاهد : وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود فيها ، والغضب واللعنة والعذاب العظيم ، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك ، وهذا الوجه هو الأظهر ، لأن القصد بالآية : تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه ، وكذلك الثواب فى إحيائها كثواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه وإحياؤها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك وقيل بترك قتلها ، وقيل بالعفو إذا وجب القصاص (ولقد جاءتهم) الضمير لبنى إسرائيل . والمعنى تقبيح أفعالهم ، وفى ذلك إشارة إلى ماهموا به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية : سببها عند ابن عباس أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل ، وقال جماعة نزلت فى نفر من عكل وعرينة أسلموا ثم إنهم قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وأخذوا إبله ثم حكمها بعد ذلك فى كل محارب ، والمحاربة عند مالك هى حمل السلاح على الناس فى بلد أو فى خارج بلد ، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلا خارج البلد ، وقوله : يحاربون الله : تغليظ ومبالغة ، وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وذلك ضعيف ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو أحسن (ويسعون فى الأرض فسادا) بيان للحرابة وهى على درجات أدناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس (أن يقتلوا أو يصلبوا) الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينزجروا ، وهو قول أشهب ، وقيل يصلب حيا ، ويقتل على الخشبة ، وهو قول ابن القاسم (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، ثم إن عاد : قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى ، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ ، وقطع الرجل من المفصل ، وذلك فى الحرابة وفى السرقة (أو ينفوا من الأرض) مشهور مذهب مالك أن ينفى من بلد إلى بلد آخر ، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته ، وروى عنه مطرف أنه يسجن فى البلد بعينه ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقيل ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه ، ومذهب مالك أن الإمام مخير فى المحارب بين أن يقتله ويصلبه ، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله ، أو ينفيه ، إلا أنه قال إن كان قتل فلا بد من قتله ، وإن لم يقتل ، فالأحسن أن يأخذ

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا
فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ
مُقِيمٌ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ
مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

فيه بأيسر العقاب ، وقال الشافعى وغيره : هذه العقوبات مرتبة فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفى ، وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأو التى تقتضى التخيير (خزى فى الدنيا) هو العقوبة ، وعذاب الآخرة النار وظاهر هذا أن العقوبة فى الدنيا لا تكون كفارة للمحارب ، بخلاف سائر الحدود ، ويحتمل أن يكون الخزى فى الدنيا لمن عوقب فيها ، والعذاب فى الآخرة لمن لم يعاقب (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) قيل هى فى المشركين وهو ضعيف ، لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها ، وقيل هى فى المحاربين من المسلمين وهو الصحيح ، وهم الذين جاءتهم العقوبات المذكورة ، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه ، فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله : فاعلموا أن الله غفور رحيم واختلف يطالب بما عليه من حقوق الناس فى الدماء والأموال أولا ؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التى سقطت عنه بالتوبة ، ووجه إسقاطها إطلاق قوله غفور رحيم (وابتغوا إليه الوسيلة) أى ما يتوسل به ويتقرب به اليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك (ليفتدوا به) إن قيل لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما ما فى الأرض ومثله ؟ فالجواب أنه وضع المفرد فى موضع الاثنين ، وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك ، أو تكون الواو بمعنى مع (عذاب مقيم) أى دائم ، وكذلك نعيم مقيم (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) عموم الآية يقتضى قطع كل سارق إلا أن الفقهاء اشترطوا فى القطع شروطا خصصوا بها العموم ، فمن ذلك من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له ، وكذلك من سرق مال والده أو سيده ، أو من سرق من غير حرز ، أو سرق أقل من النصاب ، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب ، أو ثلاثة دراهم من الفضة ، أو ما يساوى أحدهما ، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء فى غير هذه الآية ، وقد قيل إن الحرز مأخوذ من هذه الآية ، لأن ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه ، فليس أخذه سرقة وإنما هو اختلاس أو خيانة ، وإعراب السارق عند سيبويه مبتدأ ، وخبره محذوف : كأنه قال فيما يتلى عليكم السارق والسارقة ، والخبر عند المبرد وغيره فاقطعوا أيديهما ، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط (فمن تاب من بعد ظلمه) الآية : توبة السارق هو أن يندم على ما مضى ، ويقلع فيما يستقبل ، ويرد ما سرق إلى من يستحقه ، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم ، هل يسقط عنه القطع وهو مذهب الشافعى لظاهر الآية ؟ أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك لأن الحدود عنده

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ
فِى الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ
لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ
فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى
الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم
بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ

لا تسقط بالتوبة إلا عن المحارب للنص عليه (يعذب من يشاء) قدم العذاب على المغفرة لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة (يا أيها الرسول) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية (من الذين قالوا آمنا بأفواههم) هم المنافقون (ومن الذين هادوا) يحتمل أن يكون عطفا على الذين قالوا آمنا ، ثم يكون سماعون استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود ، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا : استئنافا منقطعا مما قبله ، وسماعون راجع إليهم خاصة (سماعون لقوم آخرين) أى سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة ، فقوله لم يأتوك صفة لقوم آخرين ، والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر ، والسماعون للكذب بنو قريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يبدلونه من بعد أن يوضع فى موضعه ، وقصدت به وجوهه القويمة ، وذلك من صفة اليهود (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه) نزلت بسبب أن يهوديا زنى بيهودية فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود عن حد الزانى عندهم فقالوا نجلدهما ونحمم وجوههما . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى التوراة الرجم ، فأنكروا ذلك ، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤها ، فجعل أحدهم يده على آية الرجم ، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع ، فإذا آية الرجم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهودى واليهودية فرجما ، فمعنى قولهم إن أوتيتم هذا فخذوه : إن أوتيتم هذا الذى ذكرتم من الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به ، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بغيره فاحذروا (فتنته) أى ضلالته فى الدنيا أو عذابه فى الآخرة (فى الدنيا خزى) الذلة والمسكنة والجزية (سماعون للكذب) إن كان الأول فى اليهود فكررها هنا تأكيدا ، وإن كان الأول فى المنافقين واليهود فهذا فى اليهود خاصة (أكالون للسحت) أى للحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) هذا تخيير للنبى صلى الله عليه وسلم فى أن يحكم بين اليهود أو يتركهم وهو أيضا يتناول الحاكم ، وقيل إنه منسوخ بقوله : وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وكيف يحكمونك) الآية : استبعاد لتحكمهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم لا يؤمنون به ، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التى يدعون الإيمان بها ، فمعنى ثم يتولون من بعد ذلك أى يتولون عن اتباع حكم الله فى التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم ومعلوما فى قضية الرجم وغيرها (وما أولئك بالمؤمنين) يعنى أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه

بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

السلام ، وهذا إلزام لهم لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيمان به باطلة (النبيون الذين أسلموا) هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به التعريض باليهود لأنهم بخلاف هذه الصفة ، وليس المراد هنا الإسلام الذى هو ضد الكفر ؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى ، لأنهم لم يكفروا قط ، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام : أسلمت لرب العالمين ، وقوله تعالى فقل أسلمت وجهى لله (للذين هادوا) متعلق بيحكم أى يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا ، ويحملونهم عليها ، ويتعلق بقوله فيه هدى ونور (بما استحفظوا) أى كلفوا حفظه ، والباء هنا سببية قاله الزمخشرى ، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور فى قوله يحكم بها (فلا تخشوا الناس) ومابعده خطابا لليهود ، ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود ، لأن ذلك من أفعالهم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس نزلت الثلاثة فى اليهود : الكافرون ، والظالمون ، والفاسقون ، وقد روى فى هذا أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال جماعة هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم ، إلا أن الكفر فى حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان ، وقال الشافعى : الكافرون فى المسلمين ، والظالمون فى اليهود ، والفاسقون فى النصارى (وكتبنا عليهم فيها) كتبنا بمعنى الكتابة فى الألواح ، أو بمعنى الفرض والإلزام ، والضمير فى عليهم لبنى إسرائيل ، وفى قوله فيها للتوراة (أن النفس بالنفس) أى تقتل النفس إذا قتلت نفسا ، وهذا إخبار عما فى التوراة وهو حكم فى شريعتنا بإجماع ، إلا أن هذا اللفظ عام ، وقد خصص العلماء منه أشياء ، فقال مالك : لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد فى ذلك ولا يقتل حر بعبد ، لقوله الحر بالحر والعبد بالعبد ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى البقرة (والعين بالعين) ومابعده حكم القصاص فى الأعضاء ، والقراءة بنصب العين وما بعده عطف على النفس ، وقرئ بالرفع ولها ثلاثة أوجه : أحدها العطف على موضع النفس لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والثانى العطف على الضمير الذى فى الخبر وهو بالنفس ، والثالث أن يكون مستأنفا مرفوعا بالابتداء (والجروح قصاص) بالنصب عطف على المنصوبات قبله ، وبالرفع على الأوجه الثلاثة التى فى رفع العين ، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص فى الجراح التى لا يخاف على النفس منها (فمن تصدق به فهو كفارة له) فيه تأويلان : أحدهما من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه ، فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه ، والثانى من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه فى ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه ، فالضمير فى له على التأويل الأول يعود على من التى هى كناية عن

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم
بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ
مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

المقتول أوالمجروح ، أوالولى ، وعلى الثانى يعود على القاتل أوالجارح وإن لم يجر له ذكر ولكن سياق الكلام يقتضيه ، والأول أرجح لعود الضمير على مذكور ، وهو من ، ومعناها واحد على التأويلين ، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين ، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا ، وترغيب فى العفو ، والتأويل الثانى : بيان لسقوط الإثم عن القاتل أوالجارح إذا عفى عنه (مصدقا لما بين يديه) قد تقدم معنى مصدق فى البقرة ، ولما بين يديه : يعنى التوراة ، لأنها قبله ، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل ، لأنهما قبله ، ومصدقا : عطف على موضع قوله فيه هدى ونور ، لأنه فى موضع الحال (ومهيمنا) ابن عباس شاهدا ، وقيل مؤتمنا (عما جاءك من الحق) تضمن الكلام معنى لا تنصرف أولا تنحرف ، ولذلك تعدى بعن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ابن عباس سبيلا وسنة ، والخطاب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو الأمم ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها ، وقد استدل بها من قال إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، وذلك فى الأحكام والفروع ، وأما الاعتقاد ، فالدين فيها واحد لجميع العالم ، وهو الإيمان بالله ، وتوحيده وتصديق رسله ، والإيمان بالدار الآخرة (فاستبقوا الخيرات) استدل به قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها ، وهذا متفق عليه فى العبادات كلها ، إلا الصلاة ففيها خلاف ، فمذهب الشافعى أن تقديمها فى أول وقتها أفضل ، وعكس أبو حنيفة ، وفى مذهب مالك خلاف وتفصيل ، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل (وأن احكم بينهم) عطف على الكتاب فى قوله : وأنزلنا إليك الكتاب ، أو على الحق فى قوله : بالحق ، وقال قوم إن هذا وقوله قبله فاحكم بينهم ناسخ لقوله : فاحكم بينهم أو أعرض عنهم : أى ناسخ للتخيير الذى فى الآية ، وقيل إنه ناسخ للحكم بالتوراة ، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود ، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم فأبى من ذلك ، ونزلت الآية تقضى أن يحكم بينهم (أفحكم الجاهلية يبغون) توبيخ لليهود ، وقرئ بالياء إخبارا عنهم ، وبالتاء خطابا لهم (لقوم يوقنون) قال الزمخشرى اللام للبيان : أى هذا الخطاب لقوم يوقنون ، فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكما (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سببها موالاة عبد الله بن أبى بن سلول ليهود

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ
الظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن
يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَهَٰٓؤُلَآءِ
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَٰسِرِينَ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن
يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ

بنى قينقاع ، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذى كان بينه وبينهم، ولفظها عام، وحكمها باق ، ولا يدخل فيه معاملتهم فى البيع والشراء وشبهه (فإنه منهم) تغليظ فى الوعيد ، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومن خالفهم فى اعتقادهم وأحبهم فهو منهم فى المقت عند الله ، واستحاق العقوبة (فترى الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون والمرادهنا عبدالله بن أبى ابن سلول ومن كان معه (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) كان عبد الله بن أبى يوالى اليهود ويستكثرهم، ويقول إنى رجل أخشى الدوائر (فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده) الفتح هنا هو ظهور النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين، والأمر من عنده : هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) الضمير فى فيصبحوا للمنافقين والذى أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين (يقول الذين آمنوا) قرئ يقل بغير واو استئناف وإخبار ، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة ، وبالواو والنصب عطفا على أن يأتى الله ، أو عطفا على فيصبحوا (هؤلاء الذين أقسموا) الاشارة إلى المنافقين ، لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين ، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد (حبطت أعمالهم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من كلام الله ، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبر (من يرتد منكم عن دينه) خطاب على وجه التحذير والوعيد ، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، ثم وقع فارتد فى حياة رسول صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وبنو مدلج قوم الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ، وقتل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذى ادّعى النبوة ثم أسلم وجاهد ، ثم كثر المرتدون ، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت القبائل التى ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة ، وبنو بكر بن وائل ، وبعض بنى تميم ، ثم ارتدت غسان فى زمان عمر بن الخطاب ، وهم جبلة بن الأيهم الذى تنصر من أجل اللطمة (فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، وقال هم قوم هذا يعنى أبا موسى الأشعرى، والاشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن ، لأن الأشعريين من أهل اليمن ، وقيل المراد أبى بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ويقوى ذلك ما ظهر من أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الجد فى قتالهم ، والعزم عليه حين خالفه فى ذلك بعض الناس ، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردة ، ويقوى ذلك أيضا

فى سَبيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَٰلِبُونَ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً

أن الصفات التى وصف بها هؤلاء القوم هى أوصاف أبى بكر، ألا ترى قوله : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكان أبو بكر ضعيفا فى نفسه قويا فى الله ، وكذلك قوله : ولا يخافون لومة لائم : إشارة إلى من خالف أبا بكر ولامه فى قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه (أذلة على المؤمنين) كقوله أشداء على الكفار رحماء بينهم ، وإنما تعدى أذلة بعلى ، لأنه تضمن معنى العطف والحنو، فإن قيل : أين الراجع من الجزاء إلى الشرط ؟ فالجواب : أنه محذوف تقديره من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم يقاتلونهم (إنما وليكم الله) ذكر الولى بلفظ المفرد إفراداً لله تعالى بهما ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع ، ولو قال إنما أولياؤكم لم يكن فى الكلام أصل وتبع (وهم راكعون) قيل نزلت فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فإنه سأله سائل وهو راكع فى الصلاة ، فأعطاه خاتمه ، وقيل هى عامة ، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها ، فالواو على القول الأول واو الحال ، وعلى الثانى للعطف (فإن حزب الله) هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر : معناه فإنهم هم الغالبون (والكفار) بالنصب عطف على الذين اتخذوا ، وقرئ بالخفض عطف على الذين أوتوا الكتاب ، ويعضده قراءة ابن مسعود : ومن الكفار ، ويراد بهم المشركون من العرب (وإذا ناديتم إلى الصلاة) الآية : روى أن رجلا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال : حرق الله الكاذب ، فوقعت النار فى بيته فاحترق هو وأهله ، واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين (هل تنقمون منا) هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله ، وبجمع كتبه ورسله ، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب ، ونظير هذا فى الاستثناء العجيب قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ونزلت الآية بسبب أبى ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبى نافع ، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرسل الذى يؤمن بهم فقلا : آمنا بالله وما أنزل إلينا إلى آخر الآية ، فلما ذكر عيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به (وأن أكثركم فاسقون) قيل إنه معطوف على آمنا ، وقيل على ما أنزل ، وقيل هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره هل تنقمون منا إلا لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون ويحتمل أن يكون وأن أكثركم مبتدأ وخبره محذوف تقديره فسقكم معلوم ، أو ثابت (قل هل أنبئكم بشر من

عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا
وأضل عن سواء السبيل * وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم
بما كانوا يكتمون * وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا
يعملون * لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون *
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن
كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين * ولو أن أهل

ذلك) لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم ، فالخطاب في أنبئكم لليهود ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين (مثوبة عند الله) هي من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله : فبشرهم بعذاب أليم (من لعنه الله) يعني اليهود ومن في موضع رفع بخبر مبتدإ مضمر تقديره هو من لعنه الله ، أو في موضع خفض على البدل من بشر ، ولا بد في الكلام من حذف مضاف تقديره بشر من أهل ذلك وتقديره دين من لعنه الله (وجعل منهم القردة والخنازير) مسخ قوم من اليهود قروداً حين اعتدوا في السبت ، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعيسى ابن مريم (وعبد الطاغوت) القراءة بفتح الباء فعل معطوف على لعنه الله ، وقرئ بضم الباء وخفض الطاغوت على أن يكون عبدا سماعلى وجه المبالغة كيقظ أضيف إلى الطاغوت ، وقرئ وعابد وعباد ، وهو في هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير (شر مكانا) أي منزلة ونسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله ، وذلك مبالغة في الذم (وإذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت في منافقين من اليهود (وقد دخلوا بالكفر) تقديره ملتبسين بالكفر ، والمعنى دخلوا كفارا وخرجوا كفارا ، ودخلت قد على دخلوا وخرجوا : تقريبا للماضي من الحال أي ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام (بالإثم) الكذب وسائر المعاصي (والعدوان) الظلم (السحت) الحرام (لولا ينهاهم) عرض وتحضيض وتقريع (ليس) اللام في الموضعين للقسم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) غل اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه : ولا تجعل يدك مغلولة : أي لا تبخل كل البخل ، ولا تبسطها كل البسط : أي لا تجد كل الجود ، وروى أن اليهود أصابتهم سنة جهد فقالوا هذه المقالة الشنيعة ، وكان الذي قالها فنحاص ، ونسبت إلى جملة اليهود ، لأنهم رضوا بقوله (غلت أيديهم) يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا ، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة ، فإن كان في الدنيا ، فيحتمل أن يراد به البخل أو غل أيديهم في الأسر ، وإن كان في الآخرة ، فهو جعل الأغلال في جهنم (بل يداه مبسوطتان) عبارة عن إنعامه وجوده ، وإنما ثنيت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود : يد الله مغلولة ، ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود : كقول العرب فلان يعطي بكلتا يديه إذا كان عظيم السخاء (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها

الْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ۞ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَالَّذِينَ هَادُوا۟ وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ

الله) إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب ، وإطفاؤها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم ، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم ، أو يراد من كان معاصرا للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم ، ومن يأت بعدهم ، فيكون على هذا إخبار بغيب ، وبشارة للمسلمين (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) الآية : يحتمل أن يراد أسلافهم والمعاصرون للنبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فيكون على هذا ترغيبا لهم فى الإيمان والتقوى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) إقامتها بالعلم والعمل ؛ وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى فى لفظ أهل الكتاب (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) قيل من فوقهم عبارة عن المطر ، ومن تحت أرجلهم : عبارة عن النبات والزرع ، وقيل ذلك استعارة فى توسعة الرزق من كل وجه (أمة مقتصدة) أى معتدلة ، ويراد به من أسلم منهم : كعبدالله بن سلام ، وقيل من لم يعاد الأنبياء المتقدمين (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أمر بتبليغ جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال ، لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شىء مخافة أحد (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ ، وفى ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان : أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئا ، فكأنك لم تبلغ شيئا ، وصار ما بلغت لا يعتد به ، فمعنى إن لم تفعل : إن لم تستوف التبليغ على الكمال ، والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها ، ووضع السبب موضع المسبب (والله يعصمك من الناس) وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف أعداءه ويحترس منهم فى غزواته وغيرها ، فلما نزلت هذه الآية ، قال يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمنى وترك الاحتراس (قل يا أهل الكتاب لستم على شىء) الآية ؛ أى لستم على دين يعتد به يسمى شيئا (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقوله (وما أنزل إليكم) قال ابن عباس : يعنى القرآن ، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن بشكم ورافع بن خزيمة وغيرهم من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك (إن الذين آمنوا والذين هادوا) تقدم الكلام على نظيرتها فى البقرة (والصابئون) قراءة السبعة بالواو وهى مشكلة حتى قالت عائشة : هى من لحن كتاب المصحف ، وإعرابها عند أهل البصرة مبتدأ وخبره محذوف

إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوٓا أَلَّا تَكُونَ
فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ
وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا
يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ
وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ
غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ * لُعِنَ ٱلَّذِينَ

تقديره والصابئون كذلك وهو مقدم فى نية التأخير ، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم إن ، وقيل إن هنا بمعنى نعم ومابعدها مرفوع بالابتداء وهو ضعيف (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى بلاء واختبار ، وقرئ تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية (فعموا وصموا) عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان (ثم تاب الله عليهم) قيل إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبدا ، وقيل التوبة بعث عيسى عليه السلام ، وقيل بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كثير منهم) بدل من الضمير أوفاعل على لغة أكلونى البراغيث والبدل أرجح وأفصح (وقال المسيح) الآية : رد على النصارى ، وتكذيب لهم (وما للظالمين من أنصار) يحتمل أن يكون من كلام المسيح ، أومن كلام الله (ماالمسيح ابن مريم إلارسول) الآية : رد على من جعله إلها (وأمه صديقة) أى بليغة الصدق فى نفسها ، أومن التصديق ، ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قول من قال إنها نبية (كانا يأكلان الطعام) استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذى لايحتاج إليه إلا محدث مفتقر ، ومن كان كذلك فليس بإله ، لأن الإله منزه عن صفة الحدوث ، وعن كل مايلحق البشر ، وقيل إن قوله يأكلان الطعام : عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ، ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره ، لأن الحجة قائمة بالوجهين (ثم انظر) دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات (قل أتعبدون من دون الله) الآية : إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه وهما لايملكان ضرا ولانفعا (قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) خطاب للنصارى والغلو الإفراط وسبب ذلك كفر النصارى (ولاتتبعوا أهواء قوم) قيل هم أئمتهم فى دين النصرانية كانوا على ضلال فى عيسى وأضلوا كثيراً من الناس ، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هم اليهود ، والأول أرجح

كَفَرُوا مِن بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا

لوجهين : أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى ولا الضالين ، والآخر أنه يبعد نهى النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق (على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى فى الزبور والإنجيل (لا يتناهون) أى لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر) فان قيل : لم وصف المنكر بقوله فعلوه والنهى لا يكون بعد الفعل ؟ فالجواب : أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر إن أرادوا فعله (ترى كثيرا منهم) إن أراد أسلافهم ، فالرؤية بالقلب ، وإن أراد المعاصرين للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الأظهر ، فهى رؤية عين (والنبى وما أنزل إليه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما اتخذوهم أولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار أولياء (لتجدن أشد الناس عداوة) الآية : إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين (ولتجدن أقربهم مودة) الآية : إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين ، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر فكل يهودى شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) تعليل لقرب مودتهم ، والقسيس العالم والراهب العابد (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الآية : هى فى النجاشى ، وفى الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبعون رجلا ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا كما بكى النجاشى حين قرأ عليه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه سورة مريم ، وقال السهيلى : نزلت فى وفد نجران ، وكانوا نصارى عشرين رجلا ، فلما سمعوا القرآن بكوا (مما عرفوا من الحق) من الأولى سببية والثانية بيان للجنس (آمنا) أى بالقرآن من عند الله (مع الشاهدين) أى مع المسلمين ، وكذلك مع القوم الصالحين (وما لنا لا نؤمن بالله) توقيف لأنفسهم ، أو محاجة لغيرهم (ونطمع) قال الزمخشرى الواو للحال ، وقال ابن عطية لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) سببها أن قوما من

اللَّهُ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ * لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

الصحابة غلب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم بالليل ، وبعضهم أكل اللحم ، وهم بعضهم أن يختصوا ، أو يسيحوا فى الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أما أنا فأقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى (ولا تعتدوا) أى لا تفرطوا فى التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم (وكلوا) أى تمتعوا بالمآكل الحلال ، وبالنساء وغير ذلك ، وإنما خص الأكل بالذكر ، لأنه أعظم حاجات الإنسان (باللغو) تقدم فى البقرة (بما عقدتم الأيمان) أى بما قصدتم عقده بالنية ، وقرئ عقدتم بالتخفيف ، وعاقدتم بالألف (إطعام عشرة مساكين) اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزى فى الكفارة إطعام غنى ، فإن أطعم جهلا لم يجزه على المشهور من المذهب ، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين ، وليس فى الآية ما يدل على ذلك (من أوسط ما تطعمون أهليكم) اختلف فى هذا التوسط هل هو فى القدر أو فى الصنف ، واللفظ يحتمل الوجهين ، فأما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة مد بمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وبغيرها وسط من الشبع ، وقال الشافعى وابن القاسم : يجزى المد فى كل مكان وقال أبو حنيفة إن غداهم وعشاهم أجزأه ، وأما الصنف فاختلف هل يطعم من عيش نفسه ، أو من عيش أهل بلده ؟ فمعنى الآية على التأويل الثانى من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة ، وعلى الأول يختص الخطاب بالكفر (أو كسوتهم) قال كثير من العلماء يجزى ثوب واحد لمسكين ، لأنه يقال فيه كسوة ، وقال مالك إنما يجزى ما تصح به الصلاة ، فالرجل ثوب واحد ، وللمرأة قميص وخمار (أو تحرير رقبة) اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقييدها بذلك فى كفارة القتل ، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد ، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة ، لإطلاق اللفظ هنا ، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب وليس فى اللفظ ما يدل على ذلك (فمن لم يجد) أى من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو فعليه صيام ثلاثة أيام ، فالخصال الثلاث على التخيير ، والصيام مرتب بعدها لمن عدمها ، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله فى يومه زيادة (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) معناه إذا حلفتم وخشيتم أو أردتم الحنث ، واختلف هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا (واحفظوا أيمانكم) أى احفظوها فبروا فيها ، ولا تخشوا ، وقيل : احفظوها بأن تكفروها إذا حنثتم ، وقيل احفظوها أى لا تنسوها تهاونا بها (الخمر والميسر) ذكر فى البقرة (والأنصاب والأزلام) مذكوران فى أول هذه السورة (رجس) هو فى اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام وقال ابن عباس معنى رجس سخط (فاجتنبوه) نص فى التحريم والضمير يعود على الرجس الذى هو خبر عن جميع الأشياء

وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا إِذَا مَا ٱتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ

المذكورة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) تقبيح للخمر والميسر، وذكر لبعض عيوبها ، وتعليل لتحريمها ، وقد وقعت فى زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها ، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية (فهل أنتم منتهون) توقيف يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت : انتهينا انتهينا (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح (فيما طعموا) فيها تأويلان : أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها ، فنزلت الآية معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم ، لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها ، وعلى هذا أخذها عمر رضى الله عنه حين قال لقدامة : إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك ، وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه ، فقال عمر : أخطأت التأويل (إذا ما اتقوا وآمنوا) الآية قيل كرر التقوى مبالغة ، وقيل الرتبة الأولى : اتقاء الشرك ، والثانية اتقاء المعاصى ، والثالثة : اتقاء ما لا بأس به حذرا مما به البأس ، وقيل الأولى للزمان الماضى والثانية للحال ، والثالثة للمستقبل (وأحسنوا) يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس ، أو الإحسان فى طاعة الله وهو المراقبة ، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى ، ولذلك ذكره فى المرة الثالثة وهى الغاية ، ولذلك قالت الصوفية : المقامات ثلاثة : مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان (ليبلوكم الله بشىء من الصيد) أى يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفى الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت فى السبت وإنما قلله فى قوله : بشىء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة ، وإنما هو من الأمور التى يمكن الصبر عنها (تناله أيديكم ورماحكم) قال مجاهد : الذى تناله الأيدى الفراخ والبيض ومالا يستطيع أن يفرّ والذى تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص (ليعلم الله) أى يعلمه علما تقوم به الحجة ، وذلك إذا ظهر فى الوجود (فمن اعتدى) أى بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا فى الآخرة (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) معنى حرم داخلين فى الاحرام وفى الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور . وأدخل مالك فى الكلب العقور كل ما يؤذى الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعى على هذه الخمسة : كل ما لا يؤكل لحمه ، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد وورد النهى هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد ، وأما النهى عن الاصطياد فيؤخذ من قوله «وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما» (ومن قتله منكم متعمدا) مفهوم الآية يقتضى أن جزاء

مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ * أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ

الصيد على المتعمد لا على الناسى ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وقال جمهور الفقهاء المتعمد والناسى سواء فى وجوب الجزاء ، ثم اختلفوا فى قوله متعمدا على ثلاثة أقوال : أحدها أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد فى قوله : ومن عاد فينتقم الله منه ، إذ لا وعيد على الناسى ، والثانى أنّ الجزاء على الناسى بالقياس على المتعمد ، والثالث أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن وأنّ الجزاء على الناسى ثبت بالسنة (فجزاء مثل ماقتل من النعم) المعنى فعليه جزاء ، وقرئ بإضافة جزاء إلى مثل ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به ، وقيل مثل زائدة ، كقولك أنا أكرم مثلك أى أكرمك ، وقرئ فجزاء بالتنوين ، ومثل بالرفع على البدل أو الصفة ، والنعم الإبل والبقر والغنم خاصة ، ومعنى الآية عند مالك والشافعى : أنّ من قتل صيدا وهو محرم أنّ عليه فى الفدية مايشبه ذلك الصيد فى الخلقة والمنظر ، ففى النعامة بدنة ، وفى حمار الوحش بقرة ، وفى الغزالة شاة ، فالمثلية على هذا هى فى الصورة والمقدار ، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام ، ومذهب أبى حنيفة أنّ المثل القيمة يقوم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشترى بالقيمة من النعم مايهديه (يحكم به ذوا عدل) هذه الآية تقتضى أنّ التحكيم شرط فى إخراج الجزاء ، ولا خلاف فى ذلك ، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه ، فعليه إعادته بالحكم إلا حمام مكة ، فإنه لايحتاج إلى حكمين ، قاله مالك ، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة ، وفيما لم يحكموا فيه ، لعموم الآية ، وقال الشافعى : يكتفى فى ذلك بما حكمت به الصحابة (هديا) يقتضى ظاهره أن مايخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى ، وهو الجذع من الضأن والثنىّ مما سواه ، وقال الشافعى يخرج المثل فى اللحم ولا يشترط السن (بالغ الكعبة) لم يرد الكعبة بعينها ، وإنما أراد الحرم ، ويقتضى أن يصنع بالجزاء مايصنع بالهدى من سوقه من الحلّ إلى الحرم ، وقال الشافعى وأبو حنيفة إن اشتراه فى الحرم أجزأه (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) عدد تعالى مايجب فى قتل المحرم للصيد ، فذكر أولا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير ، وهو الذى يقتضيه العطف بأو ، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب ، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام ، فرأى العلماء أن يقدر الجزاء من النعم . لأنهم اختلفوا فى كيفية التقدير ، فقال مالك : يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم ، ثم تقوم الدراهم بالطعام ، فينظر كم يساوى من طعام أو من دراهم وهو حىّ ، وقال بعض أصحاب مالك يقدر الصيد بالطعام أى يقال : كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شبعهم طعاما ، وقال الشافعى لا يقدر الصيد نفسه ، وإنما يقدر مثله ، وهو الجزاء الواجب على القاتل له (أو عدل ذلك صياما) تحتمل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب أو إلى الصيد ، واختلف فى تعديل الصيام بالطعام فقال مالك يكون مكان كل مدّ يوما ، وقال أبو حنيفة مكان كل مدّين يوم ، وقيل مكان كل صاع يوما ، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام ، إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل لقوله من قتله ، وفى كل وجه يشترط حكم الحكمين ، وإنما لم يذكر الله فى الصيام والطعام استغناء بذكره فى الجزاء (ليذوق وبال أمره) الذوق هنا مستعار لأن حقيقته بحاسة اللسان ، والوبال سوء العاقبة ، وهو هنا مالزمه من

الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۞ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ

التكفير (عفا الله عما سلف) أى عما فعلتم فى الجاهلية من قتل الصيد فى الحرم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهى عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعذابه الآخرة (أحل لكم صيد البحر) أحلّ الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم ، والصيد هنا المصيد ، والبحر هو الماء الكثير: سواء كان ملحا أوعذبا ، كالبرك ونحوها ، وطعامه هو مايطفو على الماء وما قذف به البحر لأنّ ذلك طعام وليس بصيد ، قاله أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب ، وقال ابن عباس : طعامه ماملح منه وبقى (متاعا لكم وللسيارة) الخطاب بالكم للحاضرين فى البحر ، والسيارة المسافرون أى هو متاع ماتدومون به (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) الصيد هنا يحتمل أن يرادبه المصدر أوالشىء المصيد أوكلاهما ، فنشأ من هذا أن ماصاده المحرم فلايحل له أكله بوجه ، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره ، فإذا اصطاد حلال ، فقيل يجوز للمحرم أكله ، وقيل لايجوز إن اصطاده لمحرم ، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك ، وإن اصطادحرام لمن يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أى أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع ، وقيل موضع قيام بالمناسك ولفظ الناس هنا عام ، وقيل أراد العرب خاصة ، لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة (والشهر الحرام) يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة ، لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال (والهدى) يريد أنه أمان لمن يسوقه لأنه يعلم أنه فى عبادة لم يأت لحرب (والقلائد) كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر ، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم ، ليعلم أنه كان فى عبادة ، فلا يتعرض له أحد بشىء ، فالقلائد هنا هو ماتقلده المحرم من الشجر ، وقيل أراد قلائد الهدى ، قال سعيد ابن جبير : جعل الله هذه الأمور للناس فى الجاهلية وشدّد فى الإسلام (ذلك لتعلموا) الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس ، والمعنى جعل الله ذلك لتعلموا أن لله يعلم تفاصيل الأمور (لايستوى الخبيث والطيب) لفظ عام فى جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك (لاتسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) قيل سببها سؤال عبد الله بن حذافة من أبى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبوك حذافة ، وقال آخر : أين أبى ، قال فى النار ، وقيل سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يارسول الله أفى كل عام ؟ فسكت ، فأعادوا ، قال لا ، ولوقلت نعم لوجبت ، فعلى الأول تسؤكم بالإخبار بما لايعجبكم ، وعلى الثانى تسؤكم بتكليف مايشق عليكم ، ويقوى هذا قوله عفا الله عنها : أى سكت عن ذكرها

مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ * مَاجَعَلَ ٱللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ

ولم يطالبكم بها كقوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عن الزكاة فى الخيل ، وقيل إن معنى عفا الله عنها : عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) فيه معنى الوعيد على السؤال : كأنه قال : لا تسألوا ، وإن سألتم أبدى لكم ما يسوؤكم ، والمراد بحين ينزل القرآن : زمان الوحى (قد سألها قوم من قبلكم) الضمير فى سألها راجع إلى المسئلة التى دل عليها لا تسألوا ، وهى مصدر ، ولذلك لم يتعدى بعن كما تعدى قوله إن تسألوا عنها ، وذلك أن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) لما سأل قوم عن هذه الأمور التى كانت فى الجاهلية هل تعظم لتعظيم الكعبة والهدى أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئا من ذلك لعباده : أى لم يشرعه لهم ، وإنما الكفار جعلوا ذلك ، فأما البحيرة : فهى فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق ، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها وأما السائبة فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة ، وجعلها كالبحيرة فى عدم الانتفاع بها ، وأما الوصيلة فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى فى بطن واحد قالوا وصلت الناقة أخاها فلم يذبحوها ، وأما الحامى فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شىء (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) أى يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم الله (وأكثرهم لا يعقلون) الذين يفترون على الله الكذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء ، والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم (قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) أى يكفينا دين آبائنا (أو لو كان آباؤهم) قال الزمخشرى الواو واو الحال ، دخلت عليها همزة الإنكار ، كأنه قيل أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون ، قال ابن عطية ألف التوقيف دخلت على واو العطف ، وقول الزمخشرى أحسن فى المعنى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قيل إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقيل إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها ، كأنه يقول : لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم ، والقول الصحيح فيها ماورد عن أبى ثعلبة الخشنى أنه قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم ، ومثل ذلك قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : ليس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ماقبل منكم ، فإذا رد عليكم : فعليكم أنفسكم (شهادة بينكم

غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ۞ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا

إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) قال مكى هذه الآية أشكل آية فى القرآن إعرابا ، ومعنى ، وحكما ، ونحن نبين معناها على الجملة ، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل ، وسببها أن رجلين خرجا إلى الشام ، وخرج معهما رجل آخر بتجارة ، فمرض فى الطريق فكتب كتابا قيد فيه كل مامعه ، وجعله فى متاعه وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ، ودفعا رحله إلى ورثته ، فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوهما فقالا لا ندرى هذا الذى قبضناه ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقى الأمر مدّة ، ثم عثر على إناء عظيم من فضة ، فقيل لمن وجد عنده من أين لك هذا ، فقال اشتريته من فلان وفلان ، يعنى الرجلين ، فارتفع الأمر فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أولياء الميت أن يحلفا فحلفا واستحقا ، فمعنى الآية : إذا حضر الموت أحد فى السفر ، فليشهد عدلين بما معه ، فإن وقعت ريبة فى شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدّلا ، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت ، وغرم الشاهدان ماظهر عليهما ، وشهادة بينكم مرفوع بالابتداء وخبره اثنان التقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان إذا حضر أى قارب الحضور ، والعامل فى إذا المصدر الذى هو شهادة ، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا ، ويجوز أن تكون شرطية ، وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها ، فإن المعنى : إذا حضر أحدكم الموت ، فينبغى أن يشهد حين الوصية ظرف العامل فيه حضر ، ويكون بدلا من إذا (ذوا عدل) صفة للشاهدين منكم (أو آخران من غيركم) قيل معنى منكم من عشيرتكم وأقاربكم ، ومن غيركم من غير العشيرة والقرابة وقال الجمهور منكم أى من المسلمين ، ومن غيركم من الكفار ، إذا لم يوجد مسلم ، ثم اختلف على هذا هل هى منسوخة بقوله وأشهدوا ذوى عدل منكم فلا تجوز شهادة الكفار أصلا ، وهو قول مالك والشافعى والجمهور أو هى محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على الوجه فى السفر ، وهو قول ابن عباس (إن أنتم ضربتم فى الأرض) أى سافرتم ، وجواب إن محذوف يدل عليه ماتقدم قبلها ، والمعنى إن ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ، فشهادة بينكم شهادة اثنين (تحبسونهما) قال أبو على الفارسى . هو صفة لآخران ، واعترض بين الصفة والموصوف بقوله : إن أنتم إلى قوله الموت ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة ، إنما يجوز لضرورة الضرب فى الأرض ، وحلول الموت فى السفر ، وقال الزمخشرى تحبسونهما استئناف كلام (من بعد الصلاة) قال الجمهور هى صلاة العصر ، فاللام للعهد ، لأنها وقت اجتماع الناس ، وبعدها أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالأيمان ، وقال من حلف على سلعة بعد صلاة العصر ، وكان التحليف بعدها معروف عندهم ، وقال ابن عباس هى صلاة الكافرين فى دينهما لأنهما لا يعظمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) أى يحلفان ؛ ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ ، وقد استحلفهما علىّ بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى (إن ارتبتم) أى شككتم فى صدقهما أو أمانتهما ، وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه ، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان (لا نشترى به ثمنا) هذا هو المقسوم عليه ، والضمير فى به للقسم ، وفى كان للمقسم له : أى لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من

اُسْتُحِقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ * يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

الدنيا : أى لانحلف بالله كاذبين لأجل المال ، ولو كان من نقسم له قريبالنا ، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم (ولا نكتم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وأدائها ، وإضافتها إلى الله تعظيما لها (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) أى إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ماأوجب إثما ، والإثم الكذب والخيانة واستحقاقه الأهلية للوصف به (فآخران يقومان مقامهما) أى اثنان من أولياء الميت ، يقومان مقام الشاهدين فى اليمين (من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الإثم أو المال ، ومعناه من الذين جنا عليهم وهم أولياء الميت (الأوليان) تثنية أولى بمعنى أحق : أى الأحقان بالشهادة لمعرفتهما ، والأحقان بالمال : لقرابتهما ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره هما الأوليان ، أو مبتدأ مؤخر تقديره الأوليان آخران يقومان ، أو بدل من الضمير فى يقومان ، ومنع الفارسى أن يسند استحق إلى الأوليان ، وأجازه ابن عطية ، وأما على قراءة استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل ، فالأوليان فاعل باستحق ، ومعنى استحق على هذا أخذ المال وجعل يده عليه والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهما : أى الأوليان بالتحليف والتعنيف والفضيحة ، وقرئ الأولين جمع أول ، وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم ، أو منصوبا بإضمار فعل ، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب فى استحقاق المال وفى صدق الشهادة (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق : أى أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت خيانتهما (إنا إذا لمن الظالمين) أى إن اعتدينا ، فإنا من الظالمين وذلك على وجه التبرئة ومثل قول الأولين إنا إذا لمن الآثمين (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الإشارة بذلك إلى الحكم الذى وقع فى هذه القضية ومعنى أدنى : أقرب ، وعلى وجهها أى كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل أو يخافوا (أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيامة ، وانتصب الظرف بفعل مضمر أى ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر وطاعة ومعصية ، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم ، وإقامة الحجة عليهم وانتصب ماذا أجبتم انتصاب مصدره ، ولو أريد الجواب ، لقيل بماذا أجبتم (قالوا لا علم لنا) إنما قالوا ذلك تأدبا مع الله فوكلوا العلم إليه قال ابن عباس : المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وقيل معناه علمنا ساقط فى جنب علمك ويقوى ذلك قوله إنك أنت علام الغيوب ، لأن من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر ، وقيل ذهلوا عن الجواب لهول ذلك اليوم ، وهذا بعيد ، لأن الأنبياء فى ذلك اليوم آمنون ، وقيل أرادوا بذلك توبيخ الكفار (إذ قال الله) يحتمل أن يكون إذ بدل من يوم يجمع ، ويكون هذا القول يوم القيامة أو يكون العامل

وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ *

فى إذ مضمرا ويحتمل على هذا أن يكون القول فى الدنيا أو يوم القيامة وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله قال بمعنى يقول ، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية فى آل عمران (فتنفخ فيها) الضمير المؤنث عائد على الكاف ، لأنها صفة للهيئة ، وكذلك الضمير فى تكون ، وكذلك الضمير المذكور فى قوله فى آل عمران فينفخ فيه عائد على الكاف أيضا ، لأنها بمعنى مثل وإن شئت قلت هو فى الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذى وصف بقوله كهيئة فتقديره فى التأنيث صورة ، وفى التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك ، وقيل المؤنث يعود على الهيئة والمذكر يعود على الطير ، والطين ، وهو بعيد فى المعنى (بإذنى) كرره مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية إلى عيسى (وإذ كففت بنى إسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله ، فرفعه الله إليه (وإذ أوحيت) معطوف على ماقبله ، فهو من جملة نعم الله على عيسى والوحى هنا يحتمل أن يكون وحى إلهام أو وحى كلام (واشهد) يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عليه السلام (إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم) نداؤهم له باسمه : دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه ، وإنما يقولون يارسول الله يانبى الله ، وقولهم ابن مريم : دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد ، بخلاف ماعتقده النصارى (هل يستطيع ربك) ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا فى قدرة الله تعالى على إنزال المائدة وعلى هذا أخذه الزمخشرى ، وقال ماوصفهم الله بالإيمان ، ولكن حكى دعواهم فى قولهم آمنا وقال ابن عطية وغيره : ليس كذلك لأنهم شكوا فى قدرة الله لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا ، وهل يقع منه إجابة إليه ، وهذا أرجح ، لأن الله أثنى على الحواريين فى مواضع من كتابه ، مع أن فى اللفظ بشاعة تنكر ، وقرئ تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب أى هل تستطيع سؤال ربك ، وهذه القراءة لا تقتضى أنهم شكوا ، وبها قرأت عائشة رضى الله عنها ، وقالت كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا : هل يستطيع ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) موضع أن مفعول بقوله يستطيع على القراءة بالياء ، ومفعول بالمصدر ، وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء ، والمائدة هى التى عليها طعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهى خوان (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فقوله لهم اتقوا الله : يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة ، واقتراح الآيات ، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذى يقتضيه قولهم هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشرى ، أو عن البشاعة التى فى اللفظ وإن لم يكن فيه شك ، وقوله إن كنتم مؤمنين : هو على ظاهره على مذهب الزمخشرى ، وأما على مذهب ابن عطية وغيره ، فهو تقرير لهم

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ * قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

كما تقول افعل كذا إن كنت رجلا ، ومعلوم أنه رجل ، وقيل إنّ هذه المقالة صدرت منهم فى أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى (قالوا نريد أن نأكل منها) أى أكلا نتشرف به بين الناس ، وليس مرادهم شهوة البطن (وتطمئن قلوبنا) أى نعاين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة ، فلا تعرض لنا الشكوك التى تعرض فى الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) ظاهره يقوى قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم ، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لايحتمل الشك (ونكون عليها من الشاهدين) أى نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله ، وروى أنه لبس جبة شعر ورداء شعر ، وقام يصلى ويدعو ويبكى (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) قيل تتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ، ثم لمن بعدهم ، وقال ابن عباس . المعنى تكون مجتمعا لجميعنا أولنا وآخرنا فى يوم نزولها خاصة لاعيد ايدور (وآية منك) أى علامة على صدقى (قال الله إنى منزلها عليكم) أجابهم الله إلى ماطلبوا ، ونزلت المائدة عليها سمك وخبز ، وقيل زيتون وتمر ورمان وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا وفى قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة (فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا) عادة الله عز وجل عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته ، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير ، قال عبدالله بن عمر أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) قال ابن عباس والجمهور : هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ، ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه ، ويعلمون أنهم كانوا على باطل ، وقال السدى لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ماقالوا ، وزعموا أنّ عيسى أمرهم بذلك ، وسأل الله حينئذ عن ذلك ، فقال سبحانك الآية ، فعلى هذا يكون إذ قال ماضيا فى معناه كما هو فى لفظه ، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل (مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق) نفى يعضده دليل العقل لأنّ المحدث لايكون إلها (إن كنت قلته فقد علمته) اعتذار وبراءة من ذلك القول ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته ، لأن الله علم أنه لم يقل ذلك (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) أى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة ، فقال فى نفسك مقابلة لقوله فى نفسى وبقية قوله تعظيما لله ، وإخبار بماقال الناس فى الدنيا (أن اعبدوا) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير فى

وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞

به (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فيها سؤالان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباده ، والمالك يفعل فى ملكه مايشاء ، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار ، وإنما يقتضى جوازها فى حكمة الله تعالى وعزته ، وفرق بين الجواز والوقوع ، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء ، فلا إشكال ، لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة ، وكانوا حينئذ أحياء ، وكل حىّ معرض للتوبة ، السؤال الثانى : ما مناسبة قوله : فإنك أنت العزيز الحكيم ، لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل ، فإنك أنت الغفور الرحيم ؟ والجواب من ثلاثة أوجه . الأول يظهر لى أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له ، كان قوله فإنك أنت العزيز الحكيم أليق ، فإن الحكمة تقتضى التسليم له والعزة تقتضى التعظيم له ، فإن العزيز هو الذى يفعل مايريد ؛ ولا يغلبه غيره ، ولا يمتنع عليه شىء أراده ، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله فى المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيهما فعل فهو جميل لحكمته . الجواب الثانى قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون فى ذلك تعريض فى طلب المغفرة لهم فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب ، إذ لا تطلب المغفرة للكفار ، وهذا قريب من قولنا . الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبدالله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء فى وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله وإن تغفر لهم ويجعل فإنك أنت العزيز استئنافا ، وجواب إن فى قوله فإنهم عبادك ، كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) عموم فى جميع الصادقين وخصوصا فى عيسى ابن مريم فإن فى ذلك إشارة إلى صدقه فى الكلام الذى حكاه الله عنه ، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر ، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان : أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول ، وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر فى يوم ، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام ، والآخر أن يكون هذا مبتدأ ، ويوم فى موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم ، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قراءة نافع ، لأنه أضيف إلى معرب ، قاله الفارسى والزمخشرى

(تم الجزء الأول)

(ويليه الجزء الثانى : وأوله سورة الأنعام)

فهرس

الجزء الأول من كتاب التسهيل

صفحة

٢ خطبة الكتاب

٤ المقدمة الأولى

١٥ المقدمة الثانية

٣٠ الكلام على الاستعاذة

٣٠ « على البسملة

٣٢ سورة أم القرآن

٣٥ سورة البقرة

٩٩ سورة آل عمران

١٢٨ سورة النساء

١٦٦ سورة المائدة

(تم الفهرس)

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثانى

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
ليصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام

مكية إلا الآيات ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و ١١٤ و١٤١ و ١٥١ و١٥٢ و ١٥٣ فمدنية
وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ * وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ

﴿سورة الأنعام﴾

قال كعب : أول الأنعام هو أول التوراة (وجعل الظلمات والنور) جعل هنا بمعنى خلق ، والظلمات : الليل والنور النهار والضوء الذى فى الشمس والقمر وغيرهما ، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس ، وفى الآية رد على المجوس فى عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار ، وقولهم إن الخير من النور والشر من الظلمة ؛ فإن المخلوق لايكون إلها ولا فاعلا لشىء من الحوادث (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أى يسوون ويمثلون من قولك عدلت فلانا بفلان إذا جعلته نظيره وقرينه ودخلت ثم لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته فى خلق السموات والأرض ، والظلمات والنور وكذلك قوله ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ماثبت أنه أحياهم وأماتهم ، وفى ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم ، والذين كفروا هنا عام فى كل مشرك ، وقد يختص بالمجوس بدليل الظلمات والنور ، وبعبدة الأصنام ؛ لأنهم المجاورون للنبى صلى الله عليه وسلم وعليهم يقع الرد فى أكثر القرآن (خلقكم من طين) أى خلق أباكم آدم من طين (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) الأجل الأول الموت ، والثانى يوم القيامة وجعله عنده : لأنه استأثر بعلمه ، وقيل الأول النوم ، والثانى الموت ، ودخلت ثم هنا لترتيب الأخبار ، لا لترتيب الوقوع ، لأن القضاء متقدم على الخلق (وهو الله فى السموات وفى الأرض) يتعلق فى السموات بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة فى المشرق والمغرب ، ويحتمل أن يكون المجرور فى موضع الخبر : فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول ، وقيل المعنى أنه فى السموات والأرض بعلمه كقوله : وهو معكم أينما كنتم ، والأول أرجح وأفصح ، لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة ، وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز ، ويترجح الثانى بأن سياق الكلام فى اطلاع الله تعالى وعلمه ، لقوله بعدها : يعلم سركم وجهركم ، وقيل يتعلق بمحذوف تقديره المعبود فى السموات وفى الأرض وهذا المحذوف صفة لله : واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدإ وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير (وما تأتيهم من

رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ * وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ

آية من آيات ربهم) من الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض ، أو لبيان الجنس (بالحق) يعنى ماجاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فسوف يأتيهم) الآية : وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم (ألم يروا كم أهلكنا) حض للكفار على الاعتبار بغيرهم ، والقرن مائة سنة ، وقيل سبعون ، وقيل أربعون (مكناهم فى الأرض) الضمير عائد على القرن ، لأنه فى معنى الجماعة (مالم نمكن لكم) الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة ، ومدراراً بناء مبالغة وتكثير من قولك درّ المطر إذا غزر (فأهلكناهم بذنوبهم) التقدير فكفروا وعصوا فأهلكناهم ، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ماأصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) الآية : إخبار أنهم لايؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات ، والمراد بقوله فلمسوه بأيديهم لو بالغوا فى تميزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بذلك ، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لاأومن بك حتى تأتى بكتاب من السماء يأمرنى بتصديقك ، وماأرانى مع هذا أصدقك (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) حكاية عن طلب بعض العرب ، وروى أن العاصى بن وائل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم يامحمد ، لو كان معك ملك (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) قال ابن عباس المعنى : لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب ، فنى الكلام على هذا حذف ، وقضى الأمر على هذا تعجيل أخذهم ، وقيل المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته فقضى الأمر على هذا موتهم (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أى لو جعلنا الرسول ملكا لكان فى صورة رجل ، لأنهم لاطاقة لهم على رؤية الملك فى صورته (وللبسنا عليهم مايلبسون) أى لخلطنا عليهم مايخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم ، فإنهم لو رأوا الملك فى صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك (ولقد استهزئ برسل من قبلك) الآية : إخبار قصد به تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (فحاق) أى أحاط بهم ، وفى هذا الإخبار تهديد للكفار (قل سيروا فى الأرض) الآية : حض على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم (ثم انظروا) قال الزمخشرى إن قلت : أى فرق بين قوله فانظروا ، وبين قوله ثم انظروا ؟ قلت : جعل النظر سببا عن السير فى قوله : فانظروا ، كأنه قال : سيروا لأجل النظر ، وأما قوله فسيروا

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ
قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ
إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَيُّ
شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ

فى الأرض ثم انظروا : فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر فى الهالكين رتبه على ذلك بثم ، لتباعد مابين الواجب والمباح (قل لمن مافى السموات والأرض قل لله) القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد وإبطال الشرك ، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار فسأل أولا لمن مافى السموات والأرض ، ثم أجاب عن السؤال بقوله قل لله ، لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيبا عن سؤاله ، إذا علم أن خصمه لا يخالفه فى الجواب الذى به يقيم الحجة عليه (كتب على نفسه الرحمة) أى قضاها وتفسير ذلك بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض ، وفيه إن رحمتى سبقت غضبى ، وفى رواية تغلب غضبى (ليجمعنكم) مقطوع مما قبله ، وهو جواب لقسم محذوف ، وقيل هو تفسير المرحمة المذكورة تقديره أن يجمعكم ، وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة فى غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا فى القسم أو فى غير الواجب (إلى يوم القيامة) قيل هنا إلى بمعنى فى وهو ضعيف ، والصحيح أنها للغاية على بابها (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره لا يؤمنون ؛ ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج وهو حسن ، وقال الزمخشرى الذين نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر ، وقيل هو بدل من الضمير فى ليجمعنكم وهو ضعيف ، وقيل منادى وهو باطل (وله ماسكن فى الليل والنهار) عطف على قوله قل لله ، ومعنى سكن : حل ، فهو من السكنى ، وقيل هو من السكون وهو ضعيف لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم ، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شىء (قل أغير الله أتخذ وليا) إقامة حجة على الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريم التى لا يشاركه غيره فيها (أول من أسلم) أى من هذه الأمة لأن النبى صلى الله عليه وسلم سابق أمته إلى الإسلام (ولا تكونن) فى الكلام حذف تقديره وقيل لى : ولا تكونن من المشركين ، أو يكون معطوفا على معنى أمرت فلا حذف وتقديره أمرت بالإسلام ، ونهيت عن الإشراك (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) أى من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله ، وقرئ يصرف بفتح الياء وفاعله الله (وذلك) إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة (وإن يمسسك الله بضر) معنى يمسسك يصبك ، والضر المرض وغيره على العموم فى جميع المضرات ، والخير : العافية وغيرها على العموم أيضا ، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى

أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ
شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۞ ٱنظُرْ كَيْفَ
كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

بالضر والخير ، وكذلك مابعدهذا من الأوصاف براهين وردعلى المشركين (قل أى شىء أكبر شهادة) سؤال يقتضى جوابا ينبنى عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال فيه شىء لكن ليس كمثله شىء (قل الله شهيد بينى وبينكم) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الله مبتدأ وشهيد خبره ، والآخر أن يكون تمام الجواب عند قوله: قل الله ، بمعنى أن الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ على تقدير هو شهيد بينى وبينكم ، والأول أرجح لعدم الإضمار ، والثانى أرجح لمطابقته للسؤال، لأن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس ؟ فيقال فى الجواب، فلان وتقديره فلان أكبر ، والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذى هو أكبر شهادة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهادة الله بهذا هى علمه بصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإظهار معجزته الدالة على نبوته (ومن بلغ) عطف على ضمير المفعول فى لأنذركم والفاعل يبلغ ضمير القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره ، ومن بلغه والمعنى أوحى إلىّ هذا القرآن لأنذر به المخاطبين ، وهم أهل مكة ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة ، قال سعيد ابن جبير : من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم، وقيل المعنى: ومن بلغ الحلم وهو بعيد (قل أئنكم لتشهدون) الآية : تقرير للمشركين على شركهم، ثم تبرأ من ذلك بقوله : لا أشهد، ثم شهد الله بالوحدانية، وروى أنها نزلت بسبب قوم من الكفار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله إلها آخر (يعرفونه كما يعرفون أبناهم) تقدم فى البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون وقيل الذين نعت للذين آتيناهم الكتاب وهو فاسد لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقيم الحجة على الكفار (ومن أظلم) لفظه استفهام ومعناه لا أحد أظلم (ممن افترى على الله) وذلك تتصل من الكذب على الله، وإظهار لبراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما نسبوه إليه من الكذب ، ويحتمل أن يريد بالافتراء ، على الله مانسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد (أو كذب بآياته) أى علاماته وبراهينه (أين شركاؤكم) يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ (تزعمون) أى تزعمون أنهم آلهة فحذفه لدلالة المعنى عليه ، والعامل فى يوم نحشرهم محذوف (ثم لم تكن فتنتهم) الفتنة هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر أى لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه ، وقيل فتنتهم معذرتهم، وقيل كلامهم ، وقرئ فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا، وقرئ بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) جحود لشركهم، فإن قيل : كيف يجحدونه وقد قال الله ولا يكتمون الله حديثا، فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن ، فيكتم قوم ويقر آخرون ، ويكتمون فى موطن ويقرون فى موطن آخر ، لأن يوم القيامة طويل ، وقد قال ابن عباس لما سئل عن هذا السؤال إنهم جحدوا طمعا فى النجاة فختم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون الله حديثا (ومنهم من

أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞
بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ
إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا
قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً

يستمع إليك) الضمير عائد على الكفار ، وأفرد يستمع وهو فعل جماعة حملا على لفظ من (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) أكنة جمع كنان ، وهو الغطاء ، وأن يفقهوه فى موضع مفعول من أجله تقديره : كراهة أن يفقهوه ، ومعنى الآية أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه ، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة ، وهى استعارة (أساطير الأولين) أى قصصهم وأخبارهم ، وهو جمع أسطار وأسطورة قال السهيلى حيث ماورد فى القرآن أساطير الأولين ، فإن قائلها هو النضر بن الحارث وكان قد دخل بلد فارس وتعلم أخبار ملوكهم ، فكان يقول حديثى أحسن من حديث محمد (وهم ينهون عنه وينأون عنه) هم عائد على الكفار ، والضمير فى عنه عائد على القرآن ، والمعنى وهم ينهون الناس عن الإيمان ، وينأون هم عنه أى يبعدون ، والنأى هو البعد ، وقيل الضمير فى عنه يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ينهون عنه ينهون الناس عن إذايته ، وهم مع ذلك يبعدون عنه ، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه : يحمى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يسلم وفى قوله ينهون وينأون ضرب من ضروب التجنيس (ولو ترى إذ وقفوا على النار) جواب لو محذوف هنا ، وفى قوله ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، وإنما حذف ليكون أبلغ مايقدره السامع : أى لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا ، ومعنى وقفوا : حبسوا ، قاله ابن عطية ، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار ، وإذا عاينوها وأشرفوا عليها ، ووضع إذ موضع إذا التحقيق وقوع الفعل حتى ه ماض (ياليتنا نرد ولا نكذب) قرئ برفع نكذب ونكون على الاستئناف والقطع على التمنى ، ومثله سيبويه بقولك دعنى ولا أعود أى وأنا لا أعود ، ويحتمل أن يكون حالا تقديره نرد غير مكذبين ، أو عطف على نرد ، وقرئ بالنصب بإضمار أن بعد الواو فى جواب التمنى (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) المعنى ظهر لهم يوم القيامة فى صحائفهم ما كانوا يخفون فى الدنيا من عيوبهم وقبائحهم وقيل هى فى أهل الكتاب أى بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هى فى المنافقين أى بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر ، وهذان القولان بعيدان ، فإن الكلام أوله ليس فى حق المنافقين ولا أهل الكتاب ، وقيل إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبى صلى الله عليه وسلم خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها أتباعهم ، فظهر لهم ذلك يوم القيامة (ولو ردوا لعادوا) إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك مما انفرد الله بعلمه (وإنهم لكاذبون) يعنى فى قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم ياليتنا نرد ، لأن التمنى لا يحتمل الصدق ولا الكذب (وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا) حكاية عن قولهم فى إنكار البعث الأخروى (قال أليس

قَالُوا يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۞ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ
لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا
وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ
إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ

هذا بالحق) تقرير لهم وتوبيخ (قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها) الضمير فيها للحياة الدنيا لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يجر لها ذكر، وقيل الساعة أى فرطنا فى شأنها، والاستعداد لها، والأول أظهر (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) كناية عن تحمل الذنوب، وقال على ظهورهم، لأن العادة حمل الأثقال على الظهور، وقيل إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة، وروى فى ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له فى أقبح صورة، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصوّر له فى أحسن صورة (ألا ساء ما يزرون) إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن، إلى قوله لايحزنهم الفزع الأكبر، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثى وهو أشهر فى اللغة، والذى يقولون: قولهم إنه ساحر، شاعر، كاهن (فإنهم لايكذبونك) من قرأ بالتشديد فالمعنى لايكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به، ومن قرأ بالتخفيف، فقيل معناه لايجدونك كاذبا، يقال أكذبت فلانا إذا وجدته كاذبا، كما يقال أحمدته إذا وجدته محموداً، وقيل هو بمعنى التشديد، يقال كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد، وهو الأظهر لقوله بعد هذا يجحدون، ويؤيد هذا ماروى أنها نزلت فى أبى جهل فإنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: إنا لانكفر بك ولكن نكذب ماجئت به، وأنه قال للأخنس بن شريق، والله إن محمدا لصادق، ولكنى أحسده على الشرف (ولكن الظالمين) أى ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم (ولقد كذبت رسل من قبلك) الآية: تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم، وحض له على الصبر، ووعد له بالنصر (ولامبدل لكلمات الله) أى لمواعيده لرسله: كقوله، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون، وفى هذا تقوية للوعد (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) أى من أخبارهم ويعنى بذلك صبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر، وفاعل جاءك محذوف تقديره نبأ أو خلاف، وقيل هو المجرور (وإن كان كبر عليك إعراضهم) الآية: مقصودها حمل النبى صلى الله عليه وسلم على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر، فإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان شديد الحرص على إيمانهم، فقيل له إن استطعت أن تدخل فى الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية يؤمنون بسببها، فافعل وأنت لاتقدر على ذلك، فاستسلم لأمر الله، والنفق فى الأرض. معناه منفذ تنفذ منه إلى ماتحت الأرض، وحذف جواب إن لفهم المعنى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) حجة لأهل السنة على القدرية فلا تكونن من الجاهلين) أى من الذين يجهلون أن الله

عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ

لو شاء لجمعهم على الهدى (إنما يستجيب الذين يسمعون) المعنى إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون (والموتى يبعثهم الله) فيها ثلاث تأويلات : أحدهما أن الموتى عبارة عن الكفار بموت قلوبهم ، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة ، فالمعنى أن الكفار فى الدنيا كالموت فى قلة سمعهم وعدم فهمهم ، فيبعثهم الله فى الآخرة ، وحينئذ يسمعون ، والآخر أن الموتى عبارة عن الكفار ، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع والثالث أن الموتى على حقيقته ، والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) الضمير فى قالوا للكفار ، ولو لا عرض ، والمعنى أنهم طلبوا أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بآية على نبوته ، فإن قيل : فقد أتى بآية ومعجزاته كثيرة فلم طلبوا آية ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم لم يعتدوا بما أتى به : وكأنه لم يأت بشىء عندهم لعنادهم وجحدهم ، والآخر أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكر (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) جواب على قولهم ، وقد حكى هذا القول عنهم فى مواضع من القرآن وأجيب عليه بأجوبة مختلفة ، منها ما يقتضى الرد عليهم فى طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل لا ينبغى كقوله : قد بينا الآيات ، وكقوله : أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ومنها ما يقتضى الإعراض عنهم ، لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته ، ويحتمل أن يكون من هذا قوله : إن الله قادر على أن ينزل آية ، ويحتمل أيضا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) حذف مفعول يعلمون ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما لا يعلمون أن الله قادر ، والآخر لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التى تضطرهم إلى الإيمان لمصالح العباد ، فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوقبوا بالعذاب (بجناحيه) تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة فى هذه اللفظة ، فقد يقال طائر للسعد والنحس (أمم أمثالكم) أى فى الخلق والرزق ، والحياة والموت ، وغير ذلك ، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين : أحدهما أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى ، فكأنه يقول : تفكروا فى مخلوقاته ، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات ، والآخر : تنبيه على البعث ، كأنه يقول جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم ، وهو أظهر لقوله بعده ، ثم إلى ربهم يحشرون (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) أى ما غفلنا والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ ، والكلام على هذا عام ، وقيل هو القرآن والكلام على هذا خاص : أى ما فرطنا فيه من شىء فيه هدايتكم والبيان لكم (ثم إلى ربهم يحشرون) أى تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينهما (والذين كذبوا الآية: لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم ، وقوله فى الظلمات

تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟
بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * قُلْ
أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝
وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ
أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝ وَأَنذِرْ بِهِ
ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ

يقوم مقام الوصف بالعمى (قل أرأيتكم) معناه أخبرونى، والضمير الثانى للخطاب، ولا محل له من الإعراب وجواب الشرط محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد، وإبطال للشرك (إن شاء) استثناء أى يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد (وتنسون ما تشركون) يحتمل أن يكون من النسيان أو الترك (فأخذناهم بالبأساء والضراء) كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب (فلولا) هذا عرض وتحضيض وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد (فلما نسوا) الآية: أى لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها فلم يشكروا فأخذهم الله (مبلسون) آيسون من الخير (دابر القوم) آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية (والحمد لله) شكر على هلاك الكفار فإنه نعمة على المؤمنين وقيل إنه إخبار على ما تقدم من الملاطفة فى أخذه لهم بالشر ليزدجروا أو بالخير ليشكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار (قل أرأيتم) الآية. احتجاج على الكفار أيضا (يأتيكم به) الضمير عائد على المأخوذ (يصدفون) أى يعرضون (قل أرأيتكم) الآية: وعيد وتهديد، والبغتة ما لم يتقدم لهم شعور به، والجهرة ما بدت لهم مخايله، وقيل بغتة بالليل، وجهرة بالنهار (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) الآية: أى لا أدعى شيئا منكرا ولا يستبعد، إنما أنا نبى رسول كما كان غيرى من الرسل (الأعمى والبصير) مثال للضال والمهتدى (وأنذر به الذين يخافون) الضمير فى به يعود على ما يوحى والإنذار عام لجميع الناس وإنما خصص هنا بالذين يخافون، لأنه قد تقدم فى الكلام ما يقتضى اليأس من إيمان غيرهم فكأنه يقول أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عمن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَاعَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ
فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ ۞ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ
ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ
وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ

(ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع) فى موضع الحال من الضمير فى يحشروا ، واستئناف إخبار (لعلهم يتقون) يتعلق بأنذر (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية : نزلت فى ضعفاء المؤمنين . كبلال ، وعمار ابن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب وصهيب ، وأمثالهم ، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا فلو طردتهم لاتبعناك ، فنزلت هذه الآية (بالغداة والعشى) قيل هى الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غدوة وعشية ، وقيل هى عبارة عن دوام الفعل ، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة (يريدون وجهه) إخبار عن إخلاصهم لله وفيه تزكية لهم (ماعليك من حسابهم من شىء) الآية : قيل الضمير فى حسابهم للذين يدعون ، وقيل للمشركين ، والمعنى على هذا لاتحاسب عنهم ، ولا يحاسبون عنك ، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم ، والأول أرجح ، لقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا ، وقوله إن حسابهم إلا على ربى ، والمعنى على هذا أنّ الله هو الذى يحاسبهم فلأى شىء تطردهم (فتطردهم) هذا جواب النفى فى قوله ماعليك (فتكون من الظالمين) هذا جواب النهى فى قوله ولا تطرد أو عطف على فتطردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ابتلينا الكفار بالمؤمنين ، وذلك أن الكفار كانوا يقولون أهؤلاء العبيد والفقراء منّ الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا ، ونحن أشراف أغنياء وكان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد بذلك (أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد على الكفار فى قولهم المتقدم (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) هم الذين نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكراما لهم وأن يؤنسهم بما بعد هذا (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى حتمها وفى الصحيح: إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى (أنه من عمل منكم سوءا) الآية ، وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح ، وهو خطاب للقوم المذكورين قبل ، وحكمها عام فيهم وفى غيرهم والجهالة قد ذكرت فى النساء ، وقيل نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار ، فلما نزلت لا تطرد ندم عمر على قوله وتاب منه فنزلت الآية ، وقرئ أنه بالفتح على البدل من الرحمة وبالكسر على الاستئناف ، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستئناف وبالفتح خبر ابتداء مضمر تقديره فأمره أنه غفور رحيم ، وقيل تكرار للأولى لطول الكلام (وكذلك نفصل) الإشارة إلى ما تقدم من النهى عن الطرد وغير ذلك ، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها (ولتستبين سبيل المجرمين) بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به ، وقرئ بتاء التأنيث ورفع السبيل على أنه فاعل مؤنث وبالياء والرفع على تذكير

إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۞ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۞ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ * قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۞ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ

السبيل ، لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث (الذين تدعون) أى تعبدون (قد ضللت إذاً) أى إن اتبعت أهواءكم ضللت (على بينة) أى على أمر بين من معرفة ربى والهاء فى بينة للمبالغة أو للتأنيث (وكذبتم به) الضمير عائد على الرب أوعلى البينة (ماعندى ماتستعجلون به) أى العذاب الذى طلبوه فى قولهم : فأمطر علينا حجارة من السماء ،وقيل الآيات التى اقترحوها والأول أظهر (يقص الحق) من القصص وقرئ يقضى بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح لقوله (وهو خير الفاصلين) أى الحاكمين (قل لو أن عندى ماتستعجلون به لقضى الأمر) أى لو كان عندى العذاب على التأويل الأول ، والآيات المقترحة على التأويل الآخر ، لوقع الانفصال وزال النزاع لنزول العذاب أو لظهور الآيات (مفاتح الغيب) استعارة وعبارة عن التوصل إلى الغيب كما يتوصل بالمفاتح إلى مافى الخزائن ، وهو جمع مفتح بكسر الميم بمعنى مفتاح ، ويحتمل أن يكون جمع مفتح بالفتح وهو المخزن (ولا حبة فى ظلمات الأرض) تنبيه بها على غيرها لأنها أشد تغييبا من كل شىء (فى كتاب مبين) اللوح المحفوظ ، وقيل علم الله (يتوفاكم بالليل) أى إذا نمتم ، وفى ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأخروى (ماجرحتم) أى ما كسبتم من الأعمال (يبعثكم فيه) أى يوقظكم من النوم ، والضمير عائد على النهار لأن غالب اليقظة فيه ، وغالب النوم بالليل (أجل مسمى) أجل الموت (حفظة) جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون (توفته رسلنا) أى الملائكة الذين مع ملك الموت (ثم ردوا) خروج من الخطاب إلى الغيبة والضمير لجميع الخلق (قل من ينجيكم) الآية : إقامة حجة ، وظلمات البر والبحر : عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال لليوم الشديد مظلم (عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قيل الذى من فوق إمطار الحجارة ، ومن تحت الخسف ، وقيل من فوقكم : تسليط أكابركم ، ومن تحت أرجلكم : تسليط سفلاتكم ، وهذا بعيد (أو يلبسكم شيعا)

قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۞ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞
وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا
وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ

أى يخلطكم فرقا مختلفين (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال ، واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو المؤمنين ؟ وروى أنه لما نزلت أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهه ، فلما نزلت من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك ، فلما نزلت أو يلبسكم شيعا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذا أهون ، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة (وكذب به قومك) الضمير عائد على القرآن ، أوعلى الوعيد المتقدم ، وقومك هم قريش (لست عليهم بوكيل) أى بحفيظ ومتسلط ، وفى ذلك متاركة نسختها آية القتال (لكل نبأ مستقر) أى فى غاية يعرف عندها صدق من كذبه (يخوضون فى آياتنا) فى الاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) أى قم ولا تجالسهم (وإما ينسينك الشيطان) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، والمعنى إن أنساك الشيطان النهى عن مجالستهم ، فلا تقعد بعد أن تذكر النهى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء) الذين يتقون هم المؤمنون والضمير فى حسابهم للكفار والمستهزئين والمعنى ليس على المؤمنين شىء من حساب الكفار على استهزائهم وإضلالهم ، وقيل إن ذلك يقتضى إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين ، لأنهم شق عليهم النهى عن ذلك إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم فى طلب المعاش وفى الطواف بالبيت وغير ذلك ، ثم نسخت بآية النساء ، وهى : وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله ، الآية ، وقيل إنها لا تقتضى إباحة القعود (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) فيه وجهان أحدهما أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار ، ولكن عليهم تذكيراً لهم ، ووعظ ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر وتقديره يذكرونهم ذكرى ، أورفع على المبتدإ تقديره عليهم ذكرى ، والضمير فى لعلهم عائد على الكفار : أى يذكرونهم رجاء أن يتقوا أوعائد على المؤمنين أى يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله . الوجه الثانى أن المعنى ليس نهى المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شىء وإنما هو ذكرى للمؤمنين ، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمر تقديره : ولكن نهيهم ذكرى أو مفعول من أجله تقديره إنما نهوا ذكرى ، والضمير فى لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير (وذر الذين) قيل إنها متاركة منسوخة بالسيف ، وقيل بل هى تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أى اتخذوا الدين الذى كان ينبغى لهم لعبا ولهوا لأنهم سخروا منا واتخذوا الدين الذى يعتقدونه لعبا ولهوا لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويلهون (وذكر به) الضمير عائد على الدين أو على القرآن (أن تبسل) قيل معناه أن تحبس ، وقيل تفضح ، وقيل تهلك وهو فى موضع مفعول من أجله أى ذكر به كراهة أن تبسل نفس (وإن تعدل كل عدل) أى وإن تعط كل فدية

بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ
كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ
عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي

لا يؤخذ منها (قل أندعو امن دون الله) الآية : إقامة حجة وتوبيخ للكفار (ونرد على أعقابنا) أى نرجع من الهدى إلى الضلال وأصل الرجوع على العقب فى المشى، ثم استعير فى المعانى، وهذه جملة معطوفة على أندعو، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ (كالذى استهوته الشياطين) الكاف فى موضع نصب على الحال من الضمير فى نرد : أى كيف نرجع مشبهين من استهوته الشياطين أو نعت لمصدر محذوف تقديره رداً كرد الذى، ومعنى استهوته الشياطين ذهبت به فى مهامه الأرض، وأخرجته عن الطريق فهو استفعال من هوى يهوى فى الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسى: استهوى بمعنى أهوى ومثل استذل بمعنى أذل (حيران) أى ضال عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول فى استهوته (له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) أى لهذا المستهوى أصحاب وهم رفقة يدعونه إلى الهدى أى إلى أن يهدوه إلى الطريق، يقولون له ائتنا، وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم : وهذا كله تمثيل لمن ضل فى الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب، وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كان أبوه يدعوه إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة ما نزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا براءتى (وأن أقيموا) عطف على لنسلم، أو على مفعول أمرنا (قوله الحق) مرفوع بالابتداء وخبره يوم يقول، وهو مقدم عليه والعامل فيه معنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمر، وهو فاعل كن أى حين يقول لشىء كن فيكون ذلك الشىء (يوم ينفخ فى الصور) ظرف لقوله له الملك كقوله لمن الملك اليوم، وقيل فى إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تخليط (عالم الغيب والشهادة) خبر ابتداء مضمر (لأبيه آزر) هو اسم أبى إبراهيم، فإعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعجمة والعلمية، لا للوزن لأن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرئ بالرفع على النداء، وقيل إنه اسم صنم لأنه ثبت أن اسم أبى إبراهيم تارخ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به لملازمته له، أو أريد عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اثنان (نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) قيل إنه فرج الله السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يحتاج إلى صحة نقل، وقيل رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه (وليكون) متعلق بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك (فلما جن عليه الليل) أى ستره يقال جن عليه الليل وأجنه

فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ

(رأى كوكبا قال هذا ربى) يحتمل أن يكون هذا الذى جرى لإبراهيم فى الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد روى أن أمه ولدته فى غار خوفا من نمروذ إذ كان يقتل الأطفال لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبى ، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم ، وهذا أرجح لقوله بعد ذلك (إنى برىء مما تشركون) ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد فى الغار لأن ذلك يقتضى محاجة وردا على قومه ، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن يبين لهم الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدا منها إلها لقيام الدليل على حدوثها وأن الذى أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها هو الإله الحق وحده ، وقوله : هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم ، ثم أقام عليهم الحجة بقوله . لا أحب الآفلين : أى لا أحب عبادة المتغيرين لأن التغير دليل على الحدوث ، والحدوث ليس من صفة الإله ثم استمر على ذلك المنهاج فى القمر وفى الشمس ، فلما أوضح البرهان ، وأقام عليهم الحجة ، جاهرهم بالبراءة من باطلهم ، فقال إنى برىء مما تشركون ، ثم أعلن لعبادته لله وتوحيده له فقال : إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، ووصف الله تعالى بوصف يقتضى توحيده وانفراده بالملك ، فإن قيل : لم احتج بالأفول دون الطلوع ، وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال ؟ فالجواب أنه أظهر فى الدلالة ، لأنه لانتقال مع اختفاء واحتجاب (أتحاجونى فى الله) أى فى الإيمان بالله وفى توحيده والأصل أتحاجوننى بنونين وقرئ بالتشديد على إدغام أحدهما فى الآخر ، وبالتخفيف على حذف أحدهما واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية (ولا أخاف ما تشركون به) ما هنا بمعنى الذى ويريد بها الأصنام ، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضر ، فقال لا أخاف منهم لأنهم لا يقدرون على شىء (إلا أن يشاء ربى شيئا) استثناء منقطع بمعنى لكن : أى إنما أخاف من ربى إن أراد بى شيئا (وكيف أخاف ما أشركتم) أى كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شىء وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف ، وهو إشراككم بالله وأنتم تنكرون على الآمن فى موضع الأمن ، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف ، ثم أوقفهم على ذلك بقوله فأى الفريقين أحق بالأمن يعنى فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين ، ثم أجاب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا) الآية : وقيل إن الذين

دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ
وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ
ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ * وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا
وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

آمنوا : استئناف ، وليس من كلام إبراهيم (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا وأينا لم يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنما ذلك كما قال لقمان لابنه : يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (وتلك حجتنا) إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه (ومن ذريته) الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام ، والأول هو الصحيح لذكر لوط وليس من ذرية إبراهيم (داود) عطف على نوحا أي وهدينا داود (وعيسى) فيه دليل على أن أولاد البنات يقال فيهم ذرية ، لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح (ومن آبائهم) في موضع نصب عطف على كلا أي وهدينا بعض آبائهم (فإن يكفر بها هؤلاء) أي أهل مكة (وكلنا بها قوما) هم الأنبياء المذكورون ، وقيل الصحابة ، وقيل كل مؤمن والأول أرجح لدلالة مابعده على ذلك ، ومعنى توكيلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها (أولئك الذين هدى الله) إشارة إلى الأنبياء المذكورين (فبهداهم اقتده) استدل به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فاتفقت فيه جميع الأمم والشرائع ، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع والخلاف هل يقتدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها بمن قبله أم لا ؟ والهاء في اقتده للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل ، ولكن من أثبتها فيه راعى ثبوتها في خط المصحف (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب ، والقائلون هم اليهود بدليل مابعده ، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وروى أن الذي قالها منهم مالك بن الضيف ، فرد الله عليهم بأن ألزمهم مالابد لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى ، وقيل القائلون قريش ، ولزموا ذلك لأنهم كانوا مقرين بالتوراة (وعلمتم مالم تعلموا) الخطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحجة والرد عليهم في

أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ
وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ
تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ
فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟

قولهم ماأنزل الله على بشر من شيء ، فإن كان لليهود ، فالذى علموه التوراة ، وإن كان لقريش فالذى علموه ماجاءبه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر تقديره أنزله الله أومرفوع بالابتداء (ولتنذر) عطف على صفة الكتاب (أم القرى) مكة ، وسميت أم القرى ، لأنها مكان أول بيت وضع للناس ، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق (أو قال أوحى إلىّ) هومسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادّعوا النبوّة (ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله)هو النضر بن الحرث لأنه عارض القرآن واللفظ عام فيه وفى غيره من المستهزئين (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره : لرأيت أمراً عظيما ، والظالمون : من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين ، فتكون اللام للعهد ، وأعم من ذلك فتكون للجنس (باسطوا أيديهم) أى تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم أخرجوا أنفسكم ، وهذه عبارة عن التعنيف فى السياق والشدّة فى قبض الأرواح (اليوم تجزون) يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد (الهون) الذلة (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم أو عن شركائهم ، والأول يترجح لقوله تركتم ماخولناكم : أى ماأعطيناكم من الأموال والأولاد ، ويترجح الثانى بقوله : ومانرى معكم شفعاءكم (تقطع بينكم) تفرق شملكم ومن قرأه بالرفع أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء ، ويكون البين بمعنى الفرقة ، أو بمعنى الوصل ، ومن قرأه بالنصب : فالفاعل مصدر الفعل ، أومحذوف تقديره تقطع الاتصال بينكم (فالق الحب والنوى) أى يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويفلق النوى لخروج الشجر منها وقيل أراد الشقين الذين فى النواة والحنطة ، والأول أرجح لعمومه فى أصناف الحبوب (يخرج الحىّ) تقدّم فى آل عمران (ومخرج الميت من الحىّ) معطوف على فالق (فالق الإصباح) أى الصبح فهو مصدر سمى به الصبح ، ومعنى فلقه أخرجه من الظلمات ، وقيل إن الظلمة هى التى تنفلق عن الصبح ، فالتقدير فالق ظلمة الإصباح (سكنا) أى يسكن فيه عن الحركات ويستراح (حسبانا) أى يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار (ذلك تقدير العزيز العليم) ماأحسن ذكر هذين الإسمين هنا لأن العزيز يغلب كل شىء

بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * ذَٰلِكُمُ

ويقهره ، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء ، والعليم لما فى تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة (فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل فى البر والبحر ، وأضاف الظلمة إليها لملابستها لها ، أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات (فمستقر ومستودع) من كسر القاف من مستقر فهو اسم فاعل ، ومستودع اسم مفعول ، والتقدير فمنكم مستقر ومستودع ، ومن فتحها ؛ فهو اسم مكان أو مصدر ، ومستودع مثله ، والتقدير على هذا لكم مستقر ومستودع ، والاستقرار فى الرحم والاستيداع فى الصلب ، وقيل الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها (فأخرجنا به) الضمير عائد على الماء (فأخرجنا منه) الضمير عائد على النبات (خضرا) أى أخضر غضا ، وهو يتولد من أصل النبات من الفراخ (نخرج منه) الضمير عائد على الخضر (حبا متراكبا) يعنى السنبل لأن حبه بعضه على بعض ، وكذلك الرمان وشبهه (قنوان) جمع قنو ، وهو العنقود من التمر ، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل ، ومن طلعها بدل ، والطلع أول مايخرج من التمر فى أكمامه (دانية) أى قريبة سهلة التناول ، وقيل قريبة بعضها من بعض (وجنات من أعناب) بالنصب عطف على نبات كل شىء وقرئ فى غير السبع بالرفع عطف على قنوان (مشتبها وغير متشابه) نصب على الحال من الزيتون والرمان ، أو من كل ما تقدم من النبات ، والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد أى من النبات مايشبه بعضه بعضا فى اللون والطعم والصورة ، ومنه مالا يشبه بعضه بعضا ، وفى ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) أى انظروا إلى ثمره أول مايخرج ضعيفا لا منفعة فيه ، ثم ينتقل من حال إلى حال حتى ينيع أى ينضج ويطيب (شركاء الجن) نصب الجن على أنه مفعول أول لجعلوا وشركاء مفعول ثان ، وقدم لاستعظام الإشراك ، أو شركاء مفعول أول ، والله فى موضع المفعول الثانى والجن بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة ، وذلك ردا على من عبدهم ؛ وقيل المراد الجن ، والإشراك بهم طاعتهم (وخلقهم) الواو للحال ، والمعنى الرد عليهم : أى جعلوا لله شركاء ، وهو خلقهم ، والضمير عائد على الجن ، أو على الجاعلين ، والحجة قائمة على الوجهين (وخرقوا له بنين وبنات) أى اختلقوا وزوروا ، والبنين قول النصارى فى المسيح ، واليهود فى عزير ، والبنات قول العرب فى الملائكة (بغير علم) أى قالوا ذلك بغير دليل ولا حجة بل مجرد افتراء (بديع) ذكر معناه فى البقرة ، ورفعه على أنه خبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره : أنى يكون ، وفاعل تعالى ، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات ، وذلك من وجهين : أحدهما أن

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ
ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ * قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا
عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۞ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ
أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ

الولد لايكون إلامن جنس والده ، والله تعالى متعال عن الأجناس ، لأنه مبدعها ، فلايصح أن يكون له ولد والآخر أن الله خلق السموات والأرض ومن كان هكذا فهو غنى عن الولد وعن كل شيء (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أى من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده (لاتدركه الأبصار) يعنى فى الدنيا وأمافى الآخرة ، فالحق أن المؤمنين يرون ربهم بدليل قوله : إلى ربها ناظرة ، وقد جاءت فى ذلك أحاديث صحيحة صريحة ، لاتحتمل التأويل ، وقالت الأشعرية إن رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة عقلا ، لأن موسى سألها من الله ، ولا يسأل موسى ماهو محال ، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه ليلة الإسراء أم لا (وهو يدرك الأبصار) قال بعضهم الفرق بين الرؤية والإدراك أن الإدراك يتضمن الإحاط بالشيء والوصول إلى غايته ، فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم ، ولا يقتضى ذلك نفى الرؤية وحسن على هذا قوله وهو يدرك الأبصار لإحاطة علمه تعالى بالخفيات (اللطيف الخبير) أى لطيف عن أن تدركه الأبصار وهو الخبير بكل شيء ، وهو يدرك الأبصار (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة ، وهو نور القلب ، والبصر نور العين ، وهذا الكلام على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وما أنا عليكم بحفيظ (وليقولوا) متعلق بمحذوف تقديره ليقولوا صرفنا الآيات (درست) بإسكان السين وفتح التاء درست العلم وقرأته ، ودارست بالألف أى دارست العلم وتعلمت منه ، ودرست بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودبرت (ولنبينه) الضمير للآيات وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن (وأعرض عن المشركين) إن كان معناه أعرض عما يدعونك إليه ؛ أو عن مجادلتهم فهو محكم ، وإن كان عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ وكذلك ماأنا عليكم بحفيظ وبوكيل (ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله) أى لاتسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا الله ، واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع (قل إنما الآيات عند الله) أى هى بيد الله لابيدى (وما يشعركم) أى ما يدريكم ، وهو من الشعور بالشيء ، وما نافية أو استفهامية (أنها إذا جاءت لايؤمنون) من قرأ بفتح أنها فهو معمول يشعركم : أى ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها ، نحن نعلم ذلك وأنتم لاتعلمونه وقيل لازائدة ، والمعنى مايشعركم أنهم يؤمنون ، وقيل أن هنا بمعنى لعل فمن قرأ بالكسر فهى استئناف إخبار وتم الكلام فى قوله ومايشعركم أى مايشعركم مايكون منهم فعلى القراءة بالكسر يوقف على مايشعركم وأما على القراءة

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ
وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ *
أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ
مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ۞ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ
مُؤْمِنِينَ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ

بالفتح فإن كانت مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها وإن كانت بمعنى لعل فأجاز بعض الناس الوقف ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير ، لما فى لعل من معنى التعليل (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) أى نطبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفهمون (كما لم يؤمنوا) الكاف للتعليل أى نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لا يؤمنون به أول مرة ، ويحتمل أن تكون للتشبيه أى نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل طبعنا عليها أول مرة (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) الآية : رد عليهم فى قسمهم أنهم لو جاءتهم آية ليؤمنون بها أى لو أعطيناهم هذه الآيات التى اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله (قبلا) بكسر القاف وفتح الباء أى معاينة فنصبه على الحال ، وقرئ بضمتين ، ومعناه مواجهة : كقوله : قدمن قبل ، وقيل هو جمع قبيل بمعنى كفيل ، أى كفلا بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) الآية : تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى لغيره (شياطين الإنس والجن) أى المتمردين من الصنفين ، ونصب شياطين على البدل من عدوا ، إذ هو بمعنى الجمع أو مفعول أول ، وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم إلى بعض) أى يوسوس ويلقى الشر (زخرف القول غرورا) مازينه من القول (ولو شاء ربك مافعلوه) الضمير عائد على وحيهم ، أو على عداوة الكفار (فذرهم) وعيد (ومايفترون) مافى موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على الضمير (ولتصغى) أى تميل وهو متعلق بمحذوف واللام لام الصيرورة (إليه) الضمير لوحيهم (وليقترفوا) يكتسبوا (أفغير الله) معمول لقول محذوف أى قل لهم (وتمت كلمت ربك) أى صحت والكلمات مانزل على عباده من كتبه (صدقا وعدلا) أى صدقا فيما أخبر وعدلا فيما حكم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) القصد بهذا الأمر إباحة ماذكر اسم الله عليه ، والنهى عما ذبح للنصب وغيرها ، وعن الميتة وهذا النهى يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ، ثم صرح به فى قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ؛ وقد استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة وإنما جاء الكلام فى سياق تحريم الميتة وغيرها ،

كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ * وَذَرُوا ظَٰهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ
الشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ * أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ
وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى الظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *
وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ * فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ
لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ

فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية فى ذبائح المسلمين ، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك ، وقال عطاء : وهذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب (ومالكم ألا تأكلوا) المعنى أى غرض لكم فى ترك الأكل ، مما ذكر اسم الله عليه ، وقد بين لكم الحلال من الحرام (إلا ما اضطررتم اليه) استثناء بما حرم (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) لفظ يعم أنواع المعاصى ؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر ؛ وقيل الظاهر الأعمال والباطن الاعتقاد (وإنه لفسق) الضمير لمصدر لا تأكلوا (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) سببها أن قوما من الكفار قالوا إنا نأكل ما قتلناه ، ولا نأكل ما قتل الله يعنون الميتة (أو من كان ميتا فأحييناه) الموت هنا عبارة عن الكفر ، والاحياء عبارة عن الايمان ، والنور : نور الايمان ، والظلمات الكفر ؛ فهى استعارات وفى قوله ميتا فأحييناه مطابقة وهى من أدوات البيان ، ونزلت الآية فى عمار بن ياسر ، وقيل فى عمر بن الخطاب والذى فى الظلمات أبو جهل ، ولفظها أعم من ذلك (كمن مثله) مثل هنا بمعنى صفة ، وقيل زائدة ، والمعنى كمن هو (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر) أى كما جعلنا فى مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية ، وإنما ذكر الأكابر ، لأن غيرهم تبع لهم ؛ والمقصود تسلية النبى صلى الله عليه وسلم (مجرميها) إعرابه مضاف اليه عند الفارسى وغيره ؛ وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم ؛ وهذا جيد فى المعنى ضعيف فى العربية ، لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلا بمن أو بالاضافة (وقالوا لن نؤمن) الآية : قائل هذه المقالة أبو جهل ، وقيل الوليد بن المغيرة ، لأنه قال أنا أولى بالنبوة من محمد (الله أعلم حيث يجعل رسالته) رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أن الله علم أن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل للرسالة ، فخصه بها وعلم أنهم لبسوا بأهل لها فحرمهم إياها ، وفى الآية من أدوات البيان الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم رده فى أول كلامه (صغار) أى ذلة (يشرح صدره للإسلام) شرح الصدر وضيقه وحرجه : ألفاظ مستعارة ومن قرأ حرجا بفتح الراء فهو مصدر وصف به (كأنما يصعد فى السماء) أى كأنما يحاول الصعود إلى السماء ، وذلك غير ممكن ، فكذلك يصعب عليه الإيمان وأصل يصعد المشدد يتصعد ، وقرئ بالتخفيف

عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ

(دار السلام) الجنة ، والسلام هنا يحتمل أن يكون اسم الله ، فأضافها إليه ؛ لأنها ملكه وخلقه ، أو بمعنى السلامة والتحية (ويوم نحشرهم) العامل فى يوم محذوف تقديره اذكر ، وتقديره قلنا ، ويكون على هذا عاملا فى يوم وفى (يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس) أى أضللتم منهم كثيرا ، وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجيش (استمتع بعضنا ببعض) استمتاع الجن بالإنس : طاعتهم لهم واستمتاع الإنس بالجن كقوله . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال أعوذ بصاحب هذا الوادى يعنى كبير الجن (وبلغنا أجلنا) هو الموت وقيل الحشر (إلا ماشاء الله) قيل الاستثناء من الكاف والميم فى مثواكم فما بمعنى من ، لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس والمستثنى على هذا من آمن منهم ، وقيل الاستثناء من مدة الخلود وهو الزمان الذى بين حشرهم إلى دخول النار ، وقيل الاستثناء من النار ، وهو دخولهم الزمهرير ، وقيل ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج ، وإنما هو على وجه الأدب مع الله ، وإسناد الأمور إليه (نولى بعض الظالمين بعضا) أى نجعل بعضهم وليا لبعض ، وقيل يتبع بعضهم بعضا فى دخول النار ، وقيل نسلط بعضهم على بعض (ألم يأتكم رسل) تقرير للجن والإنس ، فقيل إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية ، وقيل إنما الرسل من الإنس خاصة ، وإنما قال رسل منكم لأنه جمع الثقلين فى الخطاب (وشهدوا على أنفسهم) لا تنافى بينه وبين قولهم ما كنا مشركين ، لما تقدم هناك فإن قيل : لم كرر شهادتهم على أنفسهم ؟ فالجواب أن قولهم شهدنا على أنفسنا قول قالوه هم ، وقوله شهدوا على أنفسهم ذل لهم وتقبيح لحالهم (ذلك) خبر ابتداء مضمر تقديره الأمر ذلك أو مفعول لفعل مضمر تقديره فعلنا ذلك ، والإشارة إلى بعث الرسل (أن لم يكن) تعليل لبعث الرسل ، وهو فى موضع مفعول من أجله ، أو بدل من ذلك (بظلم) فيه وجهان : أحدهما أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم ينذرهم ، فهو كقوله : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، والآخر أن الله لا يهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا ، دون أن ينذرهم ، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم عدم إنذارهم ، حكى الوجهين ابن عطية والزمخشرى والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة ، ولا يصح على مذهب أهل السنة ، لأن الله لو أهلك عباده بغير

ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۞ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ۞ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا فِى

ذنب : لم يكن ظالما عندهم (ولكل درجات) منازل فى الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب (من ذرية قوم) أى من ذرية أهل سفينة نوح أو من كان قبلهم إلى آدم (اعملوا على مكانتكم) الأمر هنا للتهديد ، والمكانة التمكن (فسوف تعلمون) تهديد (من تكون له) يحتمل أن تكون من موصولة فى موضع نصب على المفعولية أو استفهامية فى موضع رفع بالابتداء (عاقبة الدار) أى الآخرة أو الدنيا ، والأول أرجح لقوله : عقبى الدار جنات عدن (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب قال السهيلى هم حى من خولان ، يقال لهم الأديم كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأصنامهم ومعنى ذرأ خلق وأنشأ ، ففى ذلك ردّ عليهم ، لأن الله الذى خلقها وذرأها : هو مالكها لا رب غيره (بزعمهم) أى بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع وأكثر مايقال الزعم فى الكذب ، وقرئ بفتح الزاى وضمها وهما لغتان (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله) الآية كانوا إذا هبت الريح فحملت شيئا من الذى لله إلى الذى للأصنام أقروه ، وإن حملت شيئا من الذى للأصنام إلى الذى لله ردّوه وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم قربانا إلى الأصنام وشركاؤهم هنا هم الشياطين ، أو القائمون على الأصنام وقرأ الجمهور بفتح الزاى من زين على البناء للفاعل ، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل بزين ، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل ، وقرأ ابن عباس بضم الزاى على البناء للمفعول ، ورفع قتل على أنه مفعول لم يسم فاعله ، ونصب أولادهم على أنه مفعول بقتل ، وخفض شركائهم على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : أولادهم ، وذلك ضعيف فى العربية وقد سمع فى الشعر ، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون للأولاد (ليردوهم) أى ليهلكوهم وهو من الردى بمعنى الهلاك (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) أى حرام ، وهو فعل بمعنى مفعول ، نحو ذبح ، فيستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع (لا يطعمها إلا من نشاء) أى لا يأكلها إلا من شاؤا وهم القائمون على الأصنام ، والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) أى لا تركب ، وهى السائبة وأخواتها (وأنعام

بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ * قُل لَّآ أَجِدُ فِى

لا يذكرون اسم الله عليها) قيل معناه لا يحج عليها فلا يذكر اسم الله بالتلبية ، وقيل لا يذكر اسم الله عليها إذا ذبحت (افتراء عليه) كانوا قد قسموا أنعامهم على هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذبا ونصب على الحال أو مفعول من أجله ، أو مصدر مؤكد (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة) الآية : كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة ما ولد منها حيا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء ، وما ولد منها ميتا اشترك فيه الرجال والنساء وأنث خالصة للحمل على المعنى وهي الأجنة وذكر محرم حملا على لفظ ما ويجوز أن تكون التاء للمبالغة (وحرموا ما رزقهم الله) أي البحيرة والسائبة وشبهها (جنات معروشات) مرفوعات على دعائم وشبهها (وغير معروشات) متروكات على وجه الأرض ، وقيل المعروشات ما غرسه الناس في العمران وغير معروشات : ما أنبته الله في الجبال والبراري (مختلفا أكله) في اللون والطعم والرائحة والحجم ، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد (وآتوا حقه يوم حصاده) قيل حقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين : أحدهما أن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، والآخر أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد ، وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار ، وقيل حقه ما يصدق به على المساكين يوم الحصاد ، وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعشر ، وقيل هو ما يسقط من السنبل ، والأمر على هذا للندب (حمولة وفرشا) عطف على جنات ، والحمولة الكبار ، والفرش الصغار : كالعجاجيل والفصلان وقيل الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها ، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح ويفرش ما ينسج من صوفها (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا ، وسماها أزواجا ، لأن الذكر زوج للأنثى والأنثى زوج للذكر (من الضأن اثنين) يريد الذكر والأنثى ، وكذلك فيما بعده (قل آلذكرين) يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز ، ويعني بالأنثيين الأنثى من الضأن ، والأنثى من المعز ، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر والهمزة للإنكار (نبئوني بعلم) تعجيز وتوبيخ (افترى على الله كذبا) يعني في تحريم ما لم يحرم الله ، وذلك إشارة إلى العرب في

مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ * فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ * سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها (قل لا أجد) الآية تقتضى حصر المحرمات فيما ذكر ، وقد جاء فى السنة تحريم أشياء لم تذكرهنا كلحوم الحمر فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر ، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضى الحصر ، وذهب آخرون إلى أن ماعدا ماذكر إنما نهى عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم (أو فسقا) معطوف على المنصوبات قبله ، وهو ماأهل به لغير الله سماه فسقا لتوغله فى الفسق ، وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات فى البقرة (كل ذى ظفر) هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشرى وقال ابن عطية : يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذى هو غير منفرج الأصابع أوله ظفر وقال الماوردى مثله ، وحكى النقاش عن ثعلب أن كل مالا يصيد فهو ذو ظفر وما يصيد فهو ذو مخلب ، وهذا غير مطرد ، لأن الأسد ذو ظفر (إلا ماحملت ظهورهما) يعنى مافى الظهور والجنوب من الشحم (أو الحوايا) هى المباعر ، وقيل المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى فى البطن وواحد حوايا حوية على وزن فعلية فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف ، وقيل واحدها حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل : كضاربة وضوارب ، وهو معطوف على مافى قوله : إلا ماحملت ظهورهما ، فهو من المستثنى من التحريم ، وقيل عطف على الظهور ، فالمعنى إلا ماحملت الظهور ، أو حملت الحوايا ، وقيل عطف على الشحوم ، فهو من المحرم (أو ما اختلط بعظم) يريد مافى جميع الجسد (وإنا لصادقون) أى فيما أخبرنا به من التحريم ، وفى ذلك تعريض بكذب من حرم مالم يحرم الله (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) أى إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم ، وهذا كما تقول عند رؤية معصية ما أحلم الله : تريد لإمهاله عن مثل ذلك ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) أى لا تغتروا بسعة رحمته ، فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم إما فى الدنيا أو فى الآخرة (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا) الآية : معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه ، فاحتجوا على ذلك بإرادة الله له ، وتلك نزغة جبرية ، ولا حجة لهم فى ذلك ، لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله ، ولا يحللوا ما حرم الله ولا يحرموا ما حلل الله ، والارادة خلاف التكليف ، ويحتمل عندى أن يكون قولهم «لو شاء الله» قولا يقولونه فى الآخرة على وجه التمنى أن ذلك لم يكن كقولك إذا ندمت على شىء لو شاء الله ما كان هذا أى يتمنى أن ذلك لم يكن ، ويؤيد هذا أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال ، وهى السين ، فذلك دليل على أنهم يقولونه فى المستقبل وهى الآخرة (قل هل

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ
إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا

عندكم من علم) توقيف لهم وتعجيز (قل فلله الحجة البالغة) لما أبطل حجتهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل (هلم) قيل هى بمعنى هات فهى متعدية ، وقيل بمعنى أقبل فهى غير متعدية ، وهى عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء ، ومقصود الآية تعجيزهم عن إقامة الشهداء (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) أى إن كذبوا فى شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ماحرم الله عليهم وذكر فى هذه الآيات المحرمات التى أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط فى ملة ، وقال ابن عباس : هى الكلمات العشر التى أنزل الله على موسى (ألا تشركوا به شيئا) قيل أن هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من الإعراب ولا ناهية جزمت الفعل ، وقيل أن مصدرية فى موضع رفع تقديره : الأمر ألا تشركوا ، فلا على هذا نافية ، وقيل أن فى موضع نصب بدلا من قوله ماحرم ، ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة وإن لم تكن زائدة فسد المعنى لأن الذى حرم على ذلك يكون ترك الإشراك ، والأحسن عندى أن تكون أن مصدرية فى موضع نصب على البدل ولا نافية ولا يلزم ماذكر من فساد المعنى ، لأن قوله ماحرم ربكم : معناه ماوصاكم به ربكم بدليل قوله فى آخر الآية : ذلكم وصاكم به فضمن التحريم معنى الوصية ، والوصية فى المعنى أعم من التحريم لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ، وبوجوب وندب ، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم ، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص ، إذ تقرر هذا ، فتقدير الكلام : قل تعالوا أتل ماوصاكم به ربكم ، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان ، فقال أن لا تشركوا به شيئا أى وصاكم ألا تشركوا به شيئا ووصاكم بالإحسان بالوالدين ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم فجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين ومابعد ذلك ويؤيد هذا التأويل الذى تأولنا : أن الآيات اشتملت على أوامر : كالإحسان بالوالدين وقول العدل والوفاء فى الوزن ، وعلى نواهى : كالإشراك وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم فى أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهى ، لأنها أجملت فيه ، ثم فسرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهى ، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك ، وإن لم يتأول على ماذكرناه : لزم فى الآية إشكال ، وهو عطف الأوامر على النواهى ، وعطف النواهى على الأوامر ، فان الأوامر طلب فعلها ، والنواهى طلب تركها ، وواو العطف تقتضى الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذى تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك ، وتحتمل الآية عندى تأويلا آخر ، وهو أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويعم فعل المحرمات وترك

أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا

الواجبات لأن ترك الواجبات حرام (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الإملاق الفاقة ، ومن هنا للتعليل تقديره من أجل إملاق ، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة ، لأن العرب كانوا يفعلون ذلك فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه (ماظهر منها وما بطن) قيل ماظهر : الزنا ، وما بطن : اتخاذ الأخدان والصحيح أن ذلك عموم فى جميع الفواحش (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) فسره قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنى بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) النهى عن القرب يعم وجوه التصرف ، وفيه سدّ الذريعة ، لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال ، فالنهى عن أكله أولى وأحرى ، والتى هى أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله (حتى يبلغ أشده) هو البلوغ مع الرشد ، وليس المقصود هنا السن وحده ، وإنما المقصود معرفته بمصالحه (لانكلف نفسا إلا وسعها) لما أمر بالقسط فى الكيل والوزن ، وقد علم أن القسط الذى لازيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه أمر بما فى الوسع من ذلك وعفا عما سواه (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المقول له أوعليه فى شهادة أوغيرها من أهل قرابة القائل ، فلا ينبغى أن يزيد ولا ينقص بل يعدل (وأن هذا صراطى مستقيما) الاشارة بهذا إلى ماتقدم من الوصايا أوإلى جميع الشريعة ، وأن بفتح الهمزة والتشديد عطف على ماتقدم أومفعول من أجله : أى فاتبعوه لأن هذا صراطى مستقيما ، وقرئ بالكسر على الاستئناف ، وبالفتح والتخفيف على العطف ، وهى على هذا مخففة من الثقيلة (ولاتتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة ، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة ، وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم خط خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه (فتفرق بكم عن سبيله) أى تفرقكم عن سبيل الله والفعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة ولذلك شدده البزى (ثم آتينا) معطوف على وصاكم به ، فإن قيل : فإن إيتاء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية فكيف عطفه عليها بثم ، فالجواب أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها ، فصح الترتيب ، وقيل إنها هنا لترتيب الاخبار والقول ، لا لترتيب الزمان (تماما على الذى أحسن) فيه ثلاث تأويلات : أحدها أن المعنى تماما للنعمة على الذى أحسن من قوم موسى ففاعل أحسن ضمير يعود على الذى ، والذى أحسن يراد به جنس المحسنين ، والآخر : أن المعنى تماما أى تفضلا ، أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه

لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى

وتبليغ رسالته ، فالفاعل على هذا ضمير موسى عليه السلام والذى صفة لعمل موسى ، والثالث تماما أى إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده ، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى (أن تقولوا) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقولوا (على طائفتين) أهل التوراة والإنجيل (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أى لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف مادرسوا من الكتب فلا حجة علينا ، وأن هنا مخففة من الثقيلة (فقد جاءتكم بينة) إقامة حجة عليهم (صدف) أى أعرض (هل ينظرون) الآية : تقدمت نظيرتها فى البقرة (بعض آيات ربك) أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها ، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر ولا توبة عاص ، فقوله لا ينفع نفسا إيمانها يعنى أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ وقوله (أو كسبت فى إيمانها خيرا) يعنى أن من كان مؤمنا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات ، ثم تاب إذا ظهرت : لم ينفعه لأن باب التوبة يغلق حينئذ (قل انتظروا) وعيد (إن الذين فرقوا دينهم) هم اليهود والنصارى ، وقيل أهل الأهواء والبدع ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قيل يارسول الله ومن تلك الواحدة ؟ قال من كان على ما أنا وأصحابى عليه ، وقرئ فارقوا أى تركوا (وكانوا شيعا) جمع شيعة أى متفرقين كل فرقة تتشيع لمذهبها (لست منهم فى شىء) أى أنت برىء منهم (عشر أمثالها) فضل عظيم على العموم فى الحسنات ، وفى العاملين ، وهو أقل التضعيف للحسنات فقد تنتهى إلى سبعمائة وأزيد (دينا قيما) بدل من موضع إلى صراط مستقيم ، لأن أصله هدانى صراطا بدليل اهدنا الصراط ، والقيم فيعل من القيام وهو أبلغ من قائم وقرئ قيما بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها ، وهو على هذا مصدر وصف به (ملة إبراهيم) بدل من دينا ، أو عطف بيان (ونسكى) أى عبادتى ، وقيل ذبحى للبهائم ، وقيل حجى ، والأول أعم وأرجح

لله رب العلمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين * قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء
ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون * وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجت ليبلوكم فى ما ءاتاكم
إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم *

سورة الأعراف

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية : وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بسم الله الرحمن الرحيم * المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به
وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون *

(ومحياى ومماتى) أى أعمالى فى حين حياتى وعند موتى (لله) أى خالصا لوجهه وطلب رضاه ، ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له : أى لا أريد بأعمالى غير الله فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون نفيا للشرك الأكبر (وبذلك أمرت) إشارة إلى الإخلاص الذى تقتضيه الآية قبل ذلك (وأنا أول المسلمين) لأنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته (قل أغير الله أبغى ربا) تقرير وتوبيخ للكفار ، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شىء) برهان على التوحيد ونفى الربوبية عن غير الله (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) رد على الكفار لأنهم قالوا له اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها فى دنياك وأخراك ، فنزلت هذه الآية : أى ليس كما قلتم ، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يحمل أحد ذنوب أحد ، وأصل الوزر الثقل ، ثم استعمل فى الذنوب (خلائف) جمع خليفة : أى يخلف بعضكم بعضا فى السكنى فى الأرض أو خلائف عن الله فى أرضه ، والخطاب على هذا لجميع الناس ، وقيل لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة (ورفع بعضكم) عموم فى المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد (ليبلوكم فيما آتاكم) ليختبر شكركم على ما أعطاكم ، وأعمالكم فيما مكنكم فيه (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جمع بين التخويف والترجية ، وسرعة عقابه تعالى : إما فى الدنيا بمن عجل أخذه ، أو فى الآخرة لأن كل آت قريب ، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته

﴿سورة الاعراف﴾

(المص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة (حرج منه) أى ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك ، وقيل الحرج هنا الشك ، فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين (لتنذر) متعلق بأنزل (وذكرى) منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره لتنذر وتذكر ذكرى ، لأن الذكر بمعنى التذكير ، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو مخفوض عطفا على موضع لتنذر أى للإنذار والذكرى (قليلا ما تذكرون) انتصب قليلا بتذكرون أى تذكرون تذكرا

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْهُمْ قَآئِلُونَ ۞ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ * وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ * وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۞ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

قليلا وما زائدة للتوكيد (أهلكناها فجاءها بأسنا) قيل إنه من المقلوب تقديره : جاءها بأسنا فأهلكناها ، وقيل المعنى : أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن فجاءها بأسنا استئنافا على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف ، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ، ثم حذف المضاف بدليل أو هم قائلون (بياتا أو هم قائلون) بياتا مصدر فى موضع الحال بمعنى بائتين أى بالليل ، وقائلون من القائلة : أى بالنهار ، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهار ، وأو هنا للتنويع (دعواهم) أى ماكان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون ، وقيل المعنى أن دعواهم هنا ماكانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين فى ذلك (أرسل إليهم) أسند الفعل إلى الجار والمجرور ، ومعنى الآية : أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم ، ويسأل الرسل عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والأمم (والوزن) يعنى وزن الأعمال (يومئذ) أى يوم يسئل الرسل وأممهم وهو يوم القيامة (بآياتنا يظلمون) أى يكذبون بها ظلما (خلقناكم ثم صورناكم) قيل المعنى أردنا خلقكم وتصويركم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف (ألا تسجد) لازائدة للتوكيد (إذ أمرتك) استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضى الوجوب والفور ، ولذلك وقع العتاب على ترك المبادرة بالسجود (قال أنا خير منه) تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود ، وهو يقتضى الاعتراض على الله تعالى فى أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه ، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود (فاهبط منها) أى من السماء (قال فبما أغويتنى) الفاء للتعليل وهى تتعلق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بالله بسبب إغوائك لى لأغوين بنى آدم ، وما مصدرية ، وقيل استفهامية ويبطله ثبوت الألف فى مامع حرف الجر (صراطك) يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية (ثم لآتينهم من بين أيديهم) الآية : أى من الجهات الأربع ، وذلك عبارة عن تسليطه على بنى آدم كيفما أمكنه ، وقال ابن عباس من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة ، وعن أيمانهم

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا
لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن
سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ
إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن
وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا
رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * قَالَ ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *

الحسنات ، وعن شمائلهم السيئات (مذءوما) من ذأمه بالهمز إذا ذمه (مدحورا) أى مطرودا حيث وقع (فوسوس) إذا تكلم كلاما خفيا يكرره ، فمعنى وسوس لهما : ألقى لهما هذا الكلام (ليبدى لهما ماووارى عنهما من سوآتهما) أى ليظهر ماستر من عوراتهما واللام فى قوله ليبدى للتعليل إن كان فى انكشافهما غرض لإبليس ، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه اليه (الشجرة) ذكرت فى البقرة (إلا أن تكونا ملكين) أى كراهة أن تكونا ملكين ، واستدل به من قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقرىء ملكين بكسر اللام ، ويقوى هذه القراءة قوله وملك لا يبلى (وقاسمهما) أى حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التى تكون بين الاثنين لأنه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته (فدلاهما) أى أنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) أى غرهما بحلفه لهما لأنهما ظنا أنه لايحلف كاذبا (بدت لهما سوآتهما) أى زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما ، وكان لايريانها من أنفسهما ، ولا أحدهما من الآخر ، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يصلان بعضه ببعض ليستترا به (وناداهما ربهما) يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك ، أو بغير واسطة (ربنا ظلمنا أنفسنا) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة ، وتلك هى الكلمات التى تاب الله عليه بها (اهبطوا) ومابعده مذكور فى البقرة (فيها تحيون) أى فى الأرض (لباسا) أى الثياب التى تستر ، ومعنى أنزلنا خلقنا ، وقيل المراد أنزلنا مايكون عنه اللباس وهو المطر ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة (ريشا) أى لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر (ولباس التقوى) استعار للتقوى لباسا كقولهم ألبسك الله قميص تقواه ، وقيل لباس التقوى ما يتقى به فى الحرب من الدروع وشبهها ، وقرىء بالرفع على الابتداء أو خبره الجملة ، وهى ذلك خير (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى ماأنزل من اللباس ، وهذه الآية واردة على

يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ

وجه الاستطراد عقيب ماذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليها ليبين إنعامه على ماخلق من اللباس (ينزع عنهما لباسهما) أى كان سببا فى نزع لباسهما عنهما (من حيث لاترونهم) يعنى فى غالب الأمر، وقد استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جاءت فى رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث (وإذا فعلوا فاحشة) قيل هى ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم فى الفواحش (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا بعذرين باطلين أحدهما: تقليد آبائهم، والآخر: افتراؤهم على الله (وأقيموا وجوهكم) قيل المراد إحضار النية، والإخلاص لله، وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها (عند كل مسجد) أى فى كل مكان سجود أوفى وقت كل سجود والأول أظهر، والمعنى إباحة الصلاة فى كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم: جعلت لى الأرض مسجدا (كما بدأكم تعودون) احتجاج على البعث الأخروى بالبدأة الأولى (فريقا) الأول منصوب بهدى، والثانى منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده (خذوا زينتكم) قيل المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة فى الصلاة، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب (وكلوا واشربوا) الأمر فيهما للإباحة، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل (ولا تسرفوا) أى لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع فى هذه الآية، وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام (قل من حرم زينة الله) إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردا عليهم (خالصة يوم القيامة) أى الزينة والطيب فى الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفى الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أوخبر ابتداء مضمر (والإثم) عام فى كل ذنب (وأن تقولوا على الله)

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ يَٰبَنِى ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى
فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۞ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى
ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا
فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ
لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَهُم مِّن
جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ

أى تفتروا عليه فى التحريم وغيره (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ماالزائدة للتأكيد ، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة ، وجواب الشرط فمن اتقى الآية (فمن أظلم) ذكر فى الانعام (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى يصل اليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها (ضلوا عنا) أى غابوا (ادخلوا فى أمم) أى ادخلوا النار فى جملة أمم أو مع أمم (اداركوا) تلاحقوا واجتمعوا (قالت أخراهم لأولاهم) المراد بأولاهم الرؤساء والقادة ، وأخراهم الأتباع والسفلة ، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوهم ، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم ، إنما هو كقولك قال فلان لفلان كذا : أى قاله عنه وإن لم يخاطبه به (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) أى لم يكن لكم علينا فضل فى الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم بل نحن وأنتم سواء (فذوقوا العذاب) من قول أولاهم لأخراهم أومن قول الله تعالى لجميعهم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيه ثلاثة أقوال : أحدهما: لا يصعد عملهم إلى السماء ، والثانى لا يدخلون الجنة ، فإن الجنة فى السماء ، والثالث لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل الجمل فى ثقب الإبرة ، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون مالا يكون أبداً ، فلا يدخلونها أبدا (مهاد) فراش (غواش) أغطية (لا نكلف نفسا إلا وسعها) جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر ليبين أن مايطلب من الأعمال الصالحة مافى الوسع والطاقة (ونزعنا مافى صدورهم من غل) أى من كان فى صدره غل لأخيه فى الدنيا ننزعه منه

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۞ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا

فى الجنة وصاروا إخوانا أحبابا ، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضى وهو مستقبل لتحقق وقوعه فى المستقبل حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع ، وكذلك كل ماجاء بعد هذا من الأفعال الماضية فى اللفظ وهى تقع فى الآخرة كقوله : نادى أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الأعراف ، ونادى أصحاب النار ، وغير ذلك (هدانا لهذا) إشارة إلى الجنة أو إلى ماأوجب من الإيمان والتقوى (أن تلكم الجنة) وأن قد وجدنا ، وأن لعنة ، وأن سلام : يحتمل أن يكون أن فى كل واحدة منها مخففة من الثقيلة ، فيكون فيها ضمير أو حرف عبارة و تفسير المعنى القول (ماوعدنا ربنا حقا) حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب (أذن مؤذن) أى أعلم معلم وهو ملك (وبينهما حجاب) أى بين الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح لقوله : فضرب بينهم بسور (الأعراف) قال ابن عباس هو تل بين الجنة والنار ، وقيل سور الجنة (رجال) هم أصحاب الأعراف ورد فى الحديث أنهم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار ، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم ، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم ، أو غير ذلك من العلامات (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة (لم يدخلوها وهم يطمعون) أى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون فى دخولها من بعد (وإذا صرفت أبصارهم) الضمير لأصحاب الأعراف أى إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لايجعلهم معهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) يعنى من الكفار الذين فى النار ، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ (جمعكم) يحتمل أن يكون أراد جمعهم للمال أو كثرتهم (وما كنتم تستكبرون) أى استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق ، فما هاهنا مصدرية وما فى قوله « ماأغنى » استفهامية أو نافية (أهؤلاء الذين أقسمتم) من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ، وذلك أن الكفار كانوا فى الدنيا يقسمون أن الله لايرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم فظهر خلاف ماقالوا ، وقيل هى من كلام الملائكة خطابا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب

الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ
فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ
مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا

الأعراف (ادخلوا الجنة) خطابا لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا الجنة ، أو خطابا لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة (أن أفيضوا علينا من الماء) دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الأطعمة والأشربة (فاليوم ننساهم) أى نتركهم (كما نسوا) الكاف للتعليل (وما كانوا) عطف على كما نسوا : أى لنسيانهم وجحودهم (جئناهم بكتاب) يعنى القرآن (فصلناه على علم) أى علمنا كيف نفصله (إلا تأويله) أى هل ينتظرون إلا عاقبة أمره ، ومايؤول إليه أمره بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤا بالحق (استوى على العرش) حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبى زيد وغيره ، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله : ثم استوى إلى السماء ، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش ، وتأولها الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة ، والحق الإيمان به من غير تكييف ، فإن السلامة فى التسليم ، ولله در مالك بن أنس فى قوله للذى سأله عن ذلك : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة ، وقد روى مثل قول مالك عن أبى حنيفة ، وجعفر الصادق ، والحسن البصرى ، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون فى معنى الاستواء ، بل أمسكوا عنه ، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) أى يلحق الليل بالنهار ، ويحتمل الوجهين ، هكذا قال الزمخشرى ، وأصل اللفظة من الغشاء أى يجعل أحدهم غشاء للآخر يغطيه فتغطى ظلمة الليل ضوء النهار (يطلبه حثيثا) أى سريعا ، والجملة فى موضع الحال من الليل أى يطلب الليل النهار فيدركه (ألا له الخلق والأمر) قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر ، وقيل الخلق مصدر خلق ، والأمر واحد الأمور : كقوله إلى الله تصير الأمور ، والكل صحيح (تبارك) من البركة ، وهو فعل غير متصرف لم تنطق له العرب بمضارع (تضرعا وخفية) مصدر فى موضع الحال وكذلك خوفا وطمعا ، وخفية من الإخفاء ، وقرئ خيفة من الخوف (المعتدين) المجاوزين للحد ، وقيل هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطط

فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ

فيه (واعوه خوفا وطمعا) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا ، كما قال الله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه ، قال تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأنّ عذابى هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء فى الحديث «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه» لاعتدلا إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» واعلم أن الخوف على ثلاث درجات : الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر فى الباطن ولا فى الظاهر ، فوجود هذا كالعدم والثانية أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها ، والناس فى الخوف على ثلاث مقامات : فخوف العامة من الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبنية عليها ، والرجاء على ثلاث درجات : الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور ، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن ، فهذا حرام ، والناس فى الرجاء على ثلاث مقامات : فمقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه (إن رحمت الله قريب من المحسنين) حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى أو لأنه صفة موصوف محذوف وتقديره شىء قريب أو على تقدير النسب أى ذات قرب ، وقيل قريب هنا ليس خبر عن الرحمة وإنما هو ظرف لها (الرياح بشرا) قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر ، وقد اضطرد فى القرآن جمعها إذا كانت المرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب ، ومنه ورد فى الحديث «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وقرئ بالإفراد ، والمراد الجنس وقرئ نشرا بفتح النون وإسكان الشين ، وهو على هذا مصدر فى موضع الحال ، وقرئ بضمها وهو جمع نشر ، وقيل جمع منشور ، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف من الضم : كرسل ورسل ، وقرئ بالباء فى موضع النون وهو من البشارة (بين يدى رحمته) أى قبل المطر (أقلت) حملت (سحابا ثقالا) لأنها تحمل الماء فتثقل به (سقناه) الضمير للسحاب (لبلد ميت) يعنى لا نبات فيه من شدة القحط ، وكذلك معناه حيث وقع (فأنزلنا به الماء) الضمير للسحاب أو البلد ، على أن تكون الباء ظرفية (كذلك نخرج الموتى) تمثيل لإخراج الموتى من القبور وبإخراج الزرع من الأرض ، وقد وقع ذلك فى القرآن فى مواضع منها : كذلك النشور ، وكذلك الخروج (والبلد الطيب) هو الكريم من الأرض الجيد التراب (والذى خبث) بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها (بإذن ربه) عبارة عن السهولة والطيب . والنكد

لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي
ضَلَٰلٍ مُبِينٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ
لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
عَمِينَ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي
رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَاذْكُرُوٓا
ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن

بخلاف ذلك ، فيحتمل أن يكون المراد مايقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للمعنى الذى قبلها فى المطر ، أو تكون تمثيلا للقلوب ، فقيل على هذا الطيب . قلب المؤمن ، والخبيث : قلب الكافر وقيل هما للفهيم والبليد (من إله غيره) قرأ الكسائى بالخفض حيث وقع على اللفظ ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع (عذاب يوم عظيم) يعنى يوم القيامة أو يوم هلاكهم (الملأ) أشراف الناس (ليس بى ضلالة) إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال ، لأن الضلالة أخص من الضلال ، كما إذا قيل لك عندك تمر ، فتقول ماعندى تمرة فتعم بالنفى (أبلغكم) قرئ بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد ، وهو فى موضع رفع صفة لرسول أو استئناف (أعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفاته ورحمته وعذابه (أو عجبتم) الهمزة للإنكار ، والواو للعطف ، والمعطوف عليه محذوف ، كأنه قال أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم : أى على لسان رجل منكم (فى الفلك) متعلق بمعه والتقدير استقروا معه فى الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه (عمين) جمع أعمى وهو من عمى القلب (أخاهم) أى واحد من قبيلتهم ، وهو عطف على نوحا ، وهودا بدل منه أو عطف بيان ، وكذلك أخاهم صالحا ومابعده ، وماهو مثله حيث وقع (الملأ الذين كفروا) قيدهنا بالكفر لأن فى الملأ من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد ، بخلاف قوم نوح ، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن ، فأطلق لفظ الملأ (أمين) يحتمل أن يريد أمانته على الوحى أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق (خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الأرض أو جعلكم ملوكا (وزادكم فى الخلق بسطة) كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستون ذراعا ، وأطولهم مائة ذراع (آلاء الله) نعمه حيث وقع (قالوا أجئتنا لنعبدالله وحده) استبعدوا توحيد

كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۞ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۞ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ۞ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ۞

الله مع اعترافهم بربوبيته ، ولذلك قال لهم هود (قد وقع عليكم) أى حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب (أتجادلونني فى أسماء سميتموها) يعنى الأصنام : أى تجادلونني فى عبادة مسميات أسماء ، ففى الكلام حذف ، وأراد بقوله سميتموها أنتم وآباؤكم جعلتم لها أسماء ، فدل ذلك على أنها محدثة ، فلا يصح أن تكون آلهة ، أو سميتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل : فالجدال على القول الأول فى عبادتها ، وعلى القول الثانى فى تسميتها آلهة ، والمراد بالأسماء على القول الأول : المسمى ، وعلى القول الثانى : التسمية (دابر) ذكر فى الأنعام (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة وهى الناقة ، وأضيفت إلى الله تشريفا لها ، أو لأنه خلقها من غير فحل ، وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة ، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك ، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون ، ثم نتجت ولدا فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون (لكم آية) أى معجزة تدل على صحة نبوة صالح ، والمجرور فى موضع الحال من آية ، لأنه لو تأخر لكان صفة (ولا تمسوها بسوء) أى لا تضربوها ولا تطردوها (وبوأكم فى الأرض) كانت أرضهم بين الشام والحجاز ، وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون ، مخافة أن يصيبكم مثل الذى أصابهم (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنون قصورا فى الأرض البسيطة (وتنحتون الجبال بيوتا) أى تتخذون بيوتا فى الجبال ، وكانوا يسكنون القصور فى الصيف ، والجبال فى الشتاء ، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك : خطت هذا الثوب قميصا (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (إنا بالذى آمنتم به كافرون) إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون لئلا يكون اعترافا برسالته (فعقروا الناقة) نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به ، وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر (الرجفة) الصيحة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ *
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ *
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا
بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ

فماتوا منها (جاثمين) حيث وقع أى قاعدين لا يتحركون (فتولى عنهم) الآية : يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ، لأنه روى أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم ، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية ، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم ، وقوله : لا تحبون الناصحين : حكاية حال ماضية (إذ قال لقومه) العامل فى إذ أرسلنا المضمر ، أو يكون بدلا من لوط (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم ، ومن الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض أو للجنس (فما كان جواب قومه) الآية : أى أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله (أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن الفاحشة (من الغابرين) أى من الهالكين ، وقيل من الذين غبروا فى ديارهم فهلكوا ، أو من الباقين من أترابها يقال غبر بمعنى مضى ، وبمعنى بقى ، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين (وأمطرنا عليهم مطراً) يعنى الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم ، وقلبت البلاد بمن كان فيها (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة ، ولم تعين فى القرآن آية. شعيب (فأوفوا الكيل والميزان) كانوا ينقصون فى الكيل والوزن ، فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك ، والكيل هنا بمعنى المكيال الذى يكال به مناسبة للميزان كما جاء فى هود المكيال والميزان ، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل هى هو نهى عن السلب وقطع الطريق ، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب ويوعدونهم إن اتبعوه (وتصدون) أى تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان ، والضمير فى به للصراط أو لله (تبغونها عوجا) ذكر فى آل عمران (أو لتعودن فى ملتنا) أى

كُنَّا كَـٰرِهِينَ * قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا

ليكونن أحد الأمرين : إما إخراجهم ، أوعودهم إلى ملة الكفر ، فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضى أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضى قولهم لتعودن فى ملتنا أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا اليها وذلك محال ، فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين : أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار ، فلا يقتضى تقدم ذلك الحال الذى صار اليه ، والثانى قاله الزمخشرى وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب ، وإنما أدخلوه فى الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه فى الخطاب معهم فى قولهم : لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك ، فغلبوا فى الخطاب بالعود الجماعة على الواحد ، وبمثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا فى ملتكم ، وما يكون لنا أن نعود فيها (قال أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والإنكار ، والواو للحال ، تقديره : أنعود فى ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم) أى إن عدنا فيها فقد وقعنا فى أمر عظيم من الافتراء على الله ، وذلك تبرأ من العود فيها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور اليه ، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم : أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه ، فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، فإن قلت : إن ذلك يصح فى حق قومه وأما فى حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر ، فالجواب : أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى واستسلاما لأمره كقول نبينا صلى الله عليه وسلم «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» مع أنه قد علم أنه يثبته (ربنا افتح بيننا) أى احكم (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فى ديارهم (فكيف آسى على قوم كافرين) أى كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم (بالبأساء والضراء) قد تقدم (بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختبارا لهم فى الحالتين (حتى عفوا) أى كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم (قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار (بركات من السماء والأرض) أى بالمطر والزرع (أوأمن) من

كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ
الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَٰفِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ *
ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ *
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا

قرأ بإسكان الواو فهى أو العاطفة ، ومن قرأ بفتحها فهى واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء فى قوله أفأمنوا مكر الله : أى استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر (أولم يهد) أى أولم يتبين (للذين يرثون الأرض) أى يسكنوها (أن لو نشاء) هو فاعل أولم يهد ، ومقصود الآية الوعيد (ونطبع على قلوبهم) عطف على أصبناهم لأنه فى معنى المستقبل ، أو منقطع على معنى الوعيد وأجاز الزمخشرى أن يكون عطفا على يرثون الأرض أو على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قال يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) من قرأ علىّ بالتشديد على أنها ياء المتكلم فالمعنى ظاهر ، وهو أن موسى قال حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق ، وموضع أن لا أقول على هذا رفع ، على أنه خبر حقيق ، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر ، وحقيق صفة لرسول ، وفى المعنى على هذا وجهان ، أحدهما أن على بمعنى الباء فمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، والثانى أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدّى بعلى (قد جئتكم ببينة من ربكم) أى بمعجزة تدل على صدقى وهى العصا أو جنس المعجزات (فأرسل معى بنى إسرائيل) أى خلهم يذهبوا معى إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم ، وذلك أنه لما توفى يوسف عليه السلام غلب فرعون على بنى إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى ، وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عاما (ونزع يده فإذا هى بيضاء) وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها فى جيبه ، ثم أخرجها وهى بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد بياضا وقيل إنها كانت منيرة شفافة كالشمس ، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه (للناظرين) مبالغة فى وصف يده بالبياض وكان الناس يجتمعون للنظر إليها ، والتعجب منها (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر

لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا
فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

عليم) حكى هذا الكلام هنا عن الملأ وفى الشعراء عن فرعون ، كأنه قاله هووهم ، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك فى اتباعهم لما يقول الملك (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل ، وقيل المراد إخراج بنى إسرائيل وكانوا خدّاما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها (فماذا تأمرون) من قول الملأ أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أى المشاورة أو من الأمر وهو ضد النهى (أرجه) من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فمعناه أخرهما حتى ننظر فى أمرهما ، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن ، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة ، أويكون بمعنى الرجاء أى أطمعه ، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان ، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها الوصل مجرى الوقف (حاشرين) يعنى الشرطة أى جامعين للسحرة (وجاء السحرة فرعون) قيل هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة (إن لنا لأجرا) من قرأه بهمزتين فهو استفهام ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبراً أواستفهاما حذفت منه الهمزة ، والأجر هنا : الأجرة ، طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى ، فأنعم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده (وإنكم لمن المقربين) عطف على معنى نعم كأنه قال نعطيكم أجراً ونقربكم ، واختلف فى عدد السحرة إختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا وكل ذلك لاأصل له فى صحة النقل (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤاهم بإلقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا ، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل ، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الإسمية ، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه (واسترهبوهم) أى خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر (أن ألق عصاك) لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الجبل وقيل إنه طال حتى جاوز الفيل (تلقف) أى تبتلع (مايأفكون) أى ماصوروا من إفكهم وكذبهم وروى أن الثعبان أكل ملء الوادى من حبالهم وعصيهم ومدموسى يده إليه فصار عصا كما كان ، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر ، وليس فى قدرة البشر، فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام (لأقطعن أيديكم) الآية :

وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ * قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا

وعيد من فرعون للسحرة وليس فى القرآن أنه أنفذ ذلك لكن روى أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره ، وقد ذكر معنى من خلاف فى العقود (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) أى لا نبالى بالموت لانقلابنا إلى ربنا (وما تنتقم منا إلا أن آمنا) أى ما تعيب منا إلا إيماننا (ليفسدوا فى الأرض) أى يخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه (ويذرك) معطوف على ليفسدوا ، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو (وآلهتك) قيل إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال أنا ربكم الأعلى ، فآلهتك على هذا هى تلك الأصنام ، وقرأ علىّ بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وإلهتك : أى عبادتك والتذلل لك (إن الأرض لله) تعليل للصبر ولذا أمرهم به يعنى أرض الدنيا هنا وفى قوله «ويستخلفكم فى الأرض» وقيل يعنى أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر فى قوله يورثها من يشاء من عباده ، ثم صرح فى قوله عسى ربكم الآية (فينظر كيف تعملون) حض على الاستقامة والطاعة بالسنين أى الجدب والقحط (فإذا جاءتهم الحسنة) الآية : إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا وبسعدنا ، ونحن مستحقون له وإذا جاءهم الجدب والشدة تطيروا بموسى : أى قالوا هذه بشؤمه ، فإن قيل لم قال إذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة ، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر فعرف الكثير الوقوع باللام التى للعهد ، وذكره بإذا لأنها تقتضى التحقيق وذكر السيئة بإن لأنها تقتضى الشك ونكرها للتعليل (ألا إنما طائرهم عند الله) أى إنما حظهم ونصيبهم الذى قدر لهم من الخير والشر عند الله ، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمى به مايصيب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم . مهما هى ماالشرطية ضمت إليها ما الزائدة نحو أينما ، ثم قلبت الألف هاء ، وقيل هى اسم بسيط غير مركب . والضمير فى به يعود على مهما ، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية ، أوعلى وجه التهكم (فأرسلنا عليهم الطوفان) روى أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة وقيل هو الطاعون (والجراد) هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ وَلَمَّا
وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ
مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ * فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغَٰرِبَهَا الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ
لَّهُمْ قَالُوا يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ
مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ * وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ *
وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ

وأبوابهم وسقف بيوتهم (والقمل) قيل هى صغار الجراد ، وقيل البراغيث ، وقيل السوس ، وقرئ القمل بفتح القاف والتخفيف ، فهى على هذا القمل المعروف ، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم (والضفادع) هى المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم وإذا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه (والدم) صارت مياههم دما فكان يستسقى من البئر القبطى والإسرائيلى فى إناء واحد فيخرج مايلى القبطى دما ، ومايلى الإسرائيلى ماء (ولما وقع عليهم الرجز) أى العذاب وهى الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم ، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم (بما عهد عندك) بدعائك إليه ووسائلك ، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمنن لك أو يتعلق بادع لنا أى توسل إليه بما عهد عندك (فى اليم) البحر حيث وقع (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل (مشارق الأرض ومغاربها) الشام ومصر (باركنا فيها) أى بالخصب وكثرة الأرزاق (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل) أى تمت لهم واستقرت ، والكلمة هنا ماقضى لهم فى الأزل ، وقيل هى قوله : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض (وما كانوا يعرشون) أى يبنون ، وقيل هى الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثانى من العريش (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها) أى اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بنى إسرائيل من هنا إلى قوله وإذ نتقنا الجبل (متبر) من التبار وهو الهلاك (وهو فضلكم على العالمين) وما بعده مذكور فى البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن الثلاثين هى شهر ذى القعدة والعشر بعدها هى العشر الأول من ذى الحجة ، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة فى البقرة (ميقات ربه) أى ماوقت له من الوقت لمناجاته

أُخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ

فى الطور (اخلفنى) أى كن خليفتى على بنى إسرائيل مدة مغيبى (قال رب أرنى) لما سمع موسى كلام الله طمع فى رؤيته ، فسألها كما قال الشاعر :

وأفرح ما يكون الشوق يوما * إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا ، وأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى ، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل ، وتأول الزمخشرى طلب موسى الروية بوجهين : أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بنى إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة ؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا ، والآخر أن معنى أرنى أنظر إليك : عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا وكلا الوجهين بعيد ، والثانى أبعد وأضعف ، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له انظر إلى الجبل الآية (قال لن ترانى) قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن ترانى ، لأنك لا تطيق ذلك ولكن سأتجلى للجبل الذى هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتى أمكن أن ترانى أنت ، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت ، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى ، وقال قوم المعنى سأتجلى لك على الجبل وهذا ضعيف يبطله قوله فلما تجلى ربه للجبل فإذا تقرر هذا ، فقوله تعالى لن ترانى نفى الرؤية ، وليس فيه دليل على أنها محال ، فإنه إنما جعل علة النفى عدم إطاقة موسى الرؤية لاستحالتها ، ولو كانت الرؤية مستحيلة ، لكان فى الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو فى الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك ، وأما فى الآخرة ، فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم و فلا ينكرها إلا مبتدع ، وبين أهل السنة والمعتزلة فى مسئلة الرؤية تنازع طويل ، وفى هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها ، ولما فيه من الأقوال الفاسدة (جعله دكا) أى مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول كقولك ضربت الأمير ، والدك والدق : أخوان ، وهو التفتت ، وقرئ دكاء بالمد والهمز أى أرضا دكا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقى أكثره ، وقيل تفتت حتى صار غبارا ، وقيل ساخ فى الأرض وأفضى إلى البحر (وخر موسى صعقا) أى مغشيا عليه (تبت إليك) معناه تبت من سؤال الرؤية فى الدنيا وأنا لا أطيقها (وأنا أول المؤمنين) أى أول قومه أو أهل زمانه ، أو على وجه المبالغة فى السبق إلى الإيمان (اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) هو عموم يراد به الخصوص ، فإن جميع الرسل قد شاركوه فى الرسالة ، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا ، والصحيح أنه كلم نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء (فخذ ما آتيتك) تأديبا أى اقنع بما أعطيتك من رسالتى وكلامى ولا تطلب غير ذلك (وكتبنا له فى الألواح) أى ألواح التوراة وكانت سبعة ، وقيل عشرة

مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ۞ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ * وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ۞ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ

وقيل اثنان وقيل كانت من زمردة وقيل من ياقوت ، وقيل من خشب (من كل شىء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه فى دينهم ، وكذلك تفصيلا لكل شىء ، وموضع كل شىء نصب على أنه مفعول كتبنا ، وموعظة بدل منه (فخذها بقوة) أى بجد وعزم ، والضمير للتوراة (يأخذوا بأحسنها) أى فيها ماهو حسن وأحسن منه كالقصاص مع العفو ، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أى دار فرعون وقومه وهو مصر ، ومعنى أريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا ، وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها ، وقيل جهنم ، وقرأ ابن عباس سأورثكم بالثاء المثلثة من الوراثة ، وهى على هذا مصدر لقوله وأورثناها بنى إسرائيل (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض) الآيات : يحتمل هنا أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين ، والصرف يراد به حتمهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم ، وقيل الصرف منعهم من إبطالها (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أى ولقاؤهم الآخرة ، أو من إضافة المصدر إلى الظرف (واتخذ قوم موسى) هم بنو إسرائيل (من بعده) أى من بعد غيبته فى الطور (من حليهم) بضم الحاء والتشديد جمع حلى نحو ثدى وثدى ، وقرئ بكسر الحاء للإتباع وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، والحلى هو اسم مايتزين به من الذهب والفضة (جسدا) أى جسما دون روح ، وانتصابه على البدل (له خوار) الخوار هو صوت البقر ، وكان السامرى قد قبض قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقذفه فى العجل فصار له خوار ، وقيل كان إبليس يدخل فى جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار (ألم يروا أنه لا يكلمهم) رد عليهم ، وإبطال لمذهبهم الفاسد فى عبادته (اتخذوه) أى اتخذوه إلها ، فحذف المفعول الثانى للعلم به ، وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى (سقط فى أيديهم) أى ندموا يقال سقط فى يد فلان إذا عجز عما يريد أو وقع فيما يكره (أسفا) شديد الحزن على مافعلوه ، وقيل شديد الغضب كقوله فلما آسفونا (بئسما خلفتمونى) أى قمتم مقامى ، وفاعل بئس مضمر يفسره ماو اسم المذموم محذوف ، والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامرى حيث عبدوا غير الله فى غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بنى إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۞ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۞ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

عبدوا العجل (أعجلتم أمر ربكم) معناه أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل (وألقى الألواح) طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل (وأخذ برأس أخيه) أى شعر رأسه (يجره إليه) لأنه ظن أنه فرط فى كف الذين عبدوا العجل (ابن أم) كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأمه، لأنه أدعى إلى العطف والحنو، وقرئ ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء بالفتح تشبيها بخمسة عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبنى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى لا تظن أنى منهم أو لا تجد على فى نفسك ما تجد عليهم يعنى أصحاب العجل (غضب من ربهم وذلة) أى غضب فى الآخرة وذلة فى الدنيا (ولما سكت عن موسى الغضب) أى سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشرى قوله سكت مثل كأن الغضب كان يقول له ألق الألواح وجر برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك (وفى نسختها) أى فيما ينسخ منها، والنسخة فعلة بمعنى مفعول (لربهم يرهبون) أى يخافون، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله للرؤيا تعبرون، وقال المبرد تتعلق بمصدر تقديره رهبتهم لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة عقابا لهم على قولهم، وقيل إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته، والأول أرجح لقوله فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء، والأول أظهر لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم (لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى) يحتمل أن تكون لو هنا للتمنى أى تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك، لأنه خاف من تشغيب بنى إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإنا عبيدك وتحت قهرك، وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة كأنه قال لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، ولكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحى هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أتهلكنا وتهلك سائر بنى إسرائيل بما فعل السفهاء الذين

الْغَٰفِرِينَ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَهُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَٰةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ

طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل ، فمعنى هذا إدلاء بحجته ، وتبرؤ من فعل السفهاء ، ورغبة إلى الله أن لايعم الجميع بالعقوبة (إن هى إلا فتنتك) أى الأمور كلها بيدك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ومعنى هذا : اعتذار عن فعل السفهاء ، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته (إنا هدنا إليك) أى تبنا ، وهذا الكلام الذى قاله موسى عليه السلام إنما هو استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه ، ولا يقتضى شيئا مما توهم الجهال فيه من الجفاء فى قوله : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لأنا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء (قال عذابى أصيب به من أشاء) قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة ، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم ، وقرئ من أساء . بالسين وفتح الهمزة من الإساءة ، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف (ورحمتى وسعت كل شىء) يحتمل أن يريد رحمته فى الدنيا فيكون خصوصا فى الرحمة وعموما فى كل شىء لأن المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى : تنالهم رحمة الله ونعمته فى الدنيا ، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصا فى كل شىء ، لأن الرحمة فى الآخرة مختصة بالمؤمنين ، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ، فيكون عموما فى الرحمة ، وفى كل شىء (فسأكتبها للذين يتقون) إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهى بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتب بها الله لهم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت رحمة الدنيا ، فهى أيضا مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلا دينهم على جميع الأديان ، ومكن لهم فى الأرض ما لم يمكن لغيرهم وإن كانت على الإطلاق : فقوله سأكتبها تخصيص للإطلاق (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء ، وليس ذلك لغير هذه الأمة (الذين يتبعون الرسول) هذا الوصف خصص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : لما قال الله ورحمتى وسعت كل شىء طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما قال فسأكتبها للذين يتقون فيئس إبليس لعنه الله ، وبقيت اليهود والنصارى (النبى الأمى) أى الذى لايقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم كأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، قال بعضهم : الأمى منسوب إلى الأم وقيل إلى الأمة (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) ضمير الفاعل فى يجدونه لبنى إسرائيل ، وكذلك الضمير فى عندهم ، ومعنى يجدونه يجدون نعته وصفته ولنذكر هنا ماورد فى التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ماورد فى البخارى وغيره أن فى التوراة من صفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى أسميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الأسواق لاتجزى بالسيئة السيئة ، ولكن تعفو وتصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به عيونا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا

ومن ذلك مافى التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن إنّ الملك نزل على إبراهيم فقال له : فى هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك فى إسماعيل وأنا أباركه وأنميه وأكبره وأعظمه بماذا ماذ ، وتفسير هذه الحروف محمد

ومن ذلك فى التوراة إنّ الرب تعالى جاء فى طورسيناء ، وطلع من ساعد وظهر من جبال فاران ، ويعنى بطورسيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام ، وساعد موضع عيسى وفاران هى مكة موضع مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومبعثه ، ومعنى ماذكر من مجئ الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع ، وتفسير ذلك ما فى كتاب شعيا خطابا لمكة : قومى فأزهرى مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك ، فقد تخلل الأرض الظلام ، وعلا على الأمم المصاب ، والرب يشرق عليك إشراقا ، ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوء طلوعك ، ارفعى بصرك إلى ماحولك ، وتأملى فإنهم مستجمعون عندك ، وتحج اليك عساكر الأمم وفى بعض كتبهم لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود ، وامتلأت الأرض من حمده ، لأنه ظهر بخلاص أمته

ومن ذلك فى التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراء لها ملك فقال لها ياهاجر أين تريدين ومن أين أقبلت فقالت أهرب من سيدتى سارة ، فقال لها ارجعى إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، وتكون يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الذى وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو كلمته ، ولم يكن ذلك لاسماعيل ولا لغيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك أيضا فى التوراة أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوتهم ، وأى رجل لم يسمع ذلك الكلام الذى يؤديه ذلك النبى عن الله فينتقم الله منه ، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق ، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبنى قريظة وبنى قينقاع وغيرهم

ومن ذلك فى التوراة : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجبت دعاءك فى إسماعيل ، وباركت عليه وسيلد اثنى عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة

ومن ذلك فى الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذى لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قوله «وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى» وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع

ومن ذلك فى التوراة : مولده بمكة أومسكنه بطيبة وأمته الحامدون ، وبيان ذلك أن أمته يقرؤن الحمد لله فى صلاتهم مرارا كثيرة فى كل يوم وليلة ، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك فى إسلام كعب الأحبار ، وهو من اليمن من حمير أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك ، وقيل كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، قال كعب وكان من أعلم الناس بما

أنزل الله على موسى من التوراة ، وبكتب الأنبياء ، ولم يكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعانى ، فقال يابنى : قد علمت أنى لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم ، إلا أنى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبى يبعث ، وقد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه ؛ وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وطينت عليهما ، فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبى ، فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما ، فإن الله يزيدك بهذا خيرا ، فلما مات والدى لم يكن شىء أحب إلى من أن ينقضى المأتم حتى أنظر ما فى الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا نبى بعده ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتتذلل بالتكبير ألسنتهم ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم بالماء ويأترزون على أوساطهم وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم فى بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم نبى الأم والأب ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم ، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى : والله ما علمنى شيئا خيرا لى من هذا فمكثت ما شاء الله حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وبينى وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه ، وبلغنى أنه خرج فى مكة فهو يظهر مرة ويستخفى مرة ، فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والدى حذرنى وخوفنى من ذكر الكذابين ، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه أتى المدينة فقلت فى نفسى إنى لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل اليه فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى نفسى لعله لم يكن الذى كنت أظن ، ثم بلغنى أن خليفة قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده فقلت فى نفسى لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم ، وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسى بالدخول فى دين الإسلام ، فوالله إنى ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ، فلما سمعت هذه الآية خشيت الله ألا أصبح حتى يحول وجهى فى قفاى ، فما كان شىء أحبّ إلىّ من الصباح ، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت ، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب فى كتاب الله إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يخالف فعله ، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متبادلون ، فقال له عمر : ثكلتك أمك ، أحق ما تقول ؟ قال إى والذى أنزل التوراة على موسى والذى يسمع ما تقول إنه لحق ، فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برحمته التى وسعت كل شىء ، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجذامى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب

بالشام ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إنى مقرّ بالإسلام مصدق ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام ، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أفارق دين محمد أبدا فإنك تعرف أنه النبي الذى بشر به عيسى ابن مريم ، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه فقال قيصر صدق والإنجيل ، يشهد لهذا ما خرجه البخارى ومسلم من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله ، وقال إنه يملك موضع قدمىّ ولو خلصت إليه لغسلت قدميه ، ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش فى التجارة إلى الشام ، قال فإنى لفى سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقى فذهبت أنازعه فقيل لى لا تفعل فإنه لا نصيف لك منه فأدخلنى كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى فجاءنى بزنبيل ومجرفة فقال لى أنقل ما ههنا فجعلت أنظر كيف أصنع ، فلما كان من الهاجرة وافانى وعليه ثوب أرى سائر جسده منه ، فقال أتنك على ما أرى ما نقلت شيئا ، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى فقلت واثكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامته فنشرت دماغه ثم واريته فى التراب وخرجت على وجهى لا أدرى أين أسير فسرت بقية يومى وليلتى من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير فاستظللت بفنائه فخرج إلىّ رجل منه فقال لى يا عبدالله ما يقعدك هنا ، فقلت أضللت أصحابى ، فقال لى ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعينى خائف ، فادخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأتانى بطعام وشراب وأطعمنى ، ثم صعد فىّ النظر وصوّبه ، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب منى ، وإنى لأرى صفتك الصفة التى تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه ، فقلت يا هذا لقد ذهبت بى فى غير مذهب ، فقال لى ما اسمك فقلت عمر ابن الخطاب ، فقال أنت والله صاحبنا فاكتب لى على ديرى هذا وما فيه ، فقلت يا هذا إنك قد صنعت إلىّ صنيعة فلا تكررها ، فقال إنما هو كتاب فى رق ، فان كنت صاحبنا فذلك ، وإلا لم يضرك شىء فكتب له على ديره وما فيه ، فأتانى بثياب ودراهم فدفعها إلىّ ثم أوكف أتاناً فقال لى أتراها فقلت نعم ، قال سر عليها فانك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فاذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فانهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلىّ قال فركبتها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابى وهم متوجهون إلى الحجاز ، فضربتها مدبرة وانطلقت معهم ، فلما وافى عمر الشام فى زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه ، فقال قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه ، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع للمسلمين ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضى الله عنه ورحمه . وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبدالله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

ومن ذلك أن عمرو بن العاصى قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسله إلى عمان واليا عليها فجاءه يوما يهودى من يهود عمان فقال له أنشدك بالله ، من أرسلك إلينا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى والله إنك لتعلم أنه

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ
وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب

رسول الله ، قال عمرو اللهم نعم ، فقال اليهودى لئن كان حقا ماتقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذى قال له اليهودى أن النبى صلى الله عليه وسلم مات فيه . ثم خرج فأخبر بموت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق ووجده قد مات فى ذلك اليوم صلى الله تعالى عليه وسلم وبارك وشرف وكرم (ومن ذلك أن وفد غسان قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيهم أبو بكر الصديق فقال لهم من أنتم ؟ قالوا رهط من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه ، فقال لهم انزلوا حيث تنزل الوفود ، ثم ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه ، فقالوا وهل نقدر على كلامه كما أردنا فتبسم أبو بكر ، وقال إنه ليطوف بالأسواق ويمشى وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه فقالوا لأبى بكر من أنت أيها الرجل ، فقال أنا أبو بكر بن أبى قحافة ، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله ، فقال لهم كيف تخدعون عن الاسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته ، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يحتمل أن يكون هذا من وصف النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير المفعول فى يجدونه ، أو تفسيرا لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور فى التوراة والإنجيل (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مذهب مالك أن الطيبات هى الحلال ، وأن الخبائث هى الحرام ، ومذهب الشافعى أن الطيبات هى المستلذات إلا ماحرمه الشرع منها كالخمر والخنزير ، وأن الخبائث هى المستقذرات : كالخنافس والعقارب وغيرها (ويضع عنهم إصرهم) وهو مثل لما كلفوا فى شرعهم من المشقات كقتل الأنفس فى التوبة ؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب ، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل يوم السبت وشبه ذلك (وعزروه) أى منعوه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو (واتبعوا النور الذى أنزل معه) هو القرآن أو الشرع كله ، ومعنى معه مع بعثه ورسالته (إنى رسول الله إليكم جميعا) تفسيره قوله صلى الله عليه وسلم وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة فإعراب جميعا حال من الضمير فى إليكم (الذى له ملك السموات والأرض) نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (يؤمن بالله وكلماته) هى الكتب التى أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء (ومن قوم موسى أمة) هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم فى عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى عصره (وقطعناهم) أى فرقناهم (أسباطا) السبط فى بنى إسرائيل كالقبيلة فى العرب وانتصابه على البدل من اثنتى عشرة لا على التمييز فإن تمييز اثنتى عشرة

بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ
ٱسْكُنُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ * وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا
ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا
ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ

لا يكون إلا مفردا ،وقال الزمخشرى على التمييز ، لأن كل قبيلة أسباطا لاسبط (فانبجست)أى انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار وقال القزوينى الانبجاس : أول الانفجار (وظللنا عليهم الغمام) ومابعده إلى قوله بما كانوا يظلمون مذكور فى البقرة ﴿تنبيه﴾ وقع الاختلاف فى اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة فى قوله انفجرت وانبجست وقوله وإذ قلنا ادخلوا ، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو وفكلوا بالفاء ، فقال الزمخشرى : لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض ، وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فى كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرة بتعليلات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها (واسئلهم) أى اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ (عن القرية) قيل هى إيلياء ، وقيل هى طبرية ، وقيل مدين (حاضرة البحر) قريبة منه أو على شاطئه (إذ يعدون فى السبت) أى يتجاوزون حد الله فيه ، وهو اصطيادهم يوم السبت « وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما فى يوم السبت ، وتغيب عنهم فى سائر الأيام ، وسبتهم مصدر من قولك سبت اليهودى يسبت إذا عظم يوم السبت ، ومعنى شرعا ظاهرة قريبة منهم يقال شرع منا فلان إذا دنا وإذ فى قوله إذ تأتيهم منصوب بيعدون ، أو بدل من إذ يعدون (وإذ قالت أمة منهم لم تعدون قوما) الآية : افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق : فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكتت واعتزلت ، فلم تنه ولم تعص ، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية : لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم ، فقالت الناهية نهاهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون ، فهلكت الفرقة العاصية ، ونجت الناهية ،واختلف فى الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان (بعذاب بئيس) أى شديد ، وقرئ بالهمز وتركه ، وقرئ على وزن فعيل وعلى وزن فيعل وكلها من معنى البؤس (فلما عتوا عما نهوا عنه) أى لما تكبروا عن ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ
وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ
هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ * وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم

خاسئين) ذكر فى البقرة ، والمعنى أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة ، وقيل فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا ، والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام (ليبعثن عليهم) الآية أى يسلط عليهم ، ومن ذلك أخذ الجزية ، وهوانهم فى جميع البلاد (وقطعناهم فى الأرض) أى فرقناهم فى البلاد ، ففى كل بلدة فرقة منهم ، فليس لهم إقليم يملكونه (منهم الصالحون) هم من أسلم كعبد الله بن سلام أو من كان صالحا من المتقدمين منهم (بالحسنات والسيئات) أى بالنعم والنقم (فخلف من بعدهم خلف) أى حدث بعدهم قوم سوء ، والخلف بسكون اللام ذم ، وبفتحها مدح ، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين ، وقيل المراد النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى عرض الدنيا (ويقولون سيغفر لنا) ذلك اغترار منهم وكذب (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم (ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) إشارة إلى كذبهم فى قولهم سيغفر لنا وإعراب ألا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف عبارة وتفسير (والذين يمسكون بالكتاب) قرئ بالتشديد والتخفيف ؛ وهما بمعنى واحد ، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون ، أو مبتدأ وخبره إنا لانضيع أجر المصلحين ، وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير ، لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) أى اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بنى إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها ، وقد تقدم فى البقرة تفسير الظلة وخذوا ما آتيناكم بقوة (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية : فى معناها قولان : أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه ، روى هذا المعنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم ، والثانى أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم فى الدنيا وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربنا ، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضى أن أخذ الذرية من بنى آدم ، والجمع

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا
مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَاتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

بينهما أنه ذكر بنى آدم فى الآية والمراد آدم كقوله : ولقد خلقناكم ثم صورناكم : الآية ، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته ، وقال الزمخشرى : إن المراد ببنى آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيح المشهور أن المراد جمع بنى آدم حسبما ذكرناه (قالوا بلى شهدنا) قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم ، فإن تقديره أنت ربنا ، فإن بلى بعد التقرير تقتضى الإثبات ، بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضى الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضى النفى ، ولذلك قال ابن عباس فى هذه الآية لو قالوا نعم لكفروا ، وأما قولهم شهدنا : فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله ، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أى شهدنا على بنى آدم باعترافهم (أن تقولوا يوم القيامة) فى موضع مفعول من أجله : أى فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا ، فهو من قول الله لا من قولهم ، وقرئ بالتاء على الخطاب لبنى آدم ، وبالياء على الإخبار عنهم (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال ابن مسعود : هو رجل من بنى إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل ، وأضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون : سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى فالآيات التى أعطيها على هذا القول : هى اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هى ما علمه موسى من الشريعة ، وقيل كان عنده من صحف إبراهيم ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاصى : هو أمية بن أبى الصلت ، وكان قد أوتى علما وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافرا ، وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم ، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعنا منزلته بالآيات التى كانت عنده (ولكنه أخلد إلى الأرض) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله (فمثله كمثل الكلب) أى صفته كصفة الكلب ، وذلك غاية فى الخسة والرداءة (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعترى ذلك الحيوانات مع الحر والتعب ، وهى حالة دائمة للكلب ، ومعنى إن تحمل عليه إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال ، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال ، فضلالته على كل حال

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۞ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ

كما أنّ لهث الكلب على كل حال وقيل إنّ ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب فى صورته ولهثه حقيقة (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى صفة المكذبين كصفة الكلب فى لهثه وكصفة الرجل المشبه به لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا ، وإن تركوا لم يهتدوا ، وشبههم بالرجل فى أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم ، كما أنّ الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم) الآية : قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر (كثيرا من الجن والإنس) هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم ، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء فى قوله هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى (لا يبصرون بها) ليس المعنى نفى السمع والبصر جملة ، وإنما المعنى نفيها عما ينفع فى الدين (ولله الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة . وسبب نزول الآية : أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة ، والرحمن أخرى ، فقال يزعم محمد أنّ الإله واحد وهاهو يعبد آلهة كثيرة ، فنزلت الآية مبينة أنّ تلك الأسماء الكثيرة هى لمسمى واحد ، والحسنى مصدر وصف به أو تانيث أحسن وحسن أسماء الله هى أنها صفة مدح وتعظيم وتحميد (فادعوه بها) أى سموه بأسمائه ، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى ، فأما ماورد منها فى القرآن أو الحديث ، فيجوز إطلاقه على الله إجماعا وأما مالم يرد وفيه مدح لاتتعلق به شبهة ، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعرى وغيره ، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد فى القرآن والحديث ، وقد ورد فى كتاب الترمذى عدتها أعنى تعيين التسعة والتسعين ، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو موقوفة على أبى هريره ، وإنما الذى ورد فى الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) قيل معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم ، فالآية على هذا منسوخة بالقتال ، وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله : وذرنى والمكذبين ، وهو الأظهر لما بعده وإلحادهم فى أسماء الله : هو ماقال أبو جهل فنزلت الآية بسببه ، وقيل تسميته بمالا يليق ، وقيل تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز (وممن خلقنا أمة) الآية روى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : هذه الآية لكم ، وقد تقدم مثلها لقوم موسى (سنستدرجهم) الاستدراج استفعال من الدرجة أى نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شىء وهم لايشعرون ،

إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ
قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۞ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ *
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞
قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ
السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة (إنّ كيدى متين) سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد فى أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (أو لم يتفكروا مابصاحبهم من جنة) يعنى بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفى عنه مانسب له المشركون من الجنون ، ويحتمل أن يكون قوله مابصاحبهم من جنة معمولا لقوله أو لم يتفكروا فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن مابصاحبهم من جنة ، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم فى قوله : أولم يتفكروا ثم ابتدأ إخبارا استئنافا لقوله مابصاحبهم من جنة ، والأول أحسن (أو لم ينظروا) يعنى نظر استدلال (ماخلق الله) عطف على الملكوت ويعنى بقوله من شيء : جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أن الأولى مخففة من الثقيلة ، وهى عطف على الملكوت ، وأن الثانية مصدرية فى موضع رفع بعسى ، وأجلهم يعنى موتهم ، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب ، فينبغى لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل (فبأىّ حديث بعده) الضمير للقرآن (يسألونك عن الساعة) السائلون اليهود أو قريش ، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب (أيان مرساها) معنى أيان : متى ، ومرساها : وقوعها وحدوثها ، وهى من الإرساء بمعنى الثبوت (قل إنما علمها عند ربى) أى استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد (لا يجليها لوقتها إلا هو) معنى يجليها يظهرها ، فهو من الجلاء ضدّ الخفاء ، واللام فى لوقتها ظرفية : أى عند وقتها ، والمعنى لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله (ثقلت فى السموات والأرض) فى معناه ثلاثة أقوال : الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها ، والثانى ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض ، والثالث معنى ثقلت : أى ثقل علمها أى خفى (يسألونك كأنك حفى عنها) الحفىّ بالشيء هو المهتبل به المعتنى به ، والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفىّ بعلمها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفىّ بهم لقرابتك منهم ، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسئلونك ، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفى بالسؤال عنها (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) براءة من علم الغيب ، واستدلال على عدم علمه (وما مسنى السوء) عطف على لاستكثرت من الخير أى لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير ، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصيبنى ماقدر لى من الخير والشر ، وقيل إن قوله وما مسنى السوء : استئناف إخبار ، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا أى أبشر المؤمنين

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّا ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَا ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ
شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ
سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا

وأنذرهم ، وخص بهم البشارة والنذارة ، لأنهم هم الذين ينتفعون بها ، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ، ويكون المتعلق بنذير محذوف أى نذير للكافرين ، والأوّل أحسن (من نفس واحدة) يعنى آدم (زوجها) يعنى حوّاء (ليسكن إليها) يميل إليها ويستأنس بها (تغشاها) كناية عن الجماع (حملت حملا خفيفا) أى خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحوامل من حملهنّ من الأذى والكرب ، وقيل الحمل الخفيف المنى فى فرجها (فمرّت به) قيل معناه استمرّت به إلى حين ميلاده ، وقيل معناه قامت وقعدت (فلما أثقلت) أى ثقل حملها وصارت به ثقيلة (لئن آتيتنا صالحا) أى ولدا صالحا سالما فى بدنه (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أى لما آتاهما ولدا صالحا كما طلبا : جعل أولادهما له شركاء فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك فيما آتاهما : أى فيما آتى أولادهما وذريتهما ، وقيل إن حوّاء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعتينى وسميت ما فى بطنك عبد الحارث ، فسأخلصه لك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن عصيتينى فى ذلك قتلته ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها إنه عدوّنا الذى أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا فى حياته ، فقوله جعلا له شركاء فيما آتاهما : أى فى التسمية لا غير ، لا فى عبادة غير الله ، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه : أحدها أنه يقتضى براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والثانى أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى : فتعالى الله عما يشركون بضمير الجمع ، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح ، وهو غير موجود فى تلك القصة ، وقيل من نفس واحدة هو قصى بن كلاب وزوجته وجعلا له شركاء أى سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف ، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصى من قريش والظاهر أن الخطاب عام لبنى آدم ، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها ، فإن هذا يصح فى حوّاء لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح فى زوجة قصى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) هذه الآية ردّ على المشركين من بنى آدم ، والمراد بقوله ما لا يخلق شيئا الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله ، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يعنى أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ، ولا ينصرون أنفسهم فهم فى غاية العجز والذلة ، فكيف يكونون آلهة (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) يعنى أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدى أو إلى أن تهدى ، لأنها جمادات (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) تأكيد وبيان لما قبلها ، فإن قيل : لم قال أم أنتم صامتون فوضع الجملة الإسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قال أو صمتم؟ فالجواب إن صمتم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة ، فعبر هنا

لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ
ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ
لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۞ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ *

بجملة إسمية لتقتضى الاستمرار على ذلك (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) رد على المشركين بأن آلهتهم عباد ؛ فكيف يعبد العبد معربه (فادعوهم فليستجيبوا) أمر على جهة التعجيز (ألهم أرجل يمشون بها) ومابعده : معناه أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة ، ومن كان كذلك : لايكون إلها ، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة ؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام ، لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لاتمشى ولاتبطش ، ولاتبصر ، ولاتسمع ، فلزمته الحجة ، والهمزة فى قوله «ألهم» للاستفهام مع التوبيخ ، وأم فى المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة ، ومعنى بل وليست عاطفة (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) المعنى استنجدوا أصنامكم لمضرتى والكيد علىّ ، ولا تؤخرونى ، فإنكم وأصنامكم لاتقدرون على مضرتى ، ومقصد الآية الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على المضرة ، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لايقدر على شىء ثم أفصح بذلك فى قوله (إن ولى الله) الآية : أى هو حافظى وناصرى منكم فلا تضرونى ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرتى ، ثم وصف الله بأنه الذى أنزل الكتاب ، وبأنه يتولى الصالحين ، وفى هذين الوصفين استدلال على صدق النبى صلى الله عليه وسلم بإنزال الكتاب عليه ، وبأن الله تولى حفظه ، ومن تولى حفظه فهو من الصالحين والصالح لابد أن يكون صادقا فى قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم) الآية : رد على المشركين ، وقد تقدم معناه (وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا) يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيراً لهم ، وردّا على من عبدها ، فإنها جمادات لاتسمع شيئا ، فيكون المعنى كالذى تقدم ، أو يريد الكفار ، ووصفهم بأنهم لايسمعون يعنى سماعا ينتفعون به ، لإفراط نفورهم ، أو لأن الله طبع على قلوبهم (وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون) إن كان هذا من وصف الأصنام ، فقوله ينظرون مجاز ، وقوله لايبصرون حقيقة ، لأن لهم صورة الأعين وهم لايرون بها شيئا ، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجازا على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لايسمعون (خذ العفو) فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من الناس فى أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ماتيسر لا مايشق عليهم ، لئلا ينفروا فالعفو على هذا يعنى السهل والصفح عنهم ، وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر ۞ خذى العفو منى تستديمى مودتى ۞

والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ماسهل على الناس فى أموالهم أو مافضل لهم ، وذلك قبل فرض الزكاة ، فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة (وأمر بالعرف) أى بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو الجارى بين الناس من العوائد ، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد (وأعرض عن الجاهلين) أى لاتكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم ، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۞ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ

عليه وآله وسلم جبريل عنها ، فقال لاأدرى حتى أسأل ؛ ثم رجع فقال يامحمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بمكارم الأخلاق ، وهى على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح ، وقيل كانت مداراة للكفار ، ثم نسخت بالقتال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك فى الحق والأمر بالمعاصى أو تحريك العضب ، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد فى الحديث أن رجلا اشتد غضبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مابه : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم (طائف من الشيطان) معناه لمة منه ، كما جاء إنّ للشيطان لمة والملك لمة ، ومن قرأ طائف بالألف ، فهو اسم فاعل ومن قرأ طيف بياء ساكنة ، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد ، كميت وميت (تذكروا) حذف مفعوله ليعم كل مايذكر من خوف عقاب الله ، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياء منه ، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك (فإذا هم مبصرون) هو من بصيرة القلب (وإخوانهم يمدونهم فى الغىّ) الضمير فى إخوانهم للشياطين ، وأريد بقوله طائف من الشيطان : الجنس ، ولذلك أعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم : يكونون مددا لهم : يعضدونهم ، وضمير المفعول فى يمدونهم للكفار ، وضمير الفاعل للشيطان ، ويحتمل أن يريد بالإخوان : الشياطين ، ويكون الضمير فى إخوانهم للكفار ، والمعنى على الوجهين : أنّ الكفار يمدهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها ، والمعنى واحد ، وفى الغىّ يتعلق بيمدونهم ، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة فى الله ، أو فى الشيطان (ثم لا يقصرون) أى لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار أولا يقصر الكفار عن غيهم ، وفى الآية من إدراك البيان لزوم مالا يلزم بالالتزام الصاد قبل الراء فى مبصرون ولا يقصرون (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) الضمير فى لم تأتهم للكفار ، ولولا هنا عوض ، وفى معنى اجتبيتها قولان : أحدهما اخترعتها من قبل نفسك ، فالآية على هذا من القرآن ، وكان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يتأخر عنه الوحى أحيانا ، فيقول الكفار هلا جئت بقرآن من قولك ، والآخر معناه طلبتها من الله ، وتخيرتها عليه ، فالآية على هذا معجزة ، أى يقولون اطلب المعجزة من الله (قل إنما أتبع مايوحى إلى من ربى معناه لاأخترع القرآن على القول الأول ولاأطلب آية من الله على القول الثانى (هذا بصائر) أى علامات هدى والاشارة إلى القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) فيه ثلاثة أقوال ؛ أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام فى الصلاة ، والثانى أنه الإنصات للخطبة ، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الاطلاق وهو الراجح لوجهين : أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثانى أن الآية مكية ، والخطبة إنما

وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ *

سورة الأنفال

مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *

شرعت بالمدينة (لعلكم ترحمون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول؛ عطف متغاير أى حالة أخرى، وعلى الثانى يكون بيانا وتفسيرا للأول (بالغدو والآصال) أى فى الصباح والعشى والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفى ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمعنى الحصر أى لا يسجدون إلا لله والله أعلم

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة فى غزوة بدر وغنائمها (يسألونك عن الأنفال) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هى الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسئلونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس، أو من رأس الغنمة، قبل إخراج الخمس (قل الأنفال لله والرسول) أى الحكم فيهما لله والرسول لا لكم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اتفقوا وائتلفوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشرى، وقال ابن عطية يراد بها فى هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيرى إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد فى الحكم فى الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أى الكاملون الإيمان فانما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر (وجلت قلوبهم) أى خافت وقرأ أبى بن كعب فزعت (زادتهم إيماناً) أى قوى تصديقهم ويقينهم

أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۞ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ

خلافاً لمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن زيادته إنما هى بالعمل (لهم درجات) يعنى فى الجنة (كما أخرجك ربك) فيه ثلاث تأويلات أحدها أن تكون الكاف فى موضع رفع على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة تنفيل الغنائم كحالهم فى حالة خروجك للحرب ، والثانى أن يكون فى موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدّر فى قوله الأنفال لله والرسول أى استقرت الأنفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك ، والثالث أن تتعلق الكاف بقوله يجادلونك (من بيتك) يعنى مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) أى كرهوا قتال العدو ، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة ، ومعها أربعون راكباً فأخبر بذلك جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا وخرجوا فى عدد كثير ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين ، إما العير وإما قريش ، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقالوا العير أحب إلينا من لقاء العدو ، فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقال له سعد بن عبادة : امض لما شئت فإنا متبعوك وقال سعد بن معاذ والذى بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله (يجادلونك فى الحق بعد ما تبين) كان جدالهم فى لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أموالا وأقل رجالا ؛ وتبين الحق : هو إعلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنهم ينصرون (كأنما يساقون إلى الموت) تشبيه لحالهم فى إفراط جزعهم من لقاء قريش (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) يعنى قريش أو عيرهم ، والعامل فى إذ محذوف تقديره اذكروا (أنها لكم) بدل من إحدى الطائفتين (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة عبارة عن السلاح . سميت بذلك لحدتها ، والمعنى تحبون أن تلقوا الطائفة التى لا سلاح لها وهى العير (أن يحق الحق) يعنى يظهر الإسلام بقتل الكفار وإهلاكهم يوم بدر (ليحق الحق) متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك وليس تكرارا للأول لأن الأول مفعول يريد ، وهذا تعليل لفعل الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالحق الأول الوعد بالنصرة ، وبالحق الثانى الإسلام . فيكون المعنى أن نصرهم ، ليظهر الإسلام ، ويؤيد هذا قوله : ويبطل الباطل أى يبطل الكفر (إذ تستغيثون ربكم) إذ بدل من إذ يعدكم : وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق أو بفعل مضمر واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر (ممدكم) أى مكثركم (مردفين) من قولك ردفه إذا تبعه ، وأردفته إياه إذا أتبعته إياه والمعنى يتبع بعضهم بعضا ، فمن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول ، ومن قرأه بالكسر فهو

به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام * إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب *

اسم فاعل ، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضا فهم تابعون ومتبوعون (وما جعله الله) الضمير عائد على الوعد ، أو على الإمداد بالملائكة (إذ يغشيكم النعاس) إذ بدل من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر ، أو بما عند الله من معنى النصر ، أو بإضمار فعل تقديره اذكر ، ومن قرأ يغشاكم بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى ، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشى المشدد ، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين فنصب النعاس على أنه المفعول والثاني ، والمعنى يغطيكم به فهو استعارة ، من الغشاء ، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشى المتعدى إلى واحد أي ينزل عليكم النعاس (أمنة منه) أي أمناً ، والضمير المجرور يعود على الله تعالى ، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله قال ابن مسعود النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) تعديد لنعمة أخرى ، وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر ، وقيل بعد وصولهم ، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية (ليطهركم به) كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر ، وتوضأ به سائرهم ، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء (ويذهب عنكم رجز الشيطان) كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء ، فقالوا نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقى بلا ماء ، فأنزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان (وليربط على قلوبكم) أي يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها (ويثبت به الأقدام) الضمير في به عائد على الماء ، وذلك أنهم كانوا في رملة دهمة لا يثبت فيها قدم ، فلما نزل المطر تلبدت وتدقت الطريق ، وسهل المشي عليها والوقوف ، وروى أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبين أن ذلك من لطف الله (إذ يوحي) يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذ المتقدمة كما أنها بدل من التي قبلها ، أو يكون العامل فيه يثبت (فثبتوا الذين آمنوا) يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذا تصوروا بصور بني آدم أو بإلقاء الأمن في نفوس المؤمنين (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلا لتثبيت المؤمنين ، أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل (فاضربوا فوق الأعناق) يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أو للمؤمنين ، ومعنى فوق الأعناق أي على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبح ، والضرب فيها يطير الرأس ، وقيل المراد الرءوس ، لأنها فوق الأعناق ، وقيل المراد الأعناق وفوق زائدة (كل بنان) قيل هي المفاصل ، وقيل الأصابع وهو الأشهر في اللغة ، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) الإشارة إلى ما أصاب

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ
ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ * إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ

الكفار يوم بدر ، والباء للتعليل ، وشافوا من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة (ذلكم فذوقوة) الخطاب هنا للكفار ، وذلكم مرفوع تقديره ذلكم العقاب أو العذاب ، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله : فذوقوه ، كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم عل تقدير رفعه ، أونصبه ، أو مفعول معه ، والواو بمعنى مع (زحفا) حال من الذين كفروا ، أو من الفاعل فى لقيتم ، ومعناه متقابلى الصفوف والأشخاص ، وأصل الزحف الاندفاع (فلا تولوهم الأدبار) نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثلى المسلمين حسبما يذكره فى موضعه (ومن يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء فى أى عصر كان (إلا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر ليرى عدوه أنه منهزم ، ثم يعطف عليه ، وذلك من الخداع فى الحرب (أو متحيزا إلى فئة) أى منحازا إلى جماعة من المسلمين ، فإن كانت الجماعة حاضرة فى الحرب ، فالتحيز إليها جائز باتفاق ، واختلف فى التحيز إلى المدينة ، والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا ، ويروى عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : أنا فئة لكل مسلم ، وهذا إباحة لذلك ، والفرار من الذنوب الكبائر ، وانتصب قوله متحرفا على الاستثناء من قوله ومن يولهم ، وقال الزمخشرى انتصب على الحال وإلا لغو ، ووزن متحيز متفيعلا ، ولو كان على متفعل لقال متحوز ، لأنه من حاز يحوز (فلم تقتلوهم) أى لم يكن قتلهم فى قدرتكم لأنهم أكثر منكم وأقوى ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وبالملائكة (ومارميت إذ رميت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا ، فمعنى الآية أن ذلك من الله فى الحقيقة (بلاء حسنا) يعنى الأجر والنصر والغنيمة (موهن) من الوهن وهو الضعف ، وقرئ بالتشديد والتخفيف وهو بمعنى واحد (إن تستفتحوا) الآية : خطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه ، وروى أن الذى دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين ، وفتح لهم ، ومعنى إن تستفتحوا تطلبوا الفتح ، ويحتمل أن يكون الفتح الذى طلبوه بمعنى النصر أو بمعنى الحكم ، وقيل إن الخطاب للمؤمنين (فقد جاءكم الفتح) إن كان الخطاب للكفار فالفتح هنا بمعنى الحكم : أى قد جاءكم الحكم الذى حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر ، وإن كان الخطاب للمؤمنين ، فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم ، لأن الله حكم لهم ، أو بمعنى النصر (وإن تنتهوا) أى ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار (وإن تعودوا نعد) أى إن تعودوا إلى الاستفتاح أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم (ولا تولوا عنه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو للأمر

قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۞ يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ
خَآصَّةً وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ * يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ۞ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَٰكِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَإِذْ
قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَا كَانَ

بالطاعة (وأنتم تسمعون) أى تسمعون القرآن والمواعظ (كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) هم الكفار سمعوا بآذانهم دون قلوبهم فسماعهم كلا سماع (إن شر الدواب) أى كل من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية فى بنى عبد الدار، فانهم جدوا فى القتال مع المشركين (لما يحييكم) أى للطاعة، وقيل للجهاد لأنه يحيا بالنصر (يحول بين المرء وقلبه) قيل يميته، وقيل يصرف قلبه كيف يشاء فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان وشبه ذلك (فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم، وإن كان لم يظلم، وحكى الطبرى أنها نزلت فى على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون فى تصيبن لأنه بمعنى النهى (إذ أنتم قليل) الآية: أى حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة، وأيدكم بنصره فى بدر وغيرها (لا تخونوا الله) نزلت فى قصة أبى لبابة حين أشار إلى بنى قريظة أن ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذبح، وقيل المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم ولفظها عام (وتخونوا أماناتكم) عطف على لا تخونوا أو منصوب (يجعل لكم فرقانا) أى تفرقة بين الحق والباطل وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد فى العلم والمعرفة (وإذ يمكر بك الذين كفروا) عطف على إذ أنتم قليل، أو استئناف، وهى إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس فى صورة شيخ نجدى الحديث بطوله (ليثبتوك) أى ليسجنونك (قالوا قد سمعنا) قيل نزلت فى النضر بن الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل هى فى سائر قريش (أساطير الأولين) أى أخبارهم المسطورة (وإذ قالوا اللهم) الآية: قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم دعوا على أنفسهم إن كان أمره

اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۞
لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ۞ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ۞
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَإِن تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

هو الحق ، والصحيح أن الذى دعا بذلك أبو جهل رواه البخارى ومسلم فى كتابيهما وانتصب الحق لأنه خبر كان وقال الزمخشرى معنى كلامهم جحود أى إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره ، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا ، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم ، إنما مرادهم نفى العقوبة عن أنفسهم (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) إكراما للنبى صلى الله عليه وسلم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أى لو آمنوا واستغفروا فان الاستغفار أمان من العذاب ، قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الأمان الواحد ، وبقى الآخر ، وقيل الضمير فى يعذبهم للكفار ، وفى وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم (وما لهم ألا يعذبهم الله) المعنى أى شىء يمنع من عذابهم وهم يصدون أى يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام والجملة فى موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم (وما كانوا أولياءه) الضمير للمسجد الحرام أو لله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) المكاء التصفير بالفم ، والتصدية التصفيق باليد . وكانوا يفعلونهما إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم (ينفقون أموالهم) الآية نزلت فى إنفاق قريش فى غزوة أحد وقيل إنها نزلت فى أبى سفيان بن حرب فانه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد (تكون عليهم حسرة) أى يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة أو يتأسفون فى الآخرة (ثم يغلبون) إخبار بالغيب (ليميز الله الخبيث من الطيب) معنى يميز يفرق بين الخبيث والطيب والخبيث هنا الكفار والطيب المؤمنون وقيل الخبيث ماأنفقه الكفار ، والطيب ماأنفقه المؤمنون ، واللام فى ليميز على هذا تتعلق بيغلبون ، وعلى الأول بيحشرون (فيركمه) أى يضمه ويجعل بعضه فوق بعض (إن ينتهوا) يعنى عن الكفر إلى الإسلام لأن الإسلام يجب ماقبله ، ولا تصح المغفرة إلا به (وإن يعودوا) يعنى إلى القتال (فقد مضت سنة الأولين) تهديد بما جرى لهم يوم بدر وبما جرى للأمم السالفة (حتى لا تكون فتنة) الفتنة هنا الكفر ، فالمعنى قاتلوهم حتى لا يبقى كافر ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (واعلموا

وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ

أنما غنمتم من شيء) لفظه عام يراد به الخصوص لأن الأموال التى تؤخذ من الكفار منها ما يخمس : وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال ، ومنها ما لا يخمس بل يكون جميعه لمن أخذه، وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجاف ، وما طرحه العدو خوف الغرق ، ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته، ويصرف سائره فى مصالح المسلمين وهى الفىء الذى لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (فإن لله خمسه) الآية: اختلف فى قسم الخمس على هذه الأصناف فقال قوم يصرف على ستة أسهم سهم لله فى عمارة الكعبة ، وسهم للنبى صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين ، وقيل للوالى بعده ؛ وسهم لذوى القربى الذين لا تحل لهم الصدقة ، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل وقال الشافعى على خمسة أسهم ، ولا يجعل لله سهما مختصا ، وإنما بدأ عنده بالله ، لأن الكل ملكه ، وقال أبو حنيفة على ثلاثة أسهم: لليتمى، والمساكين ، وابن السبيل، وقال مالك الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقى فى المصالح (إن كنتم آمنتم بالله) راجع إلى ما تقدم والمعنى إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم والذى أنزل عليه القرآن والنصر (يوم الفرقان) أى التفرقة بين الحق والباطل وهو يوم بدر (التقى الجمعان) يعنى المسلمين والكفار (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) العامل فى إذ التقى والعدوة شفير الوادى، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان، والدنيا القريبة من المدينة والقصوى البعيدة (والركب أسفل منكم) يعنى العير التى كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبى صلى الله عليه وسلم، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) أى لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه (ليهلك من هلك عن بينة) أى يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة الحجة عليه ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل ليهلك من يكفر ويحيى من يؤمن، وقرئ من حيى بالإظهار والإدغام وهما لغتان (إذ يريكهم الله) الآية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى الكفار فى نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم (لفشلتم) أى جبنتم عن اللقاء (وإذ يريكموهم) الآية معناها أن الله أظهر كل طائفة قليلة فى عين الأخرى ليقع التجاسر على القتال (ريحكم)

عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۞ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۞ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

أى قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى كفار قريش حين خرجوا لبدر (بطرا) أى عتواً وتكبراً (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية: لما خرجت قريش الى بدر تصور لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك فقال لهم إنى جار لكم من قومى وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر (نكص) أى رجع إلى وراء (إنى أرى مالا ترون) رأى الملائكة تقاتل (يقول المنافقون) الذين كانوا بالمدينة وقيل الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن ربيعة بن الأسود وعلى بن أمية بن خلف والعاصى بن أمية بن الحجاج وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة (غر هؤلاء دينهم) أى اغترّ المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لاطاقة لهم به (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ذلك فيمن قتل يوم بدر (وأدبارهم) أى إستاههم، وقيل ظهورهم (وذوقوا) هذا من قول الملائكة لهم تقديره ويقولون لهم ذوقوا والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون مابعده من قول الملائكة أو يكون مستأنفا (ذلك بأن الله) تقديره عند سيبويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى أن الله لا يغير نعمة على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصى (كدأب) ذكر فى آل عمران (الذين عاهدت منهم) يريد بنى قريظة (فشرد بهم من خلفهم) أى افعل بهم من النقمة مايزجر غيرهم (وإما تخافن من قوم خيانة) أى نقضا للعهد (فانبذ إليهم) أى رد العهد الذى بينك وبينهم والمفعول محذوف تقديره فانبذ إليهم عهدهم (على سواء)

الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن
يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ
اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ
عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا

أى على معادلة ، وقيل معناه إن تستوى معهم فى العلم بنقض العهد (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا) أى لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم (أنهم لا يعجزون) أى لا يفوتون فى الدنيا ولا فى الآخرة (وأعدوا لهم) الضمير للذين ينبذ لهم العهد أو للذين لا يعجزون ، وحكمه عام فى جميع الكفار (من قوة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا إن القوة الرمى » (ومن رباط الخيل) قال الزمخشرى الرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله وقال ابن عطية رباط الخيل جمع ربط أو مصدر (عدو الله وعدوكم) يعنى الكفار (وآخرين) يعنى المنافقين ، وقيل بنى قريظة ، وقيل الجن لأنها تنفر من صهيل الخيل ، وقيل فارس ، والأول أرجح لقوله مردوا على النفاق (لا تعلمونهم الله يعلمهم) قال السهيلى : لا ينبغى أن يقال فيهم شىء ، لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم ، فكيف يعلمهم أحد ، وهذا لا يلزم ، لأن معنى قوله لا تعلمونهم : لا تعرفونهم : أى لا تعرفون آحادهم وأعيانهم وقد يعرف صنفهم من الناس ، ألا ترى أنه قال مثل ذلك فى المنافقين (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) السلم هنا المهادنة ، والآية منسوخة بآية القتال فى براءة ، لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز (وألف بين قلوبهم) قيل المراد بين قلوب الأوس والخزرج إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام ، واللفظ عام (ومن اتبعك من المؤمنين) عطف على اسم الله ، وقال الزمخشرى مفعول معه والواو بمعنى مع أى حسبك وحسب من اتبعك الله (إن يكن منكم عشرون صابرون) الآية : إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجود ثبوت الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للاثنين (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أى يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون (ما كان لنبى أن يكون له أسرى) لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحياتهم ، وأشار عمر بقتلهم . فنزلت الآية عتابا على استبقائهم (حتى يثخن فى الأرض) أى يبالغ فى القتال (تريدون عرض الدنيا) عتاب لمن رغب فى فداء الأسرى (لولا كتاب من الله سبق) الكتاب ما قضاه الله فى الأزل من العفو عنهم ، وقيل ما قضاه الله

مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ *

من تحليل الغنائم لهم (فيما أخذتم) يريد به الأسرى وفداؤهم ، ولما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك ياعمر (فكلوا مما غنمتم) إباحة للغنائم ولفداء الأسارى (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا) أى إن علم فى قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية ، قال العباس فىّ نزلت وكان قد افتدى يوم بدر ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال مالا يقدر أن يحمله ، فقال قد أعطانى الله خيراً مما أخذ منى ، وأنا أرجو أن يغفر لى (وإن يريدوا خيانتك) الآية تهديد لهم (إن الذين آمنوا) إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا ولم يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية ، فبدأ أولا بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم ، وهى ولاية التعاون ثم نسخت بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (وإن استنصروكم) لما نفى الولاية بين المؤمنين والتناصر ، وقيل هى ولاية الميراث الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا : أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين : إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم (إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض) إلا هنا مركبة من إن الشرطية ولا النافية والضمير فى تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم أو لحفظ الميثاق الذى فى قوله : إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو النصر الذى فى قوله فعليكم النصر ، والمعنى إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة (والذين آمنوا وهاجروا) الآية : ثناء على المهاجرين والأنصار ، ووعدهم ، والرزق الكريم فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) يعنى الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) قيل هى ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار ، قال مالك ليست فى الميراث ، وقال أبو حنيفة هى فى الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوى الأرحام (فى كتاب الله) أى القرآن وقيل اللوح المحفوظ .

سـورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها ١٢٩ : نزلت بعد المائدة

بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكَٰفِرِينَ * وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَبَشِّرِ

﴿سـورة براءة﴾

وتسمى سورة التوبة ، وتسمى أيضا الفاضحة : لأنها كشفت أسرار المنافقين ، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها ، واختلف فى سبب ذلك ، فقال عثمان بن عفان اشتبهت معانيها بمعانى الأنفال وكانت تدعى القرينتين فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما فوضعتهما فى السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان أو سورة واحدة فتركت البسملة بينهما لذلك وقال على بن أبى طالب البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالأمان (براءة من الله ورسوله) المراد بالبراءة التبرؤ من المشركين وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ (إلى الذين عاهدتم من المشركين) تقدير الكلام براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فمن وإلى يتعلقان بمحذوف لا ببراءة ، وإنما أسند العهد إلى المسلمين فى قوله عاهدتم ، لأن فعل النبى صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين ، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى آجال محدودة ، فمنهم من وفى فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته ، ومنهم من نقض ، أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر ، وبعدها لا يكون له عهد (فسيحوا فى الأرض) أى سيروا آمنين أربعة أشهر وهى الأجل الذى جعل لهم ، واختلف فى وقتها فقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة ، وقيل هى من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر ، لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تلك السنة أبا بكر الصديق يحج بالناس ثم بعث بعده على بن أبى طالب فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر (غير معجزى الله) أى لا تفوتونه (وأذان) أى إعلام ببرئ الله تعالى ورسوله من المشركين (إلى الناس) جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين ، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس : من عاهد ، ومن لم يعاهد ، والمشركين وغيرهم (الحج الأكبر) هو يوم عرفة أو يوم النحر ، وقيل أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجمل ، وكانت أياما كثيرة (أن الله برىء من المشركين) تقديره أذان بأن الله برىء ، وحذفت الباء تخفيفا ، وقرئ إن الله بالكسر ، لأن الأذان فى معنى القول (ورسوله) ارتفع بالعطف على الضمير فى برىء ، أو بالعطف على موضع اسم إن ، أو بالابتداء وخبره محذوف وقرئ بالنصب عطف على اسم إن ، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد ويجوز على الجوار أو القسم ، وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة (فإن تبتم) يعنى التوبة من الكفر (إلا الذين

الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا
عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۞ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ
اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ۞ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *
وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ۞

عاهدتم) يريد الذين لم ينقضوا العهد (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) يعنى الأشهر الأربعة التى جعلت لهم ، فمن قال إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهى الحرم المعروفة زاد فيها شوال ونقص رجب ، وسميت حرما تغليبا للأكثر ومن قال إنها إلى ربيع الثانى : فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ناسخة لكل موادعة فى القرآن وقيل إنها نسخت أيضا فإمامنا بعد وإما فداء ، وقيل بل نسختها هى فيجوز المن والفداء (وخذوهم) معناه الأسر ، والأخيذ هو الأسير (كل مرصد) كل طريق ونصبه على الظرفية (فإن تابوا) يريد من الكفر ، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة ، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، والآية فى معنى قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » (فخلوا سبيلهم) تأمين لهم (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره) هو من الجوار أى استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم أم لا (ثم أبلغه مأمنه) أى إن لم يسلم فرده إلى موضعه ، وهذا الحكم ثابت عند قوم ، وقال قوم نسخ بالقتال (كيف يكون للمشركين عهد) لفظ استفهام ، ومعناه استنكار واستبعاد (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قيل المراد قريش ، وقيل قبائل بنى بكر (فما استقاموا) ما ظرفية (كيف) تأكيد للأولى ، وحذف الفعل بعدها للعلم به تقديره كيف يكون لهم عهد (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (إلا ولا ذمة) الإل القرابة ، وقيل الحلف ، والذمة العهد (وأكثرهم فاسقون) استثنى من قضى له بالإيمان (أئمة الكفر) أى رؤساء أهله قيل إنهم أبو جهل لعنه الله ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وحكى ذلك الطبرى وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قدمات قبل نزول هذه السورة ، والأحسن أنها على العموم (لا أيمان

أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۙ
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ
لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۞
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم
بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

لهم) أى لا أيمان لهم يوفون بها ، وقرئ لا إيمان بكسر الهمزة (لعلهم ينتهون) يتعلق بقاتلوا (وهموا بإخراج الرسول) قيل يعنى إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأحد ، وقيل يعنى إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه (وهم بدءوكم أول مرة) يعنى إذايتهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بمكة (يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالقتل والأسر وفى ذلك وعد للمسلمين بالظفر (قوم مؤمنين) قيل إنهم خزاعة والإطلاق أحسن (ويتوب الله) استئناف إخبار فإن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم (أم حسبتم) الآية : معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث ، وأم هنا بمعنى بل والهمزة ، (يعلم الله) أى يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة (وليجة) أى بطانة (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أى ليس لهم ذلك بالحق والواجب وإن كانوا قد عمروها تغليبا وظلما ، ومن قرأ مساجد بالجمع أراد جميع المساجد ، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى أن أحوالهم وأقوالهم تقتضى الإقرار بالكفر ، وقيل الإشارة إلى قولهم فى التلبية لا شريك لك إلا شريك هو لك (أجعلتم سقاية الحاج) الآية : سببها أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج ، وبعمارة المسجد الحرام ؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك ، ونزلت الآية فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن منبه افتخروا فقال أنا صاحب البيت وعندى مفاتحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، وقال على لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا آباءكم) الآية قيل نزلت فيمن ثبط عن الهجرة

هُمُ الظَّٰلِمُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ

ولفظها عام وكذلك حكمها (فتربصوا) وعيد لمن آثر أهله أو ماله أومسكنه على الهجرة والجهاد (بأمره) قيل يعنى فتح مكة ، وقيل هو إشارة إلى عذاب أو عقاب (ويوم حنين) عطف على مواطن أومنصوب بفعل مضمر ، وهذا أحسن لوجهين : أحدهما أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم مختص بحنين ، ولا يصح فى غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذى بينهما فى ذلك ، والآخر أن المواطن ظرف مكان ، ويوم حنين ظرف زمان فيضعف عطف أحدهما على الآخر ، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات ، وحنين اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين وانصرف لأنه مذكر (إذ أعجبتكم كثرتكم) كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا ، فقال بعضهم : لن نغلب اليوم من قلة فأراد الله إظهار عجزهم فقر الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقى على بغلته فى نفر قليل ، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه ، ونادى بأصحابه فرجعوا اليه وهزم الله الكفار وقصة حنين مذكورة فى السير (بما رحبت) أى ضاقت على كثرة اتساعها وماهنا مصدرية (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة (ثم يتوب الله) إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين (إنما المشركون نجس) قيل إن نجاستهم بكفرهم وقيل بالجنابة (فلا يقربوا المسجد الحرام) نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام ، فأجمع العلماء على ذلك ، وقاس مالك على المشركين جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد ، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد وجعلها الشافعى عامة فى الكفار خاصة بالمسجد الحرام فمنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره . وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول سائر المساجد وأباح دخول أهل الكتاب فى المسجد الحرام وغيره (بعد عامهم هذا) يريد عام تسعة من الهجرة حين حج أبو بكر بالناس ، وقرأ عليهم على سورة براءة (وإن خفتم عيلة) أى فقرا ، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوت بها إذ منع المشركون منها ، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله ، فأسلمت العرب كلها وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله سائر الأمصار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمر بقتال أهل الكتاب ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى

أُوتُوا الْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَٰرَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوٓا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ *
هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا

المسيح ابن الله ، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر لأن اعتقادهم فيه فاسد ، فإنهم لا يقولون بالمعاد والحساب (ولا يحرمون ما حرم الله وسوله) لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أى لا يدخلون فى الإسلام (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين أمر بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى غزوة تبوك لقتال النصارى (حتى يعطوا الجزية) اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى ، ويلحق بهم المجوس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، واختلفوا فى قبولها من عبدة الأوثان والصابئين ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين ، وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق ، ويؤخذ ذلك من كل رأس (عن يد) فيه تاويلان : أحدهما دفع الذمىّ لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها كقولك يداً بيد ، الثانى عن استسلام وانقياد كقولك ألقى فلان بيده (وهم صاغرون) أذلاء (وقالت اليهود عزير ابن الله) قال ابن عباس إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود ، وهم سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، وقيل لم يقلها إلا فنحاص ، ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها ، والظاهر أن جماعتهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم ، وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزيرا وحده فعلمها لهم فقالوا ما علم الله عزيرا التوراة إلا أنه ابنه ، وعزير مبتدأ ، وابن الله خبره ، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمى لا ينصرف وقيل بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف ، وأما من نونه فجعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله) قال أبو المعالى : أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله وذلك كفر شنيع (بأفواههم) يتضمن معنيين أحدهما إلزامهم هذه المقالة والتأكيد فى ذلك ، والثانى أنهم لا حجة لهم فى ذلك ، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه هذا قول بلسانك (يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل) معنى يضاهؤن يشابهون ، فإن كان الضمير لليهود والنصارى ، فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل للمشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله ، وهم أول كافر . أو للصابئين أو لأمم متقدمة وإن كان الضمير للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون (قاتلهم الله) دعاء عليهم ، وقيل معناه لعنهم الله (أنى يؤفكون) تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) أى أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم (والمسيح) معطوف على الأحبار والرهبان (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) أى أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يريدون أن يطفؤا نور الله) أى يريدون أن يطفؤا نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وما جاء به من عبادة الله وتوحيده (بأفواههم) إشارة

إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ * إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنفِرُوا

إلى أفواههم كقولهم ساحر وشاعر ، وفيه أيضا إشارة إلي ضعف حيلتهم فيما أرادوا (ليظهره على الدين) الضمير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو للدين ، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعم المشارق والمغارب ، وقيل ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبقى إلا دين الإسلام (ليأكلون أموال الناس بالباطل) هو الرشا على الأحكام وغير ذلك (والذين يكنزون الذهب والفضة) ورد فى الحديث أن كل من أديت زكاته فليس بكنز ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز ، وقال أبوذر وجماعة من الزهاد كلما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز (ولا ينفقونها) الضمير للأموال والكنوز التى يتضمنها المعنى ، وقيل هى الفضة ، واكتفى فى ذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد (يوم يحمى) العامل فى الظرف أليم أومحذوف (عليها) الضمير يعود على مايعود عليه ضمير ينفقونها (اثناعشر شهرا) هى الأشهر المعروفة أولها المحرم وآخرها ذوالحجة ، وكان الذى جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فى كتاب الله) أى فى اللوح المحفوظ ، وقيل فى القرآن والأول أرجح لقوله يوم خلق السموات والأرض (منها أربعة حرم) هى رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم ، دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الضمير فى قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعا فى غيرها ، وقيل الضمير للاثنى عشر شهرا ، أو الزمان كله ، والأول أظهر (وقاتلوا المشركين كافة) أى قاتلوهم فى الأشهر الحرم ، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها ، وكافة حال من الفاعل أوالمفعول (إنما النسىء) وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر ، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات ، وكانت محرمة عليهم فى الأشهر الحرم فيشق عليهم تركها فيجعلونها فى شهر حرام ويحرمون شهرا آخر بدلا منه ، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى تكمل فى العام أربعة أشهر محرمة (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) أى تارة يحلون وتارة يحرمون ، ولم يرد العام حقيقة (ليواطئوا عدة ماحرم الله) أى ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهى أربعة (فيحلوا ماحرم الله) يعنى إحلالهم القتال فى الأشهر الحرم (مالكم إذا قيل لكم

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ
اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انفِرُوا
خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا
وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ *

انفروا) عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك (اثاقلتم إلى الأرض) عبارة عن تخلفهم ، وأصل اثاقلتم تثاقلتم (إلا تنفروا يعذبكم) شرط وجزاء وهو العذاب فى الدنيا والآخرة (إلا تنصروه فقد نصره الله) شرط وجواب ، والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل : كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه ، فالجواب أن المعنى : إن لم تنصروه أنتم فسننصره الله الذى نصره حين كان ثانى اثنين ، فدل بقوله نصره الله على نصره فى المستقبل (إذ أخرجه الذين كفروا) يعنى خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة ، وأسند إخراجه إلى الكفار ، لأنهم فعلوا معه من الأذى ماقتضى خروجه (ثانى اثنين) هو أبو بكر الصديق (إذ يقول لصاحبه لاتحزن) يعنى أبا بكر (إن الله معنا) يعنى بالنصر واللطف (فأنزل الله سكينته عليه) الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل لأبى بكر ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نزل معه السكينة ، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها الرسول عليه السلام (وأيده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة يوم بدر وغيره (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يريد إذلالها ودحضها (وكلمة الله هى العليا) قيل هى لاإله إلا الله ، وقيل الدين كله (انفروا خفافا وثقالا) أمر بالتنفير إلى الغزو ، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل من يمكنه بصعوبة ، وقال بعض العلماء الخفيف الغنى والثقيل الفقير ، وقيل الخفيف الشاب ، والثقيل الشيخ ، وقيل الخفيف النشيط ، والثقيل الكسلان ، وهذه الأقوال أمثلة فى الثقل والخفة ، وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لوكان عرضا قريبا) الآية : نزلت هى وكثير مما بعدها فى هذه السورة فى المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت فى شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فثقلت عليهم فأخبر الله فى هذه الآية أن السفر لوكان لعرض من الدنيا ، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه (بعدت عليهم الشقة) أى الطريق والمسافة (وسيحلفون بالله) إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون (يهلكون أنفسهم) أى يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذبة ، أو تخلفهم عن الغزو (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية : كان بعض المنافقين قد استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، فعاتبه الله تعالى على إذنه له ، وقدم العفو على العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم وقيل إن قوله عفا الله عنك ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما يقول أصلحك الله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) كانوا قد قالوا استأذنوه فى العقود ، فإن أذن لنا قعدنا ، وإن لم يأذن لنا قعدنا ، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم ، فحينئذ كان يقعد

لَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۞ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ۞ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا

العاصى والمنافق ويسافر المطيع (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) الآية : لا يستأذنك فى التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر (وارتابت قلوبهم) أى شكت ، ونزلت الآية فى عبد الله بن أبىّ بن سلول والجد بن قيس (ولو أرادوا الخروج) الآية . أى لو كانت لهم نية فى الغزو والاستعداد له قبل أوانه (انبعاثهم) أى خروجهم (فثبطهم) أى كسر عزمهم وجعل فى قلوبهم الكسل (وقيل اقعدوا) يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى ، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود ، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض (مع القاعدين) أى مع النساء والصبيان وأهل الأعذار ، وفى ذلك ذم لهم لاختلاطهم فى القعود مع هؤلاء (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) أى شرا وفسادا (ولأوضعوا) أى أسرعوا السير ، والإيضاع سرعة السير ، والمعنى أنهم يسرعون للفساد والنميمة (خلالكم) أى بينكم (يبغونكم الفتنة) أى يحاولون أن يفتنوكم (سماعون لهم) وقيل يسمعون أخباركم وينقلونها إليهم (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى طلبوا الفساد ، وروى أنها نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه من المنافقين (وقلبوا لك الأمور) أى دبروها من كل وجه ، فأبطل الله سعيهم (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) لما دعا النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين : ائذن لى فى القعود ولا تفتنى برؤية بنى الأصفر فإنى لا أصبر عن النساء (ألا فى الفتنة سقطوا) أى وقعوا فى الفتنة التى فروا منها (إن تصبك حسنة تسؤهم) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أى قد حذرنا وتأهبنا من قبل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أى ما قدر وقضى ، وهذا رد على المنافقين (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) أى هل تنتظرون بنا إلا إحدى أمرين : إما الظفر والنصر ، وإما الموت فى سبيل الله وكل واحد من الخصلتين حسن (بعذاب من عنده) المصائب وما ينزل من السماء أو عذاب الآخرة (أو بأيدينا) يعنى القتل (فتربصوا) تهديد (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) تضمن الأمر هنا معنى الشرط ،

مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ
نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ *
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ *
وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا
إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا
إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

فاحتاج إلى جواب : والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها ، والطوع والكره عموم فى الإنفاق أى لن يتقبل على كل حال (ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا) تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم ، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل مامنعهم ، أو فى موضع مفعول من أجله والفاعل الله (إنما يريد الله ليعذبهم بها) قيل العذاب فى الدنيا بالمصائب ، وقيل ماألزموا من أداء الزكاة (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) إخبار بأنهم يموتون على الكفر (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) أى من المؤمنين (يفرقون) يخافون (لو يجدون ملجأ) أى مايلجأ إليه من المواضع (أومغارات) هى الغيران فى الجبال (أومدخلا) وزنه مفتعل من الدخول ومعناه نفق أوسرب فى الأرض (يجمحون) أى يسارعون (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) أى يعيبك على قسمتها والآية فى المنافقين كالتى قبلها وبعدها ؛ وقيل فى ذى الخويصرة الذى قال اعدل يامحمد فإنك لم تعدل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم «ويلك إن لم أعدل فمن يعدل الحديث» (ولو أنهم رضوا) الآية : ترغيب لهم فيما هو خير لهم ، وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرا لهم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية : إنما هنا تقتضى حصر الصدقات وهى الزكاة فى هذه الأصناف الثمانية فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم ، ومذهب مالك أن تفريقها فى هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام ، فله أن يجعلها فى بعض دون بعض ، ومذهب الشافعى أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء ، واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس ؟ فقيل هما سواء ، وقيل الفقير الذى يسأل الناس ويعلم حاله ، والمسكين ليس كذلك (والعاملين عليها) أى الذين يقبضونها ويفرقونها (والمؤلفة قلوبهم) كفار يعطون ترغيبا فى الإسلام ، وقيل هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم ، واختلف هل بقى حكمهم أوسقط للاستغناء عنهم (وفى الرقاب) يعنى العبيد يشترون ويعتقون (والغارمين) يعنى من عليه دين ، ويشترط أن يكون استدان فى غير فساد ولا سرف (وفى سبيل الله) يعنى الجهاد فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب واختلف هل تصرف فى بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل (وابن السبيل) هو الغريب المحتاج (فريضة) أى

قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۞ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم
بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ
أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ
طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ

حقا محدودا : ونصبه على المصدر ، فإن قيل . لم ذكر مصرف الزكاة فى تضاعيف ذكر المنافقين ، فالجواب أنه حصر مصرف الزكاة فى تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فاتصلت هذه الآية فى المعنى بقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات الآية (ومنهم الذين يؤذون النبى) يعنى من المنافقين وإذايتهم للنبى صلى الله عليه وسلم بالأقوال والأفعال (ويقولون هو أذن) أى يسمع كل ما يقال له ويصدقه ، ويقال إنّ قائل هذه المقالة هو نبيل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وقيل عتاب بن قيس (قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير والحق (ويؤمن للمؤمنين) أى يصدقهم يقال آمنت لك إذا صدقتك ، ولذلك تعدى هذا الفعل باللام وتعدى يؤمن بالله بالباء (ورحمة) بالرفع عطف على أذن ، وبالخفض على خير (يحلفون) يعنى المنافقين (والله ورسوله أحق أن يرضوه) تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها ، وقيل إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد (من يحادد الله) يعنى من يعادى ويخالف (فإنّ له) إن هنا مكررة تأكيداً للأولى ، وقيل بدل منها ، وقيل التقدير فواجب أن له ، فهى فى موضع خبر مبتدأ محذوف (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) يعنى فى شأنهم سورة على النبى صلى الله عليه وسلم والضمائر فى عليهم وتنبئهم وقلوبهم تعود على المنافقين ، وقال الزمخشرى إن الضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين ، وفى قلوبهم للمنافقين ، والأول أظهر (قل استهزؤا) تهديد (إن الله مخرج ما تحذرون) صنع ذلك بهم فى هذه السورة ، لأنها فضحتهم (إنما كنا نخوض ونلعب) نزلت فى وديعة بن ثابت بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيهات هيهات ، فسأله عن ذلك فقال إنما كنا نخوض ونلعب (إن نعف عن طائفة منكم) كان رجل منهم اسمه مخشن تاب ومات شهيداً (بعضهم من بعض) نفى لأن يكونوا من المؤمنين (ويقبضون أيديهم) كناية عن البخل (نسوا الله) أى غفلوا عن ذكره (فنسيهم) تركهم من رحمته وفضله (وعد الله المنافقين) الأصل فى الشر أن يقال أوعد ، وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر (والكفار) يعنى المجاهرين بالكفر (كالذين من قبلكم) خطاب للمنافقين والكاف فى موضع نصب والتقدير فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ، أو فى موضع خبر مبتدأ تقديره أنتم كالذين

أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ
عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا

من قبلكم (وخضتم) أى خلطتم وهو مستعار من الخوض فى الماء، ولا يقال إلا فى الباطل من الكلام (كالذى خاضوا) تقديره كالخوض الذى خاضوا، وقيل كالذين خاضوا، فالذى هنا على هذا بمعنى الجميع (ألم يأتهم) الآية: تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة (والمؤتفكات) يعنى مدائن قوم لوط (بالبينات) أى بالمعجزات (بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون بعضهم من بعض ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية (جنات عدن) قيل عدن هى مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشرى هو اسم علم (ورضوان من الله أكبر) أى رضوان من الله أكبر من كل ماذكر وذلك معنى ماذكر فى الحديث إن الله تعالى يقول لأهل الجنة أتريدون شيئا أزيدكم، فيقولون ياربنا أى شىء تزيدنا؟ فيقول رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار والمنافقين) جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان مالم يظهر مايدل على كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق، وقد اختلف هل يقتل أم لا (واغلظ عليهم) الغلظة ضد الرحمة والرأفة، وقد تكون بالقول والفعل وغيرذلك (يحلفون بالله ماقالوا) نزلت فى الجلاس بن سويد، فإنه قال إن كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأه عليه فحلف أنه ماقاله (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ماتقدم من قول الجلاس لأن ذلك يقتضى التكذيب (وكفروا بعد إسلامهم) لم يقل بعد إيمانهم، لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم (وهموا بما لم ينالوا) هم الجلاس بقتل من بلغ تلك الكلمة عنه، وقيل هم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم؛ وقيل الآية نزلت فى عبد الله بن أبىّ بن سلول، وكلمة الكفر التى قالها قوله سمن كلبك يأكلك، وهمه بما لم يناله قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (ومانقموا إلا أن أغناهم الله) أى ماعابوا إلا الغنى الذى كان حقه أن يشكروا عليه، وذلك فى الجلاس أوفى عبد الله بن أبىّ (فإن يتوبوا) فتح الله لهم باب التوبة فتاب

يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ *
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا
لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا

الجلاس وحسن حاله (ومنهم من عاهد الله) الآية : نزلت فى ثعلبة بن حاطب ، وذلك أنه قال يارسول الله ادع الله أن يكثر مالى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه ، فأعاد عليه حتى دعا له فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة ، فنزلت فيه الآية فجاء بزكاته إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ولم يأخذها منه ، وقال إن الله أمرنى أن لا آخذ زكاتك ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان (بخلوا به) إشارة إلى منعه الزكاة (فأعقبهم نفاقا) عقوبة على العصيان بما هو أشد منه (إلى يوم يلقونه) حكم بوفاته على النفاق (الذين يلمزون المطوعين) نزلت فى المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ماهذا إلا رياء وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق بكثير (والذين لا يجدون إلا جهدهم) هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به نزلت فى أبى عقيل تصدق بصاع من تمر ، فقال المنافقون إن الله غنى عن صدقة هذا (فيسخرون منهم) أى يستخفون بهم (سخر الله منهم) تسمية للعقوبة باسم الذنب (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) يحتمل معنيين . أحدهما أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ، ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء فى سورة المنافقين ، والآخر أن يكون تخيير كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم ، وهذا أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خيرنى فاخترت ، وذلك حين قال عمر أتصلى على عبد الله بن أبى وقد نهاك الله عن الصلاة عليه (سبعين مرة) ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير (فرح المخلفون) أى الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه ، وفى هذا تحقير وذم لهم ، ولذلك لم يقل المتخلفون (بمقعدهم) أى بقعودهم (خلاف رسول الله) أى بعده حين خرج إلى تبوك ، فخلاف على هذا ظرف ، وقيل هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله (وقالوا لا تنفروا فى الحر) قائل هذه المقالة رجل من بنى سلمة ممن صعب عليه السفر إلى تبوك فى الحر (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل فى الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاؤهم الكثير فى الآخرة ؛ وقيل هو بمعنى الأمر أى يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا

يَكْسِبُونَ * فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ * وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ * وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ * رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ

فى الدنيا لما وقعوا فيه (إلى طائفة منهم) إنما لم يقل اليهم ، لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف (لن تخرجوا معى أبدا) عقوبة لهم فيها خزى وتوبيخ (أول مرة) يعنى فى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أى مع القاعدين وهم النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) نزلت فى شأن عبد الله بن أبى ابن سلول ، وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حين مات ، وروى أنه صلى عليه فنزلت الآية ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلى عليه جاءه جبريل فجبذ ثوبه ، وتلا عليه : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصل عليه (واذا أنزلت سورة) قيل يعنى براءة والأرجح أنه على الإطلاق (أن آمنوا) أن هنا مفسرة (استأذنك أولو الطول منهم) أى أولو الغنى والمال الكثير (لكن الرسول) الآية أى إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه (الخيرات) تعم منافع الدارين وقيل هى الحور العين لقوله خيرات حسان (وجاء المعذرون) هم المعتذرون ثم أدغمت التاء فى الذال ونقلت حركتها إلى العين واختلف هل كانوا فى اعتذارهم صادقين أو كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر فى الأمر إذا قصر فيه ولم يجد فوزنه على هذا المفعلون وروى أنها نزلت فى قوم من غفار (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا فى دعواهم الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم) أى من المعذرين (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو وقيل إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) قيل نزلت فى بنى مقرن وهم ستة إخوة صحبوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل فى عبد الله بن مغفل المزنى (إذا نصحوا لله) يعنى بنياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا

مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْتَذِرُونَ
إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا
عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ
فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
الدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالسَّابِقُونَ
الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝ وَءَاخَرُونَ

للغزو (ماعلى المحسنين من سبيل) وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم (ولاعلى الذين إذا ماأتوك لتحملهم) قيل هم بنو مقرن وقيل ابن مغفل وقيل سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاؤن ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون قلت (لاأجد ما أحملكم) أو تولوا إذا رجعتم يعنى من غزوة تبوك (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم (من أخباركم) نعت لمحذوف وهو المفعول الثانى تقديره قد نبأنا الله جملة من أخباركم (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) هم أهل البوادى من العرب (وأجدر أن لايعلموا حدود ماأنزل الله) يعنى أنهم أحق أن لايعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم (ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرما) أى تثقل عليهم الزكاة والنفقة فى سبيل الله ثقل المغرم الذى ليس بحق عليه (ويتربص بكم الدوائر) أى ينتظر بكم مصائب الدنيا (عليهم دائرة السوء) خبر أودعاء (وصلوات الرسول) أى دعواته لهم وهو عطف على قربات أى يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم وقيل نزلت فى بنى مقرن (والسابقون الأولون) قيل هم من صلى للقبلتين وقيل من شهد بدرا وقيل من حضر بيعة الرضوان (والذين اتبعوه) سائر الصحابة ويدخل فى ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان (مردوا على النفاق) أى اجترؤا عليه وقيل أقاموا عليه (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) العذاب العظيم هو عذاب النار وأما المرتان قبله فالثانية منهما عذاب القبر والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم وقيل بفضيحتهم بالنفاق (وآخرون

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم * خذ
من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا
أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقت وأن الله هو التواب الرحيم * وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون * وءاخرون مرجون
لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم * والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم

اعترفوا بذنوبهم) الآية : قيل إنها نزلت فى أبى لبابة فعمله الصالح الجهاد وعمله السيئ نصيحته لبنى قريظة وقيل هو لمن تخلف عن تبوك من المؤمنين فعملهم الصالح ماسبق لهم وعملهم السيئ تخلفهم عن تبوك وروى أنهم ربطوا أنفسهم إلى سوارى المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هى عامة فى الأمة إلى يوم القيامة قال بعضهم مافى القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة) قيل نزلت فى المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يارسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا فنزلت هذه الآية وأخذ ثلث أموالهم وقيل هى الزكاة المفروضة فالضمير على العموم لجميع المسلمين (تطهرهم وتزكيهم بها) خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع صفة لصدقة أو حال من الضمير فى خذ (وصل عليهم) أى ادع لهم (سكن لهم) أى تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الضمير فى يعلموا للتائبين من التخلف وقيل للذين تخلفوا ولم يتوبوا وقيل عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره (ويأخذ الصدقات) قيل معناه يأمر بها وقيل يقبلها من عباده (وآخرون مرجون لأمر الله) قيل هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضرار ، وقرئ مرجئون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير (والذين اتخذوا مسجدا) قرئ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون مرجون أو على تقديرهم الذين وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار ، وقرئ والذين بالواو عطف على آخرون مرجون وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجئين أنهم الثلاثة الذين خلفوا (ضرارا وكفرا) كانوا بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه ويصلى فيه فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة فى مسجد قباء وذلك هو الضرار الذى قصدوا وسألوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأتيه ويصلى لهم فيه فنزلت عليه فيه هذه الآية (وتفريقا بين المؤمنين) أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى انتظارا لمن حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق وكان من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهد بالكفر والنفاق ثم خرج إلى مكة

لَكَـٰذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن
يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ
شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ
إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ
فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ

فحزب الأحزاب من المشركين فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك وكان أهل مسجد الضرار يقولون إذا قدم أبو عامر المدينة يصلى فى هذا المسجد والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل معه الأحزاب (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) أى الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله فأكذبهم الله فى ذلك (لا تقم فيه أبداً) نهى عن إتيانه والصلاة فيه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بطريقه (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء، وقيل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) كانوا يستنجون بالماء ونزلت فى الأنصار على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت فى بنى عمرو بن عوف خاصة على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد قباء (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) الآية: استفهام بمعنى التقرير، والذى أسس على التقوى والرضوان: مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذى أسس على شفا جرف هار: هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع، ومعنى شفا جرف: طرفه، ومعنى هار: ساقط أو واهى، بحيث أشفى على السقوط، وأصل هار: هائر، فهو من المقلوب، لأن لامه جعلت فى موضع العين (فانهار به فى نار جهنم) أى طاح فى جهنم، وهذا ترشيح للمجاز، فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذى هو من شأن الجرف، وقيل إن ذلك حقيقة، وأنه سقط فى نار جهنم وخرج الدخان من موضعه، والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بهدمه فهدم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) أى لا يزال فى قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه: أى شك فى الإسلام بسبب بنيانه، لاعتقادهم صواب فعلهم: أو غيظ بسبب هدمه (إلا أن تقطع قلوبهم) أى إلا أن يموتوا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) قيل إنها نزلت فى بيعة العقبة وحكمها عام فى كل مؤمن مجاهد فى سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم ما أكرم الله، فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالى، فإنها لصفقة رابحة (يقاتلون فى سبيل الله) جملة فى موضع الحال بيان للشراء (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) قال بعضهم ناهيك عن بيع: البائع فيه

السَّـٰجِدُونَ ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ * لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

رب العلا والثمن جنة المأوى ، والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (التائبون) ومابعده : أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم : تقديره هم التائبون (السائحون) قيل معناه الصائمون ، ويقال ساح فى الأرض : أى ذهب (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت فى شأن أبى طالب فإنه لما امتنع أن يقول لاإله إلاالله عند موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله لأستغفرنّ لك مالم أنه عنك ، فكان يستغفرله حتى نزلت هذه الآية ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم استأذن ربه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية ، وقيل إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة) المعنى لاحجة لكم أيها المؤمنون فى استغفار إبراهيم لأبيه ، فإن ذلك لم يكن إلالوعد تقدم ، وهو قوله سأستغفر لك ربى (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قيل تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر ، وقيل لأنه نهى عن الاستغفارله (لأواه) قيل كثير الدعاء ، وقيل موقن ، وقيل فقيه ، وقيل كثير الذكر لله ، وقيل كثير التأوه من خوف الله (وما كان الله ليضل قوما) الآية : نزلت فى قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن ، فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية تأنيسا لهم أى ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك (فى ساعة العسرة) يعنى حين محاولة غزوة تبوك ، والساعة هنا بمعنى الحين والوقت ، وإن كان مدة ، والعسرة الشدة وضيق الحال (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) يعنى تزيغ عن الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج فى تلك الغزوة لما رأوا من الضيق والمشقة ، وفى كاد ضمير الأمر والشأن ، أو ترتفع بها القلوب (ثم تاب عليهم) يعنى على هذا الفريق أى رجع بهم عما كادوا يقعون فيه (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولاقصد للمخالفة ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتب عليهم ، وأمر أن لايكلمهم أحد ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله توبتهم ، وقد روى حديثهم فى البخارى ومسلم والسير ، ومعنى خلفوا هنا : أى عن الغزوة ، وقال كعب بن مالك معناه

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّـٰدِقِينَ ۞ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ * يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَـٰتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ

خلفوا عن قبول الضر ، وليس بالتخلف عن الغزو يقوى ذلك كونه جعل إذا ضاقت غاية للتخلف (ضاقت عليهم الأرض) عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى رجع بهم ليستقيموا على التوبة (وكونوا مع الصادقين) يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك ، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان وهو الصدق فى الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم ، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله فى الحشر للفقراء المهاجرين ، إلى قوله : هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة ، فقال نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أى تابعين لنا (ما كان لأهل المدينة) الآية : عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التى تحملها هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ذلك بأنهم لا يصيبهم) تعليل لما يجب من عدم التخلف (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) أى جوع (ولا يطؤون) أى بأرجلهم أو بدوابهم (ولا ينالون من عدو نيلا) عموم فى كل مايصيب الكفار (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس : هذه الآية فى البعوث إلى الغزو والسرايا : أى لا ينبغى خروج جميع المؤمنين فى السرايا ، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، ولذلك عاتبهم فى الآية المتقدمة على التخلف عنه ، فالآية الأولى فى الخروج معه صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى السرايا التى كان يبعثها ، وقيل هى ناسخة لكل ماورد من الأمر بخروج الجميع فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ، وقيل هى فى طلب العلم ومعناها : أنه لا تجب الرحلة فى طلب العلم على الجميع ، بل على البعض لأنه فرض كفاية (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) تحضيض على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم (ليتفقهوا فى الدين) إن قلنا إن الآية فى الخروج إلى طلب العلم ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تنفر أى ترحل ، وكذلك الضمير فى ينذروا وفى رجعوا : أى ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة ، وإن قلنا إن الآية فى السرايا ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تقعد فى المدينة ولا تخرج مع السرايا ، وأما الضمير فى رجعوا فهو للفرقة التى خرجت مع السرايا (لعلهم يحذرون) الضمير للقوم (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج ، وقيل إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام ، لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۞ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۞ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞

عمها الإسلام ، وكانت العراق حينئذ بعيدة (وإذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) أى من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن كأنهم يقولون أى عجب فى هذا وأى دليل فى هذا (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة (وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) المرض عبارة عن الشك والنفاق والمعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أوزادتهم كفرا ونفاقا إلى كفرهم ونفاقهم (يفتنون فى كل عام) قيل يفتنون أى يختبرون بالأمراض والجوع ، وقيل بالأمر بالجهاد ، واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم (نظر بعضهم إلى بعض) أى تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد كأن سبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك وقيل معنى نظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل فى القرآن من كشف أسرارهم ثم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من أحد) أى هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أوعلمت من غير نقل فهذا أيضا على وجه التعجب (ثم انصرفوا) يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان ، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى (صرف الله قلوبهم) دعاء أو خبر (بأنهم قوم لا يفقهون) تعليل لصرف قلوبهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، والخطاب للعرب أولقريش خاصة أى من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته أولبنى آدم كلهم: أى من جنسكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم (عزيز عليه ماعنتم) أى يشق عليه عنتكم ، والعنت : هو مايضرهم فى دينهم أودنياهم وعزيز صفة للرسول ، وماعنتم فاعل بعزيز ، ومامصدرية أوماعنتم مصدر ، وعزيز خبر مقدم والجملة فى موضع الصفة (حريص عليكم) أى حريص على إيمانكم وسعادتكم (بالمؤمنين رؤف رحيم) سماه الله هنا باسمين من أسمائه (فإن تولوا فقل حسبى الله) أى إن أعرضوا عن الإيمان ، فاستعن بالله وتوكل عليه وقيل إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة

سـورة يونس

مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ۞ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۞ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۞ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ فِى اخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ

سـورة يونس عليه السلام

(الر) تكلمنا فى أول البقرة على حروف الهجاء التى فى أوائل السور (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب هنا القرآن (الحكيم) من الحكمة أو من الحكم أو من الأحكام للأمر أى أحكمه الله (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) الهمزة للانكار، وعجبا خبر كان، وأن أوحينا اسمها، وأن أنذر: تفسير للوحى، والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، وإلى رجل هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة أو تعجب من أن يبعث الله رجلا (قدم صدق) أى عمل صالح فرموه، وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم فى اللوح المحفوظ (قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) يعنون ما جاء به من القرآن، وقرئ لساحر يعنون به النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسير لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، ويكون خبرا مستأنفا (إن ربكم الله) تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على من أنكر النبوة كأنه يقول إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذى خلق السموات والأرض فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) أى ما يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له فى الشفاعة، وفى هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (وعد الله حقا) نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى الله، ونصب حقا على المصدر المؤكد لوعد الله (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) أى يبدؤه فى الدنيا ويعيده بعد الموت فى الآخرة، والبداءة دليل على العودة (ليجزى) تعليل للعودة وهى البعثة (بالقسط) أى بعدله فى جزائهم أو بقسطهم فى أعمالهم الصالحة (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وصف أفعال الله وقدرته وحكمته والضياء أعظم من النور (وقدره منازل) الضمير للقمر والمعنى قدر سيره فى منازل (والحساب) يعنى حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالى (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أى

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ۞ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا
سُبْحَٰنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَٰنَ
الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ وَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى الْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ
مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ

ماخلقه عبثا ، والإشارة بذلك إلى ماتقدم من المخلوقات (إن الذين لايرجون لقاءنا) قيل معنى يرجون هنا يخافون ، وقيل لايرجون حسن لقاءنا ، فالرجاء على أصله ، وقيل لايرجون : لايتوقعون أصلا ، ولا يخطر ببالهم (ورضوا بالحياة الدنيا) أى قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم (واطمأنوا بها) أى سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) يحتمل أن تكون هى الفرقة الأولى ، فيكون من عطف الصفات ، أو تكون غيرها (يهديهم ربهم بإيمانهم) أى يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم فى الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو أرجح لما بعده (دعواهم فيها) أى دعاؤهم (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أى لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعا ، ونزلت الآية عند قوم فى دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده ، وقيل نزلت فى الذين قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (وإذا مس الإنسان الضر دعانا) عتاب فى ضمنه نهى لمن يدعو الله عند الضر ، ويغفل عنه عند العافية (لجنبه) أى مضطجعا ، وروى أنها نزلت فى أبى حذيفة بن المغيرة لمرض كان به (ولقد أهلكنا القرون) إخبار ضمنه وعيد للكفار (لننظر) معناه ليظهر فى الوجود فتقوم عليكم الحجة به (وإذا تتلى عليهم) يعنى على قريش (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) أى ماتلوته إلا بمشيئة الله ، لأنه من عنده وما هو من عندى (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) أى بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ماتكلمت فى هذا حتى جاءنى من عند الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ۞ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم
مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ۞ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا
إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

تنصل من الافتراء على الله وبيان لبراءته صلى الله عليه وآله وسلم مما نسبوه إليه من الكذب وإشارة إلى كذبهم على الله فى نسبة الشركاء له (أو كذب بآياته) بيان لظلمهم فى تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) الضمير فى يعبدون لكفار العرب ، ومالا يضرهم ولا ينفعهم هى الأصنام (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (قل أتنبئون الله بما لا يعلم) رد عليهم فى قولهم بشفاعة الأصنام ، والمعنى أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذى هو عالم بما فى السموات والأرض ، وكل ماليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشىء فقوله أتنبئون الله تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكم أى كيف تعلمون الله بما لا يعلم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) تقدم فى البقرة فى قوله كان الناس أمة واحدة (ولولا كلمة سبقت) يعنى القضاء (ويقولون لولا أنزل عليه آية) كانوا يطلبون آية من الآيات التى اقترحوها ، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم (قل إنما الغيب لله) إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على ذلك أحد (فانتظروا) أى انتظروا نزول ماقترحتموه (إنى معكم من المنتظرين) أى منتظر لعقابكم على كفركم (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء) هذه الآية فى الكفار وتضمنت النهى لمن كان كذلك من غيرهم ، والمكر هنا الطعن فى آيات الله وترك شكره ، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماه مكرا مشاكلة لفعلهم ، وتسمية للعقوبة باسم الذنب (وجرين بهم) الضمير المؤنث فى جرين للفلك ، والضمير فى بهم للناس ، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة ، وهو يسمى الالتفات ، وجواب إذا كنتم : قوله جاءتها ريح عاصف ، وقوله دعوا الله ، قال الزمخشرى هو بدل من ظنوا ، ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه (متاع الحياة الدنيا) رفع على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره : وذلك

الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ
عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا
وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ
شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۝ هُنَالِكَ تَبْلُوا
كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

متاع، أو يكون خبر إنما بغيكم، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) معنى الآية تحقير الدنيا وبيان سرعة فنائها وشبهها بالمطر الذى يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله (مما يأكل الناس) كالزرع والفواكه (والأنعام) يعنى المرعى التى ترعاها من العشب وغيره (أخذت الأرض زخرفها) تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحلى والثياب (قادرون عليها) أى متمكنون من الانتفاع بها (أتاها أمرنا) أى بعض الجوائح كالريح، والصر، وغير ذلك (فجعلناها حصيدا) أى جعلنا زرعها كالذى حصد وإن كان لم يحصد (كأن لم تغن) كأن لم تنعم (والله يدعو إلى دار السلام) أى إلى الجنة، وسميت دار السلام أى دار السلامة من العناء والتعب، وقيل السلام هنا اسم الله: أى يدعو إلى داره (ويهدى من يشاء) ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والهدايا خاصة بمن يشاء (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله، وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها والزيادة التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة، والأول أصح لوروده فى الحديث وكثرة القائلين به (قتر) أى غبار يغير الوجه (والذين كسبوا السيئات) مبتدأ على حذف مضاف تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أو على تقدير لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوفا على الذين أحسنوا، ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها (مالهم من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من عذاب الله (قطعا من الليل مظلما) من قرأ بفتح الطاء فهو جمع قطعة وإعراب مظلما على هذه القراءة: حال من الليل، ومن قرأ قطعا بإسكان الطاء، فمظلما صفة له أو حال من الليل (مكانكم) تقديره الزموا مكانكم أى لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم (فزيلنا بينهم) أى فرقنا (تبلو كل نفس ما أسلفت) أى تختبر بما قدمت من الأعمال وقرئ تتلو بتاءين بمعنى تتبع أو تقرأه فى المصاحف (قل من يرزقكم) الآية: احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۞ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوٓا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى
الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى
مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ
الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ
وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ
بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ۞ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا

لا محيص لهم عن الإقرار بها (يخرج الحى من الميت) مذكور فى آل عمران (ربكم الحق) أى الثابت الربوبية بخلاف ماتعبدون من دونه (فماذا بعد الحق إلا الضلال) أى عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة فى علم الاعتقادات، إذ الحق فيها فى طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع (كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا) المعنى كما حق الحق فى الاعتقادات كذلك حقت كلمة ربك على الذين عتوا وتمردوا فى كفرهم أنهم لا يؤمنون، والكلمات يراد بها القدر والقضاء (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) الآية: احتجاج على الكفار، فإن قيل: كيف يحتج عليهم بإعادة الخلق، وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب، أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفى ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة موضع المتفق عليه لظهور برهانها (أمن لا يهدى) بتشديد الدال معناه لا يهتدى فى نفسه، فكيف يهدى غيره، وقرئ بالتخفيف بمعنى يهدى غيره والقراءة الأولى أبلغ فى الاحتجاج (فما لكم) ما استفهامية معناها تقرير وتوبيخ ولكم خبرها ويوقف عليه (كيف تحكمون) أى تحكمون بالباطل فى عبادتكم لغير الله (ومايتبع أكثرهم إلا ظنا) أى غير تحقيق، لأنه لا يستند إلى برهان (إن الظن لا يغنى من الحق شيئا) ذلك فى الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع (تصديق الذى بين يديه) مذكور فى البقرة (أم يقولون) أم هنا بمعنى بل والهمزة (فأتوا بسورة) تعجيز لهم وإقامة حجة عليهم (من استطعتم) يعنى من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس (من دون الله) أى غير الله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره (ولما يأتهم تأويله) أى علم تأويله ويعنى بتأويله الوعيد الذى لهم فيه (ومنهم من يؤمن به) الآية: فيها قولان أحدهما إخبار بما يكون منهم فى المستقبل وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر، والآخر أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم من هو مكذب (فقل لى عملى) الآية: موادعة منسوخة بالقتال (من يستمعون إليك)

تَعْمَلُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۞ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۞ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۞ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ *

أى يستمعون القرآن ، وجمع الضمير بالحمل على معنى من (أفأنت تسمع الصم) المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون . لا سيما إذا انضاف إلى الصم عدم العقل (أفأنت تهدى العمى) المعنى أتريد أن تهدى العمى ، وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصرة ، والصمم والعمى عبارة عن قلة فهمهم (لم يلبثوا إلا ساعة) تقليل لمدة بقائهم فى الدنيا أو فى القبور (ويتعارفون بينهم) يعنى يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير فى يلبثوا (وإما نرينك) شرط جوابه وإلينا مرجعهم. والمعنى إن أريناك بعض عذابهم فى الدنيا فذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم (ثم الله شهيد) ذكرت ثم لترتب الأخبار، لا لترتيب الأمر، قاله ابن عطية، وقال الزمخشرى : ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب ، فالترتيب على هذا صحيح (فإذا جاء رسولهم) قيل مجيئه فى الآخرة للفصل ، وقيل مجيئه فى الدنيا وبعثه (ويقولون متى هذا الوعد) كلام فيه استبعاد واستخفاف (بياتا) أى بالليل (ماذا يستعجل منه المجرمون) المعنى أى شىء يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به ، وقوله ماذا جواب إن أتاكم ، والجملة متعلقة بأرأيتم (أثم إذا ما وقع آمنتم به) دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة ، والمعنى إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن ، وذلك لا ينفعكم لأنكم كنتم تستعجلونه ومكذبين به (ويستنبئونك أحق هو) أى يسألونك هل الوعيد حق أو هل الشرع والدين حق ، والأول أرجح ، لقوله وما أنتم بمعجزين : أى لا تفوتون من الوعيد (قل إى) أى نعم (ظلمت) صفة لنفس أى لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة (وأسروا الندامة) أى أخفوها

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم
مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ
مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ
فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ * أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

فى نفوسهم ، وقيل اظهروها (موعظة من ربكم) يعنى القرآن (وشفاء لما فى الصدور) أى يشفى مافيها من الجهل والشك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا ، وكرر الباء فى قوله فبذلك تأكيدا والمعنى الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لابغيرهما ، والفضل والرحمة عموم ، وقد قيل الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن (هو خير مما يجمعون) أى فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) الآية : مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك (قل آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم ، وكرر قل للتأكيد ، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم ، لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم فى ذلك (وما ظن) وعيد للذين يفترون (يوم القيامة) ظرف منصوب بالظن ، والمعنى : أى شىء يظنون أن يفعل بهم فى ذلك اليوم (وما تكون فى شأن) الشأن الأمر ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وجميع الخلق ، ولذلك قال فى آخرها : وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة ، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شىء (وما تتلوا منه من قرآن) الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره لدلالة مابعده عليه ، كأنه قال : ماتتلوا شيئا من القرآن ، وقيل يعود على الشأن ، والأول أرجح ، لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشىء (إذ تفيضون فيه) يقال أفاض الرجل فى الأمر إذا أخذ فيه بجد (وما يعزب) مايغيب (مثقال ذرة) وزنها والذرة صغار النمل ، قال الزمخشرى ، إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ ، فالجواب أن السماء تقدمت فى سبأ لأن حقها التقديم ، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ مثقال ، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه أو رفع بالابتداء أولياء الله اختلف الناس فى معنى الولى اختلافا كثيرا ، والحق فيه مافسره الله بعد هذا بقوله . الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولى ، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء ، أو منصوب على التخصيص ، أو مرفوع بإضمارهم الذين ولا يكون ابتداء مستأنفا لئلا ينقطع مما قبله (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) أما بشرى الآخرة فهى الجنة اتفاقا ، وأما بشرى الدنيا فهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل محبة الناس للرجل الصالح ، وقيل مابشر به فى القرآن من الثواب (لا تبديل لكلمات الله)

لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ۞ ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ۞ ألا إن لله من
في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا
يخرصون ۞ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ۞ قالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على
الله ما لا تعلمون ۞ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ۞ متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم
نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ۞ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر
عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة
ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ۞ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون
من المسلمين ۞ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر

أي لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده ، وقد استدل ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله (ولا يحزنك قولهم) يعني ما يقوله الكفار من التكذيب (إن العزة لله) إخبار في ضمنه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وتسلية له (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مانافية وأوجبت بقوله إلا الظن وكرر إن يتبعون توكيدا ، والمعنى ما يتبع الكفار إلا الظن ، والوجه الثاني أن تكون ما استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله شركاء ، والمعنى أي شيء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتدأ الإخبار بقوله إن يتبعون إلا الظن ، والعامل في شركاء على الوجهين يدعون (لتسكنوا فيه) من السكون وهو ضد الحركة (والنهار مبصرا) أي مضيئا تبصرون فيه الأشياء (قالوا اتخذ الله ولدا) الضمير للنصارى ولمن قال إن الملائكة بنات الله (هو الغني) وصف يقتضي نفي الولد والرد على من نسبه إليه ، لأن الغني المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد (له ما في السموات وما في الأرض) بيان وتأكيد للغني ، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم (متاع في الدنيا) تقديره لهم متاع في الدنيا (نوح) روي أن اسمه عبد الغفار ، وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله (كبر عليكم) أي صعب وشق (مقامي) أي قيامي لوعظكم والكلام معكم ، وقيل معناه مكاني يعني نفسه ، كقولك فعلت ذلك لمكان فلان (فأجمعوا) بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه ، وقرئ بألف وصل من الجمع (وشركاؤكم) أي ما تعبدون من دون الله وإعرابه مفعول معه أو مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاءكم ، وهذا على القراءة بقطع الهمزة وأما على الوصل فهو معطوف (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أي لا يكون قصدكم إلى هلاكي مستورا ولكن مكشوفا تجاهرونني به وهو من قولك غم الهلال إذا لم يظهر ، والمراد بقوله أمركم في الموضعين إهلاككم لنوح عليه السلام ، أي لا تقصروا في إهلاكي إن قدرتم على ذلك (ثم اقضوا إلي) أي انفذوا فيما تريدون ، ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون وإني لا أبالي بكم لتوكلي

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ * قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۞ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۞ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ * فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا

على الله وثقتى به سبحانه (وجعلناهم خلائف) أى يخلفون من هلك بالغرق (ثم بعثنا من بعده رسلا) يعنى هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم (أسحر هذا) قيل إنه معمول أتقولون ، فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم : إن هذا لسحر مبين ، فكيف يستفهمون عنه ، وقيل إنه من كلام موسى تقريرا أو توبيخا لهم فيوقف على قوله أتقولون للحق لما جاءكم ، ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم إن هذا لسحر مبين ، فلما تم الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله : أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبى جعفر ابن الزبير رحمه الله (لتلفتنا) أى لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك ، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام (ما جئتم به السحر) ما موصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر وقرئ آلسحر بالاستفهام فما على هذا استفهامية ، والسحر خبر ابتداء مضمر (ويحق الله الحق) يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبار من الله تعالى (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شبان وفتيان من بنى إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون ، وقيل إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون ، وروى فى هذا أنها امرأة فرعون وخازنته وامرأة خازنه ، وهذا بعيد ، لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغى أن يعود على أقرب مذكور (على خوف من فرعون وملئهم) الضمير يعود على الذرية أى آمنت الذرية من بنى إسرائيل على خوف من فرعون وملإ من بنى إسرائيل لأن الأكابر من بنى إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون ، وقيل يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له (أن يفتنهم) بدل من فرعون (لعال فى الأرض) أى

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن
تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ
ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ
سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ
عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۞ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَآءَهُمُ
الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ

متكبر قاهر (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ماعذبناهم فيفتنون بذلك (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) أى اتخذ لهم بيوتا للصلاة والعبادة ، وقيل إنه أراد الإسكندرية (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد وقيل موجهة إلى جهة القبلة ، فان قيل لم خص موسى وهارون بالخطاب فى قوله أن تبوآ . ثم خاطب معهما بنو إسرائيل فى قوله واجعلوا ، فالجواب أن قوله تبوآ من الأمور التى يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر (وبشر المؤمنين) أمر لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء بلفظ الأمر ، وقيل اللام لام كى وتتعلق بقوله آتيت (اطمس على أموالهم) أى أهلكها (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها شديدة القسوة (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذى هو اشدد ، ودعاء بلفظ النفى (قال قد أجيبت دعوتكما) الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه ، (فاستقيما) أى اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله (فأتبعهم فرعون) أى لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه ، هكذا قال الزمخشرى ، وقال ابن عطية أتبع بمعنى تبع ، وأما اتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك (لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) يعنى الله عز وجل ، وفى لفظ فرعون جهلة وتعنت لأنه لم يصرح باسم الله (آلآن وقد عصيت قبل) أى قيل له أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار وذلك لا يقبل منك (ننجيك) أى نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر ، وقيل نلقيك على نجوة من الأرض أى على موضع مرتفع (ببدنك) أى بجسدك جسدا بدون روح ، وقيل بدرعك ، وكانت له درع من ذهب يعرف بها ولمحذوف فى موضع الحال والباء للمصاحبة (لتكون لمن خلفك آية) أى لمن وراءك آية وهم بنو إسرائيل (مبوأ صدق) منزلا حسنا وهو مصر والشام (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) قيل يريد اختلافهم فى دينهم وقيل اختلافهم فى أمر محمد صلى

الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ
كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ * وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا
أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْءَايَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ *
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ۝ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا

الله عليه وسلم (فإن كنت فى شك) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله وسلم ، والمراد غيره ، وقيل ذلك كقول القائل لابنه : إن كنت ابنى فبرنى مع أنه لا يشك أنه ابنه ، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم ، قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ، وقال الزمخشرى إن ذلك على وجه الفرض والتقدير ، أى إن فرضت أن تقع فى شك فاسأل (مما أنزلنا إليك) قيل يعنى القرآن أو الشرع بجملته ، وهذا أظهر ، وقيل يعنى ماتقدم من أن بنى إسرائيل مااختلفوا إلا من بعد ماجاءهم الحق (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعنى الذين يقرؤن التوراة والانجيل ، قال السهيلى هم عبد الله بن سلام ومخيرق ومن أسلم من الأحبار ، وهذا بعيد ، لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة ، فحمل الآية على الإطلاق أولى (فلا تكونن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (حقت كلمة ربك) أى قضى أنهم لا يؤمنون (فلولا كانت قرية آمنت) لولا هنا للتحضيض بمعنى هلا ، وقرئ فى الشاذ هلا ، والمعنى هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها : إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون (إلا قوم يونس) استثناء من القرى ، لأن المراد أهلها ، وهو استثناء منقطع بمعنى : ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب ، ويجوز أن يكون متصلا ، والجملة فى معنى النفى كأنه قال ما آمنت قرية إلا قوم يونس ، وروى فى قصصهم أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب ، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى فرفعه عنهم (ومتعناهم إلى حين) يريد إلى آجالهم المكتوبة فى الأزل (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الهمزة للإنكار أى أتريد أنت أن تكره الناس فى إدخال الإيمان فى قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ، وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله ، وقيل المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا فى صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف (انظروا) أمر بالاعتبار والنظر فى آيات الله (وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يعنى من قضى الله عليه أنه لا يؤمن ، ومانافية أو استفهامية يراد بها النفى (فهل ينتظرون) الآية : تهديد (حقا علينا) اعتراض بين العامل

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۞ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ *

سورة هود

مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞

ومعموله وهما كذلك ، ونجّ المؤمنين (وأن أقم وجهك) الوجه هنا بمعنى القصد والدين (وما أنا عليكم بوكيل) منسوخ بالقتال ، وكذلك قوله واصبر حتى يحكم الله وعد بالنصر والظهور على الكفار

سورة هود عليه السلام

(الر) (كتاب) يعنى القرآن ، وهو خبر ابتداء مضمر (أحكمت) أى أتقنت فهو من الإحكام للشىء (ثم فصلت) قيل معناه بينت وقيل قطعت سورة سورة ، وثم هنا ليست للترتيب فى الزمان ، وإنما هى لترتيب الأحوال : كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل (ألا تعبدوا إلا الله) أن مفسرة وقيل مصدرية فى موضع مفعول من أجله ، أو بدل من الآيات أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويدل على ذلك قوله إننى لكم منه نذير وبشير (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) أى استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصى ، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها (يمتعكم متاعا حسنا) أى ينفعكم فى الدنيا بالأرزاق ، والنعم ، والخيرات ، وقيل هو طيب عيش المؤمن برجائه فى الله ورضاه بقضائه ، لأن الكافر قد يتمتع فى الدنيا بالأرزاق (إلى أجل مسمى) يعنى إلى الموت (ويؤت كل ذى فضل فضله) أى يعطى فى الآخرة كل ذى عمل جزاء عمله ، والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذى فضل (وإن تولوا) خطاب

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ

للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين (عذاب يوم كبير) يعنى يوم القيامة أوغيره كيوم بدر (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) قيل كان الكفار إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدة البغض والعداوة ، والضمير فى منه على هذا يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل إن ذلك عبارة عما تنطوى عليه صدورهم من البغض والغل ، وقيل هو عبارة عن إعراضهم لأن من أعرض عن شىء انثنى عنه وانحرف والضمير فى منه على هذا يعود على الله تعالى أى يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما فى قلوبهم (ألا حين يستغشون ثيابهم) أى يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن ، والعامل فى حين يعلم مايسرون ، وقيل المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم ، فيوقف عليه على هذا ، ويكون يعلم استئنافا (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) وعد وضمان صادق ، فإن قيل : كيف قال على الله بلفظ الوجوب ، وإنما هو تفضل ، لأن الله لايجب عليه شىء ؟ فالجواب : أنه ذكره كذلك تأكيدا فى الضمان ، لأنه لما وعد به صار واقعا لامحالة لأنه لايخلف الميعاد (ويعلم مستقرها ومستودعها) المستودع صلب الأب والمستقر بطن المرأة وقيل المستقر المكان فى الدنيا والمستودع القبر (وكان عرشه على الماء) دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض (ليبلوكم) أى ليختبركم اختبارا تقوم به الحجة عليكم ، لأنه كان عالما بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليبلوكم بخلق (سحر مبين) يحتمل أن يشيروا إلى القرآن ، أو إلى القول بالبعث يعنون أنه باطل كبطلان السحر (ولئن أخرنا عنهم العذاب) يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة (إلى أمة معدودة) أى إلى وقت محدود (ليقولن مايحبسه) أى أى شىء يمنع هذا العذاب الموعود به ، وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف (ولئن أذقنا) الآية : ذم لمن يقنط عند الشدائد ، ولمن يفتخر ويتكبر عند النعم ، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية ، والإنسان عام يراد به الجنس والاستثناء على هذا متصل ، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء منقطع (فلعلك تارك بعض مايوحى إليك)

أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن

الآية : كان الكفار يقترحون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتى بكنز أو يأتى معه ملك ، وكانوا يستهزؤن بالقرآن فقال الله تعالى له : فلعلك تارك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك و يثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم ، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، والمقصود بالآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن قولهم حتى يبلغ الرسالة ، ولا يبالى بهم ، وإنما قال ضائق ، ولم يقل ضيق ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه (إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ والله هو الوكيل الذى يقضى بما شاء من إيمانهم أو كفرهم (أم يقولون افتراه) أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة والضمير فى افتراه لما يوحى إليه (قل فأتوا بعشر سور مثله) تحداهم أولا بعشر سور فلما بان عجزهم تحداهم بسورة واحدة فقال فأتوا بسورة من مثله ، والمماثلة المطلوبة فى فصاحته وعلومه (مفتريات) صفة لعشر سور ، وذلك مقابلة لقولهم افتراه ، وليست المماثلة فى الافتراء (وادعوا من استطعتم) أى استعينوا بمن شئتم (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مخاطبة من الله للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين : أى إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينا به ، والثانى أن يكون خطابا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم للكفار أى إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شىء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه ؛ فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا أقوى من الأول لقوله : فهل أنتم مسلمون ، ومعنى بعلم الله : بإذنه ، أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب وقوله فهل أنتم مسلمون لفظه استفهام ، ومعناه استدعاء إلى الإسلام وإلزام للكفار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية : نزلت فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدقون بها ، وقيل نزلت فى أهل الربا من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد فى الحديث فى القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك إنهم أول من تسعر بهم النار ، والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك (نوف إليهم أعمالهم فيها) نوف إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق ، والضمير فى فيها يعود على الدنيا والمجرور متعلق بقوله نوف أو بأعمالهم (وحبط ما صنعوا فيها) الضمير فى فيها هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا (أفمن كان على بينة من ربه) الآية معادلة لما تقدم ، والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه ، والمراد بمن كان على بينة من ربه : النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لقوله بعد ذلك : أولئك يؤمنون به ، ومعنى البينة البرهان العقلى والأمر

رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ
الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ *
أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْءَاخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا

الجلى (ويتلوه شاهد منه) الضمير فى يتلوه للبرهان وهو البينة ولمن كان على بينة من ربه ، والضمير فى منه للرب تعالى ، ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن ، فيزيد وضوحه وتعظم دلالته ، وقيل إن الشاهد المذكور هنا هو علىّ بن أبى طالب (ومن قبله كتاب موسى) أى ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضاً دليل آخر متقدم ، وقد قيل أقوال كثيرة فى معنى هذه الآية وأرجحها ماذكرنا (ومن الأحزاب) أى من أهل مكة (ويقول الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب ، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء أو من الشهود بمعنى الحضور ، فيراد به كل من حضر الموقف (ويبغونها عوجا) أى يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج (لم يكونوا معجزين) أى لا يفلتون (يضاعف لهم العذاب) إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة لأولياء (ما كانوا يستطيعون السمع) الآية : ما نافية والضمير للكفار ، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله : ختم الله على قلوبهم الآية ، وقيل غير ذلك ، وهو بعيد (لا جرم) أى لا بد ولا شك (أخبتوا) أى خشعوا وقيل أنابوا (مثل الفريقين) يعنى المؤمنين والكافرين (كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين ، وتمثيل للكافرين بمثالين ، وقيل التقدير كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، فالواو لعطف الصفات فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصمم (عذاب يوم أليم) وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه (أراذلنا) جمع أرذل وهم سفلة الناس ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ * وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ
إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ
تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ *
وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ * وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن

والجاه ، وليس الأمر كما اعتقدوا ، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم فى الدنيا ، وقيل إنهم كانوا حاكة وحجامين ، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل فى أفعالهم لقول نوح : وما علمى بما كانوا يعملون (بادى الرأى) أى أول الرأى من غير نظر ولا تدبير ، وبادى منصوب على الظرفية . أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه اتبعوك على أصح الأقوال ، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تشبث ، وقيل هو صفة لبشرا مثلنا : أى غير مثبت فى الرأى (وما نرى لكم علينا من فضل) أى من مزية وشرف ، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه (على بينة من ربى) أى على برهان وأمر جلىّ ، وكذلك فى قصة صالح وشعيب (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى خفيت عليكم ، والفاعل على هذا البينة أو الرحمة (أنلزمكموها) أى أنكرهكم على قبولها قهرا وهذا هو جواب أرأيتم : ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه أرأيتم إن هدانى الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون (لا أسألكم عليه مالا) الضمير فى عليه عائد على التبليغ (وما أنا بطارد الذين آمنوا) يقتضى أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء (إنهم ملاقوا ربهم) المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم (من ينصرنى من الله إن طردتهم) أى من يدفع عنى عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) الآية : أى لا أدعى ماليس لى فتنكرون قولى (تزدرى) أى تحتقر من قولك زريت الرجل إذا قصرت به ، والمراد بالذين تزدرى أعينهم ضعفاء المؤمنين (إنى إذا لمن الظالمين) أى إن قلت للمؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا ، والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة (جادلتنا) الجدال هو المخاصمة والمراجعة فى الحجة (فأتنا بما تعدنا) أى بالعذاب (ولا ينفعكم نصحى) الآية : جزاء قوله إن أردت أن أنصح لكم ، هو مادل عليه قوله نصحى وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم : هو مادل عليه قوله لا ينفعكم نصحى ، فتقديرها : إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحى إن نصحت لكم ، ثم استأنف قوله هو ربكم ، ولا يجوز أن يكون ربكم هو جواب الشرط (أم يقولون افتراه) الآية : الضمير فى يقولون لكفار قريش ، وفى افتراه لمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، هذا قول جميع المفسرين ، واختار

قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ

ابن عطية أن تكون فى شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير فى يقولون لقوم نوح ، وفى افتراه لنوح لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها وهو بعيد (إجرامى) أى ذنبى (فلا تبتئس) أى فلا تحزن (واصنع الفلك بأعيننا) أى تحت نظرنا وحفظنا (ووحينا) أى وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لا تشفع لى فيهم ، فإنى قد قضيت عليهم بالغرق (كلما) يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه ، أو قال إن تسخروا (فسوف تعلمون) تهديد ومن يأتيه منصوب بتعلمون (عذاب يخزيه) هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار (حتى إذا جاء أمرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك (وفار التنور) أى فار بالماء وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذ فى السفينة ، والمراد بالتنور الذى يوقد فيه عند ابن عباس وغيره ، وروى أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح ، وقيل التنور وجه الأرض (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) المراد بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان ، وقرئ من كل بغير تنوين فعمل احمل فى اثنين ومن قرأ بالتنوين عمل احمل فى زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد (وأهلك) أى قرابتك ، وهو معطوف على ما عمل فيه احمل (إلا من سبق عليه القول) أى من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله ، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته (ومن آمن) معطوف على أهلك ، أى احمل أهلك ومن آمن من غيرهم (وما آمن معه إلا قليل) قيل كانوا ثمانين وقيل عشرة وقيل ثمانية (وقال اركبوا فيها) الضمير فى قال لنوح ، والخطاب لمن كان معه ، والضمير فى فيها للسفينة ، وروى أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب ، واستقرت على الجودى يوم عاشوراء (بسم الله مجراها ومرساها) اشتقاق مجراها من الجرى ، واشتقاق مرساها من الإرساء ، وهو الثبوت . أو من وقوف السفينة . ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان ، أو مصدرين ، ويحتمل الإعراب من وجهين : أحدهما أن يكون اسم الله فى موضع الحال من الضمير فى اركبوا ، والتقدير اركبوا متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله ، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للمكان ، ويكون العامل فيه ما فى قوله بسم الله من معنى الفعل فى موضع خبر ويكون قوله بسم الله متصلا مع ما قبله ، والجملة كلام واحد ، والوجه الثانى : أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها ويكون بسم الله فى موضع خبر ، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أى إجراؤها وإرساؤها ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما روى أن نوحا كان إذا أراد أن يجرى بالسفينة قال بسم الله فتجرى ، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) روى أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل

كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ٱبْنَهُ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ
يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ *
وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ *
قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ
ٱلْجَٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ *
قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ

كالبحر قال ابن عطية وهذا ضعيف ، وأين كان الموج كالجبال على هذا ، وصوبه الزمخشرى ، وقال كانت تجرى فى موج كالجبال قبل التطبيق ، وقبل أن يغمر الماء الجبال (ونادى نوح ابنه) كان اسمه كنعان ، وقيل يام وكان له ثلاث بنون سواه وهم سام وحام ويافث ، ومنهم تناسل الخلق (فى معزل) أى فى ناحية (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) يحتمل أربعة أوجه : أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم فالمعنى لا عاصم إلا الراحم وهو الله تعالى ، والثانى أن يكون عاصم بمعنى ذى عصمة أى معصوم ومن رحم : بمعنى مفعول أى من رحم الله . فالمعنى لا معصوم إلا من رحمه الله ، والاستثناء على هذين الوجهين متصل ، والثالث أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعنى المفعول ، والمعنى لا عاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم ، والرابع عكسه والاستثناء على هذين منقطع (ابلعى ماءك) عبارة عن جفوف الأرض من الماء (أقلعى) أى أمسكى عن المطر وروى أنها أمطرت من كل موضع منها (وغيض الماء) أى نقص (وقضى الأمر) أى تم وكمل (واستوت على الجودى) أى استقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل (وقيل بعداً) أى هلاكا ، وانتصب على المصدر (ونادى نوح ربه) يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب ، أو يكون بعده (قال رب إن ابنى من أهلى) أى وقد وعدتنى أن تنجى أهلى (قال يانوح إنه ليس من أهلك) أى ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ، لأنه كافر ، وقال الزمخشرى : لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه ، وكان لغير رشده وهذا ضعيف ، لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزنى نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه (إنه عمل غير صالح) فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور : أحدها أن يكون الضمير فى إنه لسؤال نوح نجاة ابنه ، والثانى أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح ، والثالث أن يكون الضمير لابن نوح ، وعمل : مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم ، وقرأ الكسائى «عمل» بفعل ماض «غير صالح» بالنصب ، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أى لا تطلب منى أمراً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب ، حتى تقف على كنهه ، فإن قيل : لم سمى نداءه سؤالا ، ولا سؤال فيه ؟ فالجواب أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) أن فى موضع مفعول من أجله تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين ، وليس فى ذلك وصف له بالجهل ، بل فيه

أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۞ قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوٓا أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۞ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

ملاطفة وإكرام (اهبط بسلام منا) أى اهبط من السفينة بسلامة (وعلى أمم ممن معك) أى ممن معك فى السفينة واختار الزمخشرى أن يكون المعنى من ذرية من معك ، ويعنى به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فمن على هذا لابتداء الغاية ، والتقدير على أمم ناشئة ممن معك ، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس (وأمم سنمتعهم) يعنى نمتعهم متاع الدنيا وهم الكفار إلي يوم القيامة (تلك من أنباء الغيب) إشارة إلى القصة ، وفى الآية دليل على أن القرآن من عند الله لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم ذلك قبل الوحى (إن أنتم إلامفترون) يعنى فى عبادتهم لغير الله (يرسل السماء عليكم مدرارا) السماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير من الدر يقال درّ المطر واللبن وغيره ، وفى الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار ، وروى أن عادا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين ، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر ، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ، ثم عن الذنوب ، لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) أى بمعجزة ، وذلك كذب منهم وجحود أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك ، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية (عن قولك) أى بسبب قولك (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) معناه مانقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) هذا أمر بمعنى التعجيز أى لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شىء ، ثم ذكر سبب قوته فى نفسه وعدم مبالاته بهم ، فقال إنى توكلت على الله الآية (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أى هى فى قبضته وتحت قهره ، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك ، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق (إن ربى على صراط مستقيم) يريد أن أفعال الله جميلة وقوله صدق ووعده حق ، فالاستقامة تامة (فإن تولوا فقد أبلغتكم) أصل تولوا هنا تتولوا لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة ، فإن قيل : كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط ، وقد كان الإبلاغ قبل التولى ؟ فالجواب : أن المعنى إن تتولوا فلا عتب على لأنى قد أبلغتكم رسالة ربى (ولا تضرونه شيئا) أى لا تنقصونه شيئا : أى إذا أهلككم واستخلف غيركم (ولما جاء أمرنا) إن قيل

هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِى هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۞ قَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۞ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۞ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۞ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن

لم قال هنا وفى قصة شعيب ولما بالواو وقال فى قصة صالح ولوط فلما بالفاء؟ فالجواب على ماقال الزمخشرى أنه وقع ذلك فى قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجىء بالفاء التى تقتضى التسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد بخلاف قصة هود وشعيب، فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو (ونجيناهم من عذاب غليظ) يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التى أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد بالثانى أيضا الريح، وكرره إعلاما بأنه عذاب غليظ، وتعديدا للنعمة فى نجاتهم (وعصوا رسله) فى جميع الرسل هنا وجهان: أحدهما أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده، والثانى أن يراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (ألا إن عادا كفروا ربهم) هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وبتكرار اسم عاد (ألا بعدا) أى هلاكا وهذا دعاء عليهم وانتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب أن المراد أنهم أهل لذلك (لعاد قوم هود) بيان لأن عادا اثنان: إحداهما قوم هود، والأخرى إرم (هو أنشأكم من الأرض) لأن آدم خلق من تراب (واستعمركم فيها) أى جعلكم تعمرونها، فهو من العمران للأرض، وقيل هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء (قد كنت فينا مرجوا) أى كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ماقلت، وقيل المعنى كنا نرجو أن تدخل فى ديننا (فى داركم) أى بلدكم (ثلاثة أيام) قيل إنها الخميس والجمعة والسبت، لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد (ومن خزى يومئذ) معطوف على نجينا أى نجيناهم من خزى يومئذ (جاثمين) ذكر فى الأعراف (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فيها الضمير للدار، وكذلك فى قصة شعيب (ولقد جاءت رسلنا) الرسل هنا الملائكة (إبراهيم بالبشرى)

جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۞ فَلَمَّا رَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۞
وَٱمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا
بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۞
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۞
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۞ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا
لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۞ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۞

بشروه بالولد (قالوا سلاما) نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر تقديره سلمنا عليكم سلاما (قال سلام) تقديره عليكم سلام وسلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب، ورفع الثانى لأنه فى معنى الخبر (فما لبث أن جاء) أى ما لبث مجيئه بل عجل وما نافية وأن جاء فاعل لبث (بعجل حنيذ) أى مشوى، وفعيل هنا بمعنى مفعول (نكرهم) أى أنكرهم ولم يعرفهم، يقال نكر وأنكر بمعنى واحد (وأوجس منهم خيفة) قيل إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف فأمنوه بقولهم لا تخف (وامرأته قائمة) قيل قائمة خلف الستر، وقيل قائمة فى الصلاة، وقيل قائمة تخدم القوم، واسمها سارة (فضحكت) قيل معناه حاضت وهو ضعيف، وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا من أى شىء ضحكت، فقيل سرورا بالولد الذى بشرت به فى الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورا بالأمن بعد الخوف، وقيل سرورا بهلاك قوم لوط (فبشرناها بإسحاق) أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى، لأنها كانت بأمره (ومن وراء إسحاق يعقوب) أى من بعده وهو ولده، وقيل الوراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدأ، وبالفتح معطوف على إسحاق (قالت ياويلتا) الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك فى يالهفى ويا أسفى ويا عجبا، ومعناه التعجب من الولادة، وروى أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة (رحمة الله وبركاته عليكم) يحتمل الدعاء والخبر (أهل البيت) أى أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص أو منادى (حميد) أى محمود (مجيد) من المجد وهو العلو والشرف (أيجادلنا) هو جواب لما على أن يكون المضارع فى موضع الماضى أو على تقدير ظل أو أخذ يجادلنا ويكون يجادلنا مستأنفا والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة فى رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر فى اللغات (حليم) وفى براءة أواه (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أى قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا يعنى عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعذابهم (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) الرسل هم الملائكة ومعنى سىء بهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بنى آدم وخاف عليهم من قومه (يوم عصيب) أى شديد (وجاءه قومه يهرعون إليه) أى يسرعون وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث (من قبل كانوا يعملون السيئات) أى كانت عادتهم إتيان الفواحش فى الرجال (قال ياقوم هؤلاء بناتى) المعنى فتزوجوهن،

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَانُرِيدُ ۞ قَالَ لَوْأَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۞
قَالُوا يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ
مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

وإنما قال ذلك لبقى أضيافه ببناته ، وقيل اسم بناته الواحدة رئيا ، والأخرى غوثا وأن اسم امرأته الهالكة والهة ، واسم امرأة نوح والقة (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى مالنا فيهم أرب (وإنك لتعلم مانريد) يعنون نكاح الذكور (قال لوأن لى بكم قوة) جواب لو محذوف تقديره : لو كانت لى قدرة على دفعكم لفعلت ، ويحتمل أن تكون لو للتمنى (أوآوى إلى ركن شديد) معنى آوى ألجأ ، والمراد بالركن الشديد مايلجأ إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يرحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد : يعنى إلى الله والملائكة (قالوا يالوط إنا رسل ربك) الضمير فى قالوا للملائكة ، والضمير فى لن يصلوا لقوم لوط ، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ (فأسر بأهلك) أى اخرج بهم بالليل ، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن ، وقرئ فاسر بوصل الألف وقطعها ، وهما لغتان يقال سرى وأسرى (بقطع من الليل) أى قطعة منه (ولا يلتفت منكم أحد) نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم ، وقيل يلتفت معناه يلتوى (إلا امرأتك) قرئ بالنصب والرفع ، فالنصب استثناء من قوله فأسر بأهلك ، فيقتضى هذا أنه لم يخرجها مع أهله ، والرفع بدل من ولا يلتفت منكم أحد ، وروى على هذا أنه أخرجها معه ، وأنها التفتت وقالت ياقوماه فأصابها حجر فقتلها (إن موعدهم الصبح) أى وقت عذابهم الصبح (أليس الصبح بقريب) ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا الآن ، فقالوا له أليس الصبح بقريب (جعلنا عاليها سافلها) الضمير المدائن روى أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب ، ثم أرسلها مقلوبة (وأمطرنا عليها حجارة) أى على المدائن ، والمراد أهلها روى أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء ، وأما من كان فى المدائن فهلك لما قلبت (من سجيل) قيل معناه من ماء وطين ، وإنما كان من الآجر المطبوخ وقيل من سجله إذا أرسله ، وقيل هو لفظ أعجمى (منضود) أى مضموم بعضه فوق بعض (مسومة عندربك) معناه معلمة بعلامة ، روى أنه كان فيها بياض وحمرة ، وقيل كان فى كل حجر اسم صاحبه (وماهى من الظالمين ببعيد) الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم أى ليس الرمى بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم ، وقيل الضمير للمدائن ، فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله «ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء» وقيل إن الظالمين على العموم (إنى أراكم بخير) يعنى رخص الأسعار وكثرة الأرزاق (عذاب

مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ * قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۞ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۞ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۞ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

يوم محيط) يوم القيامة أو يوم عذابهم فى الدنيا (بقيت الله خير لكم) أى ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته (أصلاتك تأمرك) الصلاة هى المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» والمعنى أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان ، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء (أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء) يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان ، وأن نفعل عطف على أن نترك (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل إنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء ، وقيل معناه الحليم الرشيد عند نفسك (ورزقنى منه رزقا حسنا) أى سالما من الفساد الذى أدخلتم أنتم فى أموالكم ، وجواب أرأيتم محذوف يدل عليه المعنى وتقديره : أرأيتم إن كنت على بينة من ربى أيصلح لى ترك تبليغ رسالته (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه ، وخالفنى عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) أى لا يكسبنكم عداوتى أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة ، وشقاقى فاعل ، وأن يصيبكم مفعول (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى فى الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم ، ويحتمل أن يراد ببعيد فى البلاد (ما نفقه) أى ما نفهم (وإنا لنراك فينا ضعيفا) أى ضعيف الانتصار والقدرة ، وقيل نحيل البدن ، وقيل أعمى (ولولا رهطك لرجمناك) الرهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب (أرهطى أعز عليكم من الله) هذا توبيخ لهم فإن قيل إنما وقع كلامهم فيه وفى رهطه وأنهم هم الأعزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم ؟ فالجواب أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال أرهطى أعز عليكم من الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) الضمير فى اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره ، والظهرى مايطرح وراء الظهر ولا يعبأ به ، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب (اعملوا على مكانتكم) تهديد ومعنى مكانتكم تمكنكم فى الدنيا وعزتكم فيها (من يأتيه عذاب يخزيه) عذاب الدنيا والآخرة (وارتقبوا) تهديد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى

الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝
ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ
آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ
إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ
مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ
شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ

بالمعجزات (وسلطان مبين) أى برهان بين (يقدم قومه) أى يتقدم قدامهم فى النار كما كانوا فى الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر (فأوردهم النار) الورود هنا بمعنى الدخول، وذكره بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (ويوم القيامة) عطف على فى هذه فإن المراد به فى الدنيا (بئس الرفد المرفود) أى العطية المعطاة (قائم وحصيد) باق وداثر (فما أغنت عنهم آلهتهم) حجة على التوحيد ونفى الشريك (تتبيب) أى تخسير (يوم مجموع له الناس) أى يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم، لأن لفظ مجموع أبلغ من لفظ يجمع (يوم مشهود) أى يحضره الأولون والآخرون (يوم يأت) العامل فى الظرف لا تكلم أو فعل مضمر؛ وفاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود وقال الزمخشرى يعود على الله تعالى كقوله «أو يأتى ربك» ويعضده عود الضمير عليه فى قوله بإذنه (فمنهم شقى وسعيد) الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله لا تكلم نفس (زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس، والشهيق رده وقيل الزفير صوت المحزون، والشهيق صوت الباكى، وقيل الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن يراد به سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة أبدا، والآخر أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب مالاح كوكب ومناح الحمام وشبه ذلك مما يقصد به الدوام (إلا ما شاء ربك) فى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: قيل إنه على طريق التأدب مع الله كقولك إن شاء الله، وإن كان الأمر واجبا، وقيل المراد به زمان خروج المذنبين من النار، ويكون الذين شقوا على هذا يعم الكفار والمذنبين، وقيل استثنى مدة كونهم فى الدنيا وفى البرزخ، وأما الاستثناء فى أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثانى (غير مجذوذ) أى غير مقطوع (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) المرية الشك والإشارة إلى عبدة

ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۞ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۞ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ * وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ

الأصنام أى لا تشك فى فساد دين هؤلاء (مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) أى هم متبعون لآبائهم تقليدا من غير برهان (وإنا لموفوهم نصيبهم) يعنى من العذاب (كلمة سبقت) يعنى القدر وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل فى الدنيا (وإن كلا) قرئ بتشديد إن وبتخفيفها ، وإعمالها عمل الثقيلة ، والتنوين فى كل عوضا من المضاف إليه يعنى كلهم ، واللام فى لما موطئة للقسم ، وما زائدة ، وليوفينهم خبر إن ، وقرئ لما بالتشديد على أن تكون إن نافية ، ولما بمعنى إلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) يعنى الكفار ، وقيل إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم (ثم لا تنصرون) مستأنف غير معطوف ، وإنما قال ثم لبعد النصرة (وأقم الصلاة) الآية : يراد بها الصلوات المفروضة ، فالطرف الأول الصبح والطرف الثانى الظهر والعصر ، والزلف من الليل المغرب والعشاء (إن الحسنات يذهبن السيئات) لفظه عام ، وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس ، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل ، روى أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصلاة ؛ فنزلت الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أين السائل ، فقال ها أنذا ؛ فقال قد غفر لك ، فقال الرجل ألى خاصة أو للمسلمين عامة ، فقال بل للمسلمين عامة ، والآية على هذا مدنية ، وقيل إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم للرجل مستدلا بها ، فالآية على هذا مكية كسائر السورة ، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (ذلك) إشارة إلى الصلوات ، أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد (فلولا) تحضيض بمعنى هلا (أولوا بقية) أى أولو خير ودين بقى لهم دون غيرهم (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد فى الأرض ، وقيل هو متصل فإن الكلام الذى قبله فى حكم النفى كأنه قال : ما كان فيهم من ينهى عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ، على أن الوجه فى مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب (الذين ظلموا) يعنى الذين لم ينهوا عن الفساد (بظلم) هذا المجرور فى موضع الحال من ربك والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى ظالما لهم ، تعالى الله عن ذلك (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى مؤمنة لا خلاف

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۞ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞

سورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۞ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۞ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

بينهم فى الإيمان (ولايزالون مختلفين) يعنى فى الأديان والملل والمذاهب (ولذلك خلقهم) قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص ومابدل من كلا (وجاءك فى هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا، وانتظروا) تهديدلهم وإقامة حجة عليهم

سورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعنى القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أى أظهره (لعلكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) يعنى قصة يوسف، أوقصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أواسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريدبه هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير فى قبله للقصص أى من الغافلين عن معرفته، وفى هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم (إذ قال) العامل فيه اذكر المضمر، أو القصص (ياأبت) أى ياأبى والتاء للمبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (رأيتهم لى ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء فى ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل الكواكب فى المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لاتقصص رؤياك على إخوتك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هى عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك (آل يعقوب)

إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۞ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ
وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ
يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ
مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ ۞ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۞ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي
غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۞ قَالُوا
يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۞

يعنى ذريته (آيات للسائلين) أى لمن سأل عنها ، روى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف أو أمر واقريشا أن يسألوه عنها ، فهم السائلون على هذا ، واللفظ أعم من ذلك (ليوسف وأخوه) هو بنيامين ، وهو أصغر من يوسف ، ويقال إنه شقيق يوسف ، وكان أصغر أولاد يعقوب (ونحن عصبة) أى جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصغيرين ، والعصبة : العشرة فما فوقها إلى الأربعين (إن أبانا لفى ضلال مبين) أى خطأ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى لا يشارككم غيره فى محبته لكم وإقباله عليكم (قوما صالحين) أى بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح حالهم مع أبيهم (قال قائل منهم) هو يهوذا ، وقيل روبيل (غيابت الجب) غوره وماغاب منه (السيارة) جمع سيار ، وهم القوم الذين يسيرون فى الأرض للتجارة ، وغيرها (إن كنتم فاعلين) أى هذا هو الرأى إن فعلتموه (مالك لا تأمنا على يوسف) أى لم تخاف عليه منا ، وقرأ السبع تأمنا ، بالإدغام والإشمام ، لأن أصله بضم النون الأولى (يرتع) من قرأه بكسر العين فهو من الرعى أى من رعى الإبل ، أو من رعى بعضهم لبعض ، وحراسته ، ومن قرأه بالإسكان ، فهو من الرتع وهو الإقامة فى الخصب والتنعم ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ، ووزنه على الأول نفتعل ، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف ، ومن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته ، وإنما قالوا نلعب ، لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء ، وكان اللعب من المباح للتعلم كالمسابقة بالخيل (وأجمعوا) أى عزموا ، وجواب لما محذوف ، وقيل إنه أجمعوا ، أو وأوحينا على زيادة الواو (وأوحينا) يحتمل أن يكون هذا الوحى بواسطة ملك ، أو بإلهام ، والضمير فى إليه ليوسف ، وقيل ليعقوب والأول هو الصحيح ، (وهم لا يشعرون) فى موضع الحال من لتنبئنهم أى لا يشعرون حين تنبئهم فيكون خطابا ليوسف عليه السلام ، أو من أوحينا أى لا يشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم (نستبق) أى نجرى على أقدامنا لننظر أينا يسبق (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لمقالتنا (ولو كنا صادقين) أى لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تتهمنا ، وقيل معناه لا تصدقنا وإن

وَجَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّٰهِدِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَرَٰوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّيٓ أَحْسَنَ

كنا صادقين فى هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم ، والأول أظهر (وجاؤا على قميصه بدم كذب أى ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة ، وروى أنهم لطخوا قميصه بدم جدى ، وقالوا ليعقوب هذا دمه فى قميصه فقال لهم : مال الذئب أكله ولم يخرق قميصه ، فاستدل بذلك على كذبهم (سولت) أى زينت (فصبر جميل) وعد من نفسه بالصبر ، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أمثل ، أو خبر مبتدإ تقديره شأنى صبر جميل (وجاءت سيارة) روى أن هؤلاء السيارة من مدين ، وقيل هم أعراب (واردهم) الوارد هو الذى يستقى الماء لجماعة ، ونقل السهيلى أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثنى عشر ولدا ، أعقب كل واحد منهم قبيلة (قال يابشراى) أى نادى البشرى كقولك ياحسرة ، وأضافها إلى نفسه ، وقرئ يابشرى بحذف ياء المتكلم ، والمعنى كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى ، وهذا بعيد ، ولما أدلى الوارد الحبل فى الجب تعلق به يوسف فحينئذ قال يابشراى هذا غلام (وأسروه بضاعة) الضمير الفاعل للسيارة والضمير المفعول ليوسف أى أخفوه من الرفقة ، أوقالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر (وشروه) أى باعوه ، والضمير أيضا للذين أخذوه ، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا (بثمن بخس) أى ناقص عن قيمته ، وقيل البخس هنا الظلم (دراهم معدودة) عبارة عن قلتها (وكانوا) الضمير للذين أخذوه أو لإخوته (وقال الذى اشتراه) يعنى العزيز ، وكان حاجب الملك وخازنه ، وقال السهيلى اسمه قطفير (من مصر) هو البلد المعروف ، ولذلك لم ينصرف ، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فنودى عليه فى السوق حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهبا ، وقيل فضة فاشتراه العزيز (تأويل الأحاديث) قد تقدم (والله غالب على أمره) فى عود الضمير وجهان : أحدهما أن يعود على الله فالمعنى أنه يفعل مايشاء لا راد لأمره ، والثانى أنه يعود على يوسف أى يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة (بلغ أشده) قيل الأشد البلوغ ، وقيل ثمان عشرة سنة ؛ وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل أربعون (حكما) هى الحكمة والنبوة (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت منه مايكون من الرجل إلى المرأة وهى زليخا امرأة العزيز (وغلقت الأبواب) روى أنها كانت سبعة أبواب (هيت لك) اسم فعل معناه تعال وأقبل ، وقرئ بفتح الهاء وكسرها وبفتح التاء وضمها ، والمعنى فى ذلك كله واحد ، وحركة التاء للبناء ، وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت

مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ
وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۞ وَٱسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ
مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ

(معاذ الله) منصوب على المصدرية ، والمعنى أعوذ بالله (إنه ربى) يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى ، أوللذى اشتراه ، لأن السيد يقال له رب ، فالمعنى لا ينبغى لى أن أخونه (إنه لا يفلح الظالمون) الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك فى الأول أى الضمير (ولقد همت به وهمّ بها) أكثر الناس الكلام فى هذه الآية حتى ألفوا فيها التآليف ، فمنهم مفرط ومفرّط ، وذلك أن منهم من جعل همّ المرأة وهمّ يوسف من حيث الفعل الذى أرادته وذكروا فى ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغى أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله ، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد يرده قوله لولا أن رأى برهان ربه ، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها ليدفعها ، وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام ، والصواب إن شاء الله : أنها همت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ماذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه ، ولا يقدح هذا فى عصمة الأنبياء لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه فى ذلك ، فإنه من همّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها ، وإنما حذف لأن قوله همّ بها يدل عليه ، وقد قيل إن «هم بها» هو الجواب ، وهذا ضعيف لأن جواب لولا لا يتقدم عليها ، واختلف فى البرهان الذى رآه ، فقيل ناداه جبريل يايوسف أتكون فى ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء ، وقيل رأى يعقوب ينهاه ، وقيل تفكر فاستبصر ، وقيل رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه ، فقال أنا أولى أن أستحى من الله (كذلك لنصرف) الكاف فى موضع نصب متعلقة بفعل مضمر ، التقدير ثبتناه مثل ذلك التثبيت ، أو فى موضع رفع تقديره الأمر مثل ذلك (السوء والفحشاء) خيانة سيده والوقوع فى الزنا (المخلصين) قرئ بفتح اللام حيث وقع أى الذين أخلصهم الله لطاعته ، وبالكسر أى الذين أخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) معناه سبق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها ، وقصدت هى أن ترده ، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب ؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار (وقدت قميصه من دبر) أى قطعته من وراء ، وذلك أنها قبضت قميصه من خلفه لترده فتمزق القميص ، والقدّ القطع بالطول ، والقطع بالعرض (وألفيا سيدها) أى وجدا زوجها عند الباب (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن) لما رأت الفضيحة عكست القضية ، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله فى العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها وماجزاء يحتمل أن تكون مانافية أواستفهامية (قال هى راودتنى عن نفسى) برأ نفسه من دعواها (وشهد

أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا
وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ
قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا

شاهد) قيل هو ابن عمها وقيل كان طفلا فى المهد فتكلم ، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف ، وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام ، والتقدير شهد شاهد فقال ، أوضمنت الشهادة معنى القول (إن كان قميصه قدمن قبل فصدقت) لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قبل (وإن كان قميصه قدمن دبر فكذبت) لأنها جذبته إلى نفسها حين فرّ منها فقدّت قميصه من دبر (فلمارأى قميصه قدمن دبر) فاعل رأى زوجها أوالشاهد (إنه من كيدكن) الضمير الأمر أولقولها ماجزاء (يوسف أعرض عن هذا) أى اكتمه ولاتحدث به ، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب ، وفى حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته (واستغفرى لذنبك) خطاب لها ، وذلك من كلام زوجها أومن كلام الشاهد (من الخاطئين) جاء بلفظ التذكير ، ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور (وقال نسوة فى المدينة) أى فى مصر ، روى أنهن خمس نسوة : امرأة الساقى ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب (فتاها) أى خادمها ، والفتى يقال بمعنى الشاب ، وبمعنى الخادم (شغفها) بلغ شغاف قلبها وهو غلافه ، وقيل السويداء منه ، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب (سمعت بمكرهن) أى بقولهن وسماه مكرا لأنه كان فى خفية ، وقيل كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (وأعتدت لهن متكأ) أى أعتدت لهن مايتكأ عليه من الفرش ونحوها ، وقيل المتكأ طعام ، وقرئ فى الشاذ متكا بسكون التاء وتنوين الكاف ، وهو الأترج ، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج ، وقيل كان لحما (وقالت اخرج عليهن) أمر ليوسف ، وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها (أكبرنه) أى عظمن شأنه وجماله ، وقيل معنى أكبرن حضن ، والهاء للسكت ، وهذا بعيد جدا (وقطعن أيديهن) أى اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهن وهن لايشعرن كما يقطع الطعام (حاش لله) معناه براءة وتنزيه : أى تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقة مثله ، وحاش فى باب الاستثناء تخفض على أنها حرف ، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا ، وأما هنا فقال أبو على الفارسى إنها فعل ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام فى قوله لله ، ولا يدخل الحرف على حرف ، والآخر أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة والحروف لايحذف منها شىء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يك ولا أدرى ، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله ، وقال الزمخشرى إن حاش وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها ، ثم قال الله ليبين من ينزه قال وإنما حذف منه

بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۞ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۞ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

التنوين مراعاة لأصله من الحرفية (ماهذا بشرا) أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة فى وصف الحسن (إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) توبيخ لهن على اللوم (فاستعصم) أى طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه (أصب إليهن) أى أميل وكلامه هذا تضرع إلى الله (ثم بدا لهم) أى ظهر والفاعل محذوف تقديره رأى والضمير فى لهم لزوجها وأهلها أو من تشاور معه فى ذلك (رأوا الآيات) أى الأدلة على براءته (ودخل معه السجن فتيان) أى شابان، وقيل هنا محذوف لابد منه وهو فسجنوه، وكان يوسف قد قال لأهل السجن إنى أعبر الرؤيا، وكذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل إنهما استعملاها ليجرباه، وقيل رأياذلك حقا (أعصر خمرا) قيل فيه سمى العنب خمرا بما يؤول إليه وقيل هى لغة (إنا نراك من المحسنين) قيل معناه فى تأويل الرؤيا، وقيل إحسانه إلى أهل السجن (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) الآية: تقتضى أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيه وجهان: أحدهما أنه قال يخبرهما بكل مايأتيهما فى الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذى هو معجزة الأنبياء، والآخر أنه قال لا يأتيكما طعام فى المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله فى الدنيا (ذلكما مما علمنى ربى) روى أنهما قالا له من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم، فقال: ذلكما مما علمنى ربى (إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله علمنى ربى أو يكون استئنافا (ياصاحبى السجن) نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه أولأنهما صاحباه فيه، كأنه قال ياصاحبى فى السجن (ءأرباب متفرقون) الآية: دعاهما إلى توحيدالله، وأقام عليهما الحجة رغبة فى إيمانهما (ما تعبدون من دونه إلا أسماء) أوقع الأسماء هنا موقع المسميات والمعنى سميتم مالا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ * وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ
ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ
وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ
أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ *
يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

(من سلطان) أى حجة وبرهان (فيسقى ربه خمراً) يعنى الملك (وقال للذى ظن أنه ناج منهما) الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين، لأن قوله قضى الأمر يقتضى ذلك، أو يكون على بابه، لأن عبارة الرؤيا ظن (اذكرنى عند ربك) يعنى الملك (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل الضمير ليوسف أى نسى فى ذلك الوقت أن يذكر الله، ورجا غيره فعاقبه الله على ذلك بأن لبث فى السجن، وقيل الضمير للذى نجا منهما وهو الساقى أى نسى ذكر يوسف عند ربه، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، والرب على هذا التأويل الملك (بضع سنين) البضع من الثلاثة إلى العشرة، وقيل إلى التسعة، وروى أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أولا ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين (وقال الملك) هو ملك مصر الذى كان العزيز خادما له واسمه ريان بن الوليد، وقيل مصعب بن الريان، وكان من الفراعنة، وقيل إنه فرعون موسى عمر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد (إنى أرى سبع بقرات سمان) يعنى فى المنام (عجاف) أى ضعاف فى غاية الهزال (يا أيها الملأ) خطاب لجلسائه وأهل دولته (الرؤيا تعبرون) أى تعرفون تأويلها، يقال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموع من العرب، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر، وأصل الأضغاث ماجمع من أخلاط النبات، واحده ضغث، فإن قيل: لم قال أضغاث أحلام بالجمع، وإنما كانت الرؤيا واحدة؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسا واحدا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر (وقال الذى نجا منهما) هو ساقى الملك (وادكر بعد أمة) أى بعد حين (يوسف أيها الصديق) يقدر قبله محذوف لابد منه وهو فأرسلوه فقال يا يوسف، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه فى تعبير الرؤيا وغيرها، والصديق مبالغة من الصدق (أفتنا فى سبع بقرات) أى فيمن رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف فعجب كيف علتهن وكيف وسعت فى بطونهن، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها (تزرعون سبع سنين) هذا تعبير للرؤيا،

مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَالِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَاقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَالِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَآءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْـَٰٔنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّـٰدِقِينَ * ذَالِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَآئِنِينَ * وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة فكذلك السنبلات الخضر واليابسة (دأبا) بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه ، وهو مصدر فى موضع الحال (فما حصدتم فذروه فى سنبله) هذا رأى أرشدهم يوسف إليه ، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين ، فعلمهم حيلة يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة ، وهى أن يتركوه فى سنبله غير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت فى غشائها انحفظت (إلا قليلا مما تأكلون) أى لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج إلى الأكل خاصة (سبع شداد) يعنى سبع سنين ذات شدة وجوع (يأكلن ما قدمتم لهن) أى تأكلون فيهن ما اختزتم من الطعام فى سنبله ، وأسند الأكل إلى السنين مجازا (مما تحصنون) أى تخزنون وتخبئون (ثم يأتى من بعد ذلك عام) هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا ، وهو الإخبار بالعام الثامن (يغاث الناس) يحتمل أن يكون من الغيث أى يمطرون ، أو من الغوث : أى يفرج الله عنهم (وفيه يعصرون) أى يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر (وقال الملك ائتونى به) قيل هنا محذوف ، وهو فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله ، فقال ائتونى به (قال ارجع إلى ربك فاسأله) لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها ، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر ، وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما ، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعى إلى ذلك بعد طول المدة ، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيا لذمام زوجها وسترا لها ، بل ذكر النسوة اللاتى قطعن أيديهن (قال ما خطبكن) الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن ، فسألهن عن قصة يوسف ، وأسند المراودة إلى جميعهن ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هى التى راودته وحدها (قلن حاش لله) تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته وتكون تبرئة ليوسف بقولهن : ما علمنا عليه من سوء (الآن حصحص الحق) أى تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) قيل إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله ، والضمير فى يعلم وأخنه على هذا ليوسف عليه السلام أى ليعلم يوسف أنى لم أكذب عليه فى حال غيبته ، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها ، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام ، فالضمير للعزيز أى لم أخنه فى زوجته فى غيبته ، بل تعففت عنها والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته (وما أبرئ نفسى) اختلف أيضا هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ، فإن كان من كلامها فهو اعتراف ،

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُم

بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه ، لا على وجه العزم والقصد ، وقاله فى عموم الأحوال على وجه التواضع (إن النفس لأمارة بالسوء) النفس هنا للجنس والنفوس ثلاثة أنواع : أمارة بالسوء ، ولوّامة وهى التى تلوم صاحبها ومطمئنة (إلا ما رحم ربى) استثناء من النفس إذ هى بمعنى النفوس أى الأنفس المرحومة وهى المطمئنة ، فما على هذا بمعنى الذى ، ويحتمل أن تكون ظرفية أى إلا حين رحمة الله (أستخلصه لنفسى) أى أجعله خاصتى وخلاصتى قال أولا ائتونى به فلما تبين له حاله قال أستخلصه لنفسى (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى فلما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ، والمكين من التمكين ، والأمين من الأمانة (قال اجعلنى على خزائن الأرض) لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك ، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه فى العدل وإقامة الحق والإحسان ، وكان هذا الملك كافرا ، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال ، وقيل إن الملك أسلم ، وأراد بقوله خزائن الأرض : أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها ، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك (إنى حفيظ عليم) صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن وقيل حفيظ للحساب عليم بالألسن ، واللفظ أعم من ذلك ، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره وإذا كان فى ذلك فائدة (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) الإشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صنع الله به ، وروى أن الملك ولاه فى موضع العزيز وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فردّ عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر فى أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الأولى حتى لم يبق لهم شىء منها ، ثم بالحلى ، ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم أعتقهم وردّ عليهم أملاكهم (نصيب برحمتنا من نشاء) الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر فى قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله بعد ذلك ولأجر الآخرة خير ، فأخبر تعالى أن رحمته فى الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص ، وأن المحسن لا بدّ له من أجره فى الدنيا ، فالأول فى المشيئة ، والثانى واقع لا محالة ، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله : للذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، وفى الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة (وجاء إخوة يوسف) كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة فى بلادهم ، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذى ادخره يوسف (فعرفهم وهم له منكرون) إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيير سنه أولأنه كان متلثما ، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سألهم

بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ * قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ

عن أحوالهم ، وأخبروه أنهم تركوا أخاهم ، فحينئذ قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم وهو بنيامين شقيق يوسف (ولما جهزهم بجهازهم) الجهاز مايحتاج إليه المسافر من زاد وغيره ، والمراد به هنا الطعام الذى باع منهم (خير المنزلين) أى المضيفين (وإنا لفاعلون) أى نفعل ذلك لامحالة (وقال لفتيانه) جمع فتى وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أمر أن يجعلوا البضاعة التى اشتروا منه بها الطعام فى أوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أى لعلهم يعرفون اليد والكرامة فى رد البضاعة إليهم ، وليس الضمير للبضاعة (لعلهم يرجعون) أى لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم (منع منا الكيل) إشارة إلى قولهم وإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى فهو خوف من المنع فى المستقبل (نكتل) وزنه نفتعل من الكيل (مانبغى) مااستفهامية ونبغى بمعنى نطلب ، والمعنى أى شىء نطلبه بعد هذه الكرامة وهى رد البضاعة مع الطعام ، ويحتمل أن تكون مانافية ونبغى من البغى : أى لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك (ونمير أهلنا) أى نسوق لهم الطعام (ونزداد كيل بعير) يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف لا يعطى إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادى عشر لغيبة صاحبه حتى يأتى والبعير الجمل (ذلك كيل يسير) إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلة لاتكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير ، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير ، فالمعنى أنه يسير على يوسف أى قليل عنده أو سهل عليه ، فلا يمنعهم منه (حتى تؤتون موثقا من الله) أراد أن يحلفوا له ولتأتنى به جواب اليمين (إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به (يابنىّ لاتدخلوا من باب واحد) خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة (ماكان يغنى عنهم) جواب لما والمعنى أن ذلك

ءاوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ۞ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل
أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ۞ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ۞ قالوا نفقد صواع الملك
ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ۞ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين ۞ قالوا
فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ۞ قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين ۞ فبدأ بأوعيتهم
قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا

لا يدفع ما قضاه الله (إلا حاجة) استثناء منقطع ، والحاجة هنا هى شفقته عليهم ووصيته لهم (آوى إليه أخاه) أى ضمه (قال إنى أنا أخوك) أخبره بأنه أخوه ، واستكتمه ذلك (فلا تبتئس) أى لا تحزن فهو من البؤس (بما كانوا يعملون) الضمير لإخوة يوسف ، ويعنى ما فعلوا بيوسف وأخيه ، ويحتمل أن يكون لفتيانه : أى لا تبالى بما تراه من تحيلى فى أخذك (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى الصواع ، وهى إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام ، وكان من فضة ، وقيل من ذهب ، وقصد بجعله فى رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد (أيتها العير) أى أيتها الرفقة (إنكم لسارقون) خطاب لإخوة يوسف ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما فى ذلك من المصلحة من إمساك أخيه ، وقيل إن حافظ السقاية نادى : إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية (ولمن جاء به حمل بعير) أى لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل (وأنا به زعيم) أى ضامن لحمل البعير لمن رد الصواع ، وهذا من كلام المنادى (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض) أى استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من ديانتهم فى دخولهم أرضهم حتى كانوا يجعلون الأكمة فى أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس (قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) أى قال فتيان يوسف ما جزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين ، فالضمير فى قوله جزاؤه يعود على الأخذ المفهوم من الكلام (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه فقالوا جزاء السارق أن يستعبد ، ويؤخذ فى السرقة ، وأما الإعراب فيحتمل وجهين : الأول : أن يكون جزاؤه الأول مبتدأ ومن مبتدأ ثان وهى شرطية أو موصولة ، وخبرها فهو جزاؤه ، والجملة خبر جزاؤه الأول ، والوجه الثانى : أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف ، وتقديره جزاؤه أخذ من وجد فى رحله وتم الكلام . ثم قال فهو جزاؤه أى هذا الحكم جزاؤه (وكذلك نجزى الظالمين) من كلام إخوة يوسف أى هذا حكمنا فى السراق ، وقد كان هذا الحكم فى أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدى (فبدأ بأوعيتهم) هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة (ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليصح له بذلك إمساكه معه ، وإنما أنث الصواع فى هذا الموضع لأنه سقاية ، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث (كذلك كدنا ليوسف) أى صنعنا له هذا الصنع (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) أى فى شرعه أو عادته ، لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم ، ولكن حكم فى هذه القضية آل يعقوب (نرفع درجات من نشاء) يعنى الرفعة بالعلم بدليل ما بعده (وفوق كل ذى علم عليم) أى

أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا
يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ۝
فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِى
فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ
فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ۖ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا

فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر ، أو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) الضمير فى قالوا لإخوة يوسف ، وأشاروا الى يوسف ، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيامين ، فقد سرق أخوه يوسف من قبل ، فهذا الأمر إنما صدر من ابنى راحيل لامنا ، وقصدوا بذلك رفع المعرّة عن أنفسهم ، ورموا بها يوسف وشقيقه ، واختلف فى السرقة التى رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال : الأول أن عمته ربته ، فأراد والده أن يأخذه منها ، وكانت تحبه ولا تصبر عنه ، فجعلت عليه منطقة لها ، ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك وبقى عندها إلى أن ماتت ، والثانى أنه أخذ صنما لجدّه والد أمه فكسره ، والثالث أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين (فأسرها يوسف فى نفسه) قال الزمخشرى الضمير للجملة التى بعد ذلك وهى قوله أنتم شرّ مكانا ، والمعنى قال فى قوله أنتم شر مكانا وقال ابن عطية : الضمير للحرارة التى وجد فى نفسه من قولهم فقد سرق أخ له من قبل وأسر كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله أنتم شر مكانا أى لسوء أفعالكم (والله أعلم بما تصفون) إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة (إن له أباشيخا كبيرا) استعطافا وكانوا قد أعلموه بشدّة محبة أبيه فيه (فخذ أحدنا مكانه) على وجه الضمان والاسترهان ، والانقياد ، وهذا هو الأظهر لقوله معاذالله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (من المحسنين) أى أحسنت إلينا فيما فعلت معنا من قبل أو على الإطلاق (واستيئسوا) أى يئسوا (خلصوا نجيا) أى انفردوا عن غيرهم يناجى بعضهم بعضا ، والنجى يكون بمعنى المناجى أو مصدرا (قال كبيرهم) قيل كبيرهم فى السن وهو روبيل ، وقيل كبيرهم فى الرأى وهو شمعون ، وقيل يهوذا (ومن قبل مافرطتم فى يوسف) تحتمل « ما » وجوها : الأول أن تكون زائدة ، والثانى أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم فى يوسف ، والثالث أن تكون موصولة ومحلها أيضا الرفع كذلك ، والأول أظهر (فلن أبرح الأرض) يريد الموضع الذى وقعت فيه القصة (ارجعوا إلى أبيكم) من قول كبيرهم ، وقيل من قول يوسف وهو بعيد (إن ابنك سرق) قرأ الجمهور بفتح الراء والسين ، وروى عن الكسائى سرق بضم السين وكسر وتشديد الراء أى نسبت له السرقة (وماشهدنا إلا بما علمنا) أى قولنا لك إن ابنك : إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ماجرى (وما كنا للغيب حافظين) أى لا نعلم الغيب هل ذلك حق فى نفس الأمر ، أم لا ، إذ يمكن أن يدس الصواع فى رحله من غير علمه وقال الزمخشرى المعنى ماشهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه ، لأن الصواع استخرج من وعائه ، وما كنا للغيب حافظين

فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي
بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ *
قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي
إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ
إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم

أى ماعلمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشرى ، والقراءة بالضم تعضد القول الأول (واسأل القرية) تقديره واسأل أهل القرية ، وكذلك أهل العير : يعنون الرفقة ، هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبى والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز ، والقرية هنا هى مصر (قال بل سولت لكم) قبله محذوف تقديره : فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سولت الآية (بهم جميعا) يعنى يوسف وأخاه بنيامين ، وأخاهم الكبير الذى قال لن أبرح الأرض (وتولى عنهم) لما لم يصدقهم ، أعرض عنهم ورجع إلى التأسف (وقال ياأسفى على يوسف) تأسف على يوسف دون أخيه الثانى والثالث ، الذاهبين ، لأن حزنه عليه كان أشدّ لإفراط محبته ولأن مصيبته كانت السابقة (وابيضت عيناه من الحزن) أى من البكاء الذى هو ثمرة الحزن ، فقيل إنه عمى ، وقيل إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى وأعطى أجر مائة شهيد ، وماساء ظنه بالله قط (فهو كظيم) قيل إنه فعيل بمعنى فاعل أى كاظم لحزنه لايظهره لأحد ، ولايشكو إلا الله وقيل بمعنى مفعول كقوله « إذ نادى وهو مكظوم » أى مملوء القلب بالحزن ، أو بالغيظ على أولاده ، وقيل الكظيم : الشديد الحزن (تالله تفتؤ) أى لاتفتؤ ، والمعنى لاتزال ، وحذف حرف النفى لأنه لايلتبس بالإثبات : لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون (حرضا) أى مشرفا على الهلاك (قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) رد عليهم فى تفنيدهم له : أى إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم ، والبث : أشد الحزن (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى أعلم من لطفه ورأفته ورحمته مايوجب حسن ظنى به وقوة رجائى فيه (يابنىّ اذهبوا) يعنى إلى الأرض التى تركتم بها أخويكم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى تعرفوا خبرهما ، والتحسس طلب الشىء بالحواس السمع والبصر ، وإنما لم يذكر الولد الثالث ، لأنه بقى هناك اختيارا منه ، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه (ولا تيئسوا من روح الله) أى من رحمة الله (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) إنما جعل اليأس من صفة الكافر ، لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر (الضر) يريدون به المجاعة أو الهم على إخوتهم (ببضاعة مزجاة) يعنون الدراهم التى جاؤا بها لشراء الطعام ، والمزجاة القليلة ، وقيل الرديئة ، وقيل الناقصة ، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضا

بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ۞ قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا
إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ۞ قال
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا
وأتوني بأهلكم أجمعين * ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ۞ قالوا تالله
إنك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من
الله ما لا تعلمون ۞ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ۞ قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو

فلذلك قالوا هذا (وتصدق علينا) قيل يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم ، وقيل أوف لنا الكيل الذى هو حقنا وزدنا على حقنا ، وسموا الزيادة صدقة ، ويقتضى هذا أن الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل تصدق علينا برد أخينا إلينا (إن الله يجزى المتصدقين) قال النقاش : هو من المعاريض وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر ، لأنهم لم يعرفوه ، فظنوا أنه على دين أهل مصر ، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا ، فقالوا لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) لما شكوا إليه رق لهم وعرفهم بنفسه ، وروى أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام ، ثم أزال اللثام ليعرفوه ، وأراد بقوله ما فعلتم بيوسف وأخيه : التفريق بينهما فى الصغر ، ومضرتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده ، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه (إذ أنتم جاهلون) اعتذار عنهم ، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوه أو جهل الشباب (قالوا أئنك لأنت يوسف) قرئ بالاستفهام والخبر ، فالخبر على أنهم عرفوه ؛ والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه (من يتق ويصبر) قيل إنه أراد من يتق فى ترك المعصية ، ويصبر على السجن ، واللفظ أعم من ذلك (آثرك الله علينا) أى فضلك (لخاطئين) أى عاصين ، وفى كلامهم استعطاف واعتراف (لا تثريب عليكم) عفو جميل ، والتثريب التعنيف والعقوبة ، وقوله اليوم راجع إلى ما قبله فيوقف عليه ، وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار ؛ وقيل إنه يتعلق بيغفر ، وهذا بعيد لأنه تحكم على الله ؛ وإنما يغفر دعاء ، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله لا تثريب عليكم اليوم ، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه (اذهبوا بقميصى) روى أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف ، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به ، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذى بمنزلة قميص كل أحد (يأت بصيرا) الظاهر أنه علم ذلك بوحى من الله (فصلت العير) أى خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب (قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف) كان يعقوب ببيت المقدس ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة (لولا أن تفندون) أى تلومونى أو تردون على قولى ، وقيل معناه تقولون ذهب عقلك لأن الفند هو الخرف (فى ضلالك القديم) أى ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك فى يوسف قديما (فلما أن جاء البشير) روى أن البشير يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم فقال لإخوته : إنى ذهبت إليه بقميص القرحة فدعونى أذهب إليه بقميص الفرحة (قال سوف أستغفر لكم ربى) وعدهم بالاستغفار لهم ، فقيل سوفهم إلى السحر لأن

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّٰلِحِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ * وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۞ أَفَأَمِنُوٓا أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ

الدعاء يستحاب فيه ، وقيل إلى ليلة الجمعة (فلما دخلوا على يوسف) هنا محذوفات يدل عليها الكلام ، وهى فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف (آوى إليه أبويه) أى ضمهما ، وأراد بالأبوين أباه وأمه ، وقيل أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت ، وسمى الخالة على هذا أما (إن شاء الله) راجع إلى الأمن الذى فى قوله آمنين (رفع أبويه على العرش) أى على سرير الملك (وخروا له سجدا) كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) يعنى حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما ، وقيل أربعون (أحسن بى) يقال أحسن إليه وبه (أخرجنى من السجن) إنما لم يقل أخرجنى من الجب لوجهين : أحدهما أن فى ذكر الجب خزى لإخوته وتعريفهم بما فعلوه فترك ذكره توقيرا لهم والآخر أنه خرج من الجب إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فالنعمة به أكثر (وجاء بكم من البدو) أى من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم فعدّ من النعم مجيئهم للحاضرة (نزغ الشيطان) أى أفسد وأغوى (لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لما يشاء من الأمور (من الملك) من للتبعيض ، لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر (توفنى مسلما) لما عدد النعم التى أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت وقيل ليس ذلك دعاء بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله (ذلك من أنباء الغيب) احتجاج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإخباره بالغيوب (وما كنت لديهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم تأكيدا لحجته والضمير لإخوة يوسف (إذ أجمعوا) أى عزموا (وهم يمكرون) يعنى فعلهم بيوسف (وما أكثر الناس) عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين وقيل أراد أهل مكة (ولو حرصت بمؤمنين) اعتراض أى لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم (وما تسئلهم عليه من أجر) أى لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع (وكأى من آية) يعنى المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت فى كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره ، وقيل فى أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (غاشية) هى ما يغشى ويعم (قل هذه

السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞

سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓرٰ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

سنبيلى) إشارة إلى شريعة الإسلام (أدعو إلى الله على بصيرة) أى أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمرى وحجة واضحة (أنا ومن اتبعنى) أنا تأكيد للضمير فى أدعو، ومن اتبعنى معطوف عليه وعلى بصيرة فى موضع الحال وقيل أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله، وهذا ضعيف (وسبحان الله) تقديره وأقول سبحان الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) رد على من أنكر أن يكون النبى من البشر، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولا من النساء (من أهل القرى) أى من أهل المدن لا من أهل البوادى، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم (حتى إذا استيأس الرسل) متصل بالمعنى بقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا إلى قوله عاقبة الذين من قبلهم، ويأسهم: يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير فى ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين: أى علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم أى ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم (فى قصصهم) الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته (ما كان حديثاً يفترى) يعنى القرآن (ولكن تصديق الذى بين يديه) تقدم معناه فى البقرة

سورة الرعد

(تلك آيات الكتاب) أى آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك (والذى أنزل إليك) يعنى القرآن وإعرابه مبتدأ وخبره الحق (بغير عمد) أى بغير شىء تقف عليه إلا قدرة الله (ترونها) قيل الضمير للسموات وترونها على هذا فى موضع الحال أو استئنافا

كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ
يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِن
تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ الْأَغْلَٰلُ

وقيل الضمير للعمد أى ليس لها عمد مرئية فيقتضى المفهوم من أن لها عمدا لا ترى وقيل إن عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا ، وقال الجمهور لا عمد لها البتة فالمراد نفى العمد ونفى رؤيتها (ثم استوى على العرش) ثم هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر ، فإن العرش كان قبل خلق السموات ، وتقدم الكلام على الاستواء فى الأعراف (يدبر الأمر) يعنى أمر الملكوت (يفصل الآيات) يعنى آيات كتبه (مد الأرض) يقتضى أنها بسيطة لا مكورة ، وهو ظاهر الشريعة ، وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها ، وإنما التكوير لجملة الأرض (رواسى) يعنى الجبال الثابتة (زوجين اثنين) يعنى صنفين من الثمر : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، فإن قيل : تقتضى الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين ، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة ، والجواب : أن ذلك زيادة فى الاعتبار وأعظم فى الدلالة على القدرة ، فذكر الاثنين ، لأن دلالة غيرهما من باب أولى ، وقيل إن الكلام تم فى قوله من كل الثمرات ثم ابتدأ بقوله جعل فيها زوجين يعنى الذكر والأنثى والأول أحسن (يغشى الليل النهار) أى يلبسه إياه فيصير له كالغشاء ، وذلك تشبيه (قطع متجاورات) يعنى قطع متلاصقة ومع تلاصقها ، فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء وصلب ورخو ، وغير ذلك ، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر (صنوان وغير صنوان) الصنوان هى النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد وغير الصنوان المفترق فردا فردا ، وواحد الصنوان صنو (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) حجة وبرهان على أنه تعالى قدير ومريد لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذى تسقى به : دليل على القدرة والإرادة ، وفى ذلك رد على القائلين بالطبيعة (وإن تعجب فعجب قولهم) أى إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه ، فإن الذى قدر على إنشاء ما ذكرنا من السموات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث ، واختلف القراء فى هذا الموضع وفى سائر المواضع التى فيها استفهامان ، وهى أحد عشر موضعا ، أولها هذا ، وفى الإسراء موضعان ، وفى المؤمنين موضع ، وفى النمل موضع ، وفى العنكبوت موضع ، وفى الم السجدة موضع ، وفى الصافات موضعان وفى الواقعة موضع ، وفى النازعات موضع ، فمنهم من قرأ بالاستفهام فى الأول والثانى ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الأول فقط وهو نافع ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط ، وأصل الاستفهام فى المعنى ، وإنما هو عن الثانى فى مثل هذا الموضع ، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار ، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا ، فمن قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط فهو على الأصل ومن قرأ بالاستفهام فى

فِى أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۞ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَـٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۞ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۞ عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۞ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِالنَّهَارِ ۞ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ

الأول ، فالقصد بالاستفهام الثانى ، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد (وأولئك الأغلال فى أعناقهم) يحتمل أن يريد الأغلال فى الآخرة فيكون حقيقة أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقولك إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ، فيكون مجازاً يجرى مجرى الطبع والختم على القلوب (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) أى بالنقمة قبل العافية ، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع مثلة على وزن تمرة وهى العقوبة العظيمة التى تجعل الإنسان مثلا ، والمعنى كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم أفلا يخافون مثل ذلك (وإن ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم) يريد ستره وإمهاله فى الدنيا للكفار والعصاة ، وقيل يريد مغفرته لمن تاب ، والأول أظهر هنا (ويقول الذين كفروا) الآية : اقترحوا نزول آية على النبى صلى الله عليه وآله وسلم من نزول ملك معه أوشبه ذلك ، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التى جاء بها ، وذلك منهم معاندة (إنما أنت منذر) أى إنما عليك إنذارهم ، وليس عليك أن تأتيهم بآية إنما ذلك إلى الله (ولكل قوم هاد) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يراد بالهادى الله تعالى ، فالمعنى إنما عليك الإنذار والله هو الهادى لمن يشاء إذا شاء ، والوجه الثانى أن يريد بالهادى النبى صلى الله عليه وسلم ، فالمعنى إنما أنت نبى منذر ، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك ببدع ولا مستنكر . الثالث روى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا المنذر وأنت يا علىّ الهادى (الله يعلم ماتحمل كل أنثى) كقوله يعلم مافى الأرحام ، وهى من الخمس التى لا يعلمها إلا الله ، ويعنى يعلم هل هو ذكر أو أنثى أو تام أو خداج أو حسن أو قبيح ، أو غير ذلك (وما تغيض الأرحام وما تزداد) معنى تغيض تنقص ، ومعنى تزداد من الزيادة ، وقيل إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقل ويكثر وقيل للولد فالغيض السقط ، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر ، والزيادة إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر ، ويحتمل أن تكون مافى قوله ماتحمل وماتغيض وما تزداد : موصولة أو مصدرية (سواء منكم من أسر القول ومن جهر) المعنى إن الله يسمع كل شىء ، فالجهر والإسرار عنده سواء وفى هذا وما بعده تقسيم ، وهو من أدوات البيان ، فإنه ذكر أربعة أقسام ، وفيه أيضاً مطابقة (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) المعنى سواء عند الله المستخفى بالليل وهو فى غاية الاختفاء مع السارب بالنهار وهو فى غاية الظهور ومعنى السارب المتصرف فى سربه بالفتح : أى فى طريقه ووجهه ، والسارب والمستخفى اثنان قصد التسوية بينهما فى اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما ، وقيل إن المستخفى بالليل والسارب بالنهار : صفتان لموصوف

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ
مِن وَالٍ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۞ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ
خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۞ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۞ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞

واحد يستخفى بالليل ويظهر بالنهار ، ويعضد هذا كونه قال وسارب ، فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومن هو سارب بتكرار من كما قال ، من أسر القول ومن جهر به ، إلا أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به ، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا ، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله ومن هو مستخف لا على مستخف وحده (له معقبات) المعقبات هنا جماعة الملائكة ، وسميت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضاً ، والضمير فى له يعود على من المتقدمة ، كأنه قال لمن أسر ومن جهر ، ولمن استخفى ومن ظهر له معقبات ، وقيل يعود على الله وهو قول ضعيف لأن الضمائر التى بعده تعود على العبد باتفاق (يحفظونه) صفة للمعقبات ، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله أو حفظه وحراسته من الآفات (من أمر الله) صفة للمعقبات أى معقبات من أجل أمر الله أى أمرهم بحفظه ، وقرئ بأمر الله ، وهذه القراءة تعضد ذلك ، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظونه ، وقيل يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بالمعاصى فيقتضى ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا يترك النقم إلا بالذنوب (يريكم البرق خوفاً وطمعاً) الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة ، والطمع فى المطر الذى يكون معه (السحاب الثقال) وصفها بالثقل ، لأنها تحمل الماء (ويسبح الرعد بحمده) الرعد اسم ملك وصوته المسموع تسبيح ، وقد جاء فى الأثر أن صوته زجر للسحاب ، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك (ويرسل الصواعق) قيل إنه إشارة إلى الصاعقة التى نزلت على أربد الكافر وقتلته حين هم بقتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه عامر بن الطفيل واللفظ أعم من ذلك (وهم يجادلون فى الله) يعنى الكفار ، والواو للاستئناف أو للحال (شديد المحال) أى شديد القوة ، والمحال مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنه مفعل ، وقيل معناه شديد المكر من قولك : محل بالرجل إذا مكر به ، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتأويله فى المواضع التى وردت فى القرآن (له دعوة الحق) قيل هى لا إله إلا الله ، والمعنى أن دعوة العباد بالحق لله ودعوتهم بالباطل لغيره (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء) يعنى بالذين : ما عبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها ، والضمير فى يدعون للكفار ، والمعنى أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) شبه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفيه وأشار إليه بالإقبال إلى فيه ولا يبلغ فمه على هذا أبدا لأن الماء جماد لا يعقل المراد ، فكذلك

قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا
الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۞ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا

الأصنام ، والضمير فى قوله وما هو للماء ، وفى ببالغه للفم (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) من لا تقع إلا على من يعقل فهى هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن فإذا جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه فهو عام فى الجميع : من شاء منهم ومن أبى ، ويكون طوعا لمن أسلم وكرها لمن كره وسخط ، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد ، فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعا ، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر (وظلالهم) معطوف على من والمعنى أن الظلال تسجد غدوة وعشية وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله سبحانه وتعالى (قل لله) جواب عن السؤال المتقدم ، وهو من رب السموات والأرض ، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة ، لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه ، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله : أفاتخذتم من دونه أولياء (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الأعمى تمثيل للكافر والبصير تمثيل للمؤمن (الظلمات) الكفر (والنور) الإيمان ، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أم هنا بمعنى بل والهمزة ، وخلقوا صفة لشركاء ، والمعنى أن الله وقفهم هل خلق شركاؤهم خلقا كخلق الله فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إلها غير الله ، ثم أبطل ذلك بقوله «قل الله خالق كل شىء» فحصل الرد عليهم (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية : هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه ، فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء تسيل به الأودية ، وينتفع به أهل الأرض ، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها من المعادن التى ينتفع بها الناس ، وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذى يرى به السيل ويريد تلك المعادن التى يطفو فوقها إذا أذيبت ، وليس فى الزبد منفعة ، وليس له دوام (بقدرها) يحتمل أن يريد ماقدر لها من الماء ، ويحتمل أن يريد بقدر ماتحتمله على قدر صغرها وكبرها (زبدا رابيا) الزبد مايحمله السيل من غثاء ونحوه والرابى المنتفخ الذى ربى ومنه الربوة (ومما يوقدون) المجرور فى موضع خبر المقدم ، والمبتدأ زبد مثله : أى ينشأ من الأشياء التى يوقد عليها زبد مثل زبد السيل (ابتغاء حلية أو متاع) الذى يوقد عليه ابتغاء الحلى : هو الذهب والفضة ، والذى يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفر وشبه ذلك ، والمتاع مايستمتع الناس به فى مرافقهم وحوائجهم (يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب أمثال الحق والباطل (جفاء) يجفاه السيل أى يرمى به (وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض) يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار (للذين استجابوا لربهم الحسنى) الذين استجابوا هم المؤمنون ، وهذا

لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ
الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ
عُقْبَى الدَّارِ ۞ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ

استئناف كلام ، والحسنى الجنة ، وإعرابها مبتدأ وخبرها للذين استجابوا ، وللذين استجابوا مبتدأ وخبره لو أن لهم مافى الأرض الآية فيوقف على الأمثال ، وعلى الحسنى ، وقيل للذين استجابوا يتعلق بيضرب ، والحسنى مصدر من معنى استجابوا : أى استجابوا الاستجابة الحسنى ، والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين استجابوا ، والمعنى : يضرب الله الأمثال للطائفتين ، وعلى هذا إنما يوقف على والذين لم يستجيبوا له (سوء الحساب) أى المناقشة والاستقصاء (أفمن يعلم) تقرير . والمعنى أسواء من آمن ومن لم يؤمن ، والأعمى هنا من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنها نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وأبى جهل لعنه الله (يصلون ماأمر الله به أن يوصل) القرابات وغيرها (ويدرءون بالحسنة السيئة) قيل يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله ، وقيل يدفعون من أساء إليهم بالتى هى أحسن ، والأظهر يفعلون الحسنات فيدرؤن بها السيئات كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات ، وقيل إن هذه الآية نزلت فى الأنصار ، ثم هى عامة فى كل مؤمن اتصف بهذه الصفات (عقبى الدار) يعنى الجنة ، ويحتمل أن يريد بالدار : الآخرة وأضاف العقبى إليها لأنها فيها ، ويحتمل أن يريد بالدار الدنيا ، وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها (جنات عدن) بدل من عقبى الدار أو خبر ابتداء مضمر تفسير العقبى الدار (ومن صلح) أى من كان صالحاً (سلام عليكم) أى يقولون لهم سلام عليكم (بما صبرتم) يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعلق بسلام أى ليسلم عليكم بما صبرتم (والذين ينقضون عهد الله) إلى آخر الآية أوصاف مضافة كما تقدم وقيل إنها فى الخوارج ، والأظهر أنها فى الكفار (سوء الدار) يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع (وفرحوا بالحياة الدنيا) إخبار فى ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا لذلك حقرها بقوله وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ، أى قليل بالنظر إلى الآخرة (قل إن الله يضل من يشاء) خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية أى قد جاءكم محمد

مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۞ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ * وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۞ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ

صلى الله عليه وسلم بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم عنها ، وطلبتم غيرها وتماديتم على الكفر لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات وقد يهدى من يشاء دون ذلك (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بدل من من أناب ، أو خبر ابتداء مضمر والذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل ثان ، أو مبتدأ (طوبى) مصدر من طاب كبشرى ومعناها أصابت خيراً وطيباً ، وقيل هى شجرة فى الجنة ، وإعرابها مبتدأ (كذلك أرسلناك) الكاف تتعلق بالمعنى الذى فى قوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (وهم يكفرون بالرحمن) قيل إنها نزلت فى أبى جهل وقيل نزلت فى قريش حين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن ، وهذا ضعيف ، لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط ، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم (متاب) مفعل من التوبة وهو اسم مصدر (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية : جواب لو محذوف تقديره لو أن قرآنا على هذه الصفة من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به ، فالمعنى كقوله لا يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية ، وقيل تقديره : ولو أن قرآنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذى هو غاية فى التذكير ونهاية فى الإنذار كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا ، وقيل هو متعلق بما قبله والمعنى ، وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال (أفلم ييأس) معناه أفلم يعلم وهى لغة هوازن (ولا يزال الذين كفروا) يعنى كفار قريش (قارعة) يعنى مصيبة فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، أو غزوات المسلمين إليهم (أو تحل) الفاعل ضمير القارعة . والمعنى إما أن تصيبهم ، وإما أن تقرب منهم ، وقيل التاء للخطاب ، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر (حتى يأتى وعد الله) هو فتح مكة ، وقيل قيام الساعة (ولقد استهزئ) الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا حيث وقع (فأمليت) أى أمهلتهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) هو الله تعالى أى حفيظ رقيب على عمل كل أحد ، والخبر محذوف تقديره : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره ، ويدل على ذلك قوله أم جعلوا لله شركاء (قل سموهم) أى اذكروا أسماءهم (أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض) المعنى أن الله لا يعلم

الْحَكِيمُ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ
مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

أخرج) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن (وذكرهم بأيام الله) أى عقوباته للأمم المتقدمة ، وقيل إنعامه على بنى إسرائيل ، واللفظ يعم النعم والنقم ، وعبر عنها بالأيام لأنها كانت فى أيام ، وفى ذلك تعظيم لها كقولهم يوم كذا ويوم كذا (ويذبحون أبناءكم) ذكرهنا بالواو ، ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح أو أعم من ذلك ثم جر الذبح كقوله وملائكته وجبريل وميكال ذكر فى البقرة بغير واو تفسير للعذاب (وإذ تأذن ربكم) من كلام موسى ، وتأذن بمعنى أذن أى أعلم كقولك توعد وأوعد وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به (لئن شكرتم لأزيدنكم) هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال ، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب فى الآخرة أو منهما (ولئن كفرتم) يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر بالإيمان والأول أرجح لمقابلته بالشكر (لا يعلمهم إلا الله) عبارة عن كثرتهم كقوله، وقرونا بين ذلك كثيرا (فردوا أيديهم فى أفواههم) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الضمائر لقوم الرسل ، والمعنى أنهم ردوا أيديهم فى أفواه أنفسهم غيظا من الرسل كقوله، عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، أو استهزاء وضحكا : كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه ، والثانى أن الضمائر لهم ، والمعنى أنهم ردوا أيديهم فى أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت ، والثالث أنهم ردوا أيديهم فى أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ، وردا لقولهم (أفى الله شك) المعنى أفى وجود الله شك أو أفى إلهيته شك ، وقيل فى وحدانيته ، والهمزة للتقرير والتوبيخ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة ، ولذلك وصفه بعد بقوله : فاطر السموات والأرض (من ذنوبكم) قيل إن من زائدة ، ومنع سيبويه زيادتها فى الواجب وهى عنده للتبعيض ، ومعناه أن يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنبه قبل الإسلام ، ويبقى ما يذنب بعده فى المشيئة فوقعت المغفرة فى البعض ولم يأت فى القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكافر كهذا الموضع ، والذى فى الأحقاف وسورة نوح وجاء للمؤمنين بغير من كالذى فى الصف (ويؤخركم إلى أجل مسمى) قال الزمخشرى وأهل مذهبه من المعتزلة : معناه يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم ، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ، وهذا بناء على قولهم بالأجلين ، وأهل السنة يأبون هذا ، فإن الأجل عندهم واحد محتوم،

فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ
هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ
لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۞ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ
غَلِيظٌ ۞ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ

(قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة أو يكون إحالة لنبوة البشر، والأول أظهر لطلبهم البرهان فى قولهم فأتونا بسلطان مبين ولقول الرسل، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده أى بالتفضيل بالنبوة (وما لنا ألا نتوكل على الله) والمعنى أى شىء يمنعنا من التوكل على الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) إن قيل لم كرر الأمر؟ فالجواب عندى أن قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار بسلطان مبين أى حجة ظاهرة، فتوكل الرسل فى ورودها على الله، وأما قوله فليتوكل المتوكلون: فهو راجع إلى قولهم ولنصبرن على ما آذيتمونا أى نتوكل على الله فى دفع أذاكم وقال الزمخشرى إن هذا الثانى فى معنى الثبوت، على التوكل (أو لتعودن فى ملتنا) أو هنا بمعنى إلا أن، أو على أصلها، لوقوع أحد الشيئين، والعود هنا بمعنى الصيرورة، وهو كثير فى كلام العرب ولا يقتضى أن الرسل، كانوا فى ملة الكفار قبل ذلك (خاف مقامى) فيه ثلاثة أوجه هنا وفى ولمن خاف مقام ربه فى الرحمن فالأول أن معناه مقام الحساب فى القيامة والثانى: أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم والثالث أن معناه خافنى وخاف ربه، على إقحام المقام أو على التعبير به عن الذات (واستفتحوا) الضمير للرسل أى استنصروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم (جبار) أى قاهر أو متكبر (عنيد) مخالف للانقياد (من ورائه) فى الموضعين والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان، وقيل معناه هنا أمامه وهو بعيد (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقى تجريدا بعد ذكر جهنم، لأنه من أشد عذابها (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى يتكلف جرعه وتصعب عليه إساغته ونفى كاد يقتضى وقوع الإساغة بعد جهد، ومعنى يسيغه يبتلعه (ويأتيه الموت من كل مكان) أى يجد الماء مثل ألم الموت وكربته من جميع الجهات (وما هو بميت) أى لا يراح بالموت (مثل الذين كفروا) مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما فى مثل الجنة التى فى الرعد والقتال والخبر عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم والخبر عند الفراء الجملة التى بعده، والمثل هنا بمعنى الشبيه (أعمالهم كرماد) تشبيها بالرماد فى ذهابها وتلاشيها (فى يوم عاصف) أى شديد الريح والعصوف فى الحقيقة من صفة الريح (لا يقدرون مما كسبوا على شىء)

شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَٰلُ الْبَعِيدُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ
أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا
مِن مَّحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ الْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن
سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى
كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً
طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۞ يُثَبِّتُ
ٱللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ الظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۞ أَلَمْ

أى لايرون له منفعة (وبرزوا لله) أى ظهروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور ، وقيل معناه صاروا بالبراز ، وهى الأرض المتسعة (تبعا) جمع تابع أومصدر وصف به مبالغة ، أو على حذف مضاف (من عذاب الله من شىء) من الأولى للبيان ، والثانية للتبعيض ، ويجوز أن يكونا للتبعيض معاقاله الزمخشرى ، والأظهر أن الأولى للبيان ، والثانية زائدة والمعنى هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله (محيص) أى مهرب حيث وقع ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان (وقال الشيطان) يعنى إبليس الأقدم ، روى أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة أوفى النار يقوله لأهلها (لما قضى الأمر) إن كان كلام إبليس فى القيامة بمعنى قضى الأمر تعين قوم للنار وقوم للجنة وإن كان فى النار فمعنى قضى الأمر حصل أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة (إلا أن دعوتكم) استثناء منقطع (ما أنا بمصرخكم وماأنتم بمصرخى) أى ماأنا بمغيثكم وماأنتم فمغيثين لى (بما أشركتمون) ماه مصدرية : أى بإشراككم لى مع الله فى الطاعة (من قبل) يتعلق بأشركتمون ويحتمل أن يتعلق بكفرتم ، والأول أظهر وأرجح (إن الظالمين) استئناف من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس (بإذن ربهم) يتعلق بأدخل أو بخالدين ، والأول أحسن (كلمة طيبة) ابن عباس وغيره هى لاإله إلا الله وقيل كل حسنة (كشجرة طيبة) هى النخلة فى قول الجمهور ، واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة إلا أنها كل ماا تصف بتلك الصفات (وفرعها فى السماء) أى فى الهواء ، وذلك عبارة عن طولها (تؤتى أكلها كل حين) الحين فى اللغة وقت غير محدود وقد تقترن به قرينة تحده ، وقيل فى كل حين كل سنة لأن النخلة تطعم فى كل سنة ، وقيل غير ذلك (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر ، وقيل كل كلمة قبيحة (كشجرة خبيثة) هى الحنظلة عند الجمهور ، واختار ابن عطية أنها غير معينة (اجتثت) أى اقتلعت وحقيقة

تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ * قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۞ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى

الاجتثاث أخذ الجثة ، وهذا فى مقابلة قوله أصلها ثابت (بالقول الثابت) هو لا إله إلا الله ، والإقرار بالنبوة (فى الحياة الدنيا) أى إذا فتنوا لم يزلوا (وفى الآخرة) هو عند السؤال فى القبر عند الجمهور (بدلوا نعمة الله كفرا) نعمة الله هنا هو محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ودينه : أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها ، والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا (وأحلوا قومهم) أى من أطاعهم واتبعهم (دار البوار) فسرها بقوله جهنم (يقيموا الصلاة وينفقوا) هى جواب شرط فقد يتضمنه قوله قل تقديره إن تقل لهم أقيموا يقيموا ، ومعمول القول على هذا محذوف ، وقيل جزم بإضمار لام الأمر تقديره ليقيموا (ولا خلال) من الخلة وهى المودة (إن الإنسان) يريد الجنس (البلد آمنا) ذكر فى البقرة (واجنبنى) أى امنعنى ، والماضى منه جنب ، يقال جنب وجنب بالتشديد ، وأجنب بمعنى واحد (وبنىّ) يعنى بنىّ من صلبى وفيهم أجيبت دعوته وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام (ومن عصانى) يعنى من عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه ، فهو الذى يصح أن يدعى له بالمغفرة ولكنه ذكرا للفظ بالعموم لما كان عليه السلام من الرحمة للخلق وحسن الخلق (أسكنت من ذريتى) يعنى ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أمه هاجر غارت منها سارة زوجة إبراهيم فحمله مع أمه من الشام إلى مكة (بواد) يعنى مكة ، والوادى ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء (عند بيتك المحرم) يعنى الكعبة فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء فى بعض الروايات ، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبنى هناك بيتا (ليقيموا الصلاة) اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء أو لام كى وتتعلق بأسكنت وجمع الضمير يدل على أنه قد كان علم أن ابنه يعقوب هناك نسلا (تهوى إليهم) أى تسير بجد وإسراع ولهذه الدعوة حبب الله حج البيت إلى الناس على أنه قال من الناس بالتبعيض ، قال بعضهم : لو قال أفئدة الناس لحجته فارس والروم (وارزقهم من الثمرات) أى ارزقهم فى ذلك الوادى مع أنه غير ذى زرع وأجاب الله دعوته

اللَّهِ من شَيْءٍ فى الْأَرْضِ وَلَا فى السَّمَآءِ * الْحَمْدُ للَّهِ الَّذى وَهَبَ لى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ * رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ * وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ * وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فى مَسَٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُۥٓ

فجعل مكة يجبى إليها ثمرات كل شىء (وما يخفى على الله) الآية : يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى ، أو حكاية عن إبراهيم (وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق) روى أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عاما ، وروى أقل من هذا ، وإسماعيل أسن من إسحق (ربنا وتقبل دعاء) إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فمعنى القبول : الاستجابة ، وإن أراد بالدعاء العبادة ، فالقبول على حقيقته (ربنا اغفر لى ولوالدى) قيل إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما ، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله حسبما ورد فى براءة (ولا تحسبن الله غافلا) هذا وعيد للظالمين وهم الكفار على الأظهر ، فإن قيل لمن هذا الخطاب هنا وفى قوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله ، فالجواب أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أولغيره ، فإن كان لغيره فلا إشكال وإن كان له فهو مشكل لأن النبى صلى الله عليه وسلم لايحسب أن الله غافلا ، وتأويل ذلك بوجهين : أحدهما أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غيرغافل وغيرمخلف وعده ، والآخرأن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فمقصد الكلام الوعيد لهم (تشخص فيه الأبصار) أى تحد النظر من الخوف (مهطعين) قيل الإهطاع الإسراع ، وقيل شدة النظر من غير أن يطرف (مقنعى رؤسهم) قيل الإقناع هو رفع الرأس ، وقيل خفضه من الذلة (لايرتد إليهم طرفهم) أى لايطرفون بعيونهم من الحذر والجزع (وأفئدتهم هواء) أى منحرفة لاتعى شيئا من شدة الجزع فشبهها بالهواء فى تعريفه من الأشياء ، ويحتمل أن يريد مضطربة فى صدورهم (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة ، وانتصاب يوم على أنه مفعول ثان لأنذر ، ولايجوز أن يكون ظرفا (أولم تكونوا) تقديره يقال لهم أولم تكونوا الآية (مالكم من زوال) هو المقسم عليه ، ومعنى من زوال أى من الأرض بعد الموت أى حلفتم أنكم لاتبعثون (وعند الله مكرهم) أى جزاء مكرهم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) إن هنا نافية ، واللام لام الجحود ، والجبال يراد بها الشرائع والنبوات شبهت بالجبال فى ثبوتها ، والمعنى تحقير مكرهم لأنه لاتزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة ؛ وقرأ الكسائى لتزول بفتح اللام ورفع تزول ، وإن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة ، واللام للتأكيد ، والمعنى تعظيم مكرهم أى أن مكرهم من شدته تزول منه الجبال ، ولكن

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ * وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ * لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ *

سـورة الحجر

مكية إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ

الله عصم ووقى منه (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى وعد النصر على الكفار ، فإن قيل هلا قال مخلف رسله وعده ، ولم قدم المفعول الثانى على الأول ؟ فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق ، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس ، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق ، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص (يوم تبدل الأرض غير الأرض) العامل فى الظرف ذوا انتقام أو محذوف ، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقى هكذا ورد فى الحديث الصحيح (والسموات) تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها وقيل تبدل أرضا من فضة ، وسماء من ذهب وهذا ضعيف (وترى المجرمين) يعنى الكفار (مقرنين فى الأصفاد) أى مربوطين فى الأغلال (سرابيلهم) أى قمصهم والسربال القميص (من قطران) متعلق بمحذوف أى جعل الله فيه ذلك وهو الذى تهنأ به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد ، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه (ليجزى) يتعلق بمحذوف أى فعل الله ذلك ليجزى (هذا بلاغ) إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة (ولينذروا) معطوف على محذوف تقديره لينصحوا به ولينذروا (وليذكر أولو الألباب) أى هذا الذكر لأولى العقول وهم أهل العلم رضى الله عنهم

سـورة الحجر

(تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة ، وعطف القرآن عليها ، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ، وما حرف كافة لرب ، ومعنى رب التقليل ، وقد تكون للتكثير ، وقيل إن هذه منه ، وقيل إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم كقوله : قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، وقد يعلم ما أنتم عليه ، وقيل إن معنى التقليل فى هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة ولا تدخل إلا على الماضى (يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قيل إن ذلك عند الموت ، وقيل

مَّعْلُومٌ ۞ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۞ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۞ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ۞ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۞

فى القيامة ، وقيل إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، وهذا هو الأرجح لحديث روى فى ذلك (ذرهم) ومابعده تهديد (كتاب معلوم) أى وقت محدود (وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) الضمير فى قالوا لكفار قريش ، وقولهم نزل عليه الذكر يعنون على وجه الاستخفاف ، أى بزعمك ودعواك (لو ماتأتينا بالملائكة)لوماعرض وتحضيض ، والمعنى أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة معه (ماننزل الملائكة إلا بالحق) رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى أن الملائكة لاتنزل إلا بالحق من الوحى والمصالح ، التى يريدها الله ، لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، وقيل الحق هنا العذاب (وما كانوا إذاً منظرين) إذاً حرف جواب وجزاء ، والمعنى لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار ، الذين اقترحوا نزولهم ، لأن من عادة الله أن من اقترح آية فرآها ولم يؤمن أنه يعجل له العذاب ، وقد علم الله ، أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الذكر هنا هو القرآن وفى قوله إنا نحن نزلنا الذكر رداً لإنكارهم واستخفافهم فى قولهم : يا أيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك أكده بنحن واحتج عليه بحفظه ، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى فى غيره من الكتب ، فتولى الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب ، فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله بما استحفظوا من كتاب الله (فى شيع الأولين) الشيع جمع شيعة وهى الطائفة التى تتشيع لمذهب أو رجل (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) معنى نسلكه ندخله ، والضمير فى نسلكه يحتمل أن يكون للاستهزاء الذى دل عليه قوله به يستهزؤن أو يكون للقرآن أى نسلكه فى قلوبهم فيستهزؤا به ، ويكون قوله كذلك تشبيها للاستهزاء المتقدم ، ولا يؤمنون به تفسيرا لوجه إدخاله فى قلوبهم ، والضمير فى به للقرآن (وقد خلت سنة الأولين) أى تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى هلكوا بذلك ، ففى الكلام تهديد لقريش (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا) الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر وقيل الضمير فى ظلوا وفى يعرجون للملائكة وفى قالوا للكفار ، ومعنى يعرجون يصعدون ، والمعنى أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخييل أو سحر ، وقرئ سكرت بالتشديد والتخفيف ، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر ، فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۞ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۞ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ
السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۞ وَجَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۞ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞
وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ
وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۞ وَإِذْ
قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا
لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ

من النظر (بروجا) يعنى المنازل الاثنى عشر (إلا من استرق السمع) استثناء من حفظ السموات فهو فى موضع نصب (من كل شىء موزون) أى مقدر بقدر ، فالوزن على هذا استعارة وقيل المراد مايوزن حقيقة كالذهب والأطعمة ، والأول أعم وأحسن (ومن لستم له برازقين) يعنى البهائم والحيوانات ومن معطوف على معايش وقيل على الضمير فى لكم ، وهذا ضعيف فى النحو لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وهو قوى فى المعنى أى جعلنا فى الأرض معايش لكم وللحيوانات (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه) قيل يعنى المطر ، واللفظ أعم من ذلك ، والخزائن المواضع الخازنة ، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت ، وقيل ذلك تمثيل ، والمعنى وإن من شىء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه (بقدر معلوم) أى بمقدار محدود (وأرسلنا الرياح لواقح) يقال لقحت الناقة والشجرة إذا حملت فهى لافحة وألقحت الريح الشجر فهى ملقحة ولواقح جمع لاقحة ، لأنها تحمل الماء أو جمع ملحقة على حذف الميم الزائدة (ولقد علمنا المستقدمين) الآية : يعنى الأولين والآخرين من الناس ، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذى ذكر بعد ذلك فى قوله وإن ربك هو يحشرهم لأنه إذا أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم ، وقيل يعنى من استقدم ولادة وموتاً ومن تأخر ، وقيل من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال) الإنسان هنا هو آدم عليه السلام ، والصلصال الطين اليابس الذى يصلصل أى يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار (من حمأ مسنون) الحمأ الطين الأسود ، والمسنون المتغير المنتن ، وقيل إنه من أسن الماء إذا تغير ، والتصريف يرد هذا القول ، وموضع من حمأ صفة لصلصال : أى صلصال كائن من حمأ (والجان خلقناه) يراد به جنس الشياطين ، وقيل إبليس الأول ، وهذا أرجح لقوله من قبل وتناسلت الجن من إبليس وهو للجن كآدم للناس (السموم) شدة الحر (خالق بشرا) يعنى آدم عليه السلام (ونفخت فيه من روحى) يعنى الروح التى فى الجسد ، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك أى من الروح

أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ
فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * وَنَبِّئْهُمْ
عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ *
قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن

الذى هو لى وخلق من خلقى ، وتقدم الكلام على سجود الملائكة فى البقرة (فاخرج منها) أى من الجنة أومن السماء (قال رب) يقتضى إقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود ، وهو اعتراضه على الله فى أمره بالسجود لآدم (إلى يوم الوقت المعلوم) اليوم الذى طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة ، وقيل الوقت المعلوم الذى أنظر إليه هو يوم النفخ فى الصور النفخة الأولى حين يموت من فى السموات ومن فى الأرض وكان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة إذ سأل مالا سبيل إليه لأنه لو أعطى ماسأل لم يمت أبدا لأنه لا يموت أحد بعد البعث فلما سأل مالا سبيل إليه : أعرض الله عنه ، وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى (فبما أغويتنى) الباء للسببية أى لأغوينهم بسبب إغوائك لى ، وقيل للقسم كأنه قال بقدرتك على إغوائى لأغوينهم ، والضمير لذرية آدم (قال هذا صراط على مستقيم) القائل لهذا هو الله تعالى ، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوى ومخلص (إلا عبادك) يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس ، فيكون قوله إلا من اتبعك استثناء متصل أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعا (وإن جهنم لموعدهم) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب) روى أنها سبعة أطباق فى كل طبقة باب ، فأعلاها للمذنبين من المسلمين والثانى لليهود ، والثالث للنصارى ، والرابع للصابئين والخامس للمجوس ، والسادس للمشركين ، والسابع للمنافقين (ادخلوها) تقديره يقال لهم ادخلوها والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة (إخواناً) يعنى أخوة المودة والإيمان (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضاً على الأسرة (نصب) أى تعب (نبىء عبادى) الآية : أعلمهم والآية آية ترجية وتخويف (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة الذين جاؤا إلى إبراهيم بالبشرى (وجلون) أى خائفون ، والوجل الخوف (لا توجل) أى لا تخف (إنا نبشرك بغلام عليم) هو إسحاق (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر) المعنى أبشرتمونى بالولد مع أننى قد كبرسنى ،

يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا الضَّآلُّونَ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞
إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۞ قَالُوا بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ وَأَتَيْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ * فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۞ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ
الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۞ وَجَآءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا
تَفْضَحُونِ ۞ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۞ قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَٰلَمِينَ * قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۞
لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً

وكان حينئذ ابن مائة سنة ، وقيل أكثر (فبم تبشرون) قال ذلك على وجه التعجب من ولادته فى كبره أو على وجه الاستبعاد ، ولذلك قرئ تبشرون ، بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع فى نون الوقاية وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين وبالفتح وهى نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) أى باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) دليل على تحريم القنوط ، وقرئ يقنط بفتح النون وكسرها وهما لغتان (قال فما خطبكم) أى ماشأنكم، وبأى شىء جئتم (إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (إلا آل لوط) يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعاً لوصف القوم بالاجرام، ولم يكن آل لوط مجرمين ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير فى المجرمين، فيكون متصلا كأنه قال إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا (إلا امرأته) استثناء من آل لوط ، فهو استثناء من استثناء وقال الزمخشرى إنما هو استثناء من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم ، وذلك هو الذى يقتضيه المعنى (قدرنا إنها لمن الغابرين) الغابر يقال بمعنى الباقى ، وبمعنى الذاهب وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ، وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله ، لاسيما فى هذه القضية ، كما تقول خاصة الملك للملك دبرنا كذا ويحتمل أن يكون حكاية عن الله (قوم منكرون) أى لانعرفهم (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه (واتبع أدبارهم) أى كن خلفهم أى فى ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا قدامه ، فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم (ولا يلتفت منكم أحد) تقدم فى هود (وامضوا حيث تؤمرون) قيل هى مصر وقيل حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان (وقضينا إليه ذلك الأمر) هو من القضاء والقدر ، وإنما تعدى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا وقيل معناه أعلمناه بذلك الأمر (أن دابر هؤلاء مقطوع) هذا تفسير لذلك الأمر ، ودابر القوم أصلهم ، والإشارة إلى قوم لوط (مصبحين) فى الموضعين أى إذا أصبحوا ودخلوا فى الصباح (وجاء أهل المدينة يستبشرون) المدينة هى سدوم واستبشار أهلها بالأضياف طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة (قالوا أولم ننهك عن العالمين) كانوا قد نهوه أن يضيف أحداً (قال هؤلاء بناتى) دعاهم إلى تزويج بناته ليقى بذلك أضيافه (لعمرك) قسم والعمر الحياة ، فى ذلك كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم ، لأن الله أقسم بحياته ، أو قيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمى واللام للتوطئة (إنهم لفى

مِّن سِجِّيلٍ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۞ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۞ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۞ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۞ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا

سكرتهم يعمهون) الضمير لقوم لوط ، وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ، ويعمهون أى يتحيرون (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة جبريل وهى أخذه لهم (مشرقين) أى داخلين فى الشروق وهو وقت بزوغ الشمس ، وقد تقدم تفسير مابعد هذا من قصتهم فى هود (للمتوسمين) أى للمتفرسين ، ومنه فراسة المؤمن ، وقيل للمعتبرين ، وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة (وإنها لبسبيل مقيم) أى بطريق ثابت يراه الناس والضمير المدينة المهلكة (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) أصحاب الأيكة قوم شعيب والأيكة الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا (وإنهما لبإمام مبين) الضمير فى إنهما قيل إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب ، فالإمام على هذا الطريق : أى إنهما بطريق واضح يراه الناس ، وقيل الضمير للوط وشعيب أى إنهما على طريق من الشرع واضح والأول أظهر (أصحاب الحجر) هم ثمود قوم صالح ، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام (المرسلين) ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم وفى ذلك تأويلان أحدهما أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد ، والثانى أنه أراد الجنس كقولك فلانا يركب الخيل ، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة ، وما كان فيها من العجائب (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) النحت النقر بالمعاويل وشبهها فى الحجر والعود وشبه ذلك وكانوا ينقرون بيوتهم فى الجبال (آمنين) يعنى آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها ، وقيل آمنين من عذاب الله (إلا بالحق) يعنى أنها لم تخلق عبثا (فاصفح الصفح الجميل) قيل إن الصفح الجميل هو الذى ليس معه عقاب ولا عتاب ، وفى الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) يعنى أم القرآن لأنها سبع آيات ، وقيل يعنى السور السبع الطوال ، وهى البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ، والأول أرجح لوروده فى الحديث ، والمثانى مشتق من التثنية وهى التكرير ، لأن الفاتحة تكرر قراءتها فى الصلاة ، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها ، وقيل هى مشتقة من الثناء ، لأن فيها ثناء على الله ، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس ، وعطف القرآن على السبع المثانى لأنه يعنى ماسواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص (لا تمدن عينيك) أى لا تنظر إلى مامتعناهم به فى الدنيا كأنه يقول قد آتيناك السبع المثانى والقرآن العظيم ، فلا تنظر إلى الدنيا ، فإن الذى أعطيناك أعظم منها (أزواجا منهم) يعنى أصنافا من الكفار

النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۞ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۞ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۞ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۞ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۞ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۞

سورة النحل

مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ

(ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف لكفرهم (واخفض جناحك) أى تواضع ولن (المؤمنين) والجناح هنا استعارة (كما أنزلنا على المقتسمين) الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أى أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين، واختلف فى المقتسمين فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقتسموا إلى قسمين، وقيل هم قريش اقتسموا أبواب مكة فى الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، يقول أحدهم هو شاعر، ويقول الآخر هو ساحر، وغير ذلك (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضة وقيل هو من العضه وهو السحر، والعاضه الساحر، والمعنى على هذا أنه سحر، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثانى هاء (فوربك لنسئلنهم أجمعين) إن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفى هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها (فاصدع بما تؤمر) أى صرح به وأنفذه (إنا كفيناك المستهزئين) يعنى قوماً من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعى النبى صلى الله عليه وسلم، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث وعدى بن قيس، وقصة هلاكهم مذكورة فى السير، وقيل الذين قتلوا ببدر كأبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعه وأمية بن خلف وعقبة بن معيط أبى وغيرهم، والأول أرجح، لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتأنيس (حتى يأتيك اليقين) أى الموت.

سورة النحل

(أتى أمر الله) قيل يعنى القيامة، وقيل النصر على الكفار، وقيل عذاب الكفار فى الدنيا، ووضع الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر ولقربه، وروى أنها لما نزلت وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فلما قال

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟
بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ
بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

فلا تستعجلوه سكن (ينزل الملائكة بالروح) أى بالنبوة وقيل بالوحى (خلق الإنسان من نطفة) أى من نطفة المنى، والمراد جنس الإنسان (فإذا هو خصيم مبين) فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه والثانى يخاصم فى ربه ودينه، وهذا فى الكفار والأول أعم (لكم فيها دفء) أى ما يتدفأ به، يعنى ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقاً بما قبله أو بما بعده ويختلف الوقوف باختلاف ذلك (ومنافع) يعنى شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك (ومنها تأكلون) يحتمل أن يريد بالمنافع ماعدا الأكل فيكون الأكل أمراً زائداً عليها أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الجمال حسن المنظر وحين تريحون يعنى حين تردونها بالعشى إلى المنازل، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعى، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشى أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة (وتحمل أثقالكم يعنى الأمتعة وغيرها وقيل أجساد بنى آدم (إلى بلد) أى إلى أى بلد توجهتم، وقيل يعنى مكة (بشق الأنفس) أى بمشقة (لتركبوها وزينة) استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير، لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله، وهو معطوف على موضع لتركبوها (ويخلق مالا تعلمون) عبارة على العموم أى أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل ماذكر فى هذه الآية شيئاً مخصوصا فهو على وجه المثال (وعلى الله قصد السبيل) أى على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل والمراد بالسبيل هنا الجنس، ومعنى القصد القاصد الموصل، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف (ومنها جائر) الضمير فى منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر: الخارج عن الصواب: أى ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم (ماء لكم) يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل أو يكون فى موضع خبر لشراب، أو صفة لسماء (ومنه شجر) يعنى ماينبت بالمطر من الشجر (فيه تسيمون) أى ترعون أنعامكم (وماذرأ لكم فى الأرض) يعنى الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك (مختلفا ألوانه) أى

يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَأَلْقَىٰ فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۞ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۞ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

أصنافه وأشكاله (لحما طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجواهر والمرجان (مواخر فيها) جمع ماخرة يقال مخرت السفينة ، والمخر شق الماء ، وقيل صوت جرى الفلك بالرياح (لتبتغوا من فضله) يعنى فى التجارة وهو معطوف على لتأكلوا (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) الرواسى الجبال ، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت ، وأن تميد فى موضع مفعول من أجله ، والمعنى أنه ألقى الجبال فى الأرض لئلا تميد الأرض وروى أنه لما خلق الله الأرض جعلت تميد فقالت الملائكة لا يستقر على ظهرها أحد فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) قال ابن عطية أنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخص من جعل وخلق : ولو كانت ألقى بمعنى خلق : لم يحتج إلى هذا الإضمار (وسبلا) يعنى الطرق (وعلامات) يعنى ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك ، وهو معطوف على أنهارا وسبلا قال ابن عطية هو نصب على المصدر أى لعلكم تعتبرون ، وعلامات أى عبرة وأعلاما (وبالنجم هم يهتدون) يعنى الاهتداء بالليل فى الطرق ، والنجم هنا جنس ، وقيل المراد الثريا والفرقدان ، فان قيل : قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ؛ فمن المراد بهم؟ فالجواب أنه أراد قريشا لأنهم كان لهم فى الاهتداء بالنجم فى سيرهم علم لم يكن لغيرهم ، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصوا ، قال ذلك الزمخشرى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) تقرير يقتضى الرد على من عبد غير الله ، وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل ، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبها بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق ، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه ولذلك أعقبها بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم أعقب ذلك بقوله إن الله لغفور رحيم : أى يغفر لكم التقصير فى شكر نعمه (والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) نفى عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضدادها ، وهى أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث ، فلما قام البرهان ، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده ، فقال : إلهكم إله واحد (أموات غير أحياء) أى لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق فى موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب موته حياة (وما يشعرون أيان يبعثون) الضمير فى يشعرون للأصنام وفى يبعثون للكفار الذين عبدوهم ، وقيل إن الضميرين للكفار (قلوبهم منكرة) أى تنكر وحدانية الله عز وجل (لا جرم) أى لا بد ولا شك ،

الْمُسْتَكْبِرِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۞ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ
الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ۞ الَّذِينَ
تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ *
فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا

وقيل إن لانفى لما تقدم ، وجرم معناه وجب ، أو حق ، وأن فاعلة بجرم (أساطير الأولين) أى ماسطره الأولون ، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ ، وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين ، وحديثى أجمل من حديثه ، وماذا يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ، ويكون منصوبا بأنزل أو أن تكون ماستفهامية فى موضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذى ، وفى أنزل ضمير محذوف (ليحملوا أوزارهم) اللام لام العاقبة والصيرورة : أى قالوا أساطير الأولين ، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ، ويحتمل أن تكون للأمر (بغير علم) حال من المفعول فى يضلونهم ، أومن الفاعل (فأتى الله بنيانهم من القواعد) الآية : قيل المراد بالذين من قبلهم نمروذ ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه ، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه ، وقيل المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ، ونزلت به عقوبة الله فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل (ويقول أين شركائى) توبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه أى على زعمكم ودعواكم ، وفيه تهكم بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تعادون من أجلهم فمن قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عز وجل ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم (قال الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من كل أمة ، وقيل يعنى الملائكة ، واللفظ أعم من ذلك (ظالمى أنفسهم) حال من الضمير المفعول فى تتوفاهم (فألقوا السلم) أى استسلموا للموت (ما كنا نعمل من سوء) أى قالوا ذلك ، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم فى أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كذب فى نفس الأمر (بلى) من قول الملائكة للكفار : أى قد كنتم تعملون السوء (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين : قابل ذلك بمقالة المؤمنين ، فإن قيل : لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا ، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين ؟ فالجواب : أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرا ، ففى ذلك اعتراف بأن الله أنزله ، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه ، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ، والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله ، لأن تقديره أنزل ، فإن قيل : يلزم مثل هذا فى الرفع ، لأن تقديره هو أساطير الأولين فإنه غير مطابق للسؤال الذى هو ماذا أنزل ربكم ، فالجواب : أنهم عدلوا بالجواب

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۞ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ الْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا ٱللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ

عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ، ولم ينزله الله (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره ، والجملة بدل من خيرا ، وتفسير للخير الذى قالوا ، وقيل هى استئناف كلام الله تعالى ، لا من كلام الذين قالوا خيراً (جنات عدن) يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم ، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر ابتداء مضمر ، ويحتمل أن يكون مبتد أوخبره يدخلونها أو مضمر تقديره لهم جنات عدن (هل ينظرون) أى ينتظرون ، والضمير للكفار وإلا أن تأتيهم الملائكة يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى قيام الساعة أو العذاب فى الدنيا (فأصابهم سيئات ماعملوا) أى أصابهم جزاء سيئات ماعملوا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم العذاب الذى كانوا به يستهزؤن ، وهذا تفسيره حيث وقع (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء) قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم أى أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله مافعلناه ، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضى على من يشاء من عباده ، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك فى الآخرة على وجه التمنى فإن «لو» تكون للتمنى والمعنى على هذا أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها (فإن الله لا يهدى من يضل) قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أى لا يهدى غير الله من يضله الله وقرئ يهدى بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا لا يهدى الله من قضى بإضلاله (وما لهم من ناصرين) الضمير عائد على من يضل ، لأنه فى معنى الجمع (بلى) رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أى أنه يبعثه (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) اللام تتعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم ، وهذا برهان أيضاً على

أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۞ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ
رَحِيمٌ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۞

البعث ، فان الناس مختلفون فى أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (إنما قولنا لشىء الآية : برهان أيضاً على البعث لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى (والذين هاجروا فى الله) يعنى الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة ، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها ، وقيل نزلت فى أبى جندل بن سهيل وخبره مذكور فى السير فى قصة الحديبية ، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهى المدينة التى استقروا بها ، وقيل إن حسنة صفة لمصدر : أى نبوئهم تبوئة حسنة وقرئ لنثوبنهم بالثاء من الثواب (الذين صبروا) وصف للذين هاجروا ، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتاً أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين (إلا رجالا) رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر (فاسألوا أهل الذكر) يعنى أحبار اليهود والنصارى أى لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر (بالبينات والزبر) يتعلق بأرسلنا الذى فى أول الآية على التقديم والتأخير فى الكلام ، أو بأرسلنا مضمراً وبيوحى أو بتعلمون (وأنزلنا إليك الذكر) يعنى القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك نصه وتعليمه للناس ، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله ، فيدخل فى هذا ماتبينته السنة من الشريعة (أفأمن الذين مكروا السيئات) يعنى كفار قريش عند جمهور المفسرين ، والسيئات تحتمل وجهين : أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات : أى المعاصى فيكون مكروا يتضمن معنى عملوا ، والآخر أن يريد بالمكرات السيئات مكرهم بالنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيكون المكر على بابه (أو يأخذهم فى تقلبهم) يعنى فى أسفارهم (فما هم بمعجزين) أى بمفلتين حيث وقع (أو يأخذهم على تخوف) فيه وجهان أحدهما أن معناه على تنقص أى ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئا بعد شىء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة ، ولهذا أشار بقوله ، فإن ربكم لرؤوف رحيم ، لأن الأخذ هكذا أخف من غيره ، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف فى الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص فى لغتنا ، والوجه الثانى أنه من الخوف أى يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك ، فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه ذلك خلاف قوله وهم لا يشعرون (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله) معنى الآية اعتبار بانتقال الظل ، ويعنى بقوله ماخلق الله من شىء : الأجرام التى لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَارْهَبُونِ ۞ وَلَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۞ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا

وغير ذلك ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس ، وقوله يتفيؤ من الفيء وهو الظل الذى يرجع بعكس ما كان غدوة ، وقال رؤبة بن العجاج يقال بعد الزوال ظل وفيء ، ولا يقال قبله إلا ظل ، فى لفظة يتفيؤ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص فى موضع العموم لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره ، فوضع يتفيؤ وضع ينتقل أو يميل والضمير فى ظلاله يعود على ما أو على شيء (عن اليمين والشمائل) يعنى عن الجانبين أى يرجع الظل من جانب إلى جانب ، واليمين بمعنى الأيمان ، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام ، فان اليمين والشمائل إنما هما فى الحقيقة للإنسان (سجدا لله) حال من الظلال ، وقال الزمخشرى حال من الضمير فى ظلاله إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله من شيء ، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال ، وعلى الثانى يكون من صفة الأجرام واختلف فى معنى هذا السجود ، فقيل عبر به عن الخضوع والانقياد ، وقيل هو سجود حقيقة (وهم داخرون) أى صاغرون وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة) يحتمل أن يكون من دابة بيان لما فى السموات وما فى الأرض معا لأن كل حيوان يصح أن يوصف بانه يدب ، ويحتمل أن يكون بيانا لما فى الأرض خاصة وإنما قال ما فى السموات وما فى الأرض ليعم العقلاء وغيرهم ، ولو قال من فى السموات لم يدخل فى ذلك غير العقلاء قاله الزمخشرى (والملائكة) إن كان قوله من دابة بيانا لما فى السموات والأرض ، فقد دخل الملائكة فى ذلك ، وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا وإن كان من دابة لما فى الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة فى ذلك فعطفهم على ماقبلهم (يخافون ربهم من فوقهم) هذا إخبار عن الملائكة) وهو بيان نفى الاستكبار ، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التى يمسك عن تأويلها ، وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم (لا تتخذوا إلهين اثنين) وصف الإلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان ، فلا يكون فى الكلام تأكيد (فإياى فارهبون) خرج من الغيبة إلى التكلم ، لأن الغائب هو المتكلم ، وإياى مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله (وله الدين واصبا) أى واجبا وثابتا ، وقيل دائما ، وانتصابه على الحال من الدين (وما بكم من نعمة فمن الله) يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلا بما قبله : أى كيف تتقون غير الله ، وما بكم من نعمة فمنه وحده (فإليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع (ليكفروا بما آتيناهم) اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده : فتمتعوا فسوف تعلمون ، فعلى هذا يبتدئ بها ، وقيل هى لام العاقبة ، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها فى الأصل لام كى ، وذلك بعيد فى المعنى ، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ
الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۞ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ
الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ
دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ
مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ۞ تَاللَّهِ لَقَدْ
أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

آتيناهم ، أو كفرا لجحود والشرك لقوله بربهم يشركون (فتمتعوا) يريد التمتع فى الدنيا ، وذلك أمر على وجه التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) الضمير فى يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها ، والمراد بقوله لما لا يعلمون الأصنام ، والضمير فى لا يعلمون للكفار أى لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة ، وقيل الضمير فى لا يعلمون للأصنام أى الأشياء غير عالمة وهذا بعيد (ويجعلون لله البنات) إشارة إلى قول الكفار إن الملائكة بنات الله ، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله (سبحانه ولهم مايشتهون) المعنى أنهم يجعلون لأنفسهم مايشتهون يعنى بذلك الذكور من الأولاد ، وأما الإعراب فيجوز أن يكون مايشتهون مبتدأ وخبره المجرور قبله ، وأن يكون مفعولا بفعل مضمر تقديره ويجعلون لأنفسهم مايشتهون ، وأن يكون معطوفا على البنات على أن هذا يمنعه البصريون ، لأنه من باب ضربتنى وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) إخبار عن حال العرب فى كراهتهم البنات ، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها ، أو بمعنى صار ، والسواد عبارة عن العبوس والغم ، وقد يكون معه سواد حقيقة ، وكظيم قد ذكر فى يوسف (يتوارى من القوم) أى يستخفى من أجل سوء مابشربه (أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب) المعنى يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التى بشر بها على هوان وذل لها ، أو يدفنها فى التراب حية ، وهى الموءودة ، وهذا معنى يدسه فى التراب (مثل السوء) أى صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص (ولله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى من الغنى عن كل شىء والنزاهة عن صفات المخلوقين (ولو يؤاخذ) يعنى لو يعاقبهم فى الدنيا (بظلمهم) أى بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) الضمير للأرض (من دابة) يعم بنى آدم وغيرهم وهذا يقتضى أن تهلك الحيوانات بذنوب بنى آدم ، وقد ورد ذلك فى الأثر ، وقيل يعنى بنى آدم خاصة (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى البنات (أن لهم الحسنى) أن بدل من الكذب ، والحسنى هنا قيل هى الجنة ، وقيل ذكور الأولاد (وأنهم مفرطون) بكسر الراء والتخفيف من الإفراط : أى متجاوزون الحد فى المعاصى ، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أى معجلون إلى النار ، وبكسر الراء والتشديد من التفريط (فهو وليهم اليوم) يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة (وهدى ورحمة) معطوفان على

الْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۞ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ

موضع لتبين ، وانتصبا على أنهما مفعول من أجله : أى لأجل البيان والهدى والرحمة (نسقيكم) بفتح النون وضمها لغتان ، يقال سقى وأسقى (مما فى بطونه) الضمير للأنعام ، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس ، وإذا أنث فهو جمع نعم (من بين فرث ودم) الفرث هى ما فى الكرش من الغدد ، والمعنى أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة ، ومن فى قوله مما فى بطونه للتبعيض قوله من بين فرث لابتداء الغاية (سائغا للشاربين) يعنى سهلا للشرب حتى قيل لم يغص أحد قط باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها ، ويدل عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات معطوف على مما فى بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون ، وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون (سكرا) يعنى الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها فهى منسوخة بالتحريم ، وقيل إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التى فى الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، فلا نسخ ، وقيل السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والرزق الحسن : العنب والتمر والزبيب (وأوحى ربك إلى النحل) الوحى هنا بمعنى الإلهام ، فإن الوحى على ثلاثة أنواع : وحى كلام ، ووحى منام ، ووحى إلهام (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أن مفسرة للوحى الذى أوحى إلى النحل ، وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الأنواع إما فى الجبال وكواها ، وإما فى متجوف الأشجار وإما فيما يعرش بنى آدم من الأجباح والحيطان ونحوها ومن فى المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا فى بعض الجبال ، وبعض الشجر ، وبعض الأماكن وعرش معناه هيأ أو بنى ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأعصان والخشب (ثم كلى من كل الثمرات) عطف كلى على اتخذى ، ومن للتبعيض ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار ، وقيل المعنى من كل الثمرات التى تشتهيها (فاسلكى سبل ربك) يعنى الطرق فى الطيران ، وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقه (ذللا) أى مطيعة منقادة ويحتمل أن يكون حالا من السبل ، قال مجاهد لم يتعرض قط على النحل طريق أو حالا من النحل أى منقادة لما أمرها الله به (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلفا ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) الضمير للعسل ، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض وكان ابن عمر يتداوى به من كل شىء ، فكأنه أخذه على العموم وعلى ذلك الحديث عن النبى صلى الله عليه

الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ

وسلم أن رجلا جاء إليه ، فقال إن أخى يشتكى بطنه ، فقال اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع ، قال فاذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاه فشفاه الله عز وجل (إلى أرذل العمر) أى إلى أخسه وأحقره ، وهو الهرم وقيل حده خمسة وسبعين عاما ، وقيل ثمانون ، والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام الصيرورة أى يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم ، وليس المراد نفى العلم بالكلية ، بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان ، وقيل المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) الآية فى معناها قولان : أحدهما أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين مماليككم فى الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ، فكيف تجعلون عبيدى شركاء لى ، والآخر أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء فى الحديث : أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ، والأول أرجح (أبنعمت الله يجحدون) الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله ، وعبادة غيره ، وعلى المعنى الثانى إشارة إلى جنس المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعنى الزوجات ، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم ، أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم ، وأسند ذلك إلى بنى آدم لأنهم من ذريته (وحفدة) جمع حافد قال ابن عباس : هم أولاد البنين ، وقيل الأصهار وقيل الخدم ، وقيل البنات إلا أن لفظ المذكور لا يدل عليهم ، والحفدة فى اللغة الخدمة (ويعبدون من دون الله) الآية : توبيخ للكفار ، وردّ عليهم فى عبادتهم الأصنام ، وهى لا تملك لهم رزقا ، وانتصب رزقا لأنه مفعول بيملك ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق ، فإن كان مصدرا فإعراب شيئا مفعول به ، لأن المصدر نصيب المفعول ، وإن كان اسما فإعراب شيئا بدل منه (ولا يستطيعون) الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهية ، ونفى الاستطاعة بعد نفى الملك ، لأن نفيها أبلغ فى الذم (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا) الآية : مثل لله تعالى والأصنام ، فالأصنام كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شىء ، والله تعالى له الملك ، وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام ، وإنما قال لا يقدر على شىء لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له (ومن رزقناه) من هنا نكرة موصوفة ، والمراد بها من هو حر قادر كأنه قال وحرا رزقناه ليطابق عبدا ، ويحتمل أن تكون موصولة (هل

مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم

يستوون) أى هل يستوى العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل (الحمد لله) شكرا لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى الكفار (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية : مثل لله تعالى وللأصنام كالذى قبله ، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وقيل إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، والأظهر عدم التعيين (وهو كل على مولاه) الكلّ الثقيل يعنى أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل للأصنام والذى يأمر بالعدل هو الله تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) بيان لقدرة الله على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه كقوله : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، وقيل المراد سرعة إتيانها (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الأمهات جمع أم زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل ، وقرئ بضم الهمزة وبكسرها إتباعا للكسرة قبلها (فى جو السماء) أى فى الهواء البعيد من الأرض (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) السكن مصدر يوصف به ، وقيل هو فعل بمعنى مفعول ومعناه مايسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعنى الأدم من القباب وغيرها (تستخفونها) أى تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) يعنى فى السفر والحضر ، واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل ، وقرئ ظعنكم بفتح العين ، وإسكانها تخفيفا (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الأصواف للغنم ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز والبقر (أثاثا) الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها ، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل (ومتاعا إلى حين) أى إلى وقت غير معين ، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى أو إلى أن تموت (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أى نعمة عددها الله عليهم بالظل ، لأن الظل مطلوب فى بلادهم محبوب لشدة حرها ، ويعنى بما خلق من الشجر وغيرها (وجعل لكم من الجبال أكنانا) الأكنان جمع كن ، وهو ما يقى من المطر والريح وغير ذلك ، ويعنى بذلك الغيران والبيوت المنحوتة فى الجبال (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) السرابيل هى الثياب من القمص وغيرها ، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ، لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم ، وقيل لأن ذكر أحدهما يغنى عن ذكر الآخر (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى دروع الحديد (يعرفون نعمت الله)

بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ۞ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ
ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ ۞ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا
شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞
وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ۞ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا
بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ *
وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ

إشارة إلى ماذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير فى يعرفون للكفار، وإنكارهم لنعم الله إشراكهم به وعبادة غيره، وقيل نعمة الله هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) أى يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى لا يؤذن لهم فى الاعتذار (ولاهم يستعتبون) أى لا يسترضون، وهو من العتبى بمعنى الرضى (ولاهم ينظرون) يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر: أى لا ينظر الله إليهم (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) الضمير فى القول للمعبودين والمعنى أنهم كذبوهم فى قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون، فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم فى تسميتهم شركاء لله، لا فى العبادة (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أى استسلموا له وانقادوا (زدناهم عذابا فوق العذاب) روى أن الزيادة فى العذاب هى حيات وعقارب كالبغال تلسعهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) يعنى بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك فى حقوق الله تعالى وفى حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية فى كتاب الله تعالى (وإيتاء ذى القربى) الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك فى العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماما به (وينهى عن الفحشاء) قيل يعنى الزنا، واللفظ أعم من ذلك (والمنكر) هو أعم من الفحشاء، لأنه يعم جميع المعاصى (والبغى) يعنى الظلم (ولا تنقضوا الأيمان) هذا فى الأيمان التى فى الوفاء بها خير، وأما ما كان تركه أولى، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير منه، كما جاء فى الحديث، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان فى حق غيره، أو معاهدة لغيره (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى رقيباً ومتكفلا بوفائكم بالعهد، وقيل إن هذه الآية نزلت

مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا تَشْتَرُوا
بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ
الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞
إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ
مُشْرِكُونَ ۞ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ

فى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف فى الجاهلية (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التى تغزل غزلا قوياً ثم تنقضه ، وروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد ، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه ، وقيل إنما شبه بامرأة غير معينة (أنكاثاً) جمع نكث وهو ما ينكث أى ينقض ، وانتصابه على الحال (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) الدخل الدغل ، وهو قصد الخديعة (أن تكون أمة هى أربى من أمة) أن فى موضع المفعول من أجله : أى بسبب أن تكون أمة ، ومعنى أربى : أكثر عدداً أو أقوى ، ونزلت الآية فى العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى ، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية ، وقيل الإشارة بالأربى هنا الى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين (إنما يبلوكم الله به) الضمير للأمر بالوفاء ، أو لكون أمة هى أربى من أمة ، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا (فتزل قدم بعد ثبوتها) استعارة فى الرجوع عن الخير إلى الشر ، وإنما أفرد القدم ونكرها : لاستعظام الزلل فى قدم واحدة فكيف فى أقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) يعنى فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) يدل على أن الآية فيمن بايع النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ولكم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا) الثمن القليل عرض الدنيا ، وهذا نهى لمن بايع النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار ورجاء الانتفاع فى الدنيا إن رجع عن البيعة (ما عندكم ينفد) أى يفنى (فلنحيينه حياة طيبة) يعنى فى الدنيا ، قال ابن عباس هى الرزق الحلال ، وقيل هى القناعة ، وقيل هى حياة الآخرة (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة ، لأن الفاء تقتضى الترتيب ، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك ، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة ، وتأويل الآية : إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم (إنما سلطانه على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً (والذين هم به مشركون) الضمير لإبليس ، والباء سببية (وإذا

نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۞
مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ

بدلنا آية مكان آية) التبديل هنا النسخ ، كان الكفار اذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولوكان من عند الله لم يبدل (والله أعلم بما ينزل) جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار أى الله أعلم بما يصلح للعباد فى وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل (بالحق) أى مع الحق فى أوامره ونواهيه وأخباره ، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقاً ، أو بمعنى أنه واجب النزول (أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كان بمكة غلام أعجمى اسمه يعيش ، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام ، فقالت قريش هذان يعلمان محمداً (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى) اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام ، ويلحدون من ألحد إذا مال ، وقرئ بفتح الياء من لحد ، وهما بمعنى واحد ، وهذا رد عليهم فإن الشخص الذى أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمى اللسان ؛ وهذا القرآن عربى فى غاية الفصاحة ، فلا يمكن أن يأتى به أعجمى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) هذا فى حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله : إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، فاللفظ عام يراد به الخصوص ، كقوله : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم الآية ، وقال ابن عطية : المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله ولكنه قدم فى هذا الترتيب وأخرتهكماً بتقبيح أفعالهم (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) رد على قولهم إنما أنت مفتر : يعنى إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه (فأولئك هم الكاذبون) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله : أى هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع فى المعاصى ، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مفتر (من كفر بالله) الآية : من شرطية فى موضع رفع بالابتداء ، وكذلك من فى قوله من شرح ، لأنه تخصيص من الأول ، وقوله فعليهم غضب : جواب عن الأولى والثانية ، لأنهما بمعنى واحد ، أو يكون جواباً للثانية ، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية ، وقيل من كفر بدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ فى قوله أولئك هم الكاذبون ، أو من الخبر (إلا من أكره) استثنى من قوله من كفر ، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام ، فنزلت فيهم الآية ، وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر ، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر ، وصهيب ، وبلال فعذرهم الله ، روى أن عمار بن ياسر شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما تسامح به من القول ، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : كيف تجد قلبك ، قال أجده مطمئنا بالإيمان ، قال فأجبهم بلسانك ، فإنه لا يضرك ، وهذا الحكم فى من أكره بالنطق على الكفر ، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا ؟ فأجازه الجمهور ، ومنعه قوم وكذلك قال مالك : لا يلزم المكره يمين ولا طلاق ولا عتق ولا شىء فيما بينه وبين الله ، ويلزمه ما كان من

غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۞ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۞ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

حقوق الناس ، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله (ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا) الإشارة إلى العذاب ، والباء للتعليل ، فعلل عذابهم بعلتين : أحدهما إيثارهم الحياة الدنيا ، والأخرى أن الله لا يهديهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) قرأه الجمهور فتنوا بضم الفاء : أى عذبوا فالآية على هذا فى عمار وشبهه من المعذبين على الإسلام ، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء : أى عذاب المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ، ثم هاجر وجاهد كالحضرمى وأشباهه (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) كرر إن ربك توكيداً ، والضمير فى بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره اذكر وهذا أظهر (كل نفس) النفس هنا بمعنى الجملة كقولك إنسان ، والنفس فى قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التى نقيضها الغير أى تجادل عن ذاتها لا عن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه (تجادل عن نفسها) أى تحتج وتعتذر ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية ، قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التى ذكرها الله (فكفرت بأنعم الله) يعنى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة ، وهذا أظهر ، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، والضمير فى قوله فكفرت وأذاقها : يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) الإذاقة هنا واللباس مستعاران ، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها فى البلايا ، حتى صارت كالحقيقة ، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب (ولقد جاءهم رسول منهم) إن كان المراد بالقرية مكة ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعذاب الذى أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة ، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب ما أصابهم من الهلاك (فكلوا) وما بعده مذكور فى البقرة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) هذه

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلَا تَقُولُوا
لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ
وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞
شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر فى سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب وما فى قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون ما على هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا (متاع قليل) يعنى عيشهم فى الدنيا أو انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى قوله فى الأنعام حرمنا كل ذى ظفر إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب التوبة (إن إبراهيم كان أمة) فيه وجهان: أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر * فليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد * والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله إنى جاعلك للناس إماما، قال ابن مسعود والأمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف (وآتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل يعنى المال والأولاد (لمن الصالحين) أى من أهل الجنة (ولم يكن من المشركين) نفى عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون اليه (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أمر موسى بنى إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضى بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه هو ما ذكر والسبت على هذا هو اليوم، وقيل اختلافهم فيه: هو أن منهم من حرم الصيد فيه، ومنهم من أحله، فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت، قاله الزمخشرى، وتقتضى الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) المراد بالسبيل هنا الإسلام، والحكمة هى الكلام الذى يظهر صوابه، والموعظة هى الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ *

أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال ، وهذه الآية تقتضى مهادنة نسخت بالسيف ، وقيل إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار وأما العصاة فهى فى حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة فى الحقيقة إنما هى الثانية ، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم عقبى : كقوله فى الممتحنة فعاقبتم بمعنى غنمتم فيكون فى الكلام تجنيس ، وقال الجمهور : إن الآية نزلت فى شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد ، قال النبى صلى الله عليه وسلم والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، فنزلت الآية فكفر النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما أراد من المثلة ؛ ولا خلاف أن المثلة حرام ، وقد وردت الأحاديث بذلك ؛ ويقتضى ذلك أنها مدنية ، ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال ، وتكون على هذا مكية كسائر السورة ؛ واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل فى مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته فى القدر الذى ظلمه ، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية ، ومنعه مالك لقوله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، والضمير راجع للصبر ، ويحتمل أن يريد بالصابرين هنا العموم ، أو يراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم (واصبر وما صبرك إلا بالله) هذا عزم على النبى صلى الله عليه وسلم فى خاصته على الصبر ، ويروى أنه قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت ، فماذا تصنعون ؟ قالوا نصبر كما ندبنا ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله ؛ وقد قيل إن ما فى هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف ، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال ، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التى فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ (ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف لكفرهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) أى لا يضق صدرك بمكرهم ، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت ، وقرئ بالكسر وهو مصدر ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران (إن الله مع الذين اتقوا) يريد أنه معهم بمعونته ونصره (والذين هم محسنون) الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات ، والمعنى الذى أشار له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر ، لأنه رتبة فوق التقوى .

سـورة الإسراء

مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠

فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۞ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ

سـورة الإسراء

(سبحان الذى أسرى بعبده) معنى سبحان تنزه ، وهو مصدر غير منصرف ، وأسرى وسرى لغتان ، وهو فعل غير متعد ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعديا أى أسرى الملائكة بعبده وهو بعيد ، والعبد هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا (ليلا) إن قيل : مافائدة قوله ليلا مع أن السرى هو السير بالليل ؟ فالجواب : أنه أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به فى بعض الليل مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ فى الأعجوبة (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا) يعنى بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة ، وقد روى فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل ، وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء فى بيته ، فالمسجد الحرام على هذا مكة أى بلد المسجد الحرام ؛ وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذى بإيلياء ، وسمى الأقصى لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد ، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد ؛ فيكون المقصد إظهار العجب فى الإسراء إلى هذا الموضع البعيد فى ليلة ، واختلف العلماء فى كيفية الإسراء ، فقال الجمهور : كان بجسد النبى صلى الله عليه وسلم وروحه ، وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق ، فحجة الجمهور أنه لو كان مناماً لم تنكره قريش ولم يكن فى ذلك ما يكذب به الكفار ، ألا ترى قول أم هانىء له لاتخبر بذلك فيكذبك قومك ، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما قوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التى أريناك ، وإنما يقال الرؤيا فى المنام ، ويقال فيما يرى بالعين رؤية ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينما أنا بين النائم واليقظان وذكر الإسراء ، وقال فى آخر الحديث فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال الإسراء كان مرتين : أحدهما بالجسد والآخر بالروح ، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس ، وهو الذى أنكرته قريش ، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقى الأنبياء فى السموات (الذى باركنا حوله) صفة للمسجد الأقصى ، والبركة حوله بوجهين : أحدهما ما كان فيه وفى نواحيه من الأنبياء ، والآخر : كثرة مافيه من الزروع والأشجار التى خص الله بها الشام (لنريه من آياتنا) أى لنرى محمدا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من العجائب ، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكلمه الله تعالى حسبما ورد فى أحاديث الإسراء ، وهى فى مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا (وجعلناه هدى) يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى (ألا تتخذوا من دونى وكيلا) أى

أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي
الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي
بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ

ربا تكلون إليه أمركم ، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة (ذرية من حملنا مع نوح) نداء ، وفى ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله ، وقيل هى مفعول تتخذوا ، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ يتخذ بالياء ويعنى بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ، ونساؤهم ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان (إنه كان عبدا شكورا) أى كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال ، وهذا تعليل لما تقدم أى كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا ، كما قيل فى وقضينا إليه ذلك الأمر ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر ، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذى كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى بمعنى على (لتفسدن فى الأرض مرتين) هذه الجملة بيان للمقضى ، وهى فى موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم ، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن ، والجملة فى موضع معمول قضينا ، والمرتان المشار إليهما إحداهما قتل زكريا والأخرى قتل يحيى عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) من العلو وهو الكبر والتخيل (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) معناه أنهم إذا أفسدوا فى المرة الأولى بعث الله عليهم عباداله لينتقم منهم على أيديهم ، واختلف فى هؤلاء العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل بختنصر ملك بابل (فجاسوا خلال الديار) أى تردّدوا بينهما بالفساد ، وروى أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة . وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ويعنى رجوع الملك إلى بنى إسرائيل واستنقاذ أسراهم ، وقتل بختنصر ، وقيل قتل داود لجالوت (أكثر نفيرا) أى أكثر عددا ، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا ، أو جمع نفر (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أحسنتم الأول بمعنى الحسنات ، والثانى بمعنى الإحسان كقولك أحسنت إلى فلان ، ففيه تجنيس ، واللام فيه بمعنى إلى ، وكذلك اللام فى قوله : وإن أسأتم فلها (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم) يعنى إذا أفسدوا فى المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم فالآخرة صفة للمرة ، ومعنى يسوءوا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله : سيئت وجوه الذين كفروا ، واللام لام كى وهى تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه ، وقيل هى لام الأمر (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس (وليتبروا) من التبار ، وهو الإهلاك وشدة الفساد (ماعلوا) مامفعول ليتبروا : أى يهلكوا ماغلبوا عليه من البلاد ، وقيل إن ماظرفية أى يفسدوا مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) خطاب لبنى إسرائيل ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية (وإن عدتم عدنا) خطاب لبنى إسرائيل : أى إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى

عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۞ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنسَـٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَـٰنُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَـٰهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۞ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۞ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا

عقابكم ، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة (حصيرا) أى سجنا وهو من الحصر ، وقيل أراد به مايفرش ويبسط كالحصير المعروف (يهدى للتى هى أقوم) أى الطريقة والحالة التى هى أقوم ، وقيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (. يدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) المعنى ذم ، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وأنهم يدعون بالشر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبت ، وقيل إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية ، وقد تقدم أن الصحيح فى قائلها إنه أبو جهل (وكان الإنسان عجولا) الإنسان هنا وفى الذى قبله اسم جنس ، وقيل يعنى هنا آدم وهو بعيد (فمحونا آية الليل) فيه وجهان : أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما ، فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أى الآية التى هى الليل ، والآية التى هى النهار ومحو آية الليل على هذا كونه مظلما ، والوجه الثانى أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس ، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس (وجعلنا آية النهار مبصرة) يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس (والقمر عدد السنين والحساب) الأشهر والأيام (وكل شىء فصلناه تفصيلا) انتصب كل بفعل مضمر ، والتفصيل البيان (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) انتصب كل بفعل مضمر ، والطائر هنا العمل ، والمعنى أن عمله لازم له ، وقيل إن طائره ما قدر عليه ، وله من خير وشر ، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما عبر عن ذلك بالطائر ، لأن العرب كانت عادتها التيمن والتشاؤم بالطير ، وقوله فى عنقه أى هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه (كتاباً يلقاه منشوراً) يعنى صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات (اقرأ كتابك) تقديره يقال له اقرأ (حسيباً) أى محاسباً أو من الحساب بمعنى العدد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، والوزر فى اللغة الثقل والحمل ، ويراد به هنا الذنوب ، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى : أى وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى

تَدْمِيرًا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۞ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۞ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۞ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ

نبعث رسولا) قيل إن هذا فى حكم الدنيا أى أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم ، وقيل هو عام فى الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذب قوماً فى الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه ، ويدل على هذا قوله « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى » ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات ، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فى تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون فى الكلام حذف تقديره أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا ، والثانى أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق أى قضينا عليهم بالفسق ففسقوا ، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرنا واختاره أبو على الفارسى ، وأما على قراءة آمرنا بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا ، وأما على قراءة أمّرنا بتشديد الميم ، فهو من الإمارة أى جعلناهم أمراء ففسقوا ، والمترف الغنى المنعم فى الدنيا (فحق عليها القول) أى القضاء الذى قضاه الله (وكم أهلكنا من القرون) القرن مائة سنة ، وقيل أربعون (من كان يريد العاجلة) الآية : فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعم من ذلك ، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين أحدهما تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله ، والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله ، ولمن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل (مدحورا) أى مبعدا أو مهانا (وسعى لها سعيها) أى عمل لها عملها (كلا نمد) انتصب كلا بنمد وهو من المدد ومعناه نزيدهم من عطائنا (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا ، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين (من عطاء ربك) يعنى رزق الدنيا ، وقيل من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصى لمن أراد الدنيا ، والأول أظهر (محظورا) أى ممنوعا (فضلنا بعضهم على بعض) يعنى فى رزق الدنيا (لا تجعل) خطاب لواحد ، والمراد به جميع الخلق ، لأن المخاطب غير معين (مذموما) أى يذمه الله وخيار عباده (مخذولا) أى غير منصور (وقضى ربك) أى حكم وألزم وأوجب أو أمر ، ويدل على ذلك ما فى مصحف ابن مسعود « ووصى ربك (ألا تعبدوا) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا (إما يبلغن عندك) هى إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها فلا تقل لهما أف والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى عندك : أى فى بيتك وتحت كنفك (أف) حيث وقعت اسم فعل معناها قول مكروه ، يقال عند الضجر ونحوه

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۞ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا
صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ۞ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ
الْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ الشَّيَٰطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۞ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ
تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۞ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا
مَّحْسُورًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ
إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۞ وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ إِنَّهُ

وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان ، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألا يقال لهما مافوق ذلك ، ويجوز فى أف الكسر والفتح والضم ، وهى حركات بناء ، وأما تنوينها فهو للتنكير (ولا تنهرهما) من الانتهار وهو الإغلاظ فى القول (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) استعارة فى معنى التواضع لهما والرفق بهما ، فهو كقوله اخفض جناحك للمؤمنين ، وأضافه إلى الذل مبالغة فى المعنى كأنه قال الجناح الذليل ، ومن فى قوله من الرحمة للتعليل أى من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما (للأوابين) قيل معناه الصالحين ، وقيل المسبحين ، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع ، فحقيقته الراجعين إلى الله (وآت ذا القربى حقه) خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وقيل هو خطاب خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم أن يؤتى قرابته حقهم من بيت المال ، والأول أرجح (وإما تعرضن) الآية : معناه إن أعرضت عن ذوى القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ماتعطيهم ، فقل لهم كلاما حسنا وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد فلم يكن عنده مايعطيه أعرض عنه ، حياء منه ، فأمر بحسن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك ، والميسور مشتق من اليسر (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله « وإما تعرضن عنهم ، والمعنى على هذا : أنه يعرض عنهم انتظاراً لرزق يأتيه ، فيعطيه إياهم ، فالرحمة على هذا هو مايرتجيه من الرزق أو يتعلق بقوله (فقل لهم قولا ميسورا) أى ابتغ رحمة ربك بقول ميسور والرحمة على هذا هى الأجر والثواب (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) استعارة فى معنى غاية البخل كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) استعارة فى معنى غاية الجود فنهى الله عن الطرفين : وأمر بالتوسط بينهما : كقوله « إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» (ملوما) أى يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك ، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ماتعطيه ، أو يلومك سائر الناس على التبذير فى العطاء (محسورا) أى منقطعا بك لاشىء عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تهتم بما تراه من ذلك ، فإن الله أعلم بمصالح عباده (ولا تقتلوا أولادكم) ذكر فى الأنعام (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) الحق الموجب لقتل النفس هو ماورد فى الحديث من

كَانَ مَنصُورًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۞ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۞ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۞ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۞ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۞ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى ، وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها فى معناها كالحرابة وترك الصلاة ومنع الزكاة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) المظلوم هنا من قتل بغير حق ، والولى هو ولى المقتول وسائر العصبة ، وليس النساء من الأولياء عند مالك ، والسلطان الذى جعل الله له : هو القصاص ، أو تخييره بين العفو والقصاص (فلا يسرف فى القتل) نهى عن أن يسرف ولى المقتول بأن يقتل غير قاتل وليه أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التعدى ، وقرئ فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل ، أو لولىّ المقتول (إنه كان منصورا) الضمير للمقتول أو لوليه ، ونصره هو القصاص (ولا تقربوا مال اليتيم) ذكر فى الأنعام قال بعضهم لا تقربوا ولا تقتلوا معطوفان على ألا تعبدوا ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهى بدليل قوله بعدها : ولا تقف ولا تمش ، ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألا تعبدوا مجزوما على النهى وأن مفسرة (وأوفوا بالعهد) عام فى العهود مع الله ومع الناس (إن العهد كان مسئولا) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون فى معنى الطلب : أى يطلب الوفاء به ، والثانى أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة ، هل وفى به أم لا (وزنوا بالقسطاس) قيل القسطاس الميزان ، وقيل العدل وقرئ بكسر القاف وهى لغة (وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة ومآلا ، وهو من آل إذا رجع (ولا تقف ماليس به علم) المعنى لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك ، واللفظ مشتق من قفوته إذا اتبعته (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها معاملة العقلاء فى الإشارة بأولئك ، لأنها حواس لها إدراك والضمير فى عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسئولا ، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده ، وقيل الضمير يعود على ماليس لك به علم والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد (ولا تمش فى الأرض مرحا) المرح الخيلاء والكبر فى المشية ، وقيل هو إفراط السرور بالدنيا وإعرابه مصدر فى موضع الحال (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع ، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفى جميعها بالمشى ، والمراد بذلك تعليل النهى عن الكبر والخيلاء أى إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ، ولا على مطاولة الجبال ، فكيف تتكبر وتختال فى مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام وإعراب مكروها نعت

وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا
يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ
وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى
ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا * وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا

لسيئة أو بدل منها ، أو خبر ثان لكان (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ، والمعنى : كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور ، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات ومعنى أصفاكم : خصكم (قولا عظيما) أى عظيم النكر والشناعة (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا) هذا احتجاج على الوحدانية ، وفى معناه قولان : أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته ، فيكون من جملة عباده ، والآخر لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته فى قدرته ، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض) الآية : اختلف فى كيفية هذا التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أى بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة ، وقيل إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله لا تفقهون تسبيحهم (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) فى معناه قولان: أحدهما أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شراً ، ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح لما بعده ، والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات ، وقيل معناه ساتر (أكنة أن يفقهوه) جمع كنان وهو الغطاء ، وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه ، وهذه استعارات فى إضلالهم (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) معناه إذا ذكرت فى القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون من ذلك ، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها ونفوراً مصدر فى موضع الحال (نحن أعلم بما يستمعون به) كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء ، والضمير فى به عائد على ما : أى نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء (وإذ هم نجوى) جماعة يتناجون أو ذو نجوى ، والنجوى كلام السر (رجلا مسحوراً) قيل معناه جن فسحر وقيل معناه ساحر ، وقيل هو من السحر بفتح السين وهى الرئة : أى بشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) أى مثلوك بالساحر ، والشاعر ، والمجنون (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى ؛ ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وأصحابه من الكفار (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) الآية معناها إنكار للبعث ، واستبعادهم

مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۞ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۞ وَقُلْ
لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۞ رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۞ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۞ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۞ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ

أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم ، والرفات الذى بلى حتى صار غبارا أو فتاتا ، وقد ذكر فى الرعد اختلاف القراء فى الاستفهامين (قل كونوا حجارة أو حديدا) المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التى فى الحياة ، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويحيى عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ماهو أسهل فى الحياة منهما ، ومعنى قوله كونوا أى كونوا فى الوهم والتقدير ، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم فى ذلك (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السموات والأرض والجبال ، وقيل بل أحال على فكرتهم عموما فى كل ماهو كبير عندهم : أى لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم (فسينغضون إليك رؤسهم) أى يحركونها تحريك المستبعد للشىء والمستهزئ (ويقولون متى هو) أى متى يكون البعث (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ فى الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين وبحمده فى موضع الحال أى حامدين له ، وقيل معنى بحمده بأمره (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) يعنى لبثتم فى الدنيا أو فى القبور (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا عجيبا ، وقيل أن يقولوه للمشركين ، ثم نسخ بالسيف وإعراب يقولوا كقوله يقيموا الصلاة فى إبراهيم ، وقد ذكر ذلك (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) قيل يعنى الملائكة ، وقيل عيسى وأمه وعزير ، وقيل نفر من الجن كان العرب يعبدونهم ، والمعنى أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم ، فكيف تعبدونهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ، ويرجونه ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه ، وإعراب أولئك مبتدأ والذين تدعون صفة له ويبتغون خبره ، والفاعل فى يدعون ضمير للكفار ، وفى يبتغون للآلهة المعبودين وقيل إن الضمير فى يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل فى قوله : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، والوسيلة هى مايتوسل به ويتقرب (أيهم أقرب) بدل من الضمير فى يبتغون أى يبتغى الوسيلة من هو أقرب منهم ، فكيف بغيره ؛ أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله

يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ
أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا * وَإِذْ قُلْنَا لَكَ
إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ

بالاجتهاد فى طاعته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله (محذورا) من الحذر وهو الخوف (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) يحتمل هذا الهلاك وجهين : أحدهما أن يكون بالموت والفناء الذى لا بد منه ، والآخر أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها ، وهذا أظهر ، لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به ، والهلاك والتعذيب المذكوران فى الآية هما فى الحقيقة لأهل القرى أى مهلكو أهلها أو معذبوهم ، وروى أن هلاك مكة بالحبشة ، والمدينة بالجوع ، والكوفة بالترك ، والأندلس بالخيل ، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة ، فقال أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها فى ثورة ابن هود ، وأما هلاك قرطبة وأشبيليه وطيطله وغيرها بأخذ الروم لها (فى الكتاب مسطورا) يعنى اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآيات يراد بها هنا التى يقترحها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا ، وعبر بالمنع عن ترك ذلك ، وأن نرسل فى موضع نصب وأن كذب فى موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب هلاكهم ، ومعنى مبصرة : بينة واضحة الدلالة (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن ، وقيل المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر ، وإنما قال أحاط بلفظ الماضى وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد ، وقيل المعنى أحاط بالناس فى منعك وحمايتك منهم كقوله : والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) اختلف فى هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء ، فمن قال إنه كان فى اليقظة ، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين ، ومن قال إنه كان فى المنام فالرؤيا منامية ، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ ، وقيل إنها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك ، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل فى سنة الحديبية فرد عنها فافتتن بعض المسلمين بذلك ؛ وقيل رأى فى المنام أن بنى أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم ، وهى معطوفة على الرؤيا أى جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس ، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن فى جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة فى النار والنار تحرق الشجر ، وقال أبو جهل ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، فإن قيل : لم لعنت شجرة الزقوم فى القرآن ؟ فالجواب أن المراد لعنة آكلها ، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها فى أصل الجحيم (ونخوفهم) الضمير لكفار قريش (طينا) تمييز أو حال من من أو من مفعول خلقت (قال أرأيتك

فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۞ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۞ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ كَفُورًا * أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنتُمْ أَن

هذا الذى كرمت علىّ) الكاف من أرأيتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، وهذا مفعول بأرأيت ، والمعنى أخبرنى عن هذا الذى كرمته علىّ أى فضلته وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ، وقال ابن عطية أرأيتك هذا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرنى (لأحتنكن ذريته) معناه لأستولين عليهم ولأقودنهم وهو مأخود من تحنيك الدابة ، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد (قال اذهب) قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر : صيغة أمر على وجه التهديد ، وقال الزمخشرى ليس المراد الذهاب الذى هو ضد المجىء ، وإنما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا له وتخلية ، ويحتمل عندى أن يكون معناه للطرد والإبعاد (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ، ليرجع إلى من اتبعك ، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبا للمخاطب على الغائب ، وليدخل إبليس معهم (جزاء موفورا) مصدر فى موضع الحال والموفور المكمل (واستفزز) أى اخدع واستخف (بصوتك) قيل يعنى الغناء والمزامير ، وقيل الدعاء إلى المعاصى (وأجلب عليهم) أى هول ، وهو من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل ، والرجل جمع راجل وهو الذى يمشى على رجليه فقيل هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك ، وقيل إنه من الشيطان خيلا ورجلا ، وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون فى الشر (وشاركهم فى الأموال والأولاد) مشاركته فى الأموال بكسبها من الربا وإنفاقها فى المعاصى وغير ذلك ، ومشاركته فى الأولاد هى بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك (وعدهم) يعنى المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك (إن عبادى) يعنى المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك : وكفى بربك وكيلا ونحوه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (يزجى لكم الفلك) أى يجريها ويسيرها والفلك هنا جمع وابتغاء الفضل فى التجارة وغيرها (الضر فى البحر) يعنى خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ضل هنا بمعنى تلف وفقد : أى تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده فالجأتم إليه حينئذ دون غيره . فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون فى تلك الشدة إلا إياه (وكان الإنسان كفورا)

يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِن كَادُوا

أى كفورا بالنعم ، والإنسان هنا جنس (أفأمنتم) الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف أى أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف فى البر (حاصبا) يعنى حجارة أو ريحا شديدة ترمى بالحصباء (وكيلا) أى قائما بأموركم وناصرا لكم (قاصفا من الريح) يعنى الذى يقصف ما يلقى أى يكسره (تبيعا) أى مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم : أى لا تجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقباها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) يعنى فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان ، ولم يفضلهم على الملائكة ، ولذلك قال : على كثير وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى : وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده ، وكونه منتصب القامة ، وهذه أمثلة (بإمامهم) قيل يعنى بنبيهم ، يقال يا أمة فلان ، وقيل يعنى كتابهم الذى أنزل عليهم ، وقيل كتابهم الذى فيه أعمالهم (ولا يظلمون فتيلا) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا ، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) الإشارة بهذه إلى الدنيا ، والعمى يراد به عمى القلب : أى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى ، والصواب فهو فى يوم القيامة أعمى : أى حيران يائس من الخير ، ويحتمل أن يريد بالعمى فى الآخرة عمى البصر : كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى ، وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضل سبيلا ، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء ، ويجوز . فى أعمى الثانى : أن يكون صفة للأول ، وأن يكون من الأفعال التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله وأضل سبيلا فعطف أضل الذى هو من أفعل من كذا على ما هو شبهه ، قال سيبويه . لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن إنما يمتنع ذلك فى عمى البصر ، لا فى عمى القلب (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك) الآية : سببها أن قريشا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك ، وقيل إن ثقيفا طلبوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول مدنية (لتفترى علينا غيره) الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحى إليه من القرآن وغيره (وإذا لاتخذوك خليلا) أى لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلا (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) لولا تدل على امتناع شىء لوجود غيره ، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبى صلى الله عليه وسلم الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته ، وكدت تقتضى نفى الركون ، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أى أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربته ، فليس فى ذلك نقص من جانب النبى صلى الله عليه وسلم لأن التثبيت منعه

لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۞ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۞ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۞ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ

من مقاربة الركون ، ولولم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئا قليلا ، وأما منع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا ، ولا قارب ذلك (إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى ضعف عذابهما لو فعل ذلك (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) الضمير لقريش كانوا قد هموا أن يخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده (وإذاً لا يلبثون خلفك إلا قليلا) أى لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلا قليلا فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة لأجل إذاية قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا ، وقتلوا يوم بدر (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) انتصب سنة على المصدر، ومعناه العادة أى هذه عادة الله مع رسله (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، فدلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح ، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام فى قوله لدلوك الشمس ، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى علم ، وقيل هو عطف على الصلاة ، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر ، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهده ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل ، ومن للتبعيض ، والضمير فى به للقرآن والتهجد السهر وهو ترك الهجود ، ومعنى الهجود : النوم فالتفعل هنا للخروج عن الشىء كالتحرج والتأثم : فى الخروج عن الإثم والحرج (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يعنى الشفاعة يوم القيامة ، وانتصب مقاما على الظرف (وقل رب أدخلنى مدخل صدق) الآية : المدخل : دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة ، وقيل المدخل فى القبر ، والمخرج إلى البعث ، واختار ابن عطية أن يكون على العموم فى جميع الأمور (سلطانا نصيرا) قيل معناه حجة تنصرنى بها وتظهر بها صدقى ، وقيل قوة ورياسة تنصرنى بها على الأعداء وهذا أظهر (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الحق الإيمان والباطل الكفر (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من للتبعيض ، أو لبيان الجنس ، والمراد بالشفاء أنه يشفى القلوب من الريبة والجهل ، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويذ (وإذا أنعمنا على الإنسان) الآية : المراد بالإنسان هنا الجنس ، لأن ذلك من سجية الإنسان ، وقيل

أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ۞ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۞ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۞ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۞ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ

إنما يراد الكافر لأنه هو الذى يعرض عن الله (ونآى بجانبه) أى بعد وذلك تأكيد وبيان للإعراض، وقرئ ناء وهو بمعنى واحد (كل يعمل على شاكلته) أى مذهبه وطريقته التى تشاكله (ويسئلونك عن الروح) السائلون اليهود، وقيل قريش بإشارة اليهود، والروح هنا عند الجمهور هو الذى فى الجسم، وقد يقال فيه النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك (قل الروح من أمر ربى) أى من الأمور التى استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه، وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشىء فهو نبىّ وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه، وقال ابن بريدة: لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح، ولقد كثر اختلاف الناس فى النفس والروح، وليس فى أقوالهم فى ذلك ما يعول عليه (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) خطاب عام لجميع الناس، لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) أى إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف وهذه الآية متصلة المعنى بقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا: أى فى قدرتنا أن نذهب بالذى أوحينا إليك فلا يبقى عندك شىء من العلم (وكيلا) أى من يتوكل بإعادته ورده بعد ذهابه (إلا رحمة من ربك) يحتمل أن يكون استثناء متصلا فمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب أو استثناء منقطعا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعانى العجيبة التى لم يمكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال، وقال أكثر الناس إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا فى غير هذا منها خمسة عشر وجها (ظهيرا) أى معينا (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا لهم كل شىء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعانى والعلوم كما ذكرنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الكفور الجحود، وانتصب بقوله أبى لأنه فى معنى النفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الذين قالوا هذا القول هم أشراف قريش طلبوا من النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنواعا من خوارق العادات، وهى التى ذكرها الله فى هذه الآية، وقيل إن الذى قاله عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، وكان ابن عمة النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، ثم أسلم بعد ذلك والينبوع العين، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من

بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۞ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۞ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۞ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۞ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۞ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۞

الماء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وكسفا بفتح السين جمع كسفة وهى القطعة ، وقرئ بالإسكان : أى قطعا واحدا (قبيلا) قيل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامنا شاهدا بصدقك ، والقبالة فى اللغة الضمان (بيت من زخرف) أى من ذهب (قل سبحان ربى) تعجب من اقتراحاتهم ، أو تنزيه لله عن قولهم تأتى بالله ، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التى طلبها الكفار ، لأن ذلك سوء أدب (هل كنت إلا بشرا رسولا) أى إنما أنا بشر ، فليس فى قدرتى شىء مما طلبتم ، وأنا رسول فليس على إلا التبليغ (إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) المعنى أن الذى منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر (قل لو كان فى الأرض ملائكة) الآية : معناها أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكا ، ولكنهم بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ومعنى مطمئنين ساكنين فى الأرض (شهيدا بينى وبينكم) ذكر فى الأنعام (عميا وبكما وصما) قيل هى استعارة بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى ، وقيل هى حقيقة وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم (كلما خبت) معناه فى اللغة سكن لهبها ، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا أخر ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت (وقالوا أئذا كنا عظاما) استبعاد للحشر وقد تقدم معنى الرفات والكلام فى الاستفهامين (أولم يروا أن الله) الآية احتجاج على الحشر ، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه ، والرؤية فى الآية ، رؤية قلب (أجلا لا ريب فيه) القيامة أو أجل الموت (قل لو أنتم تملكون) لو حرف امتناع ولا يليها الفعل إلا ظاهرا أو مضمرا فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسره بتملكون الظاهر ، وأنتم تأكيد للضمير الذى فى تملكون المضمر (خزائن رحمة ربى) أى الأموال والأرزاق ، إذا لأمسكتم خشية الإنفاق) أى لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر ، فالمراد بالانفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر ، ومفعول أمسكتم محذوف ، وقال الزمخشرى

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۞ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۞ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۞ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ۞ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۞

لا مفعول له لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك ، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر ، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى (تسع آيات) بينات الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، والأربع انقلاب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء ، وحل العقدة من لسانه ، وفلق البحر وقد عد فيها رفع الطور فوقه ، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الآخر ، وقد عد فيها أيضا السنون ، والنقص من الثمرات ، روى أن بعض اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشى ببرىء إلى السلطان ليقتله ، ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ، ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا فى السبت (فاسئل بنى إسرائيل) أى اسأل المعاصرين لك من بنى إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا ، والآية على هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الزمخشرى إن المعنى قلنا لموسى اسأل بنى إسرائيل من فرعون أى اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بنى إسرائيل ، فلا يرد قوله اسأل لموسى على إضمار القول ، وقال أيضا : يحتمل أن يكون المعنى : اسأل بنى إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى ، والأول أظهر (إذ جاءهم) الضمير لبنى إسرائيل ، والمراد آباؤهم الأقدمون والعامل فى إذ على القول الأول آتينا موسى أو فعل مضمر ، والعامل فيه على قول الزمخشرى القول المحذوف (مسحورا) هنا وفى الفرقان : أى سحرت واختلط عقلك ، وقيل ساحر (لقد علمت) بفتح التاء خطاب لفرعون ، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفر بها عنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مثبورا أى مهلوكا ، وقيل مغلوبا ، وقيل مصروفا عن الخير ، قابل موسى قول فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحورا بقوله . وإنى لأظنك يا فرعون مثبورا (فأراد أن يستفزهم من الأرض) أى أرض مصر (اسكنوا الأرض) يعنى أرض الشام (لفيفا) أى جميعا مختلطين (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الضمير للقرآن وبالحق معناه فى الموضعين بالواجب من المصلحة والسداد وقيل معنى الأول كذلك : ومعنى الثانى ضد الباطل . أى بالحق فى إخباره وأوامره ونواهيه (وقرآنا فرقناه) انتصب بفعل مضمر يدل عليه فرقناه ، ومعناه بيناه وأوضحناه (على مكث) قيل معناه على تمهل وترتيل فى قراءته ، وقيل على طول مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى وفاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم ، كأنه يقول سواء آمنتم أو لم تؤمنوا لكونكم لستم بحجة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب (إن الذين

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۞ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۞

سورة الكهف

مكية إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۞ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعنى المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة : كزيد بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون للأذقان) أى لناحية الأذقان كقولهم خر لليدين وللفم ، والأذقان جمع ذقن، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون للأذقان، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن ، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وهاهو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد، وأنه مخير فى الدعاء بأىّ الاسمين شاء ، والدعاء فى الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدى زيدا لا بمعنى النداء (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أيّا اسم شرط منصوب بتدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، وما زائدة للتأكيد والضمير فى به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أىّ هذين الاسمين تدعو فحسن ، لأن الله له الأسماء الحسنى فموضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الحال ، وهو فى المعنى تعليل للجواب ، لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) المخافتة هى الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فى الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له ولىّ من الذل) أى ليس له ناصر يمنعه من الذل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولىّ يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنىّ عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبرى أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له ولىّ من الذل رد على الصابئين فى قولهم لولا أولياء الله لذل الله « تعالى الله عن قولهم » علوا كبيرا (وكبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبى صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشريفا له

شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ
زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ

وإعلاما باختصاصه وقربه ، والكتاب القرآن (ولم يجعل له عوجا) العوج بكسر العين فى المعانى التى لاتحسن وبالفتح فى الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه عدم الاستقامة ، وقيل فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل ، وقيل لم يجعله مخلوقا ، واللفظ أعم من ذلك (قيما) أى مستقيما ، وقيل قيما على الخلق بأمر الله تعالى ، وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها ، وانتصابه على الحال من الكتاب ، والعامل فيه أنزل ، ومنع الزمخشرى ذلك للفصل بين الحال وذى الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره جعله قيما (لينذر بأسا شديدا) متعلق بأنزل أو بقيما ، والفاعل به ضمير الكتاب أو النبى صلى الله عليه وسلم ، والبأس العذاب ، وحذف المفعول الثانى وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف (من لدنه) أى من عنده ، والضمير عائد على الله تعالى (أجرا حسنا) يعنى الجنة (ماكثين فيه) أى دائمين ، وانتصابه على الحال من الضمير فى لهم (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) هم النصارى لقولهم فى عيسى واليهود لقولهم فى عزير وبعض العرب لقولهم فى الملائكة (وما لهم به من علم) الضمير عائد على قولهم ، أو على الولد (كبرت كلمة) انتصب على التمييز على الحال ويعنى بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا : وعلى هذا يعود الضمير فى كبرت (فلعلك باخع نفسك) أى قاتلها بالحزن والأسف ، والمعنى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن عدم إيمانهم (على آثارهم) استعارة فصيحة : كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم ، وانتصب أسفا على أنه مفعول من أجله ، والعامل فيه باخع نفسك (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) يعنى مايصلح للتزين كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أى لنختبرهم أيهم أزهد فى زينة الدنيا (وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا) المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها ، والصعيد هو التراب ، والجرز : الأرض التى لانبات فيها : أى سيفنى ماعلى الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التى لانبات فيها ، بعد أن كانت خضراء بهجة (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أم هنا استفهام ، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب ، والكهف الغار الواسع ، والرقيم : اسم كلبهم ، وقيل هو لوح رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف ، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم ، وقيل هو القرية التى كانت بإزاء الكهف ، وقيل الجبل الذى فيه الكهف ، وقال ابن عباس لاأدرى ماالرقيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف) نذكر من قصتهم على وجه الاختصار مالا غنى عنه ، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة فى كثير مما نقلوا ، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين ، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن ، ففروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه ، فأمر الملك باتباعهم ، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف

أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۞ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۞ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۞ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞ وَتَرَى

عليه فى جنده وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا ، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا ، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما بدراهم كانت لهم فعجب لها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك فى قديم الزمان من أين جاءتك ، وشاع الكلام بذلك فى الناس ، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابى بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال هؤلاء الفتية الذين ذهبوا فى الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى ، وأما موضع كهفهم ، فقيل إنه بمقربة من فلسطين وقال : قوم إنه الكهف الذى بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقى بعض جدرانه ، وروى أن الملك الذى كانوا فى زمانه اسمه دقيوس ، وفى تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم ، ومما يبعد ذلك ماروى أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأندلس قط ، وأيضا فإن الموتى التى فى غار لوشة يراهم الناس ، ولم يدرك أحد منهم الرعب ، الذى ذكر الله فى أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم فى الكهف) عبارة عن إلقاء النوم عليهم ، وقال الزمخشرى : المعنى ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول (سنين عددا) أى كثيرة (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من نومهم (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم علما يظهر فى الوجود لأن الله قد كان علم ذلك ، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا فى مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف فى مدتهم وقيل إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض يوم ، وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم ، وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به ، وقيل أحصى اسم للتفضيل ، وأمدا تمييز ، وهذا ضعيف ، لأن أفعل من التى للتفضيل لا يكون من فعل رباعى إلا فى الشاذ (وربطنا على قلوبهم) أى قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر (إذ قاموا) يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدى الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به (لقد قلنا إذا شططا) أى لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولا شططا ، والشطط الجور والتعدى (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) تحضيض بمعنى التعجيز أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم (ومايعبدون) عطف على المفعول فى اعتزلتموهم : أى تركتموهم وتركتم مايعبدون (إلا الله) أى مايعبدون من دون الله ، وإلا هنا بمعنى غير ، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدن الله ويعبدون معه غيره ، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفى مصحف ابن مسعود «ومايعبدون

الشَّمْسَ اذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَاذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَالِكَ
مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ
وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِٓ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم

من دون الله (فأووا إلى الكهف) هذا الفعل هو العامل فى إذاعتر لتموهم ، والمعنى أن بعضهم قال لبعض إذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى ونتكل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا (مرفقا) بفتح الميم وكسرها مايرتفق به وينتفع (وترى الشمس إذاطلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذاغربت تقرضهم ذات الشمال) قيل هنا كلام محذوف تقديره فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه ، وضرب الله على آذانهم ، ومعنى تزاور تميل وتزوغ ، ومعنى تقرضهم تقطعهم : أى تبعد عنهم ، وهو بمعنى القطع ، وذات اليمين والشمال أى جهته ، ومعنى الآية أن الشمس لاتصيبهم عند طلوعها ولاعندغروبها لئلا يحترقوا بحرها ، فقيل إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة ، وقيل كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش ، فلذلك لاتصيبهم الشمس ، والأول أظهر لقوله « ذلك من آيات الله » (وهم فى فجوة منه) أى فى موضع واسع ، وذلك مفتح لإصابة الشمس ، ومع ذلك حجبها الله عنهم (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة ، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته (وتحسبهم أيقاظاوهم رقود) أيقاظاجمع يقظ وهو المنتبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظا وفى قوله أيقاظاورقودمطابقة ، وهى من أدوات البياز (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أى نقلبهم من جانب إلى جانب ، ولولاذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته ، وهم لاينتبهون من نومهم ، وروى أنهم كانوا يقلبون مرتين فى السنة ، وقيل من سبع سنين إلى مثلها (وكلبهم باسط ذراعيه) قيل إنه كان كلبا لأحدهم يصيدبه ، وقيل كان كلبا لراع فمروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضىّ لأنه حكاية حال (بالوصيد) أى بباب الكهف ، وقيل عتبته وقيل البناء (ولملئت منهم رعبا) ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة ، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم ، وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف ، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لاتستطيع ذلك ، قد قال الله لمن هو خير منك : لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ، فبعث ناسا إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقتهم (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) أى كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا ، واللام فى ليتساءلوا لام الصيرورة (قالوا ربكم أعلم بمالبثتم) هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة ، فأنكر على من قال يوما أوبعض يوم ، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله (فابعثوا أحدكم بورقكم) الورق الفضة ، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف ، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه ، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة ، فإن قيل : كيف

برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ۞ إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا ۞ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا * سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا * ولا تقولن لشاىء

اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم ؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم فابعثوا أحدكم (إلى المدينة) قيل إنها طرسوس (أزكى طعاما) قيل أكثر ، وقيل أحل ، وقيل إنه أراد شراء زبيب ، وقيل تمر (وليتلطف) في اختفائه وتحيله (إن يظهروا عليكم يرجموكم) أى إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة ، وقيل المعنى يرجموكم بالقول ، والأول أظهر (وكذلك أعثرنا عليهم) أى كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف : أى أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) العامل في إذ أعثرنا أو مضمر تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ، وقيل تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد ، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم أو ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبركا ، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به (قال الذين غلبوا على أمرهم) قيل يعنى الولاة « وقيل يعنى المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار فبنوا على باب الكهف مسجداً لعبادة الله (سيقولون) الضمير لمن كان في زمان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف (رجما بالغيب) أى ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمى (سبعة وثامنهم كلبهم) قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفي قوله : سبع ليال وثمانية أيام ، وفي قوله في أهل الجنة « وفتحت أبوابها » وفي قوله في براءة « والناهون عن المنكر » ، وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله : جاء زيد وفي يده سيف قال الزمخشري وفائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبروا بحق ، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم ، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم ، وقال ابن عطية دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام ، وكذلك دخلت السين في قوله سيقولون الأول ، ولم تدخل في الثاني والثالث استغناء بدخولها في الأول (ما يعلمهم إلا قليل) أى لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس ، وهم من أهل الكتاب ، قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، لأنه قال في الثلاثة والخمسة رجما بالغيب ، ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلبهم (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) لا تمار : من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج ، والمعنى لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إلا مراء ظاهرا أى غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم

إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ

أحدا) أى لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ، لأن الله قد أوحى إليك فى شأنهم مايغنيك عن السؤال (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لهم اسألوه عن فتية ذهبوا فى الزمان الأول وهم أصحاب الكهف ، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين ، وعن الروح ، فإن أجابكم فى الاثنين وسكت عن الروح فهو نبى فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحى خمسة عشر يوما فأوجف به كفار قريش وتكلموا فى ذلك ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليما ، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله فى كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل ، وقوله غدا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذى بعد يومه خاصة ، وفى الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله ، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة ، وقيل إن قوله إلا أن يشاء الله بقوله لا تقولن . والمعنى لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه ، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل ، ومعناها إباحة القول بالإذن فيه ، حكى ذلك الزمخشرى ، وحكاه ابن عطية ، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستثناء أى استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا ، وذلك على مذهبه ، فإن الاستثناء فى اليمين ينفع بعد سنة ، وأما مذهب مالك والشافعى فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلا باليمين ، وقيل معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت ، وقيل اذكر إذا نسيت شيئا ليذكرك ما نسيت ، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره أى ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره فى كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) هذا كلام أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله ، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أى عسى الله أن يؤتينى من الآيات والحجج ما هو أعظم فى الدلالة على نبوتى من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضى أن المعنى : عسى أن يوفقنى الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله ، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسى أى إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهدينى الله إلى شىء آخر هو أرشد من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) فى هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما فى قراءة ابن مسعود : وقالوا لبثوا فى كهفهم . وهو معطوف على سيقولون ثلاثة فقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) رد عليهم فى هذا العدد المحكى عنهم ، والقول الثانى أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمدة لبثهم ، فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس ، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجا على صحة ذلك

وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا * وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ

الإخبار ، وانتصب سنين على البدل من ثلاثمائة أوعطف بيان ، أوعلى التمييز وذلك على قراءة التنوين فى ثلاثمائة وقرئ بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع المفرد (أبصر به وأسمع) أى ماأبصره وماأسمعه ، لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات (مالهم) الضمير لجميع الخلق أو للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم (ولا يشرك فى حكمه أحدا) هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء والجزم على النهى (لامبدل لكلماته) يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن ، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره ، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر (ملتحدا) أى ملجأ تميل إليه (واصبر نفسك) أى احبسها صابرا (مع الذين يدعون ربهم) هم فقراء المسلمين : كبلال وخباب وصهيب وكان الكفار قدقالوا له اطرد هؤلاء نجالسك نحن ، فنزلت الآية (بالغداة والعشى) قيل المراد الصلوات الخمس ، وقيل الدعاء على الإطلاق (ولا تعد عيناك عنهم) أى لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا ، وقال الزمخشرى يقال عداه إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقره (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة فى موضع الحال فهى متصلة بما قبلها ، وهى فى معنى تعليل الفعل المنهى عنه فى قوله ولا تعد عيناك عنهم : أى لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا (أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا أووجدناه غافلا ، وقيل يعنى أنه عيينة بن حصين الفزارى ، والأظهر أنهامطلقة من غير تقييد (فرطا) من التفريط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف (وقل الحق من ربكم) أى هذا هو الحق (فمن شاء فليؤمن) لفظه أمر وتخيير : ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه : إما الحق الذى ينجيه ، أو الباطل الذى يهلكه ، ففى ضمن ذلك تهديد (سرادقها) السرادق فى اللغة ماأحاط بالشىء كالسور والجدار ، وأما سرادق جهنم فقيل حائط من نار ، وقيل دخان (كالمهل) وهو دردى الزيت إذ انتهى حره روى ذلك عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقيل ماأذيب من الرصاص وشبهه (مرتفقا) أى شىء يرتفق به ، فهو من الرفق ، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء (أولئك لهم) خبر إن ، وإنا لانضيع : اعتراض ، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنا لانضيع الخبر، وأولئك استئناف ، ويقوم العموم فى قوله من أحسن مقام الضمير الرابط ، أو يقدر من أحسن عملا منه ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إنها نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان

فيها على الأرآئك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ۞ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ۞ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ۞ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوىك رجلا * لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ۞ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله إن

وعلى رضى الله عنهم (أساور) جمع أسوار وسوار، وهو مايجعل فى اليد، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار (من سندس وإستبرق) السندس: رقيق الديباج، والإستبرق الغليظ منه (الأرائك) الأسرة والفرش (واضرب لهم) الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين وللفقرا الذين أرادوا طردهم: أى مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان من بنى إسرائيل: أحدهما مؤمن، والآخره كافر: ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله فى طاعة الله حتى افتقر فعير الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر، وروى أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر فطروس، وقيل كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله (أكلها) بضم الهمزة اسم لما يؤكل، ويجوز ضم الكاف وإسكانها (ولم تظلم) أى لم تنقص (وكان له ثمر) بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة، وقيل هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا، وأما بفتح الثاء والميم، فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر (وهو يحاوره) أى يراجعه فى الكلام (وأعز نفرا) يعنى الأنصار والخدم (ودخل جنته) أفرد الجنة هنا، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة (وهو ظالم لنفسه) إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه (وقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافراً بالآخرة أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطاً فى الاغترار وقلة التحصيل (ولئن رددت إلى ربى) إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخى: لأجدن فى الآخرة خيراً من جنتى فى الدنيا، وقرئ خيراً منهما بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة (منقلباً) أى مرجعاً (أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافراً لشكه فى البعث (سواك رجلا) كما تقول سواك إنسانا، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة فى أن لم يكن أنثى (لكنا هو الله ربى) قرأ الجمهور بإثبات الألف فى الوقف وحذفها فى الوصل، والأصل على هذا لكن أنا، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها، وحذفت ثم أدغمت النون فى النون، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف فى الوصل والوقف، ويتوجه ذلك بان تكون لحقتها نون الجماعة التى فى خرجنا وضربنا، ثم أدغمت النون فى النون (ولولا

أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

إذ دخلت جنتك الآية : وصية من المؤمن للكافر ، ولولا تحضيض (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) يحتمل أن يريد فى الدنيا أو الآخرة (حسبانا) أى أمرا مهلكا كالحر والبرد ونحو ذلك (صعيدا زلقا) الصعيد وجه الأرض والزلق الذى لا يثبت فيه قدم يعنى أنه تذهب أشجاره ونباته (وغورا) أى غائرا ذاهبا وهو مصدر وصف به (وأحيط بثمره) عبارة عن هلاكها (يقلب كفيه) عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه (وهى خاوية على عروشها) يريد أن السقف وقعت وهى العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ، ثم سقطت الكروم عليها (ويقول ياليتنى لم أشرك) قال ذلك على وجه التمنى لما هلك بستانه ، أو على وجه التوبة من الشرك (هنالك) ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا ، أو يكون فى موضع خبر (الولاية لله) بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ، وبفتحها من الموالاة والمودة (وخير عقبا) أى عاقبة (فاختلط) الباء سببية ، والمعنى : صار به النبات مختلطا : أى ملتفا بعضه ببعض من شدة تكاثفه (فأصبح هشيما) أى متفتتا ، وأصبح هنا بمعنى صار (تذروه الرياح) أى تفرقه ومعنى المثل تشبيه الدنيا فى سرعة فنائها بالزرع فى فنائه بعد خضرته (المال والبنون) الآية : هذا من الجمع بين شيئين فى خبر واحد ، وذلك من أدوات البيان ، وقرئ زينتا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين ، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل الصلوات الخمس ، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق (نسير الجبال) أى نحملها ، ومنه قوله : وهى تمر مر السحاب ، وبعد ذلك تصير هباء (وترى الأرض بارزة) أى ظاهرة لزوال الجبال عنها (وحشرناهم) قال الزمخشرى إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضى بعد قوله نسير للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال (فلم نغادر) أى لم نترك (صفا) أى صفوفا فهو إفراد تنزل منزلة الجمع ، وقد جاء فى الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا (لقد جئتمونا) يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ (كما خلقناكم) أى حفاة عراة

مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۞ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا * وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا
مَصْرِفًا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۞ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ
أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِى وَمَآ
أُنذِرُوا هُزُوًا ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

غرلا (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال ، فالكتاب اسم جنس (كان من الجن) كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود ، وظاهر هذا الموضع يقتضى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع ، فإن الجن صنف غير الملائكة ، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار : أى خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن ، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار (ففسق عن أمر ربه) : أى خرج عن ما أمر به ، والفسق فى اللغة الخروج (أفتتخذونه وذريته أولياء) : هذا توبيخ ووعظ ، وذرية إبليس هم الشياطين ، واتخاذهم أولياء بطاعتهم فى عصيان الله والكفر به (ما أشهدتهم) الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفار أو لجميع الخلق ، فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى معينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين (ويوم يقول نادوا شركائى) يقول هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم ، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم ، وقد بين هذا بقوله الذين زعمتم (موبقا) أى مهلكا ، وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه واد من أودية جهنم والضمير فى بينهم للمشركين وشركائهم (فظنوا أنهم مواقعوها) الظن هنا بمعنى اليقين (مصرفا) أى معدلا ينصرفون اليه (جدلا) أى مخاصمة ومدافعة بالقول ويقتضى سياق الكلام ذم الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النضر ابن الحارث ، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس (وما منع الناس أن يؤمنوا) الآية : معناها أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة ، وهى الإهلاك فى الدنيا أو يأتيهم العذاب يعنى عذاب الآخرة ومعنى قبلا معاينة وقرئ بضمتين وهو جمع قبيل : أى أنواعا من العذاب (ليدحضوا) أى ليبطلوا (وما أنذروا هزوا) يعنى العذاب وما موصولة ، والضمير محذوف تقديره أنذروه أو مصدرية

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا * وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) هذه عقوبة على الإعراض المحكى عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة فى قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان (فلن يهتدوا إذا أبدا) يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن (لو يؤاخذهم) الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ الله الناس والجملة خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والأول أظهر (بل لهم موعد) قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر (موئلا) أى ملجأ يقال وئل الرجل إذا لجأ (وتلك القرى) يعنى عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكناهم وفى ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدى، وقرئ بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (وإذ قال موسى لفتاه) هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبى الله وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل رده ابن عباس وغيره ويدل الحديث على بطلانه وفتاه هو يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وهو من ذرية يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يوما فى بنى إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن بل عبدنا الخضر أعلم منك فقال يارب دلنى على السبيل إلى لقائه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا فى مكتل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ففعل موسى ذلك حتى لقيه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال موسى هذا الكلام وهو سائر أى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا لدلالة المعنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضى الإقامة فى الموضع وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة ومجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم فى المشرق (أو أمضى حقبا) أى زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هى جمع حقبة وهى السنة (فلما بلغ مجمع بينهما) الضمير فى بلغا لموسى وفتاه والضمير فى بينهما للبحرين (نسيا حوتهما) نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم وقيل نسى الفتى أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه

أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا ۞ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۞ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۞ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ

بشىء (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاعل اتخذ الحوت ، والمعنى أنه سار فى البحر فقيل إن الحوت كان ميتا مملوحا ثم صار حيا بإذن الله ووقع فى الماء فسار فيه وقال ابن عباس إنما حيى الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة مامست قط شيأ إلا حيى وفى الحديث أن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو المسلك فى جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل اتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة ويرد هذا ماورد فى الحديث (فلما جاوزا) أى جاوزا الموضع الذى وصف له وهو الصخرة التى نام عندها فسار الحوت فى البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا (نصبا) أى تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) قال الزمخشرى أرأيت هنا بمعنى أخبرنى ثم قال ، فإن قلت ماوجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإنى نسيت الحوت لامتعلق له ؟ فالجواب أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع مارأى منه وما اعتراه من نسيانه فدهش ففلق يسأل موسى عن سبب ذلك فكأنه قال أرأيت مادهانى إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت فحذف بعض الكلام (نسيت الحوت) أى نسيت أن أذكر لك مارأيت من ذهابه فى البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه وهو بدل اشتمال (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أى اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبا للناس أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا أى تعجب هو منه وإعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا وقيل إن الكلام تم عند قوله فى البحر ثم ابتدأ التعجب فقال عجبا وذلك بعيد (قال ذلك ما كنا نبغ) أى فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل (فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا فى طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة) يعنى النبوة على قول من قال إن الخضر نبىّ وقيل إنه ليس بنبىّ ولكنه ولىّ وتظهر نبوته من هذه القصة . أنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحى واختلف أيضا هل مات أو هو حىّ إلى الآن ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم (وعلمناه من لدنا علما) فى الحديث أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وأنى بأرضك السلام قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال أولم يكن لك فى بنى إسرائيل مايشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكنى أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا (قاله موسى هل أتبعك) الآية : مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغى أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه (رشدا) قرئ بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد ، وانتصب على أنه مفعول ثان بتعلمنى أو حال من الضمير فى أتبعك (فانطلقا) الضمير

إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ

لموسى والخضر وفى الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أى بغير أجرة (خرقها) روى أن الخضر أزال لوحين من ألواحها (شيئا إمرا) أى عظيما وقيل منكراً (فانطلقا) يعنى بعد نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضىء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل ذبحه، وقيل أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح وروى أن اسم الغلام جيسورا بالجيم، وقيل بالحاء المهملة قال الزمخشرى إن قلت لم قال خرقها بغير فاء، وقال فقتله بالفاء؛ والجواب أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسا، فإن قيل لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (نفسا زكية) قيل إنه كان لم يبلغ فمعنى زكية ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا (بغير نفس) يقتضى أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا (شيئا نكرا) أى منكرا وهو أبلغ من قوله إمراً ويجوز ضم الكاف وإسكانها (قال ألم أقل لك) بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ماليس فى قوله أولا ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا (بعدها) الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليها (قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت إلىّ فأنت معذور عندى وفى الحديث كانت الأولى من موسى نسيانا (أتيا أهل قرية) قيل هى أنطاكية، وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هى بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة (استطعما أهلها) أى طلبا منهم طعاما (جدارا يريد أن ينقضّ) أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير فى كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقضّ ووزن ينقضّ ينفعلّ وقيل يفعل بالتشديد كيحمرّ (فأقامه) قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده وأقامه فقام (لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى قال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجرا أى طعاما نأكله (قال هذا فراق بينى وبينك) إنما قال له هذا لأجل شرطه فى قوله «إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى» على أن قوله «لو شئت لاتخذت عليه أجرا» ليس بسؤال ولكن فى ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشرى الأصل هذا فراق

فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ۞ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين
فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة وأقرب رحما ۞ وأما
الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ۞ ويسئلونك
عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا * إنا مكنا له فى الأرض وءاتيناه من كل شىء سببا * فأتبع

بينى وبينك بتنوين فراق ونصب بينى على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث ، الذى أوجب الفراق ، (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل إنهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم ، لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم فى لجج البحر ، وقيل كانوا إخوة عشرة منهم خمسة عالمون بالسفينة ، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم وقرئ مساكين بتشديد السين ، أى يمسكون السفينة (وكان وراءهم) قيل معناه قدامهم ، وقرأ ابن عباس أمامهم ، وقال ابن عطية إن وراءهم على بابه ولكن روعى به الزمان فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضى (كل سفينة غصبا) عموم معناه الخصوص فى الجياد والصحاح من السفن ، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة ، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن يدد وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، لأن قوله (فأردت أن أعيبها) مؤخر فى المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب فى أنه عابها وإنما قدم للعناية به (وأما الغلام) روى أنه كان كافراً ، وروى أنه كان يفسد فى الأرض ، (فخشينا أن يرهقهما) المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا ، وقال ابن عطية إنه من نحو ما وقع فى القرن من عسى ولعل ، وإنما هو فى حق المخاطبين ومعنى يرهقهما طغيانا وكفرا ، يكلفهما ذلك والمعنى أن يحملهما حبه على اتباعها أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما (خيرا منه) أى غلاما آخر خيرا من الغلام المذكور المقتول (زكاة) أى طهارة وفضيلة فى دينه (وأقرب رحما) أى رحمة وشفقة ، فقيل المعنى أن يرحمهما ، وقيل : يرحمانه (لغلامين يتيمين) اليتيم من فقد أبويه قبل البلوغ ، وروى أن اسم الغلامين أصرم وصريم ، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى صحة نقل (كنز لهما) قيل مال عظيم ، وقيل كان علما فى صحف مدفونة ، والأول أظهر (وكان أبوهما صالحا) قيل إنه الأب السابع ، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (فأراد ربك) أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها فى أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله ، وأسند الخضر إلى نفسه فى قوله فأردت أن أعيبها لأنها لفظة عيب ، فتأدب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام « وإذا مرضت فهو يشفين » فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا ، واختلف فى قوله فأردنا أن يبدلهما هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله ، (وما فعلته عن أمرى) هذا دليل على نبوة الخضر ، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحى (ويسئلونك عن ذى القرنين) السائلون اليهود ، أو قريش بإشارة اليهود ، وذو القرنين هو الإسكندر الملك ، وهو يونانى وقيل رومى وكان رجلا صالحا ، وقيل كان نبيا ، وقيل كان ملكا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف

سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۞ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ

لم سمى ذو القرنين فقيل كان له ضفيرتان من شعرهما قرناه ، فسمى بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرنى الدنيا (إنا مكنا له فى الأرض) التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم (آتيناه من كل شىء سببا) أى علما وفهما ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك (فأتبع سببا) أى طريقا يوصله (وجدها تغرب فى عين حمئة) قرئ بالهمز على وزن فعلة أى ذات حمأة وقرئ بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف فى ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معاوية حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأنتما أعلما بها منى ، ولكنى أجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارة ، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين ، ويجتمع معنى القراءتين (قلنا ياذا القرنين) استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبى لأن هذا القول وحى ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوته (إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) كانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنا بالنظر إلى القتل (قال أما من ظلم فسوف نعذبه) اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمن تمادى على الكفر قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا نكرا عذاب الآخرة (فله جزاء الحسنى) المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) وعدهم بأن ييسر عليهم (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراءهم ومعنى لم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس فى أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أى لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المبانى والثياب ، وقيل المعنى وجد عندها قوما كذلك أى مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله (بين السدين) أى الجبلين وهما جبلان فى طرف الأرض وقرئ بالفتح والضم وهما بمعنى واحد ، وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح (وجد من دونهما قوما) قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول

مَامَكَّنِّى فيه رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا اسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا ۞ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۞ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۞ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۞ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۞ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

إلا بالإشارة أونحوها (يأجوج ومأجوج) قبيلتان من بنى آدم فى خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر (مفسدون فى الأرض) لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل كانوا يأكلون بنى آدم (فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) هذا استفهام فى ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية ويقال فيه خراج وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالا ليقيم بها السد (قال مامكنى فيه ربى خير) أى مابسط الله لى من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لى به ولكن أعينونى بقوة الأبدان وعمل الأيدى (ردما) أى حاجزا حصينا والردم أعظم من السد (ساوى بين الصدفين) أى بين الجبلين (قال انفخوا) يريد نفخ الكير أى أوقدوا النار على الحديد (قطرا) أى نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به مابين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب (فما اسطاعوا أن يظهروه) أصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التاء تخفيفا والضمير فى يظهروه للسد، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته (قال هذا رحمة من ربى) القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم (فإذا جاء وعد ربى) يعنى القيامة جعله دكا أى مبسوطا مسوى بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) الضمير فى تركنا لله عز وجل، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير فى قوله بعضهم على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير فى قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج، والأول أرجح لقوله بعد ذلك ونفخ فى الصور فيتصل الكلام ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم (ونفخ فى الصور) الصور هو القرن الذى ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء فى الحديث ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها (كانت أعينهم فى غطاء) عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم (أعتدنا) أى يسرنا (نزلا) ما ييسر للضيف والقادم عند نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل فى قوله «كانت لهم جنات الفردوس نزلا» ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) الآية فى كفار العرب كقوله كفروا بآيات ربهم

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۞ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۞ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۞ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ۞

ولقائه وقيل فى الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهى لا تقبل منهم وفى قوله يحسبون أنهم يحسنون تجنيس وهو الذى يسمى تجنيس التصحيف (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى ليس لهم حسنة توزن لأن أعمالهم قد حبطت (جنات الفردوس) هى أعلا الجنة حسبما ورد فى الحديث ولفظ الفردوس أعجمى معرب (حولا) أى تحولا وانتقالا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هى المعانى القائمة بالنفس وهى المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله وكذلك لو جىء بحر آخر مثله وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه (بمثله مددا) أى زيادة والمدد هو ما يمد به الشىء أى يكثر (فمن كان يرجو لقاء ربه) إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم فى المعنيين والله أعلم

﴿ تمّ الجزء الثانى، ويليه الجزء الثالث ﴾

﴿ وأوله سـورة مريم ﴾

فهرس

الجزء الثانى من كتاب التسهيل

صفحة

٢ سورة الأنعام

٢٨ « الأعراف

٦٠ « الأنفال

٧٠ « التوبة

٨٩ « يونس عليه السلام

١٠٠ « هود عليه السلام

١١٤ « يوسف عليه السلام

١٢٩ « الرعد

٣٧١ « إبراهيم عليه السلام

١٤٣ « الحجر

١٤٩ « النحل

١٦٦ « الإسراء

١٨١ « الكهف

(تمّ الفهرس)

c229226
m.229223

I 150 43988
B 13202546

SSR
Pl